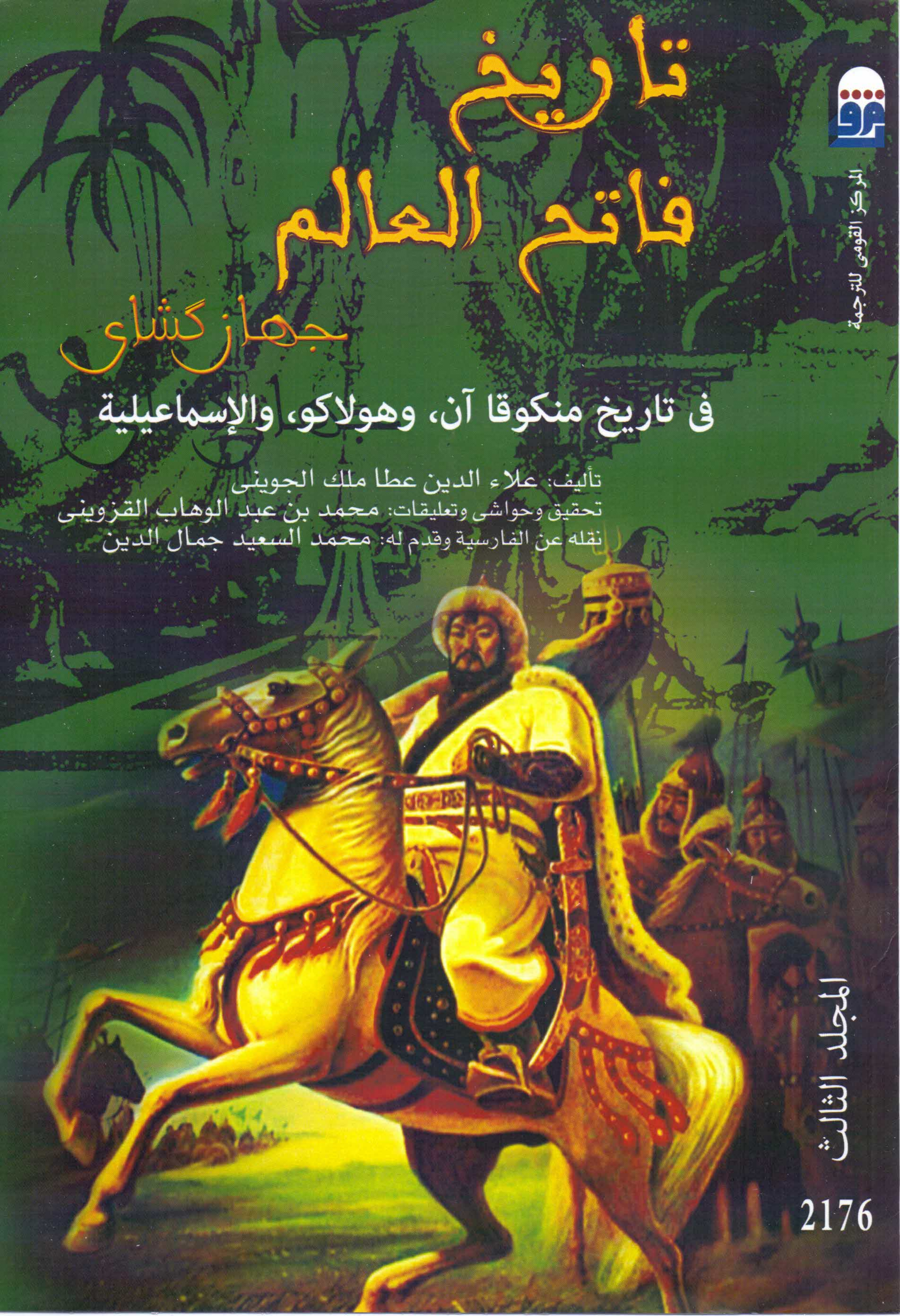

تاريخ
فاتح العالم
جهان گشاى
فى تاريخ منكوقا آن، وهولاكو، والإسماعيلية
تأليف: علاء الدين عطا ملك الجوينى
تحقيق وحواشى وتعليقات: محمد بن عبد الوهاب القزوينى
نقله عن الفارسية وقدم له: محمد السعيد جمال الدين
المركز القومى للترجمة
المجلد الثالث
2176

يُعدّ علاء الدين عطا ملك الجوينى- مؤلف كتاب "تاريخ جهانگشاى" أى تاريخ فاتَح العالم- واحدًا من أبرز من كتبوا عن المغول وعن جنكيزخان.

وترجع أهمية الكتاب إلى سلامة المصادر التى اعتمد عليها، وإلى أن مؤلفه كان وثيق الصلة بالشخصيات التى وجّهت الأحداث، وبخاصة "هولاكو" الذى شارك المؤلف في حملته على قلاع الإسماعيلية في إيران، وخصّها بحديث مفصل في هذا الجزء، ونقل فيه أيضًا تلخيصًا لكتاب نادر في تاريخ الإسماعيلية عثر عليه في قلاعهم التى دمّرها هولاكو.

ويشتمل هذا الجزء أيضًا على ترجمة حواشي وتعليقات محقق الكتاب العلاّمة محمد بن عبد الوهّاب القزوينى على بعض الموضوعات والشخصيات التي ذكرها المؤلّف.



تصميم الغلاف / وائل أحمد

جهانگشاى

# تاريخ فاتح العالم جهان كشاي

## المجلد الثالث

# في تاريخ منكوقا آن، وهولاكو، والإسماعيلية

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2176
- تاريخ فاتح العالم (المجلد الثالث): فى تاريخ منكوقا آن، وهولاكو، والإسماعيلية
- علاء الدين عطا ملك الجوينى
- محمد بن عبد الوهاب القزوينى
- محمد السعيد جمال الدين
- اللغة: الفارسية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:

TA'RÍKH-I-JAHÁN-GUSHÁ

BY : ALÁ'U D-DÍN 'ATÁ MALIK-I-JUWAYNÍ


شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

# تاريخ فاتح العالم

# جهان كُشاي

المجلد الثالث

في تاريخ منكوقا آن، و هولاكو، و الإسماعيلية

تأليف

علاء الدين عطا ملك الجويني

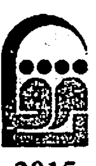
(في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)

حققه وذيله بالحواشي والتعليقات

محمد بن عبد الوهاب القزويني

نقله عن الفارسية وقدم له وحرر بعض هوامشه

محمد السعيد جمال الدين



2015

**بطاقة الفهرسة**
**إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية**
**إدارة الشئون الفنية**

الجوينـــي، علاء الدين عطا ملك
تاريخ فاتح العالم جهان گشاي (المجلد الثالث) في تــاريخ منكوقا آن وهولاكو والإسماعيلية / تأليف: علاء الدين عطا ملك الجويني، حققه وذيله بالحواشي والتعليقات: محمد بن عبد الوهاب القزويني، نقله عن الفارسية وقدم له وحرر بعض هوامشه: محمد السعيد جمال الدين
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥
٤٤٦ ص، ٢٤ سم
١ - العالم - تاريخ
(أ) القزويني، محمد بن عبد الوهاب (محقق)
(ب) جمال الدين، محمد السعيد (ترجمة)
العنوان ٩٠٩

رقم الإيداع ٨٦٣٣ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N - 978-977- 216 - 070- 9

**طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية**

---

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

# المحتويات

# تقديم المترجم

لا أحسب أننا في حاجة ملحّة إلى التّعريف في إسهاب بعلاء الدين عطا مَلِك الجويني، مؤلف كتاب «جهانگشاي» (فاتح العالم)، فقد وفّاه العلامة الإيراني الأستاذ محمد بن عبد الوهّاب القزويني حقّه من الدراسة والبحث في مقدّمة المجلد الأول من الكتاب(1)، فتناول أسرته وحياته ومؤلّفاته بالدراسة في دقّة وتتبّع وإتقان، مما جعل من تلك المقدّمة مرجعًا أصيلاً وافيًا لكل من أراد أن يتعرّف بالتفصيل على شخصية الجويني وأعماله.

وحين كلّف المركز القومي للترجمة زميلي الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي بنقل المجلد الأول من كتاب «جهانگشاي» إلى اللغة العربية عمد إلى ترجمة مقدمة القزويني بتصرف وإضافات، وصدّر بها المجلد المذكور الذي تم نشره ضمن إصدارات المركز في سنة ٢٠٠٧ برقم ١١٦٤.

وقد سبق لي أن أسهمت بدوري بنصيب في التعريف بعلاء الدين وكتابه «جهانگشاي» حين نشرتُ كتابي «دولة الإسماعيلية في إيران» في سنة ١٩٧٥(٢)، الذي اشتمل على ترجمة النصّ الفارسي، الذي ورد عن تلك الدولة في كتاب «جهانگشاي»، وهو النصّ الذي يقع بين صفحتي ١٣٧ و٢٤٦ من هذا الكتاب الذي هو بين يدي القارئ الآن.

---

(١) نشر المجلد الأول في سلسلة «جب» التذكارية (التي تصدر في «ليدن» بهولندا) سنة ١٩١٣، بينما نشر المجلد الثالث والأخير في سنة ١٩٣٧، وقام الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني بتصحيح المجلدات الثلاثة.

(٢) نشرته مؤسسة «سجلّ العرب» بالقاهرة لأول مرة في السنة المذكورة (١٩٧٥)، ثم أعادت «الدار الثقافية للنشر» طبعه في سنة ١٩٩٩.

كما صدر لي بالقاهرة في سنة ١٩٨٢ كتاب بعنوان: «علاء الدين عطا ملك الجويني -حاكم العراق- بعد انقضاء الخلافة العباسية في بغداد»، تناولت فيه شخصية الرجل باعتباره رجل دولة قبل أن يكون مؤلّفًا لكتاب مهم في التاريخ العالمي الوسيط، معتمدًا على رسالتين ألّفهما علاء الدين باللغة الفارسية سجّل فيهما الأحداث التي جرت له في العامين الأخيرين من حكمه للعراق[١].

من أجل ذلك سأتناول هذه الشخصية في هذه المناسبة في أضيق الرسوم، مبتدئًا بالحديث عن المؤلف ثم عن كتابه وعن الجزء الثالث منه بشكل خاص.

***

(١) توجد كل واحدة من هاتين الرسالتين في ذيل إحدى النسخ الخطية لكتاب «جهانگشاي» المحفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس، ففي ذيل النسخة ***Supple. Pers 1556*** تأتي الرسالة الأولى التي تسمى «تسلية الإخوان»، وفي ذيل النسخة ***Supple. Pers 206*** تأتي الرسالة الثانية الملحقة برسالة «تسلية الإخوان» دون أن يضع لها المؤلف عنوانًا، وقد تم نشر الرسالتين في طهران في سنة ١٣٦١ هـ. ش/ ١٩٨٢ بتحقيق الدكتور عباس ماهيار، وقام تلميذي الدكتور عثمان مهني بترجمتهما ضمن رسالته التي حصل بها على درجة الماجستير من جامعة عين شمس تحت إشرافي سنة ٢٠٠١، وكان عنوان أطروحته: أدب المحنة عند عطا ملك الجويني من خلال كتابه «تسلية الإخوان».

## أولاً: المؤلف

هو علاء الدين عَطا مَلك بن بهاء الدين محمد بن شمس الدين محمد بن بهاء الدين محمد الجُويني، وينحدر علاء الدين من أسرة عريقة أسهم أعضاؤها -على مدى أكثر من قرنين- في إدارة الشئون المالية والإدارية في بلادهم وغيرها من البلاد التي وقعت تحت حكم دول السلاجقة والخوارزميين والمغول، ومن أجل ذلك سُمّيت هذه الأسرة بـ«أسرة صاحب الديوان».

لم يكن قد مضى على غزو جنكيزخان لإيران أكثر من سبع سنوات حتى ولد عطا ملك في سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م.

كان اهتمام المغول منصبًا على الشئون العسكرية، ولم يكن لهم قبل بممارسة المهامّ المعقّدة لشئون الإدارة والحكم في بلاد عريقة مترامية الأطراف كبلاد الفرس التي دانت لهم خلال شهور قليلة، فاستعانوا بذوي الدراية والخبرة من أهلها، وكان من بين هؤلاء بهاء الدين محمد - أبو علاء الدين عطا ملك؛ فقد وقع اختيار المغول عليه؛ لكي يتولى وظيفة صاحب الديوان في إقليمي خراسان ومازندران (سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

وفي سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م تولى الأمير «أرغون» حكم البلاد الفارسية من قبل أباطرة المغول، فأبقى على «بهاء الدين محمد» في منصبه وبسط رعايته على ابنه «عطا ملك» فضمّه -رغم حداثة سِنّه- إلى زمرة الكتبة الخصوصيين للحاكم المغولي لإيران، وظل الأمير أرغون حاكمًا لإيران أربعة عشر عامًا (٦٤١ - ٦٥٤هـ/ ١٢٤٣ - ١٢٥٦) كان يسافر أثناءها بانتظام -بحكم منصبه- إلى «قراقورم» عاصمة أباطرة المغول، وكان «علاء الدين عطا ملك» يصاحبه في تلك الأسفار؛ وفي إحدى

المرات بقي في العاصمة المغولية نحو سنة ونصف، فعايش القوم، واتصل بعدد من أمرائهم وأشرافهم، وشاهد العديد من الأحداث المهمة، فتيسرت له سبل جمع الحكايات والروايات المتعلقة بنشأة المغول وتاريخهم قبل جنكيزخان وبعده، مما دفعه إلى تأليف كتابه المعروف «تاريخ جهانگشاي»، فبدأ في تأليفه في سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م وانتهى منه في سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م.

يحدّثنا علاء الدين أن فكرة البدء في تأليف الكتاب راودته بينما كان في «قراقورم» يتأهب للمشاركة في الاحتفال بتنصيب الإمبراطور منكوقا آن على عرش المغول (سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٩م).

ورجع عطا ملك من سفره هذا الأخير إلى إيران؛ ليستأنف عمله حتى أوائل سنة ٦٥٤هـ، ١٢٥٦م كواحد من كُتّاب الأمير أرغون، الذي كان عليه أن يتنحى عن منصبه لهولاكو -أخي الإمبراطور منكوقا آن- وقد جاء على رأس جيش كبير قاصدًا القضاء على الإسماعيلية في إيران أولا، ثم الإطاحة بالخلافة العباسية في بغداد من بعد ذلك.

لكن الأمير أرغون أضاف -قبل أن يترك منصبه- فضلا آخر إلى أفضاله على علاء الدين، فعيّنه عضوًا في اللجنة الثلاثية[1] التي كانت مهمتها إدارة الشئون المالية والإدارية في البلاد حتى تستقر الأمور في يد «هولاكو»، ومنذ ذلك الحين أصبح علاء الدين من خواصّ الملازمين والكتّاب لهولاكو والمقرّبين إليه.

وحسب ما ورد في «جهانگشاى» يتّضح أن علاء الدين ظلّ ملازمًا لهولاكو منذ أن وطئت قدماه الأراضي الإيرانية في أوائل سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وأنه رافقه

---

(١) ضمت هذه اللجنة إلى عضويتها أيضًا كلا من: «كراي ملك» ابن الأمير أرغون نفسه والأمير «أحمد بيتكجي».

طيلة حملته للقضاء على الإسماعيلية، وتلقى منه أمرًا بكتابة بعض شروط التسليم والصلح التي فرضها هولاكو على المحاصَرين ببعض القلاع الإسماعيلية المنيعة.

وحين استسلمت قلعة ألموت -عاصمة دولة الإسماعيلية- خشي علاء الدين أن تتعرض مكتبتها الذّائعة الصّيت للدّمار، فيذهب ما بها من تراث قيّم أدراج الرّياح، فاستأذن هولاكو في الاطّلاع على محتوياتها قبل أن تتعرض للغارة؛ لكي يستخرج منها ما يراه صالحًا؛ فأذن له.

كانت المكتبة تعدّ في الواقع مركزًا من أهم المراكز العلمية في ذلك الوقت، وكانت تشتمل على مرصد فلكي متقدّم وأكاديمية للأبحاث الرياضية والتطبيقية، فضلا عن مجموعتها القيّمة من نفائس الكتب والآثار التي أمضى الإسماعيلية قرابة مائة وسبعين عامًا في جمعها واقتنائها، وقام علاء الدين بعد مراجعة مجموعات المكتبة ومحتوياتها باستخراج «المصاحف والكتب القيمة والآلات الخاصة بالمرصد الفلكي»، أما الكتب التي تتصل من قريب أو بعيد بأصول مذهب الإسماعيلية أو فروعه فيقرّ بأنه تركها؛ لكي تُحرق عن آخرها. وكان من بين الكتب التي استخرجها علاء الدين من مكتبة ألموت قبل نكبتها كتاب «سرگُذشت سيّدنا» (أي سيرة سيّدنا) ويشتمل على سيرة كاملة للحسن بن الصبّاح ومذهبه الذي استحدثه بعد قدومه من «القاهرة» عاصمة مصر الفاطمية، ويعدّ هذا الكتاب النّادر المصدر الأول الذي كتبه الإسماعيلية بأنفسهم عن تاريخهم وعلاقاتهم بالدول المجاورة لهم. وقد نقل علاء الدين كتاب «سرگذشت سيدنا» مختصرًا في الجزء الثالث من كتاب «جهانگشاي»، وهو الجزء الذي بين أيدينا الآن.

ولما فرغ هولاكو من القضاء على دولة الإسماعيلية اتّجه بجيوشه نحو الجنوب الغربي للإطاحة بالخلافة العباسية في بغداد، وكان علاء الدين في زمرة أصحابه.

في سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م، وبعد مضيّ عام واحد على انقضاء الخلافة العباسية، عهد هولاكو إلى علاء الدين بحكومة بغداد والعراق، التي استمرّ في حكمها -نائبًا عن سلاطين المغول في إيران- أربعًا وعشرين سنة، صرف فيها كلّ همه في تعمير ما كان المغول قد خرّبوه في هجومهم على البلاد، وأسقط عن كاهل الفلاحين مغارم كثيرة، وأنشأ العديد من القرى وحفر الأنهار وقنوات الريّ، ولم يلبث العراق حتى سار بخطى واسعة نحو العمران وتضاعف دخله وعمر سواده بعد الخراب الذي شمله على يد المغول، وقد بالغ بعض الناس فقال: «عمّر صاحب الديوان - يعني علاء الدين عطا ملك الجويني- بغداد حتى كانت أجود من أيام الخلافة».

وقد بقي علاء الدين حاكمًا للعراق حتى توفي فجأة في سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م بعد أن ساءه وأحزنه أن وشايات أعدائه وخصومه أثّرت في السلطان المغولي فعزم من ثَمَّ على عزله من منصبه.

وعقب وفاة علاء الدين تعرّضت أسرة «صاحب الديوان» لنكبة شملت أفرادها، فتم قتلهم جميعًا.

## ثانيًا: الكتاب

حظى كتاب "تاريخ جهانگشاي" بشهرة واسعة واهتمام بالغ منذ أيام تأليفه، وذلك بالنظر إلى أهمية الموضوعات التي يشتمل عليها ودقة المعلومات الواردة فيه، وموقع المؤلف من الأحداث التي يرويها.

**يقع الكتاب في ثلاثة مجلدات:**

**المجلد الأول:** يشتمل على تاريخ القبائل المغولية وعاداتها ورسومها، والقوانين التي وضعها جنكيزخان وسُمّيت بالياسا، وانتقال سلطة البلاد المجاورة إليه، وأسباب النّزاع الذي حدث بينه وبين السلطان محمد خوارزمشاه، واجتياح جنكيزخان لبلاد ما وراء النهر وإيران، وعودته إلى بلاده ووفاته، وتولّي ابنه "أوگتاي قا آن" عرش المغول، ثم توراكينا خاتون، وابنها كُيوك خان.

**أما المجلد الثاني:** فيعرض لنشأة الدولة الخوارزمية، وتولّى السلطان محمد خوارزمشاه عرشها وحروبه في الشرق والغرب، ويعرض للدول التي كانت قائمة في تركستان وبلاد ما وراء النهر والتي اجتاحها المغول قبل هجومهم على الدولة الخوارزمية، ويتناول بعد ذلك السلطان جلال الدين منكبرتي، ابن السلطان محمد خوارزمشاه ومعاركه الضارية ضد المغول ومقتله في النهاية، وينتهي المجلد بذكر الحكام المغول الذين تولوا حكم إيران منذ عهد أوگتاي حتى وصول هولاكو قائدًا للحملة الثانية من هجوم المغول على الشرق الإسلامي في سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م.

**المجلد الثالث:** إذا كان عطا ملك قد اعتمد في المجلدين الأول والثاني من كتابه على مصادر وثيقة الصلة بالوثائق الرسمية، وقريبة من الأحداث كأمراء المغول الكبار الذين كان يجتمع بهم عطا ملك في أسفاره إلى بلادهم، بالإضافة إلى أبيه الذي عمل في خدمة سلاطين الخوارزميين وحكام المغول الذين تولوا إدارة الشئون الإيرانية في الفترة التي أعقبت حملة جنكيزخان وحتى مقدم هولاكو، فقد اعتمد في المجلد الثالث على مشاهدته للأحداث التي سجّلها في هذا المجلّد؛ بل ومشاركته بنفسه في أغلب وقائعها التي وقعت بين سنتي ٦٥٠ و٦٥٨هـ (١٢٥٢-١٢٦٠م)، وهي الفترة التي تم فيها تأليف الكتاب بمجلداته الثلاثة.

**ويمكننا أن نقسّم المجلد الثالث إلى ثلاثة أقسام رئيسة:**

**القسم الأول:** ويعرض لتنصيب منكوقا آن إمبراطورًا على المغول، وما سبق ذلك وما لحقه من أحداث، وقد شاهد عطا ملك أغلب هذه الأحداث بنفسه حين سافر في صحبة الأمير أرغون -حاكم إيران آنذاك- إبان تنصيب "منكوقا آن" فمكثا هناك في تلك المرة نحو سنة وخمسة أشهر.

**القسم الثاني:** ويُعنى بالإعداد المكثف من جانب الحاكم المغولي لإيران وأركان دولته من أجل استقبال الحملة المغولية الثانية، وقد شمل هذا الإعداد تمهيد الطرق وإقامة القناطر والكباري على الأنهار، وتوفير المؤن على طول الطريق وترشيح كبار المعاونين الذين يتعيّن عليهم إدارة شئون البلاد في خدمة "هولاكو" والبقاء في معيته، وقد تم اختيار "عطا ملك"؛ لكي يكون واحدًا من هؤلاء المعاونين في أوائل سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٦م، وظلّ مرافقًا لهولاكو طيلة المدة التي قضاها في استخلاص قلاع الإسماعيلية وشاهد كل تلك الأحداث وسجّلها، ولما حاصر هولاكو قلعة "ميمون دز" -أمنع قلاع الإسماعيلية، ومقرّ ملوكهم- اضطرّ المقيمون بالقلعة

إلى التسليم فأصدر هولاكو أمره إلى عطا ملك بأن يدوّن الشروط التي يتم بمقتضاها تسليم القلعة للمغول.

**القسم الثالث:** وهو الخاص بتاريخ الإسماعيلية المنقول من كتاب من كتبهم – هو كتاب "سرگذشت سيّدنا"، أو "سيرة سيدنا" الذي يُعبَّر به عن زعيمهم الحسن ابن الصبّاح – عثر عليه عطا ملك في مكتبة قلعة "ألموت"، ونقل عنه خلاصة مختصرة تتضمن نشأة المذهب الإسماعيلي وتطوره وقيام الدولة الفاطمية في المغرب ومصر باعتبارها ثمرة من ثمار الحركة الإسماعيلية، ثم ينتقل المؤلف إلى ذكر سيرة الحسن بن الصبّاح ومذهبه الذي استحدثه بعد قدومه من مصر، ويتناول تاريخ ملوك الإسماعيلية الذين أتوا بعد الحسن وآخرهم ركن الدين خورشاه الذي قتله المغول وقضوا على أتباعه.

وترجع أهمية القسم الخاص بالإسماعيلية في هذا الجزء إلى أنه المصدر الأول الذي كتب عن الدولة التي أنشأها أتباع هذه الطائفة في إيران.

وكان العلامة الإيراني الأستاذ محمد بن عبد الوهّاب القزويني (١٨٧٧-١٩٥٩م)، قد بدأ منذ سنة ١٩٠٦ في جمع النسخ الخطية الموجودة في أوروبا من هذا الكتاب، بتكليف من إدارة "سلسلة گب" التذكارية للنشر Gibb Memorial Series، فوجد أن أفضل هذه النسخ محفوظة بالمكتبة الأهلية في باريس، فأقام القزويني بالعاصمة الفرنسية نحو ثماني سنوات تمكن خلالها من نشر الجزء الأول (سنة ١٩١٣م)، وإعداد الجزء الثاني للنشر، لكن قيام الحرب العالمية الأولى حال دون نشر بقيّة الكتاب، ولم يتسنَ للمجلّد الثالث والأخير منه أن يصدر إلا سنة ١٩٣٧م، بعد أن عثر الأستاذ القزويني على مزيد من النسخ الخطية الأصيلة حتى بلغ عدد هذه النسخ التي استخدمها في تصحيح هذا المجلّد ثلاث عشرة نسخة بعد إضافة سبع نسخ أخرى إلى النسخ الست التي اعتمد عليها القزويني في تصحيح

المجلدين السابقين: الأول والثاني، هذا مع حرص المصحّح على إثبات الاختلافات بين النسخ في هوامش أسفل الصفحات؛ لكي يكون القارئ حُرًّا تمامًا في اختيار النسخة البديلة التي تبدو في رأيه أصحّ وأرجح وفقًا لذوقه واجتهاده الشخصي.

وفضلاً عن هذا المنهج الفريد والمتكامل في التحقيق الذي التزم به المحقّق التزامًا كاملاً وبذل فيه غاية الجهد والطاقة؛ فإنه رجع إلى مئات الكتب والمراجع بمختلف اللغات لتوضيح النصّ، فكان من نتيجة ذلك أن خرج الكتاب محققًا أفضل ما يكون التحقيق، وتم طبعه بمجلداته الثلاثة طبعة ممتازة في مطبعة "بريل" Brill في "لَيْدن" Leiden بهولندا، وهي المطبعة المتخصصة في طبع كتب التراث العربي والفارسي والتركي بعد تحقيقها.

ويتميز هذا المجلد أيضًا بما أضافه المحقّق العلامة محمد القزويني من حواشٍ وإضافات في آخر الكتاب، علّق فيها على بعض ما ورد في المتن من أحداث وشخصيات وفق منهج قويم وقراءة مستوعبة واعية للمصادر نالت تقدير العلماء في الشرق والغرب، وقد رأيت أن أنقل هذه الحواشي أيضًا إلى العربية لعل القارئ العربي يجد فيها بعض الفوائد العلمية والمنهجية.

وكانت هيئة "اليونسكو" قد اختارت كتاب "تاريخ جهانگشاي" واحدًا من مجموعة الأعمال النموذجية الكبرى ***"Unesco Collection of Representative Works"***، وعهدت إلى البروفسور "جون أندرو بويل ***John Andrew Boyle***" أستاذ الدراسات الفارسية في جامعة "مانشستر" البريطانية بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، وصدرت الترجمة بعد أن قام بمراجعتها المستشرق الروسي فالديمير مينورسكي بناء على طلب اليونسكو في سنة ١٩٥٨م، ثم أعيد طبعها مرة أخرى في سنة ١٩٩٧م بمطبعة جامعة مانشستر.

وكان الدكتور محمد التونجي الأستاذ في جامعة حلب قد قام بترجمة "تاريخ جهانگشاي" إلى العربية ونشرته "دار الملاح للطباعة والنشر" في سوريا سنة ١٩٨٥م في مجلدين.

ويتعين عليَّ أن أقرر أنني انتويت منذ البداية أن أستشير الترجمتين العربية والإنجليزية في المواضع التي أجد صعوبة في ترجمتها، ولكني لم ألبث طويلاً حتى نحّيت الترجمة العربية جانبًا؛ لافتقارها إلى الدقة الواجبة في نقل مثل هذا النوع من النصوص، وانحصر جُلّ اعتمادي في ترجمة ما أُشكل عليَّ ترجمته على الترجمة الإنجليزية التي تتمتع بتقدير واسع بين المتخصصين الغربيين في الدراسات الشرقية؛ بسبب حذق المترجم، وهو المستشرق الإنجليزي "بويل" وكذلك بسبب مكانة من قام بمراجعة الترجمة، وأعني به الأستاذ "مينورسكي" الذي يعد حُجّة في مجال الدراسات الإيرانية الوسيطة، وقد أشرت في هوامش أسفل الصفحات إلى المواضع التي أفدت فيها من الترجمة الإنجليزية.

ومن حق المركز القومي للترجمة أن يتلقى من المشتغلين بالدراسات الفارسية كل الشكر والتقدير؛ وذلك على عنايته بنقل مثل هذا العمل الكبير وغيره من روائع المكتبة التاريخية الفارسية إلى العربية، وكان المركز قد عهد إليّ أنا وزميلي الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي بنقل هذا الكتاب بمجلداته الثلاثة إلى العربية على أن يتولى الدكتور السباعي ترجمة المجلد الأول والقسم الأول من المجلد الثاني، وأن أتكفل بترجمة بقية المجلد الثاني والمجلد الثالث بأكمله، وقد صدرت ترجمة المجلد الأول في سنة ٢٠٠٧ (برقم ١١٦٤) وهذه هي ترجمة المجلد الثالث بين يدي القارئ العربي، ونسأل الله العون والتوفيق لإتمام العمل كله بإصدار المجلد الثاني في وقت قريب.

**محمد السعيد جمال الدين**

## كيفية نطق الحروف الفارسية المستعملة في هذا الكتاب

١ - «پ» يُنطق مثل حرف «*P*» في اللغة الإنجليزية.

٢ - «چ» يُنطق مثل حرف «*Ch*» في اللغة الإنجليزية.

٣ - «ژ» يُنطق مثل حرف «*J*» في اللغة الإنجليزية.

٤ - «گ» يُنطق مثل حرف «*G*» في اللغة الإنجليزية

في مثل كلمات *Big - Gum - Garden*.

# مقدّمة المؤلّف

## بسم الله الرحمن الرحيم

## ربّ يسّر

الحمد والمنّة لله، هو مَن بضياء نُوره ومجده تتألّق النّجوم السّاطعة، وبمشيئته وأمره يجرى الفلك الدوّار، من هو بالعبادة جَدير، المعطى الذى لا يحلو الرّجاء إلا إليه، خالق الوجود من عدم، المُغنى بعد الوجود، من أبدل عباده بالذل عزًّا، من عَنَت له وجوهُ الجبابرة، به يزدان المُلك، وتليق به الألوهية، انشُد العلا والدّعة عند أعتابه ليس إلا. من أعرض عن جنابه؛ بسبب الجهالة أصيب بالضُّرّ لا محالة، به كل من له وَسْمُ الوجود، به الخير والشر والنّفع والضُّر.

(بيت من الشعر الفارسى، ترجمته):

**[٢] أنت للعالم علوٌ ونزول، لستُ أدرى ما أنت، فما الوجود كلّه إلا أنت.**

والسّلام على خاتم النبيين، إمام المرسلين السابقين هو مَن حَلَّ كُلَّ عُقدة، هو مُعَلِّم كُلِّ حِكمة، من هدى الضّالة في الطّريق، الرءوف بمن أذنب ممّن تبعه، المرسَل إلى الإنس والجنّ، نذيرُ يوم الدّينونة، من مُدح اسمُه على كلّ لسان، ومن سَمِعتْ صوتَه كلُّ الآذان.

ثمَّ السّلام على صحابته الأخيار، وأهله الأبرار، طالما ظَلّ في الوجود فعلٌ للريح والماء والتّراب والنّار[١]، وطالما نمت الأزهارُ على الأغصان الغضّة الخضراء بين الأشواك.

(١) العناصر الأربعة التي تقوم بها الحياة عند القدماء.

# تمهيد

كنّا قد ذكرنا في المجلّد السابق (قدرَ ما عَلِمنا) أحوال خروج "جنكيزخان" وسيطرته على البلدان، وجلوس "قا آن" و"كيوك خان"، وما حدث في عهدهما من وقائع وأحداث (حسب ما تناهى إلينا من معلومات) كما شرحنا أيضًا أحوال سلاطين خوارزم وغيرهم من الولاة (على قدر ما علمنا) منذ بدء أمر كلٍّ منهم حتّى انتهاء مدّته، وسوف نشرع الآن في هذا المجلّد الثّالث في ذكر جلوس ملك العالم: "منكوقا آن" على العرش، وما جرى ويجري في عهد "خانيّته" من أمور وأحوال، كما نذكر انطلاق "أمير العالم" (هولاكو) صوب البلاد الغربيّة، وكيف كانت أحوال كلّ ملك من ملوك العصر وولاة الوقت من طاعة أو عصيان منذ البداية حتى النّهاية.

وأستغفر الله ذا الجلال –في كلّ حال– من بادرات الأعمال وصادرات الأقوال، وأستقيلُه من عَثَرات الأقلام وهَفَوات الكلام، طالبًا الصّفح من فيض فضله العميم؛ فمن ذا الذيْ يُجير العاصين غيرُه.

## [٣] ذكر أحوال أُلغ نوين وسرقويتى بيكى

يقضى قانون المغول كما تقضى شريعتهم بأن يحلّ الابن الأصغر الذى تلده الخاتون (السيدة الكبرى) محلّ أبيه، وقد كان "تُولى" – المعروف بـ "ألغ نوين"[١] – هو الابن الأصغر للخاتون الكبرى[٢].

---

(١) ألغ نُوين (نويان) أى الأمير الكبير، وهو لقب "تولى" الابن الرابع لجنكيزخان (القزوينى).

(٢) الخاتون الكبرى، وأحبّ زوجات "جنكيز خان" إلى قلبه، وهى يَسُونجين بيگى، وهى أم أولاده الأربعة المذكورين في الحاشية التالية.

غير أن "جنكيز خان" أمر بأن يكون "أوگتاى" هو الخان [من بعده]، ومن ثمّ أذعن "تُولِى" لوصية أبيه[1]، وأخذ يبذل كل ما في وسعه للتمهيد لجلوس أوگتاى "قا آن"[2] على العرش، ويبذل ما في الوسع من جدّ واجتهاد؛ لكي يوطّئ له أكناف المُلك، وكانت بين الإخوة جميعا -سِيَّما بينه وبين أوگتاى قا آن- من المودّة والمحبّة ما يفوق درجة الأخوّة.

**تَجاوَزَتِ القُربى المودّةَ بيننا     وأصبح أدنى ما يُعَدُّ المَنَاسِبُ**

صحب "تولى" القا آن في حملته التي شنّها ضد الخطا، وأدى تلك المهمة بعزم وكفاية وإصرار، كما سبق ذكره[3]، فما كان من تلك الولايات الشرقية إلا أن خضعت وانقادت. فلما رجع موفّقًا منصورًا [٤] والدنيا له مُذعنة، والفَلَكُ الدَّوار له صاغر، أصابه مرض -بسبب الإفراط والانهماك في تناول كئوس الرّاح من الصّباح إلى الرّواح- لم يمهله أكثر من ثلاثة أيام، ثم ما لبث أن وافاه الأجل.

(بيت فارسي، ترجمته):

**هى عادةُ الفلك الدّاكن دومًا: إن رأى صفاء من الغَم سارع بمحوه.**

ولهذا استبد الحزن بالقا آن، وأصابه الضّجر والقلق الشّديد، وأمضى وقت صحوه في ذكر أخيه الرّاحل وشوقه إلى لقائه والأُنس به.

---

(١) كان جنكيز خان قد أمر في حياته بأن يخلفه على العرش ابنه "أوگتاى" وهو الثالث من بين أبنائه الأربعة: "جوجى" (توشى) الذى توفي في حياة أبيه، "وجغتاى" و"أوگتاى"، ثم "تولى" الأصغر، الذى كان يتعين أن يتولى الحكم ويحكم شرائع المغول، لكنه كان أكثر إخوته إصرارًا على تنفيذ وصية أبيه جنكيز خان بتولية أخيه أوگتاى.

(٢) "قا آن" أو الـ "خان": لقب لإمبراطور المغول.

(٣) انظر الجزء الثانى من الكتاب، وهو السابق على هذا الجزء، ص١٥٠ وما بعدها من الأصل الفارسى.

فلما تَفَرَّقْنا كأنّى ومالكًا    لِطولِ اجتماع لم نبَتْ لَيلةً مَعًا[1]

وكان القا آن إذا سَكِر وسَرى الخمر في عروقه في الصّبوح وفى الغَبوق أجهش بالبكاء، وقال: إن الباعث على إدمان الخمر إنما هو غلبة الأسى للفراق المؤلم، وأنا ما ألجأ إلى السُكر إلا لاجتياح الأسى قلبى حين أفيق ولو بُرهة.

(بيت فارسى ترجمته):

**السُكر خيرٌ لأنه يباعد بينى وبين نفسى، وإلا فكيف يستسلم العقل طوعًا للذهول.**

وظلّ القا آن حتى آخر عمره محزونًا متحرّق الفؤاد على هذا النحو.

وبعد حدوث [٥] الوفاة أمر القا آن بأن يُعهد إلى زوجة تُولى (الخاتون سرقويتى بيكى) بتدبير شئون الدولة.

وَسرقويتى بيكى هى ابنة أخي "أونك خان"[2]، وهى التي أنجبت لتولى كبار أبنائه: منكوقا آن، قُبلا، هولاكو، أريغ بوكا.

---

(١) لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك من جملة أبيات مشهورة جدًا، انظر الأغانى ١٤: ٦٦؛ وطبقات الشعراء لابن قتيبة ص ١٩٣؛ والكامل للمبرّد ص ٧٢٥، ٧٥٧؛ وابن خلّكان في ترجمة وثيمة الوشّاء، وخزانة الأدب لعبد القادر البغدادى ٣: ٤٩٨؛ وشواهد المُغنى للسيوطى في شواهد اللام (القزويني).

(٢) أونك خان: آخر: ملوك قبائل "كرائيت"، الذين انضووا مع غيرهم تحت راية "جنكيز خان" عندما أعلن نفسه "خان" المغول، وكانت هذه القبائل تعيش في الواحات الداخلة في صحراء "جوبى" وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين، وظلوا طوال القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين، أقوى قبائل المغول، ودانوا بالنصرانية منذ أواخر القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، (راجع عباس إقبال، تاريخ مغول ٦-٧).

وتقرّر أن يكون الأبناء المذكورون والجيش والشعب، والكبير والصغير رهن حلّها وعقدها، وتحت أمرها ونهيها، فلا يعصى لها أحد أمرًا، فوضعت "بيكى" أساسًا لتنشئة الأبناء جميعًا، وتربيتهم، وضبط الدولة، وتحقيق المكانة والهيبة، وتدبير المهامّ بحسن الرأى والدّراية، ومهّدت قاعدة لإرساء هذه المبادئ بشكل لم يكن بوسع أحد أن يُسيّر الأمور على هذا النحّو المتقّن الرائع.

وكان "القا آن" لا يبرم أمرًا من أمور البلاد أو ينظر في شأن من شئون الجيش دون أن يستشيرها، ولم يكن يُسمح بإجراء تغيير أو تبديل لما تقوله أو تُشير به، وكانت الرُّسل والوفود تقدّم لها مزيدًا من الاحترام والتوقير، [٦] أما أتباعها ورعاياها المنتشرون في أقاصى وأدانى الشرق والغرب، فقد كانوا يتميزون عن أتباع سائر الأمراء ورعاياهم لتمتعهم بما تُضفيه عليهم من أمن وحماية، وكانوا – شرقًا وغربًا – مرفّهين منعّمين؛ بسبب مبالغتها في الاهتمام بهم، وبذلها كلّ الوسع في رعايتهم.

وأخذ الولاة والشّحنة والجند يلتزمون طريقة النَّصَفَة مع الرعايا؛ خوفًا من عقابها وضبطها، فإذا أزف موعد "القوريلتاى" وحان وقت اجتماع الأمراء، تميّزت بالحسن والزّينة بين أمثالها وأترابها، كما تفوّقت من حيث عدد الحرس والخدم على كل الرؤساء والأمراء.

وبلغ من حرصها على أمن الرعيّة خلال عهد "قا آن" أن جماعة من الملوك كانوا قد دخلوا في نقاش مع بعض رعاياها المقرّبين بشأن الضّرائب والرّسوم، وقاموا بزيادتها (من تلقاء أنفسهم دون أمر منها)، فأرسلت الرّسل لإحضار هؤلاء الملوك؛ لكى يمثلوا أمامها، وبعد إثبات الحجج والبراهين قضت بمعاقبتهم بالموت.

وكان من مميّزاتها ضبط أبنائها والأخذ بقيادهم، مع أن كل واحد منهم "خان" (ملك عظيم) وشخصية مُعتدّة بنفسها واثقة بسلامة رأيها، وهم يفْضُلون سائر الأمراء بالدَّهاء والذَّكاء.

[٧] وحين تُوفي الإمبراطور، وبقوا مدَّة ينتظرون إجلاس خان جديد، ظلت طيلة الوقت لا تسمح لأولادها -على الرّغم مما كانوا يتمتّعون به من صلاحية- بإجراء أى تغيير في القوانين القديمة (الياسا)، وهذا ما حدث عندما دُفع "كيوك خان" لتولى منصب الخانية (منصب الإمبراطور)، وأخذوا في البحث والتفتيش عن مَن انحرف من الأمراء عن الياسا (القانون) والقاعدة المستمرّة وأعطى "پايزه"[١] و"يرليغ"[٢] دون مشورة واتفاق.

فأقر «كيوك خان» بأن يُلغى كل "مثال"[٣] و"پايزه"، منذ وفاة "قا آن"، وفى الاجتماع الكبير "القوريلتاى" وفى حضور الجميع عرضت على الأمراء أغلب الأوامر التي كانت قد صدرت بشأن إطلاق أموال وتولية ولاة وعزلهم، فانتابهم الخجل جميعًا إلا "بيكى" وأبناءها الذين لم يخرجوا على القانون ولو قيد شعرة، فإنهم لم يأبهوا أو تطرف لهم عين؛ وذلك لكمال عقلها وقدرتها على ضبط النفس، وتفكّرها في عواقب الأمور، وهو ما يغفل عنه رجال عقلاء مجرّبون.

فلو كان النِّساء كمثلِ هَذى لفُضِّلت النِّساءُ على الرِّجال[٤]

---

(١) پايزة: كلمة مغولية تعنى لوحة مربعة من الذهب أو الفضة أو النحاس (حسب تفاوت درجة المنصب) منقوش عليها اسم الإمبراطور، تعطى للمسئولين الكبار، وتُنزع منهم عند عزلهم (لغتنامه دهخدا، وفرهنك معين).

(٢) يرليغ: كلمة مغولية تعنى المرسوم (القلقشندى، صبح الأعشى ٤: ٤٢٣).

(٣) مثال: الأمر، التعليمات الصادرة من سُلطة عليا.

(٤) للمتنبى من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة. والبيت في قصيدة المتنبى هكذا:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفُضّلت النساء على الرجال

وقد حدث الشيء نفسه عند جلوس "منكوقا آن" على كرسيَ "الخانية"، فعقب وفاة كيوك خان، أمر كل واحد بأوامر وأحكام، أما بيكى فقد بذلت منذ أن [٨] توفي زوجها "أُلُغ نوين" جهدًا خارقًا في إمالة الجوانب وتأليف القلوب بإرسال التّحف والهدايا إلى الأهل والأقارب والأجانب حتى جعلتهم جميعًا منقادين لها متابعين لإرادتها، ونقشت محبّتها والولاء لها في ضمائر الناس جميعًا ونفوسهم، ومن ثم، فحين وافت المنية "كيوك خان" أجمعت الغالبية العظمى من الناس على تفويض مفاتيح "الخانية" لابنها "منكوقا آن"، واجتمعت آراؤهم على ذلك إقرارًا بما لها من عقل وذكاء، وبالشّهرة التي نالها رأيها ودهاؤها في كل الأقطار؛ ولم يكن أحد يملك لقولها ردًّا، وقد وضعت لترتيب البيت ودخول كبار المسئولين والأجانب عليها، وخروجهم من عندها قواعد يعجز عنها أباطرة العالم.

وظلت على هذا النّحو حتى وضع الله تعالى عروس المُلْك في حِجْر رعاية "منكوقا آن" بفضل ما لديه من خبرة ودراية، فكانت يدها على الدوام طليقة بالبذل والإحسان. وعلى الرغم من أنها كانت من أتباع المسيحية، ومن العاملين على دعمها، فإنها كانت تنفق الكثير من الصّدقات والعطايا لأئمة الإسلام ومشايخ المسلمين، كما كانت تبذل ما في الوسع في إحياء الشّعائر التي سنّتها شريعة دين محمد – صلى الله عليه وسلم؛ والدليل على [٩] صدق هذا الكلام أنها أمرت بإنفاق ألف "بالش"[١] من الفضة لإنشاء مدرسة في "بخارى"، وبأن يكون شيخ الإسلام "سيف الدين الباخرزى" هو المسئول عن تنفيذ هذا الأمر والقائم عليه، كما أمرت بشراء العديد من القرى وأوقفتها على المدرسة، وعيّنت المدرّسين وطلبة العلم، وكانت تبعث على الدوام بالصّدقات إلى مختلف النواحى والأطراف، وتخصّ بها مساكين المسلمين ونظراءهم، وظلت على هذا النحو حتى ناداها هادم اللذّات بنداء الرحيل في ذى الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة/ سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف ميلادية.

---

(١) البالش من الفضة: يعادل ثمانية دراهم ومثقالين ويساوى مائتى دينار. (فرهنك معين).

***

## [١٠] ذِكْرُ أحْوالِ بَجْمَنْ واستئصاله

حين أرسل القا آن(١) كلا من "منكوقا آن" و"باتو" وغيرهما من الأمراء لغزو بلاد البُلغار وآس(٢) والروس وقبائل القفجاق وآلان وغيرها من القبائل، خلت تلك البقاع من المفسدين وخضعت رقابُ كل من نجا من السّيف وأذعنت بالطّاعة.

غير أن واحدًا من متهتّكي أمراء القفجاق- يُدعى بَجْمَن- نهض في جماعة من محاربي القفجاق وانضم إليه جماعة من الفارّين. ولما لم يكن له ملجأ ومكمن يلوذ به ويحتمي فيه اتخذ لنفسه كل نهار موضعًا وكل ليلة مكانا، ولفرط ما جُبل عليه من شراسة أخذ يثب على ناحية كالذئب الضّاري ثم ينصرف عنها بعد أن يسلب شيئًا، وأخذ شرّه يستطير يومًا بعد يوم ويزداد ما يثيره من فتن ومفاسد، وكلما اقتفى الجيش أثره لم يظفر به إذ كان يتنقل من مكان إلى آخر ويعفو ما وراءه من أثر.

وكانت أغلب الأماكن التي يلجأ إليها ويختبئ بها تقع على سواحل نهر "إيثيل"(٣)، حيث كان يتوارى ويختفي في الغابات والأدغال التي تكتنف النّهر، ويخرج فجأة كابن آوى، ويسطو على شيء ثم يعود إلى الاختفاء.

فأمر الملك "منكو قا آن" بأن يُصنع ٢٠٠ قارب وأن يُشحن في كل واحد منها ١٠٠ مغولي تامّ السّلاح، وأبحر هو وأخوه "بوچك"(٤)، فأخذا يقومان بجولة على

---

(١) يعني: أوگتاي قا آن.

(٢) يفصل المؤلف بين "آس" و"آلان" وهما شعب واحد (ڤالديمير مينورسكي في تعليقاته على الترجمة الإنجليزية للكتاب ص ٥٥٣).

(٣) إيثيل، أو إتل: هو نهر الفولجا.

(٤) أخو "منكو" لأبيه.

جانبي النهر حتى وصلا إلى دغلة من دغلات نهر "إيثيل"، فعثرا على آثار حوافر جياد بدا وكأنها ارتحلت لتوّها عند الصّباح، وكانت قد تناثرت في الساحة مركبات محطمة وبعض [١١] ما تخلّف حديثًا من رَوَثٍ وفَرْث، وبين هذه البقايا لمحا امرأة عجوزا مريضة، فسألاها عما حدث، ومن هم الفرسان، وأين هم، وما خطبهم؟

فاكتشفا أن "بجمن" قد ارتحل لتوّه ولجأ إلى جزيرة وسط النهر، وأن كل ما كان قد سلبه من دوابّ وثياب طيلة فترة تمرّده إنما يوجد بأجمعه في تلك الجزيرة.

ولما لم يكن معهما قوارب والنّهر يموج كالبحر، كان من المستحيل على أحد أن يسبح فيه، فما بالك بركوب الخيل والخوض بها فيه. وفجأة هبّت ريح عاصفة أزاحت الماء جانبا عن ممرّ الجزيرة فانكشف القاع، فأمر "منكوقا آن" القوات بالتقدم دون إبطاء، وبوغت "بجمن" بالقبض عليه، وتمّ تدمير جيشه في ساعة واحدة، إذ ألقى بعضهم في النهر وقُتل الباقون بأسرهم، وساق المغول نساءهم وأطفالهم أسرى، وظفروا بغنائم وفيرة من نعمة ومال، ثم ما لبثوا أن عادوا. وبدأ الماء في الحركة فما إن عبرت القوّات حتى عاد الماء إلى ما كان عليه دون أن يصاب أى جندى منهم بأدنى أذى من الماء.

وحين أتوا ببجمن لكى يمثُل أمام "منكوقا آن" التمس أن يكون قتله بيد "منكو"، لكنه أمر أخاه الأصغر "بوچك" بشقّه نصفين.

وهذه العلامات والبشارات إنّما تدل على أن انتقال السلطة ومفتاح الإمبراطورية إلى ملك العالم منكوقا آن لا يحتاج إلى مزيد من بيّنة.

## [١٢] ذكر جلوس سلطان الأقاليم السبعة الملك العادل منكوقا آن على عرش الخانية وبسطه بساط العدل الأنوشيرواني، وإحياء مراسم الهيمنة، وإرساء تقاليد المُلك.

إذا أراد الحق –جل وعلا– أن يقيم واحدًا من عباده رئيسًا ويضع على رأسه تاج المُلك وقلنسوة الحكم، لكي يصبح العالمُ الخربُ بإنصافه وعدله معمورًا، ويغدو نصيب ساكني الرُّبع المسكون وقاطنيه بفيض مرحمته موفورًا، زيَّن لباس وجوده بطراز السّعادة منذ البداية بفطرة: **خَلَق الأرواح قبل الأجساد**، وأنار روحه بأنوار الحصافة، فإن هبط من العالم العلوي إلى المقام السُّفلي ربّى طبعه في مهاد العقل والكياسة، ووضع صدر مُرضعة الحلم والرّزانة في فم وعيه الدّاخلي، وألهمه الأفعال والأعمال الرّشيدة والأقوال السّديدة، وكبح جماحه في الموارد والمصادر [١٣] بلجام الفعل، حتى يترقّى يومًا بعد يوم في مراتب المعالي، فيتلقّى ساعة بعد ساعة التعاليم من الإقبال والسعادة (أبيات فارسية، ترجمتها:)

**–حين تريد السّعادة أن تربّي وردة، تُظهرها ومن ثم يريدها رجل.**

**–يحيك الإقبال قلنسوة في البداية، ومن ثَمَّ يضعها على رأس ملك.**

**–والغوّاص يستخرج الدّرر من البحر، فلا تلبث إلا قليلاً حتى تحظى بموضع على أروع التّيجان.**

ومن ثم، فحين يأتي وقت تجلّي الحكمة والقدرة من مطلع شمس العزّة والجلال، تتنفس تباشير إسفار صباح السّعادة، فمن البداية، وبمقتضى ما قيل:

**ويضدها تتبين الأشياء[1].**

يمتلئ العالم –بحكم القضاء المبرم– بظلمات الظلم والعدوان، وتغدو حلاوة الحياة ولذّة العيش في مرارة المرّ[2] في مذاق الروح، حتى إذا ما انتقلت السّعادة من القوّة إلى الفعل ومن العدم إلى الوجود عرف العباد قدر هذه الموهبة الجسيمة وأدّوا شكر هذه النّعمة العظيمة.

ومصداق هذه الدّعوى وبرهان هذا المعنى أن أمور العالم قد انحرفت عن النهج السديد بعد وفاة "قا آن"، وانعطف عنان المعاملة وتحرّى المجاملة والإحسان بعيدًا عن ناحية الصّدق والصّواب، وتراكمت ظلمات الظّلم بعضها فوق بعض وتلاطمت أمواج بحار الأحداث، وسُحق الناس وداستهم الأقدام على يد كبار المسئولين وتُركوا –لكثرة الظلم– بغير مال [١٤] ومتاع؛ وصار كأس العالم مُترعًا بشراب الجور، ونزل المبعوثون على أقطار الأرض كقطرات المطر، وانطلق المحصّلون لتحصيل الضرائب الجائرة كما ينطلق السّهم من القوس، والنّاس حيارى موزّعون بين هذا وذاك، لم يكن بوسعهم الاستقرار ولا يعرفون مكانًا للفرار. (بيت فارسى، ترجمته):

**بلغ جَفاء القبّة الدوّارة درجة　　　لا يُتصوّر أن تعلو عليها درجة**

(١) صدره: ونديمُهم وبهم عَرَفنا فضْلَه، للمتنبى من قصيدة مطلعها:

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقباءُ　　　إذ حيثُ كُنتِ من الظّلام ضياءُ

(٢) المرّ: صمغ شجرة له مذاق مرّ ورائحة حلوة (بالفرنسية *myrrh*)، والمراد هنا مرارته لا رائحته الحلوة.

غيْر أنَّ الحيف والظّلم حين بلغ الغاية ووصل الغشَم والفساد إلى الذّروة تحقّق الحديث: "اشتدّى أزمةُ تنفرجي"[1]، وصدقت الآية: ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح]. وفُتحت أبواب ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ... ۝٢ ﴾ [فاطر]، وتهيأت أسبابٌ:

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فَرَجًا فأضيقُ الأمر أدناهُ من الفَرج

**(أبيات فارسية، ترجمتها):**

**- جاء الطّرب بعد الحزن مثلما، وصل نسيم كوكبة لطف الربيع وقت الخريف.**

**- وتعالت من الحفل ضرباتُ الطبول وصوتُ النّاى وأنينُ الصّنج، حتى بلغت الفلك الأخضر من الكون.**

**[١٥] والطُرفة التي يمكن أن تنتج عن هذا كله هى: وصل إلينا مدد من لطف الخلاّق.**

أعنى أن مفاتيح مملكة: ﴿... إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ... ۝١٢٨ ﴾ [الأعراف]. قد سُلّمت إلى مقدرة الشاهنشاه الأعظم ملك بنى آدم خان خانات العرب والعجم، فليظل عمره باقيا إلى انقراض العالم، فأخذت الأرض

---

(١) في الأصل، اشتدى تنفرجى، وقد جعل أحد العلماء هذا الحديث موضوعًا لقصيدة عُرفت بالقصيدة المنفرجة ومطلعها:

اشْتدّى أزْمــةُ تَنْفَرجى قد آذن لَيلُك بالبَلَـجِ

ولمزيد من التفصيل راجع "حاجى خليفة" تحت "القصيدة المنفرجة". (القزوينى).

زخرفها وازّيّنت من جديد؛ وازدهرت أحوال الناس عامّة وراج سوق أهل الإسلام وانتعش، وهو ما سوف تتبين كيفيته من خلال وصف الأحداث وما سوف تُدرك حقيقته من ثنايا الفصول التي سيتم تحريرها، وعلى فضل ربّنا التُّكلان، إنه هو المُستعان.

انطلق "باتو" من معسكره في بلاد "البُلغار" و"سقسين" عاقدًا العزم على المبادرة إلى الالتحاق بحضرة "كيوك خان" فوصل إلى "آلا - قماق"، والتى تبعد مسافة سبعة أيام عن مدينة "قياليغ"، وهناك سمع [١٦] نبأ وفاة "كيوك خان"، فتوقف هناك وأرسل الرّسل وأتبعهم برسل آخرين إلى أقاربه وعشيرته للإعلان عن وصوله، وطلب حضورهم إليه بأنفسهم.

وانطلق "منكوقا آن" من إقليم قراقورم، أما "سيرامون" وغيره من أحفاد القا آن ونسائه ممن كانوا في ذلك الإقليم فقد أرسلوا "قنقور بقاى نُوين" - أمير قراقورم - لكى يحلّ محلهم؛ وكتبوا إقرارًا أقرّوا فيه بخطّهم أن: باتو هو "سيدّ" لكل الأمراء، وأنه إن أمر بأمر فهو نافذ، وكلّنا به راضون، ولن نرفض أى شىء يشير به ويراه صوابًا.

أما الأمراء الآخرون، أبناء "كيوك خان"، ممن كانوا موجودين في المناطق المجاورة فقد وفدوا على "باتو" وهم يتقدمون الجميع، وبقوا يومًا أو يومين، ثم عادوا أدراجهم إلى معسكرهم دون أن يُسمح لهم بذلك بحجّة أن مجموعة الأطبّاء العاملين بعِلم "قام"(١) لم يأذنوا لهم بمزيد من البقاء، وتركوا تيمور نوين؛ لكى يقوم مقامهم في خدمة "باتو"، وزوّدوا "تيمور نُوين" بتعليمات تقضى بأن يوافق [بالنيابة عنهم] على

(١) "قام": كلمة مغولية معناها الساحر أو من يأخذ الفأل، جمعها: "قامات"؛ وتعنى جماعة من الأويغور أو من أهل الصين يزعمون أنهم قادرون على أخذ الفأل أو الزّجر عن طريق النظر إلى أكتاف الأغنام." (دهخدا).

كل ما يتفق عليه "آقا " و"إينى" وذلك حين ينتظم عقد الاجتماع ويتم التشاور، ومن ثم أتى الأمراء من كل جانب؛ فمن أبناء "قا آن" جاء "قدغان أوغول" ومن أبناء "جغتاى" وأحفاده [١٧] وصل "قراهولاكو"[١] و"موچى"[٢]، [كما جاء أيضًا] "منكوقا آن" مع أخويه "موكا" و"أريغ بوكا"، ومن الأمراء "أوهتاى" و"ييسو بوقا"، بينما قدم من مختلف النواحى الأمراء و"النوينان"[٣] وغيرهم من أبناء الملوك وأبناء إخوة "باتو"، فعقدوا اجتماعًا كبيرا، وبعد أن احتفلوا أيامًا عِدَّة شرعوا في التشاور في أمر تفويض "الخانيّة" لمن هو أهل لها قد خَبِر الحُسنَ والقُبح والخير والشرّ، وذاق الحلو والمُرّ وقاد الجيوش إلى الأقاصى والأدانى، وكان في السِّلم عَلَمًا وفى الحرب مظفرًا، وظلوا يتدبرون ويفكّرون مليّا ليالى وأيامًا في هذا الأمر: مَن مِن الأبناء والأحفاد من نسل وذريّة جنكيز خان يمكنه بالرأى الصائب والفكر الثاقب ضَبْط البلاد والممالك وحراسة الطرق والمسالك؛ لأن شئون الإمبراطورية لو ظلّت مهملة على هذا النحو الذى هى عليه لاختلّت قاعدة الأمور والمصالح العامة وانحلّت عقود الإدارة حيث لن يكون رَتْقُها وفَتْقُها ميسّرًا بيد العقل والحكمة أو بيد التّدبير والسّياسة وسوف يكون من المستحيل إصلاحها [١٨] بإمعان الفكر:

وليسَ يَهلكُ مِنّا سَيِّدٌ أبدًا     إلاّ افتَلَيْنا غُلامًا سَيِّدًا فينا[٤]

---

(١) المراد به قراهولاكو بن ماتيكان بن جغتاى بن جنكيز خان، ويشار إليه في هذا الكتاب أحيانًا بـ "قرا أغول" أو "قرا" فقط، (انظر فهرست ج ١، ٢ من هذا الكتاب). (القزوينى).

(٢) هو الابن البكر لـ "جغتاى"، وأبو تكودار أغول الذى قدم مع هولاكو إلى إيران... (القزوينى).

(٣) جمع "نوين"، وهو القائد الكبير.

(٤) من جملة أبيات لبشامة بن حَزن النّهشَلى، وقد تقدم بيت منها في ج١ ص ١٤٣ من صفحات الأصل، انظر شرح الحماسة للتبريزى، طبع بولاق ج١ ص ٥٣، والكامل للمبرّد ص ٦٤ – ٦٥، وطبقات الشعراء لابن قتيبة ص ٤٠٥، وخزانة الأدب ج٣ ص ٥١٠ – ٥١١ (القزوينى).

وأخيرًا، وبعد طول تدبّر وتفكّر توصّل كل من حضر ذلك الاجتماع –من أبناء الملوك والأمراء والنّوينان– إلى قرار؛ وهو أن "باتو" هو الأكبر سنًّا من بين الأمراء، وهو القائد فيهم وهو أدرى من غيره بمواطن الصلاح والفساد في أمور المملكة، والأمر راجع إليه في أن يصبح هو نفسه "الخان" أو يقترح تنصيب شخص آخر.

ولما اتفقوا جميعًا على هذا القرار، أعطوا تعهّدات مكتوبة بأننا لن نرجع عن ما قلناه بأى وجه من الوجوه ولن نخالف أمر "باتو".

وما إن انتهوا إلى هذه النتيجة واختتموا النّقاش في ذلك اليوم حتى بدءوا في شرب الخمر وإقامة الاحتفالات، والأفراح.

وفى اليوم التّالى حين نشر النّهار لواء النّور وانزاح حجاب الظّلام انتظم عِقد اجتماع الأمراء –كأنّه الثُّريا– وفقا لما كان قد تقرّر بالأمس: (بيتان من الشعر الفارسى ترجمتهما):

**–يوم أن أضاء المصباحُ المنيرُ للعالم،**

**استنارت العين بنوره**

**–تنفّس صباحُه من الجنّة**

**جرَيت نسماتُه نفَس المسيح (فأحيت الموتى)**

وقد التزم "باتو" بما كان قد قيل من قبل، ولم يزد عليه شيئًا إلا أنه قال: إن السّيطرة على مملكة ضخمة كهذه المملكة وإدارة مثل هذا العمل الحسّاس أمر لا يتاح إلا لمن [١٩] يستطيع أن يخلّص نفسه من مآزق ومضايق المداخل والمخارج، يكون عارفا بـ "ياسا" (دستور) جنكيز خان وبالأعراف والرسوم التي جرى عليها "قا آن"، ويحرز قصب السبْق في حَلَبات الحكمة ومِضْمار الرّجولة على كلّ نِدٍّ وقرين،

شخصٍ باشر بنفسه الأمور المُهَمة يتصدّى لعظائم الأمور ويُظهر البراهين المُعجِزَة في تذليل الصّعاب وإذلال الرّقاب.

إن "مِنكوقا آن" – من نسل جنكيز خان – موصوف ومذكور بالدّهاء والشّجاعة كما أنه معروف ومشهور بالفطنة والحسم، إن شئون "الخانية" لا بدّ أن تستقرّ وتنظّم بحسن رأيه الذى يزين العالم، ومصالح البلاد ورفاهية العباد إنما تترسّخ بيُمن عزمه وتتدعّم بتدبيره الذى يحلّ كل عقدة.

(بيت شعر بالفارسية، ترجمته):

**فى هذا العالم يُظهر الله على الدّوام عملاً لكل رجل ورجلاً لكل عمل**

"**ولكلِّ عَملٍ رجالٌ . وكلٌّ مُيسَّر لِما خُلقَ له**".

سوف أودع عنان هذا الأمر في كفّ كفاءته، وأضع خاتم الإمبراطورية في إصبع عزيمته وخبرته؛ لأن هذا الحصان الجامح –أعنى الزّمان– إنما يتم ترويضه تحت قياد سياسته وحنكته، وسيف حماية جمهور الرعيّة وحماية الحدود والثّغور إنما ينسلُّ من غمدِ عزمه وجسارته.

سمع الحاضرون هذه الكلمات بأذن العقل والوعى فأيقنوا أن تبعات هذا الأمر وفوائده إنّما تعود على الجنس البشرى بعامّة وعليهم بخاصّة وكل ما يتجاوز هذا الحدّ فهو زائد عن الحاجة: فإنك إن تعدّيت الاستقامة فثَمّ التواءُ، وقالوا بأجمعهم:

"**أعْطيتَ القوسَ بَاريها وأسكَنْتَ الدّارَ [٢٠] بانيها**"[١]، وليس وراء هذه المرحلة مَعْبَرٌ وليس هناك من طريق بَعْدُ، "**ولَيْس وراءَ عَبَّادانَ قَريةٌ**"[٢]، وكان كل منهم يقول حقيقة على سبيل التمثيل.

---

(١) من المقامة السادسة من مقامات الحريرى (القزوينى).

(٢) مجمع الأمثال في باب اللام في أمثال المولدين بلا تفسير (القزوينى) "عبادان": كانت تقع على شاطئ البحر مباشرة، راجع: لوسترينج، بلدان الخلافة الشرقية.

(بيت فارسى، ترجمته):

**إن أنا قطعتُ قلبى منك وصَرَفْتُ الحُبَّ عنك، فَعلى مَنْ أُلقى ذلك الحُبَّ وإلى أين أحمل ذاك القلب[1].**

وكل جوهرة تستريح حين تجد موضعها المناسب.

غير أن "منكوقا آن" لم يكن راضيا بذلك، وظَلّ على رفضه لعدّة أيام، فلم يكن ليتحمّل هذه المهمّة الجسيمة أو يتقبّل هذه الأمانة الثقيلة. ولما تجاوز إلحاحه وإصراره (على الرفض) كل الحدود نهض أخوه "موكا أُغول" –وكان يتمتع بزينة العقل والوقار– على قدميه ثم قال: لقد أعطينا كلُّنا مواثيقنا كتابة في الاجتماع ووعدنا فيه بألا نُعرض عن أمر "باتو قا آن"، وألا نعمد إلى إحداث تغيير وتبديل في قراره، وألا نتطلع إلى ما يزيد على قوله، ولكن طالما أن "منكوقا آن" يرغب الآن في العدول عن مشورة الـ "آقا" والانصراف عما أمر به، فلن يكون هناك مجال لاعتراض إذا ما أقدم "آقا" و"إينى" على إعلان الاحتجاج على أى أمر من الأمور، أو يبقى مجال للمساءلة.

واستمرّ في الحديث على هذا المنوال ونظم بِمَاسِ اللسان دُرَر هذا الأمر. لقد كانت الحُجَّةُ قاطعة وكان البرهان ساطعًا، وأثنى "باتو" على ما قال وأشاد بـ "موكا"، فما لبث أن رَضِىَ "منكوقا آن" والتزم.

ولما **[٢١]** كان بديعُ صُنع الله قد جعل غصنَ المُلْكِ أصله ثابت وفرعه في السماء عند نهر "**وجعلناكم ملوكا**"، فإن "باتو" نهض قائمًا كما هى عادة المغول –

---

(١) البيت من غزل للشاعر الفارسى كمال الدين إسماعيل.

وسجد له كل الأمراء و"النوينان". فأخذ "باتو" الكأس وأقرّ "الخانية" في مكانها المناسب، ووافقه على ذلك كل الخُطّاب والطُّلاب[١]:

أَتَتْكَ الإمَارة مُنقادةً إليكَ تُجرِّرُ أَذْيالَها

وَلَمْ تكُ تَصلُحُ إلاّ لهُ ولَمْ يَك يصلُح إلاّ لَها

ولوْ رامها أحدٌ غيرُه لَزُلْزلتِ الأرضُ زلزالَها[٢]

فتبعهم كلُّ من كان حاضرًا في ذلك الاجتماع وبايعوا، واستقر رأيهم على عقد اجتماع كبير في السَّنة الجديدة في "أُنان كِلزان"[٣]، وعلى هذا العزم رجع كل واحد منهم إلى معسكره.

وقد انتشرت هذه الأنباء في أطراف الدنيا وسرت في أكناف العالم، وبدأت "سرقويتى بيكى" في الاهتمام الخاص بالأجانب وبذل كل أنواع التلطّف والمودّة لهم كما أخذت في استمالة العشائر والأقارب بكل أنواع الرِّفق واللّين.

أما بالنسبة إلى من أخذوا يتحدّثون من أجل صدّ هذا الباب [٢٢] وتأجيل النظر في الأمر، فقد شرعوا في تلفيق القصص وتأليف الحكايات بالمكر والحيلة وأخذوا يحتجّون بأن الخانية يجب أن تبقى في ذُريّة "قا آن" أو "كيوك خان"، ناسين الحكمة القائلة: ﴿... تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ... ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران]، ومن ثم أرسلوا الرّسل تلو الرّسل إلى كل النواحى كما أرسلوا رسائل إلى "باتو"؛ لكى يقولوا: نحن بعيدون عن هذا الاتّفاق ولسنا راضين بهذه المبايعة والميثاق.

---

(١) يعنى -فيما يبدو- الشيوخ والشباب، وربما كانت إشارة إلى رجال الدين البوذيين، انظر "بويل"، الترجمة الإنجليزية جهانگشاى *p.561, f.n.24*.

(٢) من قصيدة لأبى العتاهية يمدح بها الخليفة المهدى العباسى، انظر الأغانى ج ٣ ص ١٤٢ وابن خلّكان في "إسماعيل". (القزوينى)

(٣) اسم نهرين يقعان في شمال منغوليا (القزوينى)، ولعله يريد الأراضى الواقعة بينهما.

وكان "باتو" يردّ عليهم بقول: "لقد قرّرنا هذا الأمر بموافقة "آقا" و"إينى" وقد انتهى النقاش في الموضوع ﴿... قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف] ومن المستحيل نَقْضُه، وإذا لم يسر الأمر على هذا النّحو وإذا تمَ ترشيح شخص آخر غير "منكوقا آن"، فسوف ينحلّ نظام الأمور ويتطرّق الخلل إلى قوانين البلاد ومصالح الرعيّة بشكل يصبح تداركه وتلافيه مستحيلاً، لو قُيِّض لكم أن تنظروا في الأمر نظرة تفكّر وتَمعّن واستشراف للمستقبل فسوف يتبيّن لكم أن مصلحة أبناء "قا آن" وأحفاده قد تمّت مراعاتها بالفعل، لأن إدارة إمبراطوريّة كبيرة كهذه -قد اتسعت من أقصى المشرق إلى منتهى المغرب- أمر لا تقدر عليه سواعد الصِّبيان ولا تستوعبه معارفهم ومداركهم.

ولم تلبث السَّنَةُ -التي تمّ تحديدها- أن انتهت في هذا القيل والقال، وانتصفت السّنة التي تَلَتْها ولم تبْدُ لهذا الأمر نهاية، بينما أخذت أمور العالم تزداد سوءًا في كل عام يمرّ، وأخذ رداء العيش الذى يلبسه الناس يزداد تمزّقًا مع كل شهر يمضى.

وأرسل "باتو" أخويه "بِركه" و"تُقاتيمور" نيابة عنه [٢٣] وتوجّه "قَدَغان" أيضا، كما فعل ذلك أيضًا "قراهولاكو"، وبدأ الأمراء الآخرون ممن كانوا على رأى واحد في التحرّك والمسير.

ومِن "أُلُغ - إفْ" - معسكر "جنكيز خان"- جاء أمراء آخرون[١].

---

(١) "أُلُغْ - إف" أى البيت الكبير، لم يكن معسكر جنكيز خان، بل كان معسكر ابنه جغتاى. وربما كان الاسم يُطلق على معسكرات أخرى، على أنه من غير الممكن أن يكون "معسكر جغتاى" هو المقصود لأن خليفته قرا - هولاكو قد ورد اسمه بالفعل وكأنه قادم من مكان آخر. راجع القزوينى، هامش ٣ ص ٢٣، والترجمة الإنجليزية لبويل، ص ٥٦٣.

وفى تلك الأثناء أرسل "منكو قا آن" و"سرقويتى بيكى" إلى الطائفة التي لم تُذعن أو ترض، سالكين في ذلك طريق المراعاة والموالاة والنّصح بهدف تذكيرهم بالمثل العربى: "**الإيناسُ قبل الإبْسَاس**"[1]، لكن المواعظ والنصائح لم يكن لها أثر فيهم [٢٤] ولم يبد أن هناك دليلاً يدلّ على أى تغيير في موقفهم، وأخذا يُرسلان إليهم الرسائل تِلْوَ الرسائل تارة باللطف وتارة أخرى بالشدّة والزّجر والتّهديد؛ وهكذا لزمتهم الحُجَّة لعلّهم يرتدعون بالرّفق والمداراة وينتبهون من نوم الغرور والغفلة، لقد قالت الحكمة بما لها من بُعد نظر:

**يا عَاذِلَ العاشقين دَعْ فِئةً أضلَّها اللهُ كيفَ تُرشدُها**

**لَيس يُحيك المُلام في هِمَمٍ أقربُها مِنكَ عَنكَ أبعدُها**[2]

(بيت شعر بالفارسية، ترجمته)

**التَّعِس لا يعمل عملاً امتثالاً لقول عاقل،**

**ولا يغدو التَّعِس بالحيلة فائزًا أبدًا**

حين آذنت تلك السَّنة بالانتهاء[3]، وأخذت بشائر الرّبيع يتوالى وصولها، بدأ ملك النّجوم يسارع في الصعود بالتدريج من منازل الهبوط والوبال إلى أوج درجات العزّ والجلال، وصحّ عزمُه على الانطلاق صوب منزل الشّرف والمجد، مثل خسرو پرويز[4] المنتصر حين يمَّمَ وجهه -الذى ينير العالم- صوبَ مستَقَرِّ المُلك والسُّلطة، وعندما وضع جمْلَ المُلك على محمل بُرج "الحَمَلْ" أخذت الرّياح اللّواقح تحرّك فروع الرّيحان وكأنها في اعتدالها تشبه نسيم الشَّمال يهبّ من مخدع الورود، فتتحرّك هذه

---

(١) انظر مجمع الأمثال للميدانى، طبع مصر، ج ١ ص ٣٩.

(٢) البيتان للمتنبى.

(٣) يعنى بها – دون شك – السّنة الفارسية التي تنتهى بنهاية الشتاء، وتبدأ السنة الجديدة بالربيع.

(٤) آخر أباطرة الساسانيين العظام (٥٩٠ – ٦٢٨م).

الفروع بهبوبها ذات اليمين واليسار. والبِرَك المتجمّدة التي ظلّت أسيرة لبرد شهر "دَيْ"[1] وبقيت [٢٥] كالثّلج في قيد "بَهْمَن[2]" غدَتْ بفعل ريح الصَّبا منشرحة القلب منطلقة لا يُمسكها عنان.

(بيت فارسي، ترجمته):

**بِسَعْيِ ريح الصّبا ظهرت على سطح الماء آلاف التموّجات، ومن كل موجة تصعد ألف نافجة من المسك العَطِر**

لقد أصبحت تربةُ الأرض دافئة معتدلة المزاج، وأخذت قوى الطّبيعة تهتزّ اهتزازًا بالنشوء والنّماء، وصدحت الطّيور في المروج والرّياض.

(شعر فارسى، ترجمته):

**-وَجَب علينا الآن شربُ الخمر القُرَاح، فريح المسك تَهبّ من الغدير.**

**-والبستان كلّه مغطّى بأوراق الورود، والجبل بأجمعه مملوء بشقائق النُّعمان والأقحوان.**

انطلق ماء الغضارة والنّضارة يجرى ويتدفّق في روح العالم، ورفعت أغصان الشّجر رقابها في السّماء وأطلّت برءوسها الخضراء، أما البساتين -شأنها شأن الخواتين المتأنّقات المفعمات بالحيويّة والنّشاط- فقد أخذت تنمو وتزدهر يومًا بعد يوم فتبدو على النّحو الذى تهواه القلوب.

وبراعم الزّهر والنّيلوفر بدت -في تنوّعها وتعدّد أشكالها- فاتنة تأخذ بالألباب، وسلب الأرجوانُ اللّون من الوجنات والخدود، واستعار الأقحوان البريق والصّفاء من أسنان الحبيب.

---

(١) يعادل شهرى ديسمبر - يناير من السنة الميلادية .

(٢) يعادل شهرى يناير - فبراير من السنة الميلادية.

ومن ذؤابة الشَّعر المسْكيّة طابت رائحة البنفسج وانطوى على نفسه كَوَجْهِ العُشّاق.

كانت الورود -وهي في براعمها- تبدو كالحسناوات ذات الدّلال والنّعيم المُقيم، ولفت الياسمين في الرّوض الأنظار، وزانَ النّسرينُ الأرض كما يزينُ النّسران[1] السماء، وأضاءت زهور النّرجس البستان فبدت كأن الأتراك يحملون كنانة السِّهام شامخي الرءوس، وفم زهرة "شقيقة النُّعمان" يشبه فم قدح يجد لذّة ومتعة في (ارتشاف) الخمر [٢٦] ويخيّل إليك أن الأنهار الجارية صحائف (سيوف) هنديّة تُبرق قد زيّنتها الأحجار الكريمة؛ بسبب إيثار الأزهار وما تنثُره عليها من نِثار.

وصدحت البلابل بصوتها الشجىّ تترنم بآلاف الأنغام في مدح المروج والرّياض، بينما يترنّم المطربون معها بلحن العندليب.

وفيما يلى قطعة شعر في فنّ "الملمّع"[2] قالها صاحب ديوان الممالك -مدّ الله في عمره مدّا[3]- كان قد نظمها في عُنفوان الصِّبا فبدت وكأنها أنفاس نسيم الصَّبا وقام بالتلفيق بينها فصارت وِرْدًا لنغمات القيثارة والأرغُن لَيل نَهار:

**لَقد نَاحَتْ عَلى العُود القَمارِى　　　وفَاحَ الرَّوضُ كالُعودِ القَمارى**

(بيت فارسى من الملمع، ترجمته):

تعطــر الجــوّ كأنــه مضــمّخ بالمِســك　　　جديرٌ بك أن تُحيى الليل في خَلوةٍ مع الحبيب

أدِر يَــا صَــاحبى الكــاسات تطــربُ　　　عـــلى وجـــه الخُـــزامَى والبَهَـــارِ

(١) النّسران: هما مجموعة من النجوم اللامعة تسمى العُقاب والنّسر الواقع.

(٢) الملمّع: الذى يتألف من بيت عربى وآخر فارسى، في المعنى نفسه.

(٣) المؤلف يعنى بصاحب الممالك أباه: بهاء الدين محمد.

(بيت فارسى من الملمع، ترجمته):

**"أما وقد تهَيأت أسباب اللّهو والحبور، ألا يرضيك أن تسعى لوصالنا هذه الليلة وحدها".**

اعتدل الجوّ وفق المُراد كاعتدال أيام الوصال مع فتاة حسناء ذات خال، وتبدّل سقم السَّنَة فصار صحّة وعافية، وصارت الدنيا روضة والموسم متألّقًا:

**هذا الرّبيعُ وهذه أنوارُه طابت لياليه وطابَ نهارُه**[1]

فاجتمع أغلب الأمراء في "كِلْران". وأرسلوا "شيلامون بيتكچى" **[٢٧]** إلى "أُوغول –غايمش" وابنيها "خواجه" و"ناقو"، كما أرسلوا "عَلَم دار[2] بيتكچى" إلى "ييسو – مِنْكو" بالرسالة التالية: "لقد تجمعت غالبية أفراد عائلة جنكيز خان وتعطّل عمل الاجتماع الكبير (القوريلتاى) حتى الآن انتظارًا لقدومكم، ولم تبق مهلة للاعتذار والتباطؤ، فإن كنتم تزمعون الإجماع والوحدة فعليكم المبادرة بالحضور في التوّ إلى الاجتماع الكبير حتى يتم تدبير مصالح البلاد بالاتّفاق وينزاح نقاب شوائب النُّفور والفُرقة عن وجه الوفاق".

وكان "سيرامون" قد بعث –فيما سبق– بالرّسل إلى "خواجه" و"ناقو"، وحدث بينهم تآلف ومصافاة، فقد قيل:

**عند الشّدائد تَذْهبُ الأحقاد**[3]

---

(١) من جملة أبيات لأبى الغنائم بن حمدان الموصلى، ذكرها الثّعالبى في تتّمة اليتيمة في محاسن أهل الشام والجزيرة. (القزوينى).

(٢) رجل مغولى تسمى باسم فارسى (عَلَم دار) أى حامل العَلَم، راجع جامع التواريخ، طبع بلوشيه، ص ٣٨٣ (بويل).

(٣) عَجُز بيت لعويف القوافى، انظر شرح الحماسة للتبريزى، طبع بولاق ١: ١٣٩-١٤٠ (القزوينى).

وحين أيقنوا أن لا فائدة من وراء الخلاف انطلق "تاقو أُغول"، كما انطلق "قَداق نُوين" وعدد من أمراء بلاط "كيوك خان"، كذلك وصل [٢٨] "ييسون – توقا أُغول" أخو "قرا– هولاكو" قادمًا من مقرّه، وقد استقر رأيه على موافقتهم، حيث انضمّ إلى "سيرامون" وتجمع الثلاثة في موضع واحد، وقد أشيع أنهم يدبّرون أمرًا ضد المسلمين.

ومن ثمّ، بدأ "خواجه" يتحرك بدوره متمهّلاً، وأخذ يقول: "اليوم" و"غدًا"، تاركًا الوقت يمرّ بـ "لعلّ" و"عسى"، وقد ظلّوا جميعًا يظنون أن: عمل "القوريلتاى" لا يمكن أن يمضى قُدُمًا أو يتحقّق له النجاح إلا بحضورنا، وأن مسألة [انعقاد الاجتماع] لا يمكن أن تكون كافية [دون وجودنا].

ونظرًا لأن "سيرامون" و"تاقو" كانا هما الأكثر قربًا، فإن أبناء الملوك والأمراء "والنوينان" (كبار القادة) الموجودين في معيّة "مِنكوقا آن" أرسلوا رسالة موحّدة إليهما قائلين فيها: "إن كنتم تزمعون التأخّر والإبطاء في الانضمام إلى الاجتماع فسوف نعمد نحن إلى رفع "مِنكُوقا آن" إلى "الخانية"، ولأنهم أيقنوا أن التأخّر والمماطلة لن تُفضى إلى تحقيق المقاصد والأغراض فقد وعدوا بالوصول إلى الاجتماع في الوقت الفلانى، وساروا مثل ثوابت الكواكب وأخذوا يتحرّكون ببطء بالخيول والفرسان والعساكر والكتائب [٢٩] بالإبل المحمّلة بالأثقال وبأعداد لا حصر لها من العربات:

**ما للجمالِ مَشْيُها وئيدا أجَنْدلاً يَحمِلنَ أم حَديدًا**

**أمِ الرجالَ جثَّما قعودا**[١]

(١) من أبيات منسوبة إلى الزّبّاء ملكة الجزيرة في قصتها مع جَذيمة الأبرش ملك الحيرة، والقصة مشهورة.. انظر: الأغانى ١٤: ٧٥، ومجمع الأمثال باب الخاء في "خطب يسير في خطب كبير" ١: ١٥٧، وخزانة الأدب ٣: ٢٧٢، ومشيها رُوى بالرفع والجر، والتفصيل في مغنى اللبيب في الجهة السادسة من الباب الخامس (القزوينى).

وحين انتهى الموعد المحدّد وحدث تراخٍ تام في الوصول، وجاوز تأخّرهم ومماطلتهم حدّ الاعتدال، وقع اختيار جماعة من الحكماء والمنجّمين الموجودين حينذاك على يوم التاسع من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وستّمائة (٦٤٩ هـ/ أول يوليو ١٢٥١)، وذلك بالنظر إلى أن سعود طالعه يجنى السعادة، ويسعى المشترى لشراء آثاره، وتستضيء الزُّهَرة بأنواره.

ومن بين دلائل السّعادة المتزايدة على الدّوام أن السّحب قد تراكمت في تلك الأيام القليلة ونزل المطر منسجمًا واختفى وجه الشّمس في نقاب السّحاب وحجاب الضّباب، فلما حانت السّاعة التي تمّ اختيارها وشرع المنجّمون في انتظارها استمرّت ظلمات الغمام تحول دون نفاذ أشعّة الشّمس وعجز المنجّمون عن مباشرة "الارتفاع"، وفجأة أزاحت الشّمس في الوقت المحدّد النّقاب عن وجهها الجميل، كعروس تجلّت لعريسها بعد تردّد وتباعد وتمنّع، وانكشف من السّماء ما يساوى مقدار جرم الشّمس وانزاحت عنها بقايا السُّحب الثّقال، وما إن بدأ [٣٠] المنجّمون في أخذ الارتفاع حتى عمّ الضياءُ والنّور العالمَ وخلا وجهُ الأرض من الظُّلْمة والعتمة.

وحين عُلم وتبيّن من حركة الفلك طلوع درجات السّعد الأكبر[١]، وتم إدراك ومعاينة قوة أوتاد الطالع وسقوط النّحوسات والدّرجات المظلمة عن الطّالع المبارك، وصار النيّر الأعظم[٢] مستقيمًا في الأوج العاشر وأقامت القواطع في الثّانى عشر، وكان جمع الحاضرين عبارة عن: أبناء الملوك مثل "بِركه أُغُل" وأخيه "تُقاتيمور"، وعمهما "إيلچيتاى" الكبير، وأبناء أوتكين وكوتين وكولجين، والأمراء والنوينان وكبار الشخصيات في معسكر جنكيز خان وكذلك غيرهم من القادة الذين كانوا في الجوار، مع كتائب لا عدد لها ولا حصر - رفع أبناء الملوك قلنسواتهم في داخل المعسكر،

---

(١) يعنى: المشترى.

(٢) يعنى: الشمس.

وعلّقوا أحزمتهم فوق أكتافهم، وحَملوا "منكو" فوق الأعناق وأجلسوه على سرير الحُكْم وعرش المُلك، وأطلقوا عليه اسم "مِنكوقا آن"، ومن صرير السّماوات كان هذا النداء يتناهى -كأنّه فأل- إلى أُذن ضمير الرّوح:

(رباعية، ترجمتها):

**[٣١] أيّها الملِك ابقَ ألف عامٍ في مُلكك**

**ومِن ثمّ افتخرْ بالعِزّ ألفَ عام**

**السنَةُ ألفُ شهرٍ والشّهرُ مائةُ ألفِ يوم**

**اليومُ ألفُ ساعةٍ والسّاعة ألفُ عام**

أما الأمراء والكتائب التي اصطفّت خارج المعسكر وكان عددهم يربو على ألف من رجال العمل والمحاربين المشهورين – الذين هم في الحقيقة أسود الوغى وقت الثأر وحين يحمى الوطيس:

**خيلٌ كليلٍ دامسٍ وصَفائحٌ لأحتْ كصُبحِ اللّيلة الطّحناء**

ومثلما فعل أبناء الملوك ممن كانوا بداخل المعسكر سجد هؤلاء جميعًا ثلاث مرات.

وحين جلس ملك العالم شبيه الشّمس -وهى في أوج التمكين- بالبِشْر واليُمن على عرش الإمبراطورية، اقتضت همّته العالية أن يجعل كل أنواع الأحياء وأجناس الجماد تتمتع بالراحة والدَّعة، فأصدر قانونًا (ياسا) يقضى بأن يمتتع كل مخلوق في هذا اليوم الميمون عن أن يطأ طريق الشّحناء والجدال؛ فلا يتخاصم الناس وينازع بعضهم بعضًا وإنما عليهم إسعاد أنفسهم وإدخال البهجة والسّرور عليها، فإن حظى النّاس بمختلف أنواعهم بنصيبهم من الدّنيا بالاستمتاع والارتياح فلا يجدر أن تبقى أنواع الحيوانات محرومة من المشاركة في هذا الحق، ومن ثمّ لا يُسمح بأن تتعرّض الحيوانات المستأنسة -والتى تُستخدم في الرّكوب والحمل- لمشاقّ الحمل، والقيد

والشّكال، والأغلال، والأطواق، [٣٢] وأما ما يُذبح من أجل لحمه، وفقا لشريعة العدل، فلا بدّ أن تبقى دماؤها في أمان ولا تُراق؛ لكي تعيش في أمان واطمئنان ولو ليوم واحد، وكذلك المخلوقات الوحشية الطّائرة أو الزّاحفة على الأرض وفى الماء لا بد أن تكون بمنأى عن هجمات المهاجمين وسهام الصّيادين، وأن تضرب بأجنحتها حسب ما تشاء في رياض الأمن:

خَلا لَكِ الجَوُّ فبيضى واصْفِرى ونقّرى ما شئت أن تُنقِّرى

قد رَحلَ الصيادُ عنكِ فأبْشرى(١)

وإن كانت المخلوقات الحيّة بأسرها قد جنت فائدة من سعادته المتزايدة، فإن الجمادات بدورها –وهى أيضًا من خلق البارى، عزّ وجل، وفى كل ذرة من ذرات خلقة سرٌّ ومعنى يتعلق بها ﴿... مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ... ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران]– ما كان ينبغى لها أن تُحرم من هذه الرحمة بدليل: ﴿...وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ... ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]؛ ومن ثم فلا يجب أن يُصدّع دماغ الأرض بالآلام النّاجمة عن دقّ الأوتاد وأعمال الحفر، ولا تُلوّثُ روح الماء باستعمال النّجاسات.

سبحان الله، لهذا الكائن الذى يجعله الله تعالى مصدرًا [٣٣] للرّحمة، ومجمعًا للعدل بدرجة تفيض فيها خيراتُه على كل ما يقع عليه اسم "شىء" من الأحياء غير العاقلة والجمادات.

نعم، لو أن رجلاً ذا بصيرة تأمّل في هذه الأمور الدّقيقة على سبيل الاستنتاج، واستخرج منها النّتائج، ودقّق وتحقّق بالشّكل الواجب في معانى هذه الأحوال، التي ستبقى صورتها مرتسمة على وجه الزّمان بمرور الشّهور والسّنين، فسوف يعلم ويتيقّن مدى الغاية وعُلوّ الدرجة التي بلغها حُسنُ التفات خاطره الملكى

---

(١) صدرها: ياللكِ من قُبّرةٍ بمَعْمَر، من جملة أبيات لطرفة بن العبد أو لكليب بن ربيعة التغلبى، انظر: مجمع الأمثال في باب الخاء (طبع مصر: ١٦١) ولسان العرب في مادة ق ب ر (القزوينى).

لإصلاح أحوال الضّعفاء والفقراء وفرط اهتمامه بنشر العدل والرأفة العامّة بين الخاصّ والعامّ، فليهبه الله -جلّ جلاله- التمتّع والسّعادة بالملك والسّيادة لسنوات غير متناهية.

وعلى هذا النّحو قضوا النهار حتى حلّ الليل، وعند المساء ذهب كل منهم إلى مقرّه، وفى اليوم التّالى حين ولّت جيوش الليل ذات الزيّ الأسود ظهرها لطلائع تباشير الصّباح، وطلع ملك النّجوم مؤيّدا موفّقًا فوق الأفق شرع أبناء الملوك في اللهو والطّرب ومدُّوا بساط المرح، وبدا وكأنهم جعلوا هذا الشعر وِردًا يردّدونه على الدوام:

(شعر فارسي، ترجمته):

**يزيحون طُرّة الليل عن خدّ النهار**

**فالوقت مناسب لكى يستأنف السكارى الطرب من جديد**

**والسُّقاة يجلبون بحماس خمرًا وردّية، عطرها مأخوذ من أنفاس المجمر الرائعة**[1]

وفى ذلك اليوم تم الاحتفال في الخيمة التي كان الصّاحب الأعظم[2] يَلواج – ثبّت الله قواعد [٣٤] حكومته– قد أمر بأن تقام بأفخر أنواع الأقمشة المنسوجة على هيئة القبّة الخضراء وبحيث تبدو نموذجًا للقبّة الأعلى، فتظهر أشكالها من كثرة الرّسوم وجمال التلوين وكأنها سماء مضيئة بمصابيح أنوار الكواكب، أو بستان قد انتثرت فيه الأزهار والبراعم كأنها الدّرر، وغُطّيَت أرضيّة الخيمة بأبسطة تبدو باختلاف ألوانها وكأنها خميلة مملوءة بأنواع الرّياحين كالبنفسج والأرجوان والنّسرين،

---

(١) من قصيدة للسيد حسن بن ناصر الغزنوى. (القزوينى)

(٢) أى الوزير الكبير.

ولم يُقيّض لأحد من قبل أن ينصب خيمة كهذه ويجعلها في الشكل والصّنعة سرادقًا رائعًا على هذا النّحو، كانت من الدّاخل أشبه بجنّة "إرم" ومن الخارج آية في الروعة والبهجة، وحين التأم شمل المجلس من جديد وتجاوز أُنسهم كل جديد، تعالت هذه الأغنية من كل صوب.

(شعر فارسى، ترْجمته):

**ويحك يا صورة المنصورية[1] من حديقة وقصر**

**أو جَنّة أرسلك الله إلى الدُّنيا.**

**لا، بل لن أدعوك دُنْيويّة، فلست من الدنيا**

**فالدنيا تقصّر العمر، وأنت على عكس الدنيا تُطيلين العمر[2]**

وها هو ذا إمبراطور البلاد، يشبه "خُسْرَو" الذى يمشى وحده[3] في منزل الشّرف، قد جلس متمكّنًا على عرش المجد وسرير السيادة، متّكئًا على مسند القوّة، ووقف فوق سُلّم الجلالة والهيبة، قد وضع قدمه على مركز السّعادة والتّوفيق، وامتطى صهوة [٣٥] جواد العزّ والرّفعة، وتجمّع أبناء الملوك كالثُّريا عن يمينه، وهناك وقف إخوته السّبعة، وكان كلّ واحد منهم بدرًا مكتملاً في سماء المُلك: قُبْلاى، وهولاكو، وأُريغ بوكا، وموكا، وبوچك وسوجيتو[4]، وسوبيتاى، كالعروش السّبعة[5].

---

(١) بستان في "طوس"، راجع بويل ٦١٦.

(٢) من ديوان الأنورى (القزوينى).

(٣) يعنى: الشمس.

(٤) يقول رشيد الدين في "جامع التواريخ" (طبع بلوشيه ٢٠٢، ٢١١): إن هذا الأمير كان الابن التاسع لـ"تولى"؛ وقد ورد هنا "جهانگشاى": سيكر، وهو تصحيف، راجع بويل ٥٧١ هامش ٦٠، والقزوينى ٣: ٣٥، هامش ٧.

(٥) يعنى: المجموعة الفلكية المعروفة بالدّب الأكبر.

ومن الناحية اليسرى وقفت الخواتين مثل [٣٦] البساتين، كل واحدة منهن تفوق في الحسن والجمال الشمس والقمر[١]، قد جلسن ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾ [الواقعة]، وأخذ السُّقاة الذين يشبهون حور الجنة بجمال طالعهم، والذين سُطِّرت سورة الحسن على صفحة وجوههم يصبّون كئوس "القميز" والنبيذ بالأباريق والأكواب كأسًا وراء كأس، ويستأصلون من جنبات القلوب أشواك الخوف والحزن.

(شعر فارسى، ترجمته):

**بماذا وكيف أصف هؤلاء السّقاة ياربّ**

**الذين ينتزعون القمر الوردىّ اللون من الفخّ المعنبر.**

**المرّيخ يصبح قطرة من الدم بخنجرهم يوم النصر**

**حين يمسكون قبضة الخنجر بمرح وابتهاج**

**والزّهرة ترقص في أقداحهم كالحباب**

**ساعةَ المَرَح حين يُمسكون حافة القدح**

وحين وضعت المقادير المخالفة أقدامها في الطريق الصحيح فلا جَرَم أن عزف الصُّنج لحنًا [عذبًا]، واختارت زُهرة الإقبال مطلعًا من قصيدة تناسب المقام فأخذت تلقى بلسان السعد قولاً في فم العالم، ومن ثمّ بدأت تغنّى:

بُشرى فقد أنْجَزَ الإقبالُ ما وَعَدا

والدَّهرُ ذُو نَدمٍ ممّا جفَا وعَدا[٢]

---

(١) راجع الترجمة الإنجليزية لبويل، ص ٥٧١، هامش ٦٢.

(٢) المصراع الأخير: وكوكبُ المجدِ في أفق العُلا صَعِدَا، مطلع قصيدة لأبى محمد الخازن من شعراء الصاحب بن عباد المعروفين، والقصيدة في يتيمة الدّهر ج٣ ص٧٤ (القزوينى).

وبالقصيدة الغزلية التالية التي ناسبت المقام شرع الفلك الدائر في الرَقص وهو ينظر بعين الرّضا والقبول.

(شعر فارسى، ترجمته):

**[٣٧] أيها الملك فليطبْ المُلك لك**

**ولتُسلم الدّنيا قيادها لك**

**بفضلك تخرّبت بلاد عامرة بالظُّلم**

**فليكن أساس العدل بك محكمًا**

ثم لم يلبثوا أن ترنّموا بهذه الأنشودة التي تناسب المقام، حين أمِنوا الضربة الجارحة لقيثارة الزمان:

**غسل جدُّك صفحة الزّمان ومحا منها الظّلم(١)**

**وجُودُ عمّك أصلح كل، ما كان قد انكسر(٢)**

**يا من يناسبك رداء الخانية**

**أحسِنْ، فإن نوبة السّعادة نوبتُك(٣)**

---

(١) يعنى بجدّه: جنكيزخان.

(٢) يعنى بعمّه: أوگتاى قا آن.

(٣) للشاعر والناقد الفارسى رشيد الدين الوطواط مع بعض التصرّف الذى أجراه المؤلف لكى يناسب المقام. (القزوينى)

ووقف كبار القادة والأمراء برفقة رؤسائهم، يرأسهم "منكسار نوين" صفًا صفًا في مكان حاملى السيوف، بينما اتّخذ المبعوثون والوزراء والحكّام يتقدّمهم ويرأسهم بلغاى آقا، وجلس بقية الأمراء والحشم خارج السّرادق فيما يزيد عن مائة درجة وأسلحتهم في غمدها.

**قومٌ إذا قويلوا كانوا ملائكة حُسنًا وإن هُمُ قوتلوا كانوا عفاريتا**[1]

(شعر فارسى، ترجمته):

**التّرك ملائكة عقلاء مهرة**

**إنهم حور سود الشّعر أباليس تدرّعوا بالحديد**

**أباليس حين يرتدون الحديد وقت القتال**

**حور حين يشربون الخمر**

وعلى هذا النّحو والشّاكلة أمضوا أسبوعا يحتفلون بمختلف أنواع الحبور والسّرور، فقد ابتعد عن صفحة صدورهم كل فكر وضغينة، وفى كل يوم [٣٨] كانوا يلبسون ثيابًا تناسب كسوة ملك العالم ويتناولون الكاسات والأقداح، وبلغ المعدّل اليومى للخمور والطعام ألفى حمل عربة من "القميز" وأنواع النبيذ، وثلاثمائة حصان أو ثور وثلاثة آلاف من الأغنام. ولما كان "بركه" حاضرًا تم الامتثال لحكم ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ...﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام][2].

وأثناء إقامة هذه الاحتفالات وصل "قدغان أوغول" وابن أخيه "ملك أوغول" و"قرا هولاكو"، وقدّموا مراسم التهنئة وفروض الطّاعة، وفى المقابل عدّ "منكوقا آن" المبالغة والإطالة في إبداء أنواع الإعزاز والملاطفة واصطناع المكرمة بالنسبة إليهم

---

(١) من قصيدة للغزى يمدح بها التّرك. (القزوينى)

(٢) إشارة إلى اعتناق "بركه" الإسلام.

فرضًا واجبًا عليه وحتمًا مقضيًا، ومع وصولهم ظلّوا ينتظرون الأمراء الآخرين الذين يصلون بعدهم، وواصلوا ما كانوا فيه من إفراط في المرح والابتهاج، وبدا من جانبهم التفريط في شأن الحزم والتيقّظ لأن أحدًا منهم [٣٩] لم يكن يتصور أن "ياسا" ملك العالم جنكيز خان يمكن تبديلها وتغييرها، أو يتصور أن يوجد فيما بينهم خلاف، ولا يكون هناك شيء لا يتفق وتقاليد المغول وعاداتهم، فلم يجل ذلك بخاطرهم أو يرتسم في تصوّرهم، ومن ثمّ أهملوا جانب الاحتياط.

وفجأة، وبمحض الصدفة الحسنة، بل بمخايل الإقبال وتتمّةً لِلُطفِ ذى الجلال، فقد صيّادٌ يُدعى "كشك" ناقته التي تشبه ناقة النبيّ صالح -عليه السلام- إذ كانت مدعاة لنجاة المؤمنين وسببا لهلاك الظالمين، ولم يدّخر الصّياد وسعًا في البحث عن ضالّته، وأخذ يجرى من اليمين إلى اليسار في ذلك الإقليم وارتحل لمدة يومين أو ثلاثة، وفجأة وجد نفسه وسط جيش "سيرامون" و"تاقو" فرأى حشدًا هائلاً من الجند، وعربات مثقلة بالأحمال وقناطير مقنطرة من المأكولات والمشروبات، كل ذلك بعلّة إقامة مراسم التهنئة والتزام [٤٠] الطاعة.

كان "كشك" غافلاً عن الغرض من وراء ذلك ومضى يسأل كل من يقابله عن ضالّته وفجأة، وبينما هو يشتدّ في البحث إذا به يصادف عربة من العربات محطّمة وبجوارها صبيّ جالس، فطلب الصبى من "كشك" أن يعينه على إصلاح العربة ظنًا منه أنه واحد من فرسانهم، فنزل كشك من فوق حصانه وشرع في المساعدة والإصلاح، فوقع نظره على أسلحة ومعدات حربية قد رُبطت وتم تجميعها في حزَم، فسأل الصبيّ: "ما هذه الأسلحة؟"

أجاب: "هو من نوع ما تحمله سائر العربات".

فتصنّع "كشك الداهية" عند ذاك عدم المبالاة، فلما انتهى مما كان فيه لحق بشخص آخر وتعرّف إليه على نحوٍ ما، فاكتشف بالتدريج ما يجرى، وحين تعرّف على ما يُسرُّون في الحقيقة زال عنده كل شك وانحلّت عنه كل شبهة "**فقد أبدى الصريح عن الرغوة**"[1].

وتيقن "كشك" أن هؤلاء الناس يضمرون المكر والنفّاق ونقض الميثاق ونقص الوفاق، عازمين على الخطو خارج حريم الحُرمة في أثناء الحفل الذى سيُعدّ لاستقبالهم، فحين تذهب الخمر بعِقال العقول وتُغلّ أيدى الشباب والكهول ينجزون ما تآمروا عليه في الحال [٤١] ﴿...وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ...﴾ [فاطر].

فلم يعوّل "كشك" على شىء، وأخذ يردد المثل القائل "**حبلُك على غاربك**"[2]، وهو ينطلق بناقته مسرعًا فطوى مسافة تستغرق ثلاثة أيام في يوم واحد حتى بلغ المعسكر قبيل صلاة العشاء، ودخل دون إذن وخوف أو تردّد وارتباك وشرع في الكلام بجنان ثابت وشجاعة، فكان مما قال: "لقد فرشتم بساط اللّهو ونسيتم أحزان الدنيا ومتاعبها بالسرور والطّرب، بينما خصومكم يسنّون الرّماح في المكامن ويتحيّنون الفرصة وقد استعدوّا للأمر وتشمّروا له:

وإن لم تَلجْ بأبَهَا مُسرعًا أتاكَ عدوُّك من بَابها"[3]

فبيّن هذا المعنى مشافهة، محرّضًا إيّاهم على الاحتشاد، ورعاية مصلحتهم وحثّهم على التعجيل، غير أن مثل هذه الأفكار لم تكن معهودة قط في تقاليد المغول ورسومهم، خاصة في عهد نسل جنكيز خان، فقد لبثوا فترة لا يصدقون هذا الأمر

---

(١) انظر مجمع الأمثال في باب الباء، (طبع مصر ١: ٦٨) (القزوينى).

(٢) انظر مجمع الأمثال في باب الحاء، (طبع مصر، ١: ١٣٢). (القزوينى).

(٣) من قصيدة لابن المعتز: ألا مَنْ لِعَين وتسكابها تشكّى القَذى وبُكاها بها.

ويستبعدونه، وجعلوه يكرر ما قاله ويعيده مرّات ومرّات، فكان في كل مرة يعيد ما سبق أن ذكره ويردّد ما كان قد قاله لأول وهلة عن طبيعة سيرتهم[١].

هذه الكلمات لم تلق أذنًا صاغية من "الخان" ولم يعرها أى اهتمام. وواصل "كشك" التّأكيد على دعواه، وبدا منه الأسى والقلق [٤٢] لكنّ سكون الخان بقي على ما كان عليه، فما كان من أبناء الملوك وكبار القادة – ممن كانوا حاضرين في الخدمة – إلا أن عبّروا عن استنكارهم لهذا الثبات والهدوء قائلين: "نعوذ بالله من سوء الطالع فقد ينتهى الأمر بالندم والحسرة".

فإياكَ والأمرَ الذى إن توسّعت    مداخِلُه ضاقت عليك المصادر[٢]

وقبل أن تمسك يد التدّارك بعنق المراد ويصبح طريق المعالجة مسدودًا ووجه المصلحة مكدّرا، ويصبح الأمر مثل الشّعرة في دقّتها ويصيب الكلال عين العقل البصيرة، ويتسلط أتباع العدوّ الحقير فإن من المحتّم على الرجل الأريب ألا يهمل المبالغة في الحزم والاحتياط وألا يتهاون في أمر العدو مهما كان ضعيفًا، فإن كان ظنّه صحيحًا أمن مضايقته وغارته، وإن لم يكن لهذا الظن أصل أو سند فلن تحدث مضرّة ومفسدة ولن ينال شرُّها أحدًا:

ولا تَحقِر عَزِيمةَ مُستكينٍ    فإن الجزْل يُشْعَل بالدُّقاقِ

وعن طريق الكياسة والدّهاء لا بد من مواجهة هذا الأمر بالرّفق والمداراة، لعل نار هذه الفتنة أن تنطفئ قبل الاستعلاء وتخمد عاصفة النكبة النكباء قبل أن تذهب بتراب الأمن والسلم من فوق سطح الأرض، ويبقى ماء الحياء – الذى [٤٣] هو حياة الخلائق – حيًا في عين الزمان مَرْعِيًّا فيما بينهم.

---

(١) يعنى سيرامون ونوقا.

(٢) ذكره في الحماسة مع بيت آخر بعده، ولم يسم قائلهما، وفيها إياك مكان فإياك وموارده مكان مداخله (شرح الحماسة للتبريزى، طبع بولاق ٣: ٨٩) (القزوينى).

(بيت فارسى ترجمته):

**لا تنفع شدّة ولا قسوة، إنما يخرج الثّعبان من جُحْرِه باللطف**

فإن لم يكن بالإمكان تحقيق شيء بهذا الأسلوب وأخضع هؤلاء الناس الرقاب بالمواساة والمجاملة فإن بمقدورنا حينذاك تحقيق المثل القائل: "**آخر الدواء الكيّ**" ونقصم ظهر مقاومتهم.

(شعر فارسى، ترجمته):

**أمامك جيش متأهّب شديد البأس**

**كالرمح والسّنان عند الوغى ولحظة الانتقام**

**كل واحد منهم هو خسرو صاحب الكأس في العقل**

**بل هو رستم حين يمتطى صهوه "رخش"**[١].

ولما استقرت التّدابير والآراء على هذا كان كل واحد من الأفراد يريد أن ينطلق في هذا الطريق ويمضى بنفسه؛ لكى يفحص ويتأكّد مما يجرى ويُنجز المقصود -إما باللطف أو العنف- حسب ما تتطلبه الظروف.

(أبيات فارسية ترجمتها):

**وبإلهام من الإقبال وحسن الطالع**

**جاءت المشورة بمثابة مفتاح للنّصر**

**فالمشورة الحديدية هى المفتاح الذهبى**

**إن مشورة قوية أفضل من مائة ضارب بالسيف**

---

(١) رستم: هو البطل الإيرانى الأسطورى المعروف. و "رخش" هو : حصانه القوىّ الذكىّ السّريع.

والتاج الملكى أفضل من مائة قالب

[٤٤] بمشورة واحدة يمكن كسر ظهر جيش

ويسيف واحد يمكن قتل من واحد إلى مائة[١]

ومن ثمّ عدل الأمراء عن تحمّل تلك المشقّة، واتّفقوا على ضرورة ذهاب "منغسر نوين"- وكان قائد أمراء البلاط والرّكن الأكبر بين زمرة أركان الدولة – للتحقق من الأمر وتدارك الموقف، ومن ثم يدلى برأيه فيما يراه مناسبًا.

وامتثالاً للإشارة امتطى صهوة جواده ورافقه نحو ألفين أو ثلاثة من كُمَاة الأتراك والشّجعان[٢] من الترك:

جِنٌّ على جنٍّ وإن كانوا بَشَرْ     كأنّهم خيطوا عليها بالإبر[٣]

وعند طلوع الصّبح، وحين شن جمشيد السماء (الشمس) غارة على جيش الليل اقترب "منْغسر" – ذلك القائد الكبير – من خيام تلك القوات.

وبنحو مائة فارس أو يزيد تقدّم إلى مشارف خيامهم [٤٥]، وما لبثت الأفواج أن سارعت من الأمام والخلف واليمين واليسار واتّخذت مواقعها على شكل محيط الدائرة.

ومن مكانه فوق ظهر حصانه صاح "نوين" بأعلى صوته قائلاً: "قيلت فيكم حكاية بلغت سمع "الخان" فإن كانت تلك الأقوال قد نضحت من إناء الكذب وقول

(١) من خسرو وشيرين لنظامى گنجوى، طبع طهران، ص ٨٤.

(٢) في الأصل: ناپاك: الأقذار، وربما أبدلت الپاء الثقيلة بالباء الخفيفة، ناباك: الشجعان، الجسورون، راجع حواشى القزوينى، ص ٤٤، حاشية ١١.

(٣) ذكر ابن الأثير في المثل السائر ص ٤٩٨ أن هذا البيت من أرجوزة لأبى نواس يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان، ولم أظفر به في ديوان أبى نواس المطبوع بمصر، وإن كانت توجد فيه أرجوزة بهذا الروىّ. (القزوينى).

الزور وكانت بهتانًا، فإن علامة الصدق ودليل الإخلاص هى أن تبادروا دون إبطاء وطمأنينة تامة بالتوجّه لتقديم الولاء، ولا تتشبّثوا بالأعذار الجوفاء، وبماء المسارعة والتعجيل تغسلوا تراب هذه الوصمة عن وجوه الوفاء وجباه الوفاق".

وما إن سمعوا هذه الكلمات المتّزنة العاقلة حتى خرجوا من خيامهم، وكلما أجالوا النظر رأوا أفواجًا بلا عدد وحدّ أو حصر ومرٍّ تحيط بهم إحاطة الدائرة بالنقطة؛ هذا بينما كان أصحابهم وأتباعهم وخيلهم ورجْلهم قابعين في مخابئهم هناك، قد خرج عنان التمالك والتماسك من يد قوتهم وفكرهم، وأوثقت قيود الاضطراب والخوف أقدام الحيلة والتدبير، فصاروا يائسين حيارى.

وحين صار لسانُ الاعتذار أبكم وصارت قَدَمُ التقديم والتأخير عرجاء تيقنوا أنه لا أمل في المسير ولا عذر في التخلّف والتقاعد.

لم يكن لهم سند يسندون إليه ظهرهم، ولم يكن لهم ساعد يمكّنهم من المقاومة، ولا كبِدٌ [٤٦] ولا طاقة على التمرّد، وفى هذا الخِضَمّ لا يتراءى لهم شاطئ فينادون: "**من نجا برأسه فقط ربح**"(١). ويجدون لأنفسهم مخرجًا، ويلقون عن عاتقهم تبعات هذا العمل، وفى النهاية وضعوا أعناقهم في ربقة القدر "وسحبوا أقدامهم من فوّهة دخان التدبير"(٢).

**وابن اللَّبُون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ**
**لم يستطع صَوْلَةَ البُزل القَنَاعِيسِ**(٣)

---

(١) انظر مجمع الأمثال في باب الميم ج ٢ ص ١٦٩. (القزوينى).

(٢) كذا الترجمة الحرفية للعبارة، وهى غريبة دون شك.

(٣) من قصيدة لجرير، انظر الأغانى ج٨ ص ١٧٩، وشواهد المغنى للسيوطى في شواهد (الْ)، طبع مصر ص ٦١.

ومضوا -مضطرّين اضطرارًا لا مختارين- مع "نوين"، يرافقهم عدد قليل من الفرسان، إلى حضرة إمبراطور وجه الأرض، وحين اقتربوا من المعسكر، تم منع الجانب الأكبر من مرافقيهم، وأُخذت أسلحتهم وأمر بالأمراء الأشرار الآثمين أن يؤدوا حيث كانوا -دون كنانة سهام أو قوس- مراسم الـ "تكشميشى"[1] برفقة أبناء الملوك تسعًا تسعًا، ومن ثمَّ دخلوا المعسكر.

وظلوا يومًا أو يومين لا يسأل عنهم أحد، فقد تم الإبقاء على سجلّ التحرّى والتّحقيق مطويًا، وفى اليوم الثالث حين طلعت الشمس مبتهجة من قِبَل المشرق آل نهار دولة المتمردين إلى مغرب الإخفاق، كما مال ربيع عمر المخالفين إلى الخريف.

وما لبث أن عُقد الاجتماع [٤٧] والتأم الشّمل، وتكلّم "منكوقا آن" قائلاً: "هذا هو ما قيل خاصًا بكم، وهو أمر لا يُصَدّق ولا يُعقل ولا يمكن سماعه بأُذن العقل ولا قبوله بروح الحكمة، ولما كانت مثل هذه التخيّلات -التي وقرت في الذّهن- ليست بالأمر الهيّن، والشائعات عن مثل هذه الأقوال تتردد على ألسنة الناس ليست عبثًا، فإن التحرّى والتحقّق منها يقتضى [منا] بفضل طيب طبيعتنا وطهارة اعتقادنا أن يتم تطهير وجه اليقين من غبار الشبهة، وينزاح حجاب الشك عن طالع شمس الصدق والحق، فإن كان هناك افتراء وبهتان نال الكذّاب والمفترى جزاءه على صفحات الحوادث وتلقّى الناس درسًا وعبرة".

ومن ثمّ أُمر بمنع دخول المعسكر أو الخروج منه، ثم إنه أمر باحتجاز جماعة من الأمراء و"النوينان" مثل إيلچتاى نوين، وتونال، وقاتا كورين[2] وچنگى،

---

(١) تكشميشى: السجود تعظيمًا وسلامًا لحضرة الإمبراطور، (انظر: على أكبر دهخدا، لغت نامه).

(٢) في الأصل تاتا كورين، وقرأها رشيد الدين فضل الله في جامع التواريخ (ص ٢٤٤) قاتا كورين. (راجع القزوينى ص ٤٧ هامش (٩). وكذلك قرأها بويل في ترجمته الإنجليزية، قاتا كورين، ص ٥٨٠).

وقلچقاى[١]، وسرغان، وتونال الصغير، وطغان، ويسور، وكل واحد منهم يتصور نفسه [٤٨] في مكانة ومنزلة لا يمكن للفلك الأعلى أن ينالها وألا تنفرط حبات اللؤلؤ من عقدهم الذى انتظمت فيه بدوران الأيام والليالى، فلعلهم لم يكونوا يعلمون [ما يعنيه الشاعر بقوله]: (شعر فارسى، ترجمته):

**أيّة شجرة سَرْوٍ تلك التي أعطاها [الله] الرفعة والعلوَ**

**ثم لم تنكسر بعدُ من المحن والخطوب**

**أيمكنك استساغة كل جرعة تزدردها من السُكّر؟!**

**لا بدّ من تجرّعها صافيةً حينا ومليئةً بالشَّوْب والكَدَرِ حينا آخر.**

وقد كان هناك عدد آخر من أمراء "التومان"[٢] من بين قادة المتمرّدين [قد تم احتجازهم أيضا] يطول بنا المقام لو ذكرنا أسماءهم واحدًا واحدًا، ثم بدأ البحث والتحقيق.

كان منكسر نوين هو رئيس الـ "يرغوچى" (هيئة المحكمة) فأخذ هو وعدد آخر من الأمراء والرؤساء في البحث والتحقيق في الدّقائق والغوامض على مدى أيام عديدة، وكانوا يفضّلون الأخذ بالحيطة في الأمر، ولما وقع التّناقض في أقوال القوم بعضهم وبعض لم يبق أى شكّ في كونهم مذنبين، وأخذ كل واحد منهم – بفعل ما يشعر به من خجل وندم – يقول بلسان الحال: ﴿... يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ] وقد أقروا واعترفوا بالذنب.

---

(١) راجع في صحة هذا الاسم: بويل، ٥٨٠ – ٥٨١.

(٢) أمير التومان: قائد عشرة آلاف جندى.

وأراد "منكوقا آن" -وفقًا لعادته المحمودة- أن يغضّ الطّرف ويتغاضى عن الأمر "فالعفو عند المقدرة من مواجب الكرام"، غير أن أبناء الملوك والقادة من الأمراء قالوا: "إن الغفلة عن حال أى خصم [٤٩أ] والاستخفاف به أمر بعيد عن منهج الصّواب والحكمة":

ووضع النّدى في موضع السَّيف بالعُلَى

مُضِرٌّ كوضعِ السَّيف في مَوْضِعِ النّدى[١]

(بيت فارسى، ترجمته):

حيثما يتعيّن عليك أن تُحدث جُرحًا

فلَن يُجْدِىَ أن تضع مرهمًا

فإذا وجد رجل صاحب رأى فرصة في عدوّ حقود وأجاز تأجيل معاقبته كان ذلك أبعد ما يكون عن كمال الحزم وبُعد النّظر، الأمر الذى يؤدى في النهاية إلى الحيرة والندم.

إذا أمكَنتْ فرصةٌ في العدوّ فلا تُبد شُغلَك إلا بها[٢]

على أن الشفقة لا تؤثر في الأشرار، شأن البذرة إذا زرعت في التربة المالحة لا تُثمر أبدًا، وتأتى السّحب يتبع بعضها بعضًا فلا يكون لذلك من أثر ولا ينبت شيء.

(أبيات فارسية ترجمتها):

الشجرة التي طبعها مُرٌّ لو أنك زرعتها في حديقة الجنّة

---

(١) البيت للمتنبى.

(٢) من قصيدة لابن المعتزّ مع اختلاف يسير، (القزوينى).

ثم رويت جذورها من نهر الخُلْد بالعسل المصفّى والمسك الأذفر

فسوف يتكشّف جوهرها في النهاية وتثمر نفس الثمار المرّة[1]

فإن كان العقاب غير ضرورى وتغاضى عنه الملوك العظام والحكام الجبابرة لما تنزلت آية" الحديد والسيف" ولما جرت الإشارة إلى القصاص، وهو سبب البقاء والتناسل والتوالد ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ... ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة].

(أبيات فارسية، ترجمتها):

**[٥٠] تُخرج الشَّجرة زهرًا حين تشقُّ طرَف كلِّ غُصن طَرِىَ**

**أيها المليك لا بد من الاحتشاد للانتقام من خصم المُلك.**

**ولا بد من تعلّم هذا القانون من الشمس،**

**فالشمس إن لم تضرب بسيفها بعيدًا عنها[2]**

**لما أضاء العالم بنورها**

وحين علم "منكوقا آن" أن مثل هذه الأقوال إنما تصدر عن إخلاص لا عن غرض ونفاق، أمر بطائفة من أمراء السّوء، ممن سبق ذكرهم، وكذلك من ساقوهم وراءهم من أبناء الملوك وورّطوهم في هذه الجرائم فقُطعت أعناقهم امتثالاً لأمر البارى – عزّ اسمه –﴿... أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ... ﴿٢٥﴾﴾ [نوح]، وقد بُدئ بـ "إيلچتاى" فقُطعت رأسه ورجلاه، هذا بينما ديس "تونال" بالأقدام، أما "قاتاكورين" فقد اختار أن يعامل

---

(١) الأبيات للفردوسى من الشاهنامه.

(٢) يعنى ما لم تظهر أشعتها الأولى في الأفق.

بالمثل القائل: "بيدى لا بيد عمرو"[١] إذ انكفأ ببطنه على سيف فلقى حتفه، وتبعهم الأخرون الواحد تلو الآخر على المنوال نفسه فتركوا هذه الحياة: ﴿... يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام] [٥١].

وحين وصلت هذه الأنباء إلى "ييسون توقا" حفيد "جغتاى" ترك جيشه كلّه واصطحب ٣٠ فارسًا، وجاء برجليه [وهو مُذعن]؛ فتم إرساله للتحفظ عليه في الحبس الذى يضمّ سيرامون وناقو.

جملة القول: إن كل من كان يُضمر في نفسه معارضة أو خلافًا أخذت الأقدار تشدّ على عنق تآمره حبلاً وتطيح به يمنة ويسره بعنف وشدة.

فى الوقت الذى كان فيه الطالّع الميمون (لمنكوقا آن) والسّعادة المتزايدة لدولته يدفع بالجبابرة وطواغيت المتكبرّين دفعًا إلى قبضة الطاعة والتسليم ويرغمهم على الانقياد والإذعان، بدا وكأن لسان حال كل واحد منهم. يقول: (بيت فارسى، ترجمته):

**لا يمكن لأحد إدراك ما يتمنّاه، ومن ثم سوف آتي وأذعن**[٢]

وكانوا يرسلون إلى بعضهم رسلاً للإتيان بهم مثلما حدث لـ "قداق نوين"، فلم يكن قد قدم بعد، فهو عندما سيق "سيرامون" و"ناقو" كان يعلم أنه هو سبب هذا النّفور ومنشأ هذه الكراهية وأنه هو الذى أثار غبار هذه الفتنة وهو الذى أضرم نار الاضطراب في العالم؛ ومن ثم فلن يتأتّى الإصلاح على يديه هو:

---

(١) مثل قالته الزبّاء في قصتها المشهورة، انظر الأغانى ١٤: ٧٥، وجمهرة الأمثال بهامش مجمع الأمثال ١: ١٦٠، ١٦٧ وذكره الميدانى في باب الخاء تحت "خطب يسير في خطب كبير" هكذا: بيدى لا بيد ابن عدىّ (القزوينى).

(٢) من رباعية لنصرة الدين كبود جامه (الشاعر الفارسى)،(القزوينى).

[٥٢] وكتيبه لبَّستُها بكتيبةٍ حتى إذا التبست نفضتُ لها يدى[١]

وكأنه أراد– **بعد خراب البصرة**[٢] - أن يتنصل من الأمر، وأن يتشبث بالتخفى والانزواء ويسند ظهره إلى جبل العافية والرّاحة، وأن يُخفى وجهه، لعله يُبقى على رأسه سالمًا فوق رقبته، وعلى روحه في جسده. وحاول إنضاج هذا التصّور السّقيم في قِدر دماغه فوق نار الطّمع، وهو يُغنّى قائلاً:

(بيت فارسى، ترجمته):

**اجهد لكى تصل إلى مكان آمن بسلام،**

**فالطريق مخوف للغاية والمنزل جدُّ بعيد**

واستولت عليه هذه الفكرة بالليل والنهار، وأخذ يفكر في فرجة تتيح له فرجًا وخلاصًا ومخرجًا يمنحه أمانًا ونجاة، كل ذلك والقدر يضحك من مشاعره المملوءة بالحسرة والضّجر، ومن بكائه ونحيبه، ويقول بلغة المجاز، (بيت فارسى، ترجمته):

**إن كان لسانك كتومًا للأسرار،**

**فما شأن السيف إذن برأسك؟**

وفجأة وصل رجال أمن الإمبراطور كأنهم "مالك" وقَبَضَةُ الأرواح، فقال: مضى الصحاب كلّهم، والدوّر عليك الآن، (بيت فارسى، ترجمته):

**يا أيها الخيّام، قوّض الخيمة، فقد غادر "الحادى" المنزل[٣].**

---

(١) من أبيات للفزار السُلمى يعتذر فيها عن الفرار، انظر شرح الحماسة للتبريزى ج١ ص ٩٩، والحماسة البحترية، طبع ليدن ص ٦٥ – ٦٦.

(٢) أى: بعد فوات الأوان.

(٣) مطلع قصيدة للشاعر الفارسى منوچهرى الدامغانى.

أخرجوه من خيمته وأتوا به على عربة إلى منطقة متاخمة لـ "قراقورم"، ومع أنه تظاهر بشدة المرض فإنهم رأوا أنه يتعين عليهم الانطلاق به من هناك والإتيان به. وعند وصوله إلى البلاد حمله الموكلون على أن يجثو على قدميه أمام الإمبراطور، كانت جريمته أكثر شهرة من كُفر إبليس، وبعد الإقرار والاعتراف (بجرائمه) لم يلبث أن ألحق بأصحابه وشركائه، [٥٣] وورد مورد ﴿... فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود]، فشرب منه حتى ارتوى.

كان بعضهم في أماكن أخرى ولم يصلوا بعد، ومن ثم لم يكن [الأمراء] يشعرون بالأمان من شرّ خبثهم وسوء طويّتهم، فبعثوا "برنكوتاى نوين"[١] بقوّة قوامها عشرة "تومانات"[٢] من الشّباب الشجعان والأتراك الأشدّاء إلى إقليم "أولوغ – طاق" و"قانغاى"[٣]، و"قوم سينجير"[٤] الذى يقع بين "بيش باليغ" و"قراقورم"؛ وذلك لكى تلتئم هذه القوة بقوات "قونغوران أغول" [٥٤] بالقرب من "قياليغ" –وكان قد بسط نفوذه حتى "أترار" كما أرسل "يكه نوين" إلى ناحية "قرغيز" و"كميتشيهود"[٥] بـ "تومانين" من الرجال.

وحتى ذلك الحين، لم تكن "أُغول غايمش" وابنها "خوجه أغول" قد وصلا بعد، فتوجّه الرّسل لكل من الأم وابنها حاملين الرسالة التالية:

---

(١) راجع ضبط هذه الكلمة في "جامع التواريخ" لرشيد الدين فضل الله، طبع بلوشيه، ص ٢٣٩، ٢٩٩. ويفضل "بويل" في ترجمته الإنجليزية ضبطها على هذا النحو: "بُريلغيتاى"، ص٥٨٥.

(٢) التومان: عشرة آلاف.

(٣) تصحيح من بويل، وفى الأصل "مونغاى".

(٤) أيضا، تصحيح من بويل، والأصل: بوريليك".

(٥) أيضا، تصحيح من بويل، وفى الأصل: كم جهود، ويضبطها رشيد الدين "كم كمجيون" (جامع التواريخ، طبع برزين ج١ ص ١٦٨ – ١٦٩) ويطلق اللفظ على منطقة تتصل بقرغيز، كما يطلق على نهر يصل طرفه إلى منغوليا.

"إن لم تكونى مشاركة مع تلك الجماعة فيما عزموا عليه وخطّطوا له ولم تكونى موافقة لهم ومساعدة، فمن الضرورى لتحقيق السعادة لنفسك – وهو ما سيعدّ دليلاً على براعتك – المبادرة بالتوجّه نحو "البلاط" [٥٥] بأقصى سرعة".

وحين انتهى "شيلامون بيتكچى"، وهو الرسول الذى أرسل إلى "خوجه" من أداء الرسالة، لم يعر "خوجه" كلامه اهتمامًا وأوشك على التهجّم عليه وإلحاق أذى به. لكن إحدى زوجات "خوجه" –وكانت أقل منزلة من زوجاته الأخريات غير أنّها أكثر عقلاً وفطنة– وقفت حائلاً دون تنفيذ هذا القصد، وقالت: "ما على الرسول إلا إبلاغ الرّسالة"، ولم يحدث في أىّ زمن من الأزمان أن تعرّض رسول للإساءة حتى ولو كان رسولاً لمتمرّدين، فكيف برسول يأتى من جانب "منكوقا آن"، أيمكن أن تتعرّض حياته لأى تهديد؟ ويا له من ضرر ووهن يصيب مملكته بقتل نفس واحدة، فضلاً عن المفاسد الجمّة التي ستتولّد عن هذا العمل؛ ستموج بحار الفتن وتضطرب الدنيا، وتشتعل جذوة البلاء، ولا ينفع الندم حين تستعصى السّيطرة على الأمر، إن "منكوقا آن" أخ كبير، وهو في منزلة الأب، ومن ثم لا بد من المسارعة إليه، ومن الانقياد والإذعان لأمره أيا كان".

ونظرًا لأن الحظّ كان حليف "خوجه" فقد فكّر مليًا في هذه الكلمات وأعاد التفكير في وخامة عاقبة الأمور وندامة نهاية الأعمال، فأصغى إلى نصيحتها بأُذن الرضا والقبول، وأظهر الإعزاز والإكرام "لشيلامون"، وانطلق هو وامرأته من المكان الذى كانوا فيه مسرعين إلى البلاط.

كما توجه "تكشى أغول"[(١)] – وكان قد سبق له أن قدم في صحبة أخيه الأكبر "هولاكو"– [٥٦] إلى "بورى"[(٢)]

---

(١) تكشى بن موجى بن جغتاى، وهو ليس الأخ الأصغر لقرا هولاكو، بل ابن عمته، ومن ثم فإطلاق الأخ الأكبر على قراهولاكو، هو من قبيل المجاز، لمكانته عند تكشى أغول.

(٢) هو بورى بن ماتيكان بن جغتاى.

وقد أرسل "تركمان بيتكچى" إلى "ييسو منكو"[١] وزوجته "تُقاشى" وأمراء وقادة "ألغ إيف"[٢]، وبعد أن قام بإخبارهم بما جرى لتلك الجماعة[٣] التي تعلقت أقدامهم بفخ أفعالهم قال "تركمان بيتكچى":

إن لم تكونوا قد دعمتم هؤلاء في تمرّدهم، فلماذا تتباطئون – دون داع – في القدوم إلينا، وما السبب في هذا التّراخى والتّباطؤ والتّقصير؟ فإن لم يكن لتلك الفكرة وجود في أعماق نفوسكم فعليكم بالتّحرّك دون تريّث، وإلا فعليكم أن تحدّدوا موضعًا للقتال وتجهّزوا السّلاح للحرب "**ومن أنذر فقد أعذر**"[٤].

حين سمعوا هذا الكلام استولى عليهم الخوف والرعب من الإمبراطور [٥٧]، وأنكروا هذه المعانى وتنصّلوا منها كليّةً.

وبعد أن أدّى الرّسل[٥] الرسالة عادوا على الفور دون توقّف حتى لتناول طعام، ولم يلبث "بورى" و"ييسو" و"طغاشى"[٦] أن شرعوا في التحرّك.

أما من سيق من هذه الجماعة – من إقليم "إيميل وقياليغ" – فإنه ما إن كان يصل أحدهُم إلى جيش "بوريلغيتاى"[٧]، حتى يرسله أعزل من السلاح في صحبة أمراء، ويتعامل مع بقيتهم بما يراه مناسبًا[٨]، وقد قام بالمهمة على أكمل وجه.

---

(١) ييسو منكو: الابن الخامس لـ "جغتاى".

(٢) ألغ إيف: لفظ يُطلق على معكسر جغتاى.

(٣) يعنى جماعة الأمراء المتمردين الذين جرى القبض عليهم.

(٤) أصل المثل: "أعذر من أنذر"، انظر مجمع الأمثال، في باب العين ج١ ص ٣٢٠، واللسان في نذر.

(٥) يعنى تركمان بيتكچى ورفاقه.

(٦) طغاشى: إملاء آخر لـ "تقاشى".

(٧) تصحيح من "بويل"، وفى الأصل: برنكوتاى".

(٨) بما يراه مناسبًا من قتل وحبس وتعذيب وغيره (القزوينى).

وبمجرد أن وصل "خوجه" إلى البلاط تم إرساله للانضمام إلى [٥٨] "سيرامون" والأمراء الآخرين، أما جماعة الأمراء الذين كانوا معه مثل "بوغاتاى[١] قورچى" و"أرغاسون" ابن "إيلچيكتاى" وغيرهم فقد تمَت محاكمتهم جميعًا وسيقوا إلى الطَّريق نفسه الذى كان قد سلكه من هم على شاكلتهم.

كما وصل "جينقاى" بدوره، فأوكل أمره إلى "دانشمند الحاجب" في رمضان سنة ٦٥٠ [نوفمبر – ديسمبر ١٢٥٢]، وقد قمت بتدوين سيرته في فصل مستقل[٢].

وبعد هؤلاء جميعًا وصلت "غايمش خاتون"، فتم إرسالها مع "قداقاج" أمّ سيرامون إلى معسكر "بيكى" [٥٩] حيث ذهبت "منكسار نوين"، وباعتراف أبناء هؤلاء النسوة أنهن كنّ أصل الفتنة تمَت محاكمتهن حيث أقررن ونلن جزاء فعلتهن.

كذلك وصل "ييسو" وزوجته "تُقاشى" و"بورى"، وجمع من الأمراء وكبار القادة مثل "ميران" و"بيتكچى" و"سومان قورچى" و"أباجى" وغيرهم من رؤساء التومانات، فتناقشوا في أمرهم في حضور الخان، فمن كان منهم أميرًا قُتل، بينما أرسل "ييسو" و"بورى" إلى بلاط "باتو"[٣]، وأما "توقاشى خاتون" فقد حاكمها "قراهولاكو" في حضور "ييسو"، وأمر بأن تُركل أعضاؤها وتسحق حتى يُشفى ما أكنّته في قلبها [٦٠] من حقد دفين.

وفى "بيش باليغ" كان "إيدى قوت" –زعيم المشركين وعَبَدة الأصنام (يعنى البوذيين)– قد توصل إلى اتفاق مع عصبة من المتمردين يتم بمقتضاه تحويل النّهار

---

(١) تصحيح من "بويل"، وفى الأصل: "قوريقاى".

(٢) لم يف المصنف بوعده هذا فلم نجد في النسخ التي بين أيدينا فصلاً مستقلاً عن دانشمند الحاجب (القزوينى).

(٣) لكى يقتصّ "باتو" منهما، فقد كانت بينه وبينهما خصومة وبغضاء، راجع بويل، هامش ص ٥٨٨.

المنير إلى ليل أسود على جماعة المسلمين في مسجد الجمعة، ومن ثم يشهدون نصف اللّيل في وضح النّهار[1]، فيُطفأ نور الإسلام بظلام الكفر، ويفرقون جمعهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة]، فأظهرت معجزة الدين المحمدية ما أضمروه، وكشف نور الشريعة الأحمدية ما خطّوه في صحائفهم المظلمة، فقد كان بينهم عبدٌ -واقفٌ على عُجَرهم وبُجَرِهم- قد قبل الإسلام دينًا، فأخذ يفشى سرّهم وألصق التّهمة بهم.

أما "إيدى قوت" فقد أوتى به مع عدد آخر منهم إلى المعسكر وجرت محاكمتهم واعترفوا بتلك التّهم [٦١] فصدر الأمر بنقله إلى "بيش باليغ"، حيث تجمّع الناس بمختلف طوائفهم في الصّحراء -من أهل الإسلام وعبدة الأصنام. وفى يوم الجمعة- عقب الصّلاة، تم تسليمه -في حضور النّاس- إلى زبانية (جهنّم)، وشكر المسلمون الله على هذا الفتح الذى نالوا به حياة جديدة.

فَتح تَفَتَّحُ أبواب السماء له
وتبرُزُ الأرضُ في أبرادها القُشُبِ[2]

وأدّى هذا الجزاء والعقاب إلى مزيد من الدّعاء والثّواب للإمبراطور الغازى منكوقا آن. فليُبْقِ الله تعالى على ملكه ويديم سطوته مكافأة له على هذا الإحسان،

---

(١) يعنى قتلهم ساعة إقامة صلاة الجمعة.

(٢) لأبى تمام من قصيدة شهيرة في مدح المعتصم بالله في ذكر فتحه عمورية، مطلعها السّيف أصدق أنباءً من الكتب. وفى ديوان أبى تمام: أثوابها مكان أبرادها. (القزوينى).

وكنا قد تناولنا هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في الفصل الخاص بـ "إيدى قوت"[١].

كان "إيلچيكتاى" في هذا الوقت في العراق، فمضى "غدقان قورچى" للانضمام إلى "باتو"، ثم انطلقوا مع الخدم للقبض عليه، فلما وصلوا إلى العراق انطلق "إيلچيكتاى" على عجل وتوجّه إلى "بادغيس"، حيث أمسك به الرّسل وحملوه إلى "باتو" مع جماعة [٦٢] من خواصّه والمقرّبين إليه، فانتهى أمره على المنوال نفسه[٢]، (شعر بالفارسية، ترجمته):

أخذ يحسب بضع لحظات ثم أصبح لا شيء، قالت الدنيا ساخرة: ذهب هو أيضًا.

ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه القضية في الفصل الذى سنخصصه للحديث عن إيلچيكتاى[٣].

استغرق القبض على من بقي في الجحور من أصحاب الفتن وظلّ منزويًا في زاوية مزيدًا من الوقت، وتمّ إرسال "بالا يارغوچى" مع الخدم إلى قوّات "ييسو"؛ لكى يتم التّحقيق والتحرّى في أمر من شايعه وشابهه، وتمّ قتل كل من شارك في هذا التآمر، وهناك أمير آخر تمّ إرساله إلى بلاد "الخطا" مكلّفًا بهذه المهمّة نفسها.

---

(١) انظر الجزء الأول من تاريخ جيهانگشاى، ص ٣٤ – ٣٩.

(٢) يعنى لقى مصير الآخرين نفسه.

(٣) يشير الأستاذ القزوينى إلى أن المؤلف لم يكتب هذا الفصل الذى عزم على كتابته عن إيلچيكتاى.

هذه الفتن التي كاد العالم أن يشتعل نارًا؛ بسبب تطاير شرّها قد تبدّدت الآن وزال همّها من خواطر الناس.

وأبناء الملوك الذين سبق ذكرهم كانوا مغرورين منحرفين بعيدين عن جادّة المصلحة وقبول النّصيحة بقبولهم توجيهات معلّمين أشرار، وسماعهم لمقترحات أمراء سَيِّئى الطويّة، **ومثل جليس السّوء كمثل النّار إن لم يضرّك حرُّها لم يفُتك [٦٣] دخانها.**

ولما اقتضى حُسن سيرة الإمبراطور الشاب ونقاء سريرته أن يجعل رعاية جانب القرابة والصّلة فرض عَيْن بإقالة العثرة والتزام جانب القول المأثور "**مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ**"[١]، فقد بسط جناح الرحمة والرأفة كأنه طائر "الهما"[٢] وقد أظلّ رءوسهم بظلّه في وقت المجد والجاه وفاء بالقرض والدَّيْن:

**وأدِّ زكاة الجاه واعلم بأنَّهُ كمثلِ زكاةِ المالِ تمَّ نصابُها**

وغطّى بذيل العفو والتّجاوز علَى زلاّت وهفوات كلٍّ منهم:

**ولا يحملُ الحقدَ القديمَ عليهمِ**

**وليس رئيسُ القومِ من يحمِلُ الحقدا**[٣]

وعلى سبيل التّأديب لا على وجه التّهذيب أصدر أمرًا بموجب الحديث المشهور "**سافروا تغنموا**"[٤] يقضى بأن عليهم أن يضعوا أقدامهم في طريق الاغتراب لمدّة من الزمن، فالقمر يتكبّد عناء السّفر لكى يصبح بدرًا [٦٤] ويتعيّن عليهم في

---

(١) انظر: مجمع الأمثال، ١ : ١١٥، ٢ : ١٥٨ (القزوينى).

(٢) هُما: طائر أسطورى ضخم إذا استظل أحد بظل جناحيه ظفر بالسعادة.

(٣) من أبيات للمقنّع الكندي، انظر شرح الحماسة للتّبريزي ج٣ ص١٠٠ - ١٠١.

(٤) انظر الجامع الصغير للسيوطى، حرف السين.

عناء المعارك والملاحم إظهار أصالة الرجال وكفاءة ذوى الهمّة والفضل، **فجلالة الأخطار في الأخطار**[١]، وذلك لكى يغسلوا وَسَخَ الأوزار ورَسَجِها بعَرَق العناء والمقاساة ومكابدة الأخطار، وينزهوا العِرق ويطهّروه من وصمة الخيانة ومنقصة الجناية.

فمن المؤكد أن النار تجعل عيار الذهب نقيًا صافيًا، وكلّ ولد لم يصبح مؤدّبًا ومشذّبًا بتهذيب أقربائه المحبيّن له المشفقين عليه لا بد أن يغدو مجرّبًا ومهذّبًا بتأديب الزمن القاسى الغشوم.

**من لم يؤدّبه والداه أدّبه الليل والنهار**

ومن ثم أصدر أوامره بأن يتوجه "سيرامون" و"ناقو" و"يسنبوقا" إلى مختلف نواحى **[٦٥]** "منزى"[٢]، وأن يكون سيرامون في صحبة "قوبيلاى أُغول"، و"ناقو" بصحبة "جغانوين" بينما يوجه "يسنبوقا" إلى مكانٍ آخر[٣].

أما "خواجه" فقد أمر الإمبراطور بإعفائه من المشاركة في أية بعثة وفاءً بحّق زوجته، وحدّد مكان إقامته في "سولنكاى"[٤] بالقرب من "قراقورم".

**فلله هذه الفعال الذى طرّز ديباجة الكرم وغَبّرَ في مساعى ملوك الأمم.**

---

(١) صدره: والهُون في ظلّ الهُوَيْنا كامنٌ، من قصيدة مشهورة للتهامى مطلعها:

**حكم المنيّة في البريّة جارِ ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ**

(٢) منزى: نواحى الصين الجنوبية.

(٣) "يبدو أن منكوقا آن أمر بأن يذهب سيرامون وناقو ويسنبوقا - وهم من الأمراء المعارضين - إلى ولايات مختلفة في "منزى" متفرقين لا مجتمعين، ولا يلتقون جميعًا في مكان واحد بل يتوجه سيرامون في صحبة قبلاى أغول، وناقو في صحبة جغانوين ويسنتوقا إلى موضع آخر من "منزى" (القزوينى).

(٤) أى *SOLANGA*، وتعنى كوريا الشمالية (بويل).

لله أفعالُه اللواتي حَسُنَّ مَرّاى وطِبْنَ نَشْرًا

أَودَعْن كلَّ النفوس وُدًّا أَخْلَصْن سِرًّا لَهُ وجَهْرًا

وتدل الألفاظ النبوية التي تُمطر الدّرر على هذا المعنى: "**صلوا أرحامكم**"، و"**صلة الرّحم تطيل العمر**"، وهذه إشارة لا تُحصى أمّة بعينها بل [٦٦] تشترك فيها كل الأمم، وهذا المعنى يقرّر ببديهة العقل أن صلة الرّحم امتزاج واشتباك، فإن أخذت الحديث على ظاهر معناه كان مناقضًا للآية الكريمة: ﴿... فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]، ولما كانت الرّوايات تؤكدّ الآيات، والأحاديث السديدة توافق الكلام الرّشيد والقرآن المجيد، فإن من المحقق ومما لا مراء فيه أن إطالة العمر بواسطة صلة الرحم يمكن أن تأتى على وجهين:

**الأول**: عن طريق الزواج والتأهُّل، فبه يتوالد الناس ويتناسلون ويأتى الأعقاب وأخلاف الصدق بطنًا عن بطنٍ وقرنًا بعد قرن من عالم العدم إلى صحن الوجود، ومن خفاء بيت الكتم إلى صحراء الظهور، ويظل ذكر الآباء والأجداد من تشبُّه الأبناء بمناهج الآباء باقيًا على وجه الزمان، وهدف الحياة بالنسبة إلى الرجل العاقل الشهرة والاسم الحسن يشيع ويذيع في أطراف العالم ويبقى مخلدًا بعده، ووجود كل خلف كريم – ليس بلئيم – إنما هو حياة لأسلافه.

**والثانى**: بالموافقة والموالاة مع العشائر والأقارب وبالمواساة مع غير الأقارب والأجانب، فبمعاونة الواحد للآخر يُكتب لهم النّص –حتى وإن كانوا ضعفاء– على العديد من الأعداء الأقوياء [٦٧] كالأوتار والأشعار إذا ساند بعضها بعضًا عجز الفيل عن قطعها.

(بيت فارسى، ترجمته):

**والخيط حين يكون وحيدًا، قد يُقطع بقوة امرأة عجوز، فإن صار مزدوجًا عجز عنه زال زر**(١).

(١) زال زر: زال الذهبى. أبو رستم البطل الأسطورى الإيرانى.

وببركات الموافقة والمساندة تُكتب لهم النجاة من الورطات حين ينقطع الأمل في الفرج، ولا يمكن لأحد أن ينظر إليهم نظرة تنطوى على إهانة أو إذلال، ويقضون حياتهم بين الناس وهم يتمتّعون بالرفاهية والاحترام والتمكين والإكرام، ويبقى الطريق مغلقًا أمام تمكّن الخصوم منهم، وعند صاحب الهمة تبدو الحياة ولو ليوم واحد في مهابة ووقار أفضل في الحقيقة من سنة بأكملها في إحباط ومذلة.

وَلَلْمَوْت خَير، لِلْفتَى مِن قُعوده          عَديمًا، ومِن مَوْلىً تَدِبُّ عقّاربُه(١)

وعلى هذا النهج غلب "جنكيزخان" وذرّيته على الجانب الأعظم من الدنيا، بينما يقنع بقيتها بالطاعة والإذعان ويقبلون دفع المال (الضرائب) والخراج، ذات يوم، في بدء أمره وظهور بأسه وقوّته، شرع في بذل نصيحة لأبنائه وإعطاء كل واحد منهم التعاليم، [٦٨] ومثّل لهم بنبل سلّه من كنانته، وأعطاهم إياه، وواضح أن كسره لا يحتاج إلى قوة كبيرة، فأعاد الكرّة باثنين ثم واصل حتى بلغ العدد أربع عشرة، فعجز عن كسرها الأقوياء، فقال: "هذا الحكم نفسه يسرى على أولادى، فطالما رعى كلّ واحد منهم جانب الآخر أمنوا غوائل الأحداث، فيتمتّعون بمُلكهم وينعمون، والعكس بالعكس".

ولو كان سلاطين الإسلام قد أرسوا هذه القواعد في حفظ الأقارب وحماية الأجانب وشيدوا هذا الأساس وبسطوا حمايتهم على اللاجئين إليهم، ورأوا أن التآمر على الأقارب أمر مهجور في مذهب المروءة والفتوّة، وشأن محظور في شريعة الشّفقة والرأفة، لما كان من الممكن استئصالهم.

ومن توالد أولاد ذرّية جنكيزخان -ممن هم ينعمون الآن بنعيم الملك والنعْمة- نجد الآن ما يربو على عشرين ألفًا، ولن أقول أكثر من هذا، بل إننى سأتجنب

---

(١) من جملة أبيات لأبى النشناش (من لصوص بنى تميم)، انظر شرح الحماسة، ج ١، ص ١٦٧، والأغانى، ج ١، ص ٤٥، وفيه: أبو النسناس، وهو تصحيف وقع في الطبع.

(الكلام في هذا الموضوع)؛ لكي لا يتهم قرّاء هذا التاريخ محرّر هذه الكلمات بالمبالغة وتجاوز الحد [٦٩] ويتساءلون كيف يكون من صُلب رجل واحد مثل هذا العدد من الأحفاد في زمن قريب.

جملة القول: إن الخاطر المبارك (لمنكوقا آن) قد استراح حين فرغ من كلّ المهام وأذن لحشد أبناء الملوك في الانصراف والعودة، وقد حظوا بصنوف من الودّ والتكريم وفنون من البرّ والمرحمة، وسَعِد كل واحد منهم على حدة بنوع آخر مخصوص.

ولما كان يتعّين على "بركه أوغل" و"تقاتيمور" – وقد قدما من قِبَل "باتو" قطع مسافة طويلة للذهاب، وقد طال غيابهم فقد صرفهم أولاً (وبذل لهم) كل أنواع المكرمات والصّلات وأساليب المبرّات التي يضيق المجال عن ذكرها، وبعث معهم إلى "باتو" من الهدايا والتّحف مثلما يُبعث من ملك العالم إلى ملك عظيم ذى شأن، فالشمس تضفى من النور ما يليق بها على الكواكب السيّارة والثّوابت، والبحر الممتلئ بالماء العذب ينثر الدر والماء على حسب هِمَّةِ المغترف والغوّاص، وأعطى لكل من "قدعان أُغول" و"ملك [٧٠] أغول" معسكرًا من معسكرات "قا آن" ومنازله، كما وهب كل واحد منهما سَيدات المعسكرات، وأعطاهما قريبًا من "تومان"[١] من قادة جيش "قا آن" وجنده، وهدايا قيّمة يضنّ الدّهر بمثلها، كما أمر بأن يحدد لكل منهما ضياعًا يُلقيان فيها عصا الإقامة وينصبان عليها خيام المقام.

ثم إنه صرف بعدهما "قرا هولاكو" بإعزاز وإكرام تام، ومنحه مكان جدّه الذى كان عمُّه قد استولى عليه، فرجع بالغبطة والظّفر، فلما وصل إلى "ألتاى" لم يتحقق ما كان يصبو إليه إذ لم يستطع أن يتقدم خطوة أخرى حتى نفذ حكم الله (ففاضت روحه).

(بيت فارسى، ترجمته):

---

(١) التومان: عشرة آلاف.

لم يحصل على الزّاد من ياقوتة شفتك،

ولا هو جنى سنابله من حقل الرغبة

وكذلك غيرهم من أبناء الملوك وقادة الجيوش والأمراء، فقد صرف كلَّ واحد منهم، وفقًا لمستوى رتبته ووفق ما تُمليه همّته:

فَعادوا فأثْنوا بالذى كان أهلَهُ

وإن سَكَتوا أثْنَتْ عليه الحقائبُ[1]

أمّا "كشك" فقد جعله "ترخانا"[2]، وأمر بإعطائه مالاً كثيرًا حتى صار غنيًّا [٧١] وارتفع قدره وامتنعت ساحتُه.

وما إن غادر أبناء الملوك وتم إنجاز مهامهم حتى اتّجه إلى ضبط مصالح المُلك وتقويم المعوجّ وإصلاح الفاسد، وزجر المعتدين وقمع المفسدين، فلما انصرفت همّته الملكية إلى تذليل صعاب المتمرّدين وإلانة رقاب البُغاة والتفت فكره العالى إلى تخفيف محن البرايا وتيسير مؤن الرعايا آثر كمالُه العقلى أن يختار الجدَّ على الهزل، فتخلّى عن مواصلة شُرب الخمر، واصطاد حبّات محبّات قلوبهم بحبائل إفاضة العدل وحبّات الإحسان[3].

فبدأ باختيار الجيوش لأقاصى الشرق والغرب، لبلاد العرب والعجم فعهد ببلاد الشرق وولايات [٧٢] "ختاى" و"منزى، وسلنكاى، وتنكوت" إلى قوبيلاى أغول

---

(١) من أبيات لنصيب بن رباح يمدح بها سليمان بن عبد الملك، انظر الأغانى ١: ١٣٤، وطبقات الشعراء لابن قتيبة، ص ٢٤٣، وابن خلّكان في ترجمة الفرزدق، وأصل البيت هكذا:

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أنتَ أهلُه ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

(٢) أى أنّه: أمر بإعفائه وورثته من ضرائب ورسوم، والسماح له بالدخول على الإمبراطور في أى وقت شاء.

(٣) يبدو أن المؤلف يشير إلى بيت لأبى الفتح البُستى، هو:

كذلك لا يصطادُ ذو الرأى والحِجَى مَحبّات حَبّات القلوب بلا حُبِّ

(تاريخ اليمينى: ١ : ٣٥٦) "القزوينى".

الذى يتميز بالعقل والذكاء والفطنة والدهاء، وعيّن لمرافقته قادة عسكريين كبارًا ووضع تحت قيادته كل الأمراء الذين كانوا قد استوطنوا تلك النواحى يمينًا ويسارًا[١]، وعهد بالبلاد الغربية إلى أخيه الآخر "هولاكو أغول" الذى عُرف بالثّبات والوقار والحزم والحيطة والنَجدة والغيرة، وكلّف أضعافًا مضاعفة من الجنود لمرافقته، فتحرّك في المقدمة "كيدبوقا باورچى"[٢] في أواسط جمادى الأولى سنة خمسين وستمائة (يوليو ١٢٥٢) للبدء في التعامل مع الملاحدة. (بيت فارسى، ترجمته):

**- بأمرك النافذ دعهم يذهبون بالليل والنهار، تارة من الصين صوب بلاد الروم، وتارة من الروم إلى الصين.**

ومن أجل تحديد الأموال [الضرائب] وتسجيل أسماء الرجال، عيّن الحكّام، والشّحنة، والكتّاب [٧٣]، فما كان من بلاد شرقية ابتداءً من الإقليم الخامس من شاطئ نهر "جيحون" إلى نهاية حدود "ختاى"، وهو الإقليم الأول -فقد أقره- كالسابق - للصاحب المعظم (الوزير الكبير) محمود يلواج، وخَلَف الصّدق له: مسعود بك، فقد خصّ محمود يلواج -الذى اقترنت خدماته السابقة بدلائل محبّته اللاحقة، فهو الذى وصل قبل الجلوس المبارك للإمبراطور على العرش- خصّه بإقليم "ختاى"، بينما خصّ مسعود بك -الذى كان قد قدم خائفًا وَجِلاً وعاين الأخطار؛ بسبب إخلاصه وموالاته لجلالة الإمبراطور، حتى انتهى به الأمر بعد أن اجتاز هذه الورطة فأصبح يتمتع بالنفوذ الكبير والقوّة- بمنطقة ما وراء النهر كّلها، وتركستان وأُترار وبلاد الأويغور، والخُتن، وكاشغر وجَنْد وخوارزم وفرغانة، ولما كان وصولهما إلى البلاط قد سبق عقد "القوريلتاى" فقد صرفهما مبكرًا [٧٤]، وحظي كل من كان في صحبتهما بأنواع من الإنعام الخاص.

---

(١) يعنى: شرقًا وغربًا (بويل).

(٢) باورچى: الطباخ، (القزوينى)، وانظر "بويل" أيضًا.

وبعد أن غادرا، وصل إلى البلاط الأمير الكبير "أرغون" الذى قطع مسافة جدّ بعيدة تكتنفها الأخطار والمخاوف والوعيد، في العشرين من صفر سنة خمسين وستمائة (٢ من مايو ١٢٥٢)، بعدما تفرق "القوريلتاى"، ومضى كل واحد من أبناء الملوك إلى وطنه.

ولما كانت العناية الأزليّة والقدرة الأبديّة تؤازره، فكان قد سبق له أن وضع نفسه في المقدمة من الحضّ على مشايعة الدولة ومتابعة الميل إلى الإخلاص للبيت الملكى بذرائع متينة ووسائل مبينة.

**وعند الصَّباح يَحمَدُ القومُ السُّرى**[1].

وكان قد امتاز بنجاح الآمال وإدراك المقاصد، فوضع (الإمبراطور) في كفّه حكم بلاد خراسان ومازندران، والهند والعراق، وفارس، وكرمان، واللور، وأرّان، وآذربايجان، وجورجيا، والموصل وحلب، أما من كان في صُحبته من الملوك والأمراء والكتبة فقد حظوا بالتكريم وفقًا لرؤيته هو وعنايته، وفى العشرين من رمضان من السّنة المذكورة (٢٤ من نوفمبر ١٢٥٢م) انطلقوا عائدين؛ ولكن عددًا منهم كان ما زال لديهم عدد من الأعمال لإنجازها، فتخلفوا بضعة أيام، ومن ثمّ غادروا في أعقابه (يعنى أرغون) سعداء مسرورين[2].

وعين الإمبراطور "خذمًا" لمصاحبة هؤلاء [٧٥] الحكّام المذكورين وأمرهم بالقيام بإحصاء لعدد سكان الولايات وتحديد الضرائب؛ فإذا ما فرغوا من ذلك عادوا أدراجهم وقدّموا تقاريرهم إلى البلاط، وقد تلقى كل واحد منهم أمرًا بالقيام ببحث

---

(١) انظر مجمع الأمثال في باب العين، طبع مصر ١: ٣٠٣.

(٢) لعل المؤلف يريد بذلك أن يشير إلى تخلف "سراج الدين شجاعى" عن الركب بضعة أيام في قراقورم، وكان قد أشار إلى ذلك من قبل، (بويل).

الأحوال السابقة وفحصها على أفضل نحو فلن يستطيع أحد منهم التنصل من صعوبات المهمة "**وعفا الله عمّا سلف**"، فقد كان الإمبراطور معنيًا بالترفية عن أحوال الرّعايا، لا تكديس الأموال والثروات في الخزائن، كما أصدر أمرًا بتخفيف المؤن عن الرعيّة، ونصّه محفوظ بدور المحفوظات، ومنه يتبيّن مدى اهتمامه وعنايته بشئون بنى البشر وصيانة مصالحهم.

وبعد وفاة "كيوك خان" كان أبناء الملوك **[٧٦]** قد درجوا على أن يُصدر كلّ واحد منهم أوامر بكثرة بالغة وانشغلوا في أعمال تجارية ودفعوا بالرسل إلى كل أرجاء العالم، وتمسّك كل شريف ووضيع بالحماية لكونه تاجرًا وتنصّلت الرعيّة من ضخامة العبء[١].

فأصدر الإمبراطور الأمر بأن يردّ كل واحد منهم -ممن ذكرناهم- الأوامر ولوحات التكريم التي يحتفظ بها في الولاية الخاصة به منذ عهد "جنكيز خان" و"قا آن" و"كيوك خان"، وأن يُعيد سائر الأمراء ما قد يكون لديه، وأن يمتنع الأمراء من الآن فصاعدًا عن إعطاء أو كتابة الأوامر والتعليمات المتعلقة بأى أمر يخص الإدارة المالية في الولايات دون استشارة مندوبى البلاط، وألا يزيد ما يمتطيه كبار الرّسل والمبعوثين عن أربعة عشر بغلاً، وأن ينتقلوا من محطة إلى محطة، ولا يدخلوا قرية أو مدينة ليس لهم فيها عمل محدّد، وألا يتزوّدوا من المؤونة بما يزيد على ما يتقوّت به فرد واحد من الرّجال.

**[٧٧]** ولما كان الظلم والجور قد بلغ عنان السماء (وجاوز كل الحدود) وتعرض الفلاحون -بوجه خاص- للذلّ وديسوا بالأقدام، بسبب الضرائب المفروضة؛ لدرجة أن إنتاج محاصيلهم لم يف بنصف المبالغ التي تقرر تحصيلها منهم، أمر بأن يلتزم الشريف

---

(١) هكذا ترجمها "بويل" بالإنجليزية *P 598*، وقد أقرّ المحقق -الأستاذ القزوينى- بأن الجملة مضطربة.

والوضيع من التجار وكذلك المسئولون عن الشئون المالية والإدارية بضبط النفس في معاملاتهم مع الناس، وأن على كل إنسان -وفقًا لظروفه وقدرته- أن يدفع المبلغ المفروض عليه بناء على ما تقرّر عليه دفعه، عدا من تم إعفاؤهم من المشاقّ والمؤن بناء على المرسوم الصادر من "جنكيز خان" و"قا آن"، ويعنى بذلك السادات الكبار والأئمة الأخيار من المسلمين، ومن النّصارى ممن يقال لهم "أركؤن" والرّهبان والأحبار، ومن عبدة الأصنام القساوسة الذين يقال لهم "تُوين"، [٧٨] ومشاهير التّوينان، ومن بين طبقات الناس مِمَّن كبُر سنّه وعجز عن الكسب، أمّا اليهود فقد سمعوا بهذا المرسوم فحسبُ ولم يكونوا من بين هذه الزّمرة ولم يدخلوا في هذا الحصر، ومن ثم اغتاظوا للغاية وتضايقوا، وأصابتهم الدهشة والحيرة وأمسكوا بلحاهم حزنًا وغمًا، مثل قال "ظهير" (الفاريابى) في وصف أحد الوعّاظ:

(بيتان بالفارسية، ترجمتهما):

**-كان رجلٌ أحمرَ اللّحية حاضرًا، ضرب يده في لحيته حين سمع ذلك**

**-وقال: أرى أننّا لسنا في الحُسبان، ولا نُعدّ شيئًا في كلا العالميْن**

وحتى لا يتمكن كل مسئول من تقسيم الدخل [حسب مزاجه] أمر بإقرار خطّة سنوية [٧٩] يدفع الرجل صاحب الثروة الكبيرة بمقتضاها في بلاد "ختاى" أحد عشر دينارًا ضريبة تتناقص نسبتها حتى يدفع الفقير دينارًا واحدًا، ومثل ذلك في بلاد ما وراء النهر، وفى خراسان يدفع الغنىّ عشرة دينارات والفقير دينارًا واحدًا، كما أمر ألا يتّبع الحكّام والكتبة الهوى والمداهنة، وعليهم ألا يتقاضوا الرّشوة، وألا يجعلوا الحقّ باطلاً والباطل حقًا، وفى مراعى الحيوانات -التي يطلقون عليها اسم "قوبجور"- إن كان أحد يمتلك مائة رأس من نوع خاص من أنواع الحيوانات فعليه أن يُقدّم منها رأسًا واحدًا، أما إن كان لديه أقلّ من ذلك فلا يقدّم شيئًا، وحيثما وُجدت متأخّرات على الضّرائب، أو كان قد بقي على أحد من الرّعايا دَيْن، فلا يحق لهم أخذه منه، أما التجّار ورجال

الأعمال الذين أقاموا صفقات تجارية مع "كيوك خان" وزوجته وأولادها فقد أمرهم أن يسددوها من الدّخل الجديد.

ومن بين كلّ الطوائف والملل أبدى المزيد من الإكرام والاحترام للمسلمين خاصّة، فكان إغداقه عليهم بالمال والصّدقات أكثر شمولاً فتمتعوا بأعظم الحقوق، وللبرهنة على ذلك ما حدث في عيد الفطر سنة خمسين وستمائة (الخامس من ديسمبر ١٢٥٢)، إذ تجّمع النّاس في حضرة الإمبراطور عند بوابة المعسكر مع قاضي القضاة جمال الملة والدين مقتدى [٨٠] العلماء محمود الخجندى (يديم الله فضله)، وأمَّ قاضي القضاة النّاسَ، ثم خطب فيهم وطرّز الخطبة ووشّحها بذكر الخلفاء الراشدين وأمير المؤمنين، فلما فرغوا من أداء صلاة العيد - التي ترجح أداء ألفى ركعة في الكعبة بمقتضى الحديث النبوى - دخل قاضي القضاة المعسكر، ودعا (للإمبراطور) بقوله: (بيتان بالفارسية، ترجمتهما)

**فَلْيَكُن طلوعُ كوكبة نُجومِ العيد يُمنًا عليك**

**فَطالعُك على النّاس جميعًا مَيمون**

**مُخالفك في تناقصٍ واضمحلال كالبدر**

**لكّن سَعْدَك كالهلال يزدادُ يومًا بعد يوم**(١)

وهو ما لفت نظر الإمبراطور وأثار اهتمامه وتلطّفه مع قاضي القضاة، وأشار إليه بإعادة الدعاء كرّات ومرّات وأهداه عربات مملوءة بالذّهب والفضّة وأنواع الثياب القيّمة هديّة بمناسبة العيد، وكان لمعظم الناس نصيب من ذلك، مع أنّ نواله للعباد وفير ولا حصر له في غير الأعياد أيضًا.

---

(١) مطلع قصيدة للأبيوردى، ديوان أبيوردى، طبع بيروت، سنة ١٣١٧، ص ١١٥.

[٨١] لنا في كُلِّ يومٍ من صلاتك عيد

فكيفَ يبينُ العيدُ يومَ يعودُ

وفي أرجاء البلاد الخاضعة لسلطانه، فإن من كان مجرمًا أو سجينًا في ذلِّ القيد، أمر الإمبراطور بإطلاق سراحه ومنحه أمانًا من الذلّة ومِحَن العيش، وقد أثبتُّ هذه الأبيات التالية، وإن لم تكن مناسبة للمقام، فلعلّها تكون مقبولة عند أصحاب الذوق والحقيقة:

مَن أنا عند الله حتى إذا أذنبتُ لا يعفُو عن ذَنبي

العفُو يُرجى من بنى آدمَ فكيف لا يُرجى مِن الرَّبِّ

وكم من قلوب راودها الأمل في الحياة حين بقيت الرِّقاب على الأبدان والدرهم والدينار في الصُّرر والأكياس؛ وبهذه المهمّة تم إرسال المبعوثين وإطلاق الرسل إلى كل أرجاء البلاد (بيت فارسي، ترجمته):

دَع الملوك الذين يبذلون الذهب والفضّة يتعلمون

تقليدَ بذل الرُّوح من سلطاننا "بهرا مشاه"[١].

كالشَّمس في كبد السَّماء وضوءُها

يَغشى البلادَ مشارقًا ومغاربا[٢]

ولو بدأنا في شرح الأمور التي تصدر عن شخصه يومًا بيوم وخضنا في تقرير أفعال الخير التي تتجلّى بذاتها لاستغرق ذلك منا كتابة مجلّدات كاملة، فقليل

---

(١) لعله يعني "بهرامشاه الغزنوي" (١١١٨ – ٥٢) (بويل).

(٢) للمتنبي من قصيدة مطلعها: بأبي الشّموسُ الجانحاتُ غواربًا.

من كثير وقطرة من بحر وذرّة من شمس قد بلغ وسيبلغ أسماع المستفيدين والمهتمّين "والقليل منها على الكثير دليل".

ولما كانت شهرة عدله وإنصافه شائعة [٨٢]، وفائضة في الأقطار والأطراف – فإن القريب والبعيد يلجئون إلى حماه برغبة صادقة، حيث يجدون الأمان من بأسه، أما الآخرون –الذين هم بمنأى عنه– فإن لديهم الرّجاء نفسه، ويأتى السفراء والرسل من بلاد الفرنج، ومن منتهى الشام، ودار السلام (بغداد)، ويجلب السلاطين ويرسلون التّحف والهدايا الكثيرة من الخيول والمطايا المثقلة بالأحمال إلى حضرته.

(بيت فارسى، وترجمته):

**من هذه المدن يرسلون الجزية والخراج**

**إذ لا قدرة ولا طاقة لهم على محاربته**(١).

فيعودون وقد قضوا حوائجهم وأدركوا مباغيهم، وسوف نكتب عن كل واحد منهم –على حدة– فصلاً(٢)، وقد جرى ذكر هذا على سبيل الاختصار، وعلينا أن نحشد أنفسنا ونقصر همّتنا على الدّعاء من أجل تحقيق السّعادة المتزايدة بمرور الأيام (للإمبراطور)، (رباعى فارسى، ترجمته):

**أيها الملك، أدام الله ملكك وعمرك،**

**وازدهى وجهُ سغدك بالورود**

**فسغدك هو مركز الشّمس**

**فليُخرجها الله من مدار الزّوال**(٣)

***

(١) بيت من شاهنامة الفردوسى.

(٢) لم ترد هذه الفصول في الكتاب.

(٣) لظهير الدين الفاريابى، الشاعر الفارسى.

## [٨٣] لمحة من مآثِر جلالة ملك العالم "منكوقا آن"

### بعد جلوسه على العرش

فى مقدّمة هذا الكتاب تمّت الإشارة إلى مكارم أخلاقه وأفعاله على سبيل الإجمال، وفى الفصل الخاصّ بجلوسه المبارك (على العرش) وردت كذلك بعض الإشارات التفصيلية، ولكنْ لتأكيد ما سبق ذكره فإننا نورد حكاية تتركّز فيها وتتجمّع [خصال] العدل والجود؛ لكى يعلم الناس ويتبين لهم أن الإشارة إلى تلك الخصال إنما هى منزَّهة عن قصد التكلّف ومبرّأة عن وصمة التعسُّف.

عندما سارع التجار قادمين من جميع الأقطار إلى حضرة "كيوك خان"، عقدوا صفقات ضخمة على أن يتم سداد قيمتها بمقتضى صكوك ضخمة فُرضت على بلاد الشّرق والغرب، ولكن نظرًا لأنه لم يبق في المُلك مدة طويلة[(١)] بقى الجانب الأعظم من تلك الأموال غير مُسَدد ولم يتم لأولئك التّجار تحصيله.

وبعد وفاته، أخذت زوجاته وأبناؤه [٨٤] وأبناء إخوته في عقد صفقات أكبر مما كان في عهده، وكتبوا صكوكًا بالطريقة نفسها، وكانت أفواج من التجّار الآخرين تتوالى ويأتى بعضها في إثر بعض وهى تحمل الحوالات معها.

فلما تغيرّ وضع تلك الفئة[(٢)] وذهب رِيحها، كان هناك من بين التجّار من لم يحصل على مقدار عُشر الحوالات السابقة، وبعضهم لم يكن قد وصل إلى موضع الحوالة (لصرف قيمتها من هناك).

---

(١) "وكانت مدة ملكه سنة واحدة" (جامع التواريخ ٢٥٠). (القزوينى).

(٢) يعنى أسرة "كيوك خان" وأنصاره، فقد قتل معظمهم وتم نفيهم وسجنهم؛ بسبب ما كانوا يدبّرونه من غدر "بمنكوقا آن" (القزوينى).

وبعضهم كان قد سلّم السّلعة ولم يتم تحديد الثّمن، بينما لم يتلقَ البعضُ الآخر الصكَ أصلاً.

فلمّا استراح ملكُ العالم "منكوقا آن" باليُمن على عرش التوفيق، وانتظمت حبّات عقود العدل والإنصاف، جاء إلى حضرته جماعة من أصحاب هذه الصّفقات على سبيل الاختبار والامتحان وهم بين الرّجاء في أن يحظوا بعدله واليأس من (الاستجابة) لالتماسهم الخاص (باسترداد) أموال هذه الصفقة؛ وعرضوا قضيتهم على سمعه المبارك، وعلى الرغم من أن كل موظّفي البلاط وأركان الدولة أجمعوا على أنه لا يلزم سداد قيمة هذه الصفقة من خزانة الإمبراطور وأنّه ليس هناك مخلوق يمكنه أن يوجّه اعتراضًا أو لومًا (إذا تم رفض سداد القيمة)، فإن ما ورد في هذا الشعر؛ (بيتان بالفارسية، ترجمتهما):

**-ما الذى يمكن أن يتأتى من مُلْكنا المؤسّس على الحق؟**

**إلا أن يصبح الخرابُ عُمرانًا!!**

**-لقد وسع سخاءُ السّحاب العالمَ كلّه،**

**لأنه يعطى اللبَنَ لأطفالِ العُشب.**

فقد بسط جناح الرّحمة عليهم جميعًا وأصدر الأوامر بدفع المبلغ كله [٨٥] من أموال إمبراطوريته، وقد بلغ أكثر من ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة ألف "بالش فضة"[١]، ولو كان حبسها ما كان بوسع أحد أن يعترض.

بهذه الموهبة سلب المجد من الملوك ذوى الخصال الحاتمية[٢]، وبهذه العدالة ذرّ التّراب في عيون الأباطرة المتشبهين بأنوشيروان[٣]، ففى أىّ كتاب من كتب التاريخ قُرئ أو سُمع من الرواة أن ملكا سدّد دينَ ملك آخر؟

---

(١) البالش الفضة نحو مائتى دينار.

(٢) نسبة إلى كَرَم "حاتم الطائى" وجودِه.

(٣) إشارة إلى عدل "كسرى أنو شيروان".

فما من مخلوق تحمّل سداد دين أعدائه، هذا مشهد من عاداته وأخلاقه الملكية التي يمكن الاستدلال بها على مواقفه في أمور أخر، **"وكلّ الصيد في جوف الفَرَاء"**[1]، (بيت شعر فارسى، ترجمته):

**أمام قَدْره تبدو السماوات التسع الطباق،**

**مثل خرابة ذات جدران أربع**

إن مثل هذا الإمبراطور في نفاذ أمره ونهيه، لا يمكن إلا أن يكون ممكّنًا طويل العمر، وذلك بمقتضى الكلام الربانى: ﴿... **وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ** ... ﴿١٧﴾﴾ [الرعد].

فليهبه الله عمرًا غير متناهٍ في السيادة والسلطة.

° ° °

(١) انظر مجمع الأمثال، باب الكاف ٢: ٥٤، واللسان والتاج في ف ر ء .

## ذكر أركان الدولة

حين انتظمت شئون العالم بفضل عدله، وتم حسمُ المواد التي تسبّبت في تشويش عقول النّاس، وسكنت الفتن المثارة بيُمن جلوسه على العرش [٨٦] غُلّت يد الظلم والفساد، وانطلقت الجيوش متوجهة إلى أطراف الأرض وأكنافها، وأحنى المعاندون رءوسهم طائعين، وتوجّه أصحاب الحاجات وأرباب المُلتمَسَات ومتقلّدو الأعمال والمكلّفون بأداء الأشغال صوب حضرته، ويمّموا من قريب وبعيد وجوههم شطر بلاطه، الذى هو ملجأ أهل العالم جميعًا ومنجى الخائفين، كان عدد النّاس كبير ومطالب كل واحد منهم لا حصر لها وحوائجهم مختلفة ومتنوّعة، وكانت إقامتهم تطول (فى البلاط)، كما كانت كفاءة الكتبة والموظفين وقدراتهم تتفاوت، مما أدى إلى أن بعض (أصحاب الحاجات) كان يصيب نجاحًا وتوفيقًا وبعضهم يبقى محرومًا محبطًا.

وكانت العناية السّابقة للإمبراطور المشفق وتعاطفه ووفرة اهتمامه ورحمته تقتضى أن ينال كل واحد من الرعايا نصيبه من رأفته، كلٌّ على حسب حصّته المقدّرة له؛ إذ أمر بأن يتولى الأمير "منكسار نوين" مع عدد آخر من الأمراء المجرّبين القيام بكل ما يتعلق بتفحص الأمور ودعاوى الجمهور، وعليه أن يعمل على إرساء أسس العدل.

كما أمر "بُلغاى آقا" – وكانت له حقوق ثابتة؛ بسبب سوابق خدماته – بأن يتولى رئاسة الكُتَّاب وقيادتهم وأن يصبح وزيرًا لهم، فيكون هو من يعرض حاجة كل واحد ممن يتقدّمون بالتماسات، شأنه في ذلك شأن الحاجب، وهو الذى عليه أن يكتب ويدوّن الأوامر الرسمية [٨٧] والمناشير(١).

(١) كذا في الأصل بالعربية، جمع منشور.

ومن بين الكُتّاب المسلمين أمر الإمبراطور الأمير "عماد الملك"، الذى شغل المنصب نفسه في بلاط كل من "قا آن" و"كيوك خان"، والأمير فخر الملك –الذى كان مقدَّمًا ومفضَّلاً على غيره من المقرّبين للبلاط؛ بسبب طول مدة خدمته مع جماعة آخرين من المغول؛ لكى يكونوا مساعدين للأمير "بُلغاى"، وحَدد لكل فئة منهم مهمّة منفصلة يتولونها على حدة، يتم لهم بمقتضاها – بعد استشارة الأمير بلغاى وبعد الحصول على إذن منه – تقديم تقاريرهم للعرض على رأى الإمبراطور الذى يْحلّ العُقَد، أما ما كان من شئون الديوان؛ كفرض الضرائب وتقليد الأشغال والمهام، فقد خُصَّ بها أيضًا الأمير "بلغاى" مع شخصين آخرين.

وهناك جماعة تهتم بشئون التّجار، والتجّار عدّة طوائف: فمنهم من تلقّى من الخزانة "بالش" وتقرّر أن يسدّد للخزانة قدرًا معينًا كل عام، ومنهم من أصبح تاجرًا في الفترة الأخيرة.

وفى العهد السابق قبل الجلوس المبارك للإمبراطور على العرش كانت تُعطى لكبار التجار مراسم ملكية (يرليغ) ولوحات شرف (پايزه)، ولم يكن أى صنف منهم يتمتع بالاحترام والهيبة. وكان للبعض منهم بغال ويعفون من الضرائب، ولكن حين أصبح هو ملكًا ووُضع مفتاح الملك في كف سياسته وعدله صدرت الأوامر بألا تعطى لوائح شرف إلى التجار، ومن ثم يتم التمييز بينهم وبين من يتقلّدون وظائف رسمية؛ [٨٨] فاستخدام التجار للبغال أمر فيه إسفاف وتجاوز لحدود العدل، وهم بذلك يرهقون الرعيّة[١]، ونظرًا لانشغالهم الدائم بتحقيق المكاسب الخاصة لأنفسهم فعلى

---

(١) تبدو الفقرة المعادلة لهذه الفقرة في كتاب جامع التواريخ، لرشيد الدين فضل الله أكثر صراحة ووضوحًا (ص ٣١٢) وهى: "في عهد "قا آن" كان معهودًا أن يأتى التجار راكبين البغال إلى ولاية "مغولستان" فقال "منكوقا آن" مُنْكِرًا: ما معنى أن يتحرك التجار جيئة وذهابًا؛ لكسب المال وهم راكبين البغال، وأمر أن يتحركوا على دوابّهم الخاصة.

كل منهم -في المكان الذى ورد اسمه فيه في الإحصاء- أن يتحمل نصيبه في المؤونة، شأنه في ذلك شأن بقية أتباع الإمبراطور، وألا يتطاول أو يتعالى عليهم.

وهناك آخرون أتوا بأمتعة وبضائع لبيعها لخزانة الإمبراطور، وهؤلاء بدورهم عدة أصناف:

فمنهم من يبيع[١] الجواهر، ومنهم من يبيع الثّياب، وعدد منهم يبيع الحيوانات، وهكذا.

وهناك قوم[٢] يستردّون الثّياب المقررة للأقاليم المختلفة ويحافظون عليها، وهناك آخرون يفعلون الشيء نفسه مع "القَرَوِيّات"[٣]، واثنان أو ثلاثة مع النقود ذهبًا كانت أو فضة.

وهناك أيضًا أفراد مستقلّون للصق "التّمغا"، وتقديم "لوائح الشرف"، والإشراف على ترسانة السّلاح.

وكثيرون [٨٩] مهمتهم صيد الطيور والحيوانات المفترسة والحفاظ عليها.

[وأخيرًا] هناك شخصان أو ثلاثة يدبّرون أمور الأئمّة والسّادات والفقراء والنّصارى وأخيار كلّ ملّة من المِلل.

وكل هؤلاء المسئولين أُمروا أن يرتدعوا ويحترسوا عن شائبة الرّبا والمبالغة في الطمع ولا يدخل في صلاحياتهم إلقاء القبض على أحد، وعليهم توجيه نظر الإمبراطور ودون أى إبطاء إلى حالة كل إنسان.

---

(١) في الأصل: يَثْمَن (قيمت كُنَند).

(٢) يبدو المؤلف هنا وكأنه انتهى من بيان أصناف التجار ويبدأ يتحدث مجددًا عن موظفي البلاط.

(٣) كذا في الأصل، والمقصود فيما يبدو أنواع جلود حيوانات السنجاب والقاقم والسّمّور ونحوها، والكلمة مأخوذة من الفرو، ولا ترد "الفرويات" بهذه الهيئة في كتب اللغة. (القزوينى).

ويلازمهم كتبةٌ من كلّ صنف، فهناك كُتّاب للفارسية والأويغورية والختائية والتّبتية والتنكوت وغيرها، فإذا كتبوا مرسومًا إلى أىّ موضع صدر بِلُغة القوم وخطّهم.

## ذكر انطلاق ابن ملك العالم: هولاكو إلى البلاد الغربية

إنه هو مَن اجتمع له الحلم والوقار إلى جانب الحظّ اليقظ والسعادة المتزايدة بمرور الأيام فضلاً عن مزيّة العقل الرشيد، (ليس للشّمس زواء[١] مع رأيه الذى يزدان به العالم [٩٠] ولا للسحاب قدرة على السّخاء مع وجود جوده، أين هم "خانات" "الصين" و"الماچين" فيتعلموا قواعد المُلك، وكيف هم السلاطين السّابقون لكى يروا القدرة الإلهية، فلو كان قياصرة الروم قد سعدوا بشرف إدراك الدخول في خدمته لكانوا قد لُقّنوا دروسًا في وسائل حكم العالم، ولكان أكاسرة الفرس وفراعنة مصر قد استوعبوا من آرائه ومبادراته أسباب الغلبة على العالم)، إنه سيّد وجه البسيطة "منكوقا آن" الذى رأى في شمائل أخيه "هولاكو" مخايل السُلطة وعلاماتها وتفرّس في همّته مراسم الغلبة؛ فعمد في القوريلتاى الكبير بعد ما تمّكن من عرش الخانية وارتاح باله من تدابير المغرضين والحسّاد -إلى صرف همّته لاستخلاص أقاصى شرق العالم وغربه، فسيّر- في البداية -أخاه " قُوبلاى" إلى النواحى التي تقع إلى الشرق من "ختاى"، ومن ثمّ شرع في شهور سنة خمسين وستمائة (١٢٥٢م) بغزو الجانب الغربى، وعلى غرار ما فعل مع بعثة "قبلاى" - حّدد له اثنين من كل عشرة من أفراد الجيوش الشرقية والغربية، ومن أبناء الملوك اختار أخاه الأصغر "سبتاى أغول" لمصاحبته [٩١]، وسَيَّر ممثّلين من جانب "باتو": "بلغاى" ابن" شيبقا" و"توتار أُغول" و" قولى" مع قوات من قبل "باتو"، ومن قبل "جغتاى" "تكودار أُغول" ابن "موچى

(١) كذا في الأصل، رواء، والرُّواء بالضم حُسن المنظر في البهاء والحُسن (اللسان).

أغول"، ومن [٩٢] جانب "جيجكان بيكى" "بوقاتيمور" مع جيش من قبائل "الأويرات"، ومن الأصهار والأمراء وكبار القادة بعث من كل طرف جماعة من الرؤساء يحتاج ذكر أسمائهم إلى إطالة بالغة.

كما أرسل رسلاً إلى "ختاى" في طلب خبراء للمنجنيق ورماة للنفط، فاحضروا من "ختاى" [٩٣] ١٠٠٠ بيت من رجال المنجنيق الختائيين، ممن كان بوسعهم أن يجعلوا للجمل منفذًا من ثُقب الإبرة بقذائف الحجارة، ويثبتون قذائف المنجنيق بإحكام الوَتَر والغراء حتى لا ترتدّ إذا انطلقت من الحضيض إلى الأوج.

وفى الطّليعة أُرسل الرّسل للحفاظ على المراعى والمروح التي تقع على الطريق الذى من المفترض أن تمرّ منه عساكر ملك العالم[١] ابتداءً من جبال "قنغاى"[٢] بين "قراقورم" و"بيش باليغ"، ومُنعت الدواب من الرّعى هناك خشية أن يتضاءل المرعى أو تصاب الأودية بضرر، وأمر بعدم الاقتراب من الجبال والوديان –التي تشبه الحدائق والبساتين– وحيل بين أسنان الدواب والمواشى وبين رعيها. هذا بينما انطبق حكم ﴿... وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ...﴾ [البقرة]. على كل الحشائش في بلاد "تركستان" وحتى "خراسان" وأقاصى "بلاد الروم" وجورجيا، لدرجة أن كل من كان يُطعِم ورقة من الحشائش لدوابّه كان يُرغم على التخلّى عن تلك الدوابّ، ومن ثم أصبح العشبُ (گياه) جناية "گناه" وتحوّلت الخُضرة (سَبْزِي) إلى شبع وتخمة (سيرى)[٣].

---

(١) يعنى بملك العالم "هولاكو".

(٢) في الأصل: تيغاب، وقد صححها "بويل".

(٣) المؤلف يتلاعب بالألفاظ لكى يبين مهارته في الكتابة طبقًا للأساليب البلاغية الشائعة في عصره.

وانطلق الرسل لكى يشكّلوا من أنفسهم جيشًا وهم يعبُرون المروج والمراعى ويتّخذون لأنفسهم مواقع في الأماكن التي لن تمرّ بها مواكب الملك، وهكذا أمر "تايجو"[١] و[٩٤] قوات "جورماغون" بالتوجه إلى "الرّوم".

ولإمداد القّوات والحشم بالمؤن صدر الأمر لكل البلاد بأن يقدّم لكل فرد "تغار"[٢] واحد (أى ١٠٠ منّ) من الدقيق و ٥٠ منًّا (أى قربة واحدة) من الخمر، أما الأمراء وحكام الأقاليم فقد شغلوا –حيثما كانوا– بإعداد المؤن والطعام والشراب والنُّزُل، فكانوا يضعون ذلك كله في كل مرحلة من مراحل [تقدّم الجيش]، وفى الوقت نفسه كان أمراء المغول والمسلمين يأتون بقطعان أنثى الخيل وكانوا يعدّون الخمر ويقدّمونها إلى القوات فوجًا فوجًا إلى أن يبلغوا بهم أميرًا آخر، ثم إنهم كانوا يقومون بتنظيف الممر الذى كان من المفترض أن يمرّ به ملك العالم فرسخًا بفرسخ من الأشواك والحجارة والصخور، ويقيموا الجسور على الأنهار والجداول، ويجهّزوا السفن في المعابر.

ومن ذيوع نبأ تحرّكه غادر السكون والهدوءُ العالَم، فلم يكن يواتى المتمرّدين –حيثما كانوا– النّوم خوفًا من بأسه وصولته بينما لم يَتَوان الأتباع[٣] عن إعداد القوات والأسلحة والمؤن.

---

(١) وردت في جامع التواريخ (طبع كاترمر ص ١١٨، ١٢٨، ١٣٦ وغيرها في جميع المواضع "بايجو"، انظر: حاشية كاترمر ص ١٢٢ حاشية ٥؛ ومختصر الدول لابن العبرى ص ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٧، في كل المواضع ايضا: بايجو (القزوينى).

(٢) معيار يستخدم للمواد الجافة يعادل ٦٧٥ رطلاً، انظر:

*Minorsky, A Soyürghäl of Qasim b. Jahangir Aq – qoyunlu 948* (بويل)

(٣) في الأصل: ايل، ويرى "بويل" أنها كلمة مغولية تعنى "التابع، أو "المولى"، ومعناها يناقض معنى المتمرد.

وحين تمّ تعيين أبناء الملوك وكبار القادة، وتم اختيار القوات من بين الآلاف والمئات، أرسل "كيد بوقا" -الذى كان يتولى منصب الطبّاخ- في المقدّمة [٩٥]، وفى شهور سنة خمسين وستمائة (١٢٥٣ - ١٢٥٤م) تفتّح الربيع من براعم الشتاء وتحوّل وجه الأرض إلى ما يشبه ذيل الطاووس من كثرة الألوان، وغدا الزّمان من فرط السعادة روضة من الأزهار، وتجددت الرياض وتبسّمت من شدّة الطراوة والنضارة، وارتوت الحياض بعد الإمساك والعطش فأطلقت العنان، فالأزهار متلألئة والسحب تنثر الدّرر البرّاقة، والبلابل تمدح وتُثني على مائدة الرّوضة، والشيّوخ عادوا شبابًا من استنشاق روائح الزهر وعبيره.

وأعدّ [هولاكو] الاحتفالات بمناسبة الوداع، وتوجه إلى معسكر إمبراطور العالم، بينما وصل "أريغ بوقا" من الاتجاه المقابل، وتجمّع أبناء الملوك والأقارب - الذين كانوا في المناطق المجاورة - كلهم سويًا كالثريّا في بلاط "قراقورم"، وأخذ كل واحد منهم يقيم بدوره حفلاً وظلوا يقترعون بإلقاء زهر الهوى على رقعة المتعة[١]، ويتجرعون الكئوس (جَامُها) ويرتدون ثيابًا (جَامِها)[٢] من لون واحد دون أن يغفلوا - وهم في غمرة ذلك- عن الشئون المهمة.

وفى نهاية الأسبوع، وحين قرر العودة إلى معسكره الخاص، أمر الإمبراطور الحاكم للعالم -بمقتضى علوّ همّته الشبيهة بالسماء- بتوزيع خزائن الجواهر، والنّقود والثّياب، واختيار المطايا ودوابّ الحمل[٣] دون الإناث منها، وأرسل خصيصًا لهولاكو [٩٦] ونسائه وأبنائه -كلّ بحسب نصيبه- ما تنوء الأرض بحمله وتصبح الدنيا

---

(١) في الأصل: رُقعه، كلمة عربية الأصل، وتعنى رقعة الشطرنج.

(٢) يتلاعب المؤلف بلفظى "جَام" وتعنى الكأس و"جامه" وتعنى الثّوب، بعد إضافة أداة الجمع "ها" إليهما.

(٣) في الأصل: حُمولات، كلمة عربية الأصل، "والحُمولة الإبل وكل ما احتمل عليه الحىّ من بعير وحمار أو غير ذلك (لسان).

خفيفة [أمامه]، كما شرّف الإمبراطور كذلك بالهدايا والتشريفات الأمراء وكبار القادة الذين كانوا في صحبته، فضلاً عن كل من حضر معه من القوات والعساكر.

ومن يوم السبت ثانى ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وستمائة (٢ من مايو ١٢٥٣م) ركب [هولاكو] مطيّة العز والاقتدار ولوى العنان راجعًا.

وحين نزل في معسكره الخاص توقف بُرهة لترتيب أحواله والنظر في شئون رجاله ريثما تهدأ حراره الجوّ، وخلال هذه الفترة كان أبناء الملوك يقدمون لوداعه ويُحضرون الأطعمة، وكان الأمير "هولاكو" يصرف كل واحد منهم بالمبرّات والصّلات على قدر منزلته، وأخيرًا وفى الرابع والعشرين من شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة (١٩ من أكتوبر ١٢٥٣) بطالع كان للسعادة مُشرقًا أقبل معسكره الخاص من مركز السّعد، والظَفَر أمامه يصيح قائلاً "طَرِّقوا"، والنصر يجرى عن اليمين واليسار والفتح يركض من وراء، ونصب "جومغار أغول"[١] – بسبب [٩٧] أمّه التي كانت أكبر من الزوجات الأخريات [فحازت بذلك رتبة التقدّم] قائمًا مقامه، وجعله على رأس المعسكر والجيش واختار من كبار أبنائه أبَقا[٢] ويَشْموت لمصاحبته، وتحرّكت الجيوش –حيثما وجدت– من أماكنها، فبدأت الجبال ترتجّ وقلوب الملوك ترتعد من هيبة تلك الأخبار، وأخذ الملك يتقدم ببطء وتؤدة.

وكان كل من الأمير "بلغاى" و"توتار" يمضى في المقدمة، بينما يسارع الأخرون عن اليمين واليسار، فسافروا بالتناوب والتعاقب ماضين في طريق يتناوب فيه الصيف والشتاء.

---

(١) يقول رشيد الدين ( جامع التواريخ– طبع كاترمر ص ٩٨): إن جومغار أغول هو الابن الثانى لهولاكو. (القزوينى) .

(٢) هو أكبر أبناء هولاكو وخليفته في الحكم.

ولما وصلوا إقليم "ألماليغ" خرجت نساء "ألغ إيف" و"أورقينه خاتون"[١] لاستقبالهم وأقمن الاحتفالات (بمناسبة قدومهم).

وما إن عبرت الرايات المَلَكية ذلك الإقليم حتى سارع إلى خدمتهم الصاحب الأعظم (الوزير الكبير) مسعود بك وأمراء ما وراء النهر، وأقاموا في مراعى "بايلاغ" الجبلية طيلة شهور سنة اثنتين وخمسين وستمائة (١٢٥٤م)، فلما سكنت سَوْرة حرارة [٩٨] الشمس تحَركوا، وعسكروا في شعبان سنة ثلاث وخمسين وستمائة (سبتمبر – أكتوبر ١٢٥٥) في مروج "كانِ گُل" على أبواب سمرقند، ونصب الصّاحب "مسعود بك" خيمة نُسج غطاؤها من اللبّاد الأبيض، وبقوا في جوار تلك المنطقة نحو أربعين يومًا يمارسون الطّرب واللّهو في انضباط، وأثناء ذلك، وكما هى عادة الفلك القاسى تُوفي أخوه "سبتاى أغول"، كما ورد من هناك خبر موت أخيه الآخر، فتأثر (هولاكو) للغاية بهذين الحدثين الجللين واستبد به الحزن الشّديد.

فلما انقضى ذلك الشهر – وكان شهر رمضان (أكتوبر – نوفمبر)، أقاموا في غُرّة شوّال (٣ من نوفمبر) حفلاً للسعادة والمرح، وفقًا لعادتهم، وبدءوا في العربدة والابتهاج، وفى هذا الوقت تَقدّم "محمد بن مقدات"[٢] للترحيب والحفاوة [بالملك] سابقًا [٩٩] كل الأقران والأكفاء، فامتاز بين الأنام بأنواع العاطفة والإكرام.

ولما ارتحلوا من هناك لم يرخوا العنان إلا حين وصلوا أطراف "كِش"، وفى تلك المرحلة وصل الأمير "أرغون" وأكثر أكابر خراسان وقدّموا الهدايا، وأقاموا هناك مدّة شهر ثم دقّوا طبول الرحيل بعزم عبور [نهر جيحون].

---

(١) هذا واحد من الشواهد الصريحة التي تدل على أن ألغ إيف كان معسكر "جغتاى"؛ لأن أورقينه خاتون كانت زوجة "قرا هولاكو بن ماتيكان بن جغتاى" (القزوينى).

(٢) كذا في الأصل دون تنقيط للقاف والتاء، ويبدو أنه إشارة إلى "شمس الدين كرت" (٦٤٣ – ٦٧٦) من ملوك هراة، فهو الذى بادر – كما يقول رشيد الدين في جامع التواريخ طبع كاترمر، ص ١٤٨ – إلى خدمة هولاكو سابقًا غيره من الملوك والأمراء، راجع القزوينى هامش ٩ ص ٢٨٩.

وعندما تحرّكت المواكب الميمونة من المراعى الصيفية كان الأمر قد صدر باحتجاز القوارب بملاّحيها وأن تُبنى جسور من القوارب، حتى إذا ما حان وقت وصول الموكب الملكى عبرت القوات دون أية صعوبة، فأخذت الشّفقة الملكَ لحالهم ومنحهم الرسوم التي كانت تؤخذ من القوارب في العبور، فلما وضعت عنهم الرسوم رُفع عن قلوب كل عابرى [النهر] عبء ثقيل. [١٠٠].

وحين عبر الجيش النّهر ركب الملك في جولة استكشافية على شاطئ النهر، فكانت هناك في الغابة نمور[١] كثيرة، فأمر بأن تقف القوات في دائرة ويشكلوا حلقة، فانتاب الخيولَ الذّعرُ من النّمور، فركبوا جمالاً ثملة، وصاد نمور المعارك عشرة من نمور المروج والغابات، وجعلوا قصة السّلطان مسعود بن محمود[٢] مجرد خرافة، حيث يقول الشاعر:

مَنْ كانَ يصطَادُ في رَكْضٍ ثمانيةً

من الضَّراغم هَانت عِنْدهُ البشَرُ[٣]

وفى اليوم التالى ارتحلوا من هناك وعسكروا في مروج "شفورقان"[٤] عازمين على عدم البقاء طويلا، لكن الثّلوج بدأت في التّساقط يوم عيد الأضحى، ولم ينقشع الغمام سبعة أيام بلياليها عن تلك البقاع. وطالت أيام ذلك الشتاء وبلغت برودة الجو في شدّتها حدًا جعل كل الأقاليم تبدو وكأنها "بلاد الثلج"، وهلكت الكثير من الدواب

---

(١) في الاصل بالفارسية: شيران، وتعنى عند المؤلف كلاً من الأسود والنمور (بويل)، "وحتى في القرن التاسع عشر وجد الروس نموزا على طول ضفة نهر جيحون" (فيلاديمير مينورسكى) ص ٦١٣ هامش ٣١ من الترجمة الإنجليزية لبويل.

(٢) يعنى السلطان مسعود الغزنوى (٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م) (بويل).

(٣) من جملة أبيات لأبى سهل الزوزنى يمدح بها السلطان مسعود بن محمود الغزنوى ويصف قتله ثمانية أسود في يوم واحد، انظر تاريخ البيهقى، طبع طهران، ص ١٢٢. (القزوينى).

(٤) شفورقان، أو شفورغان، تقع حاليًا شمال أفغانستان (٥٣ ميلاً غرب بلخ) (بويل).

من شدة البرد، وكنت قد كتبت بيتين أو ثلاثة إلى أبى (طاب ثراه) من المعسكر الكبير في "قراقورم" تناسب هذا الحال:

والرّيحُ قد ضَربَتْ من فوق هَامَتِنَا خيامَ ثلج بلا حَبْلٍ ولا عَمَدِ

سِهامُها نَافذات عن مَلابسنا نُفوذَ سهمٍ لَقد يَرميه ذُو حَسَدِ

[١٠١] ولو تَعانَق ذاتَ الخالِ مُختلسٌ تراهُما واحدًا من شدَّةِ البَرْدِ

والرّيقُ قد كانَ في الأفواه مُنجمدًا لَولا حَرَارةُ نَارِ الشّوقِ في الكبِدِ

وأقام الأمير "أرغون" في مكان التوقّف هذا خيمة كبيرة من التّيل المنقوش بنقوش لطيفة[١]، ووضع من أوانى الذهب والفضة ما كان ملائمًا للمجلس، وقدّم العديد من الخدمات، وامتثالاً لأمر الملك اتجه إلى بلاط "منكوقا آن"، وذلك بعد تنصيب ابنه "كراى ملك" "وأحمد بيتكجى" ومحرّر هذه المقالات لإدارة شئون "خراسان" و"العراق" في خدمة الملك.

وحين انبلج فجر يوم الربيع عن ليل الشتاء الدّامس، وأينعت خضرة البراعم، وانبثقت الأزهار من شفاه العشب في الصحراء، وزيّن الرّبيع الرّباع، وارتدت الدنيا الدّيباج الملوّن بالألوان السبعة، وارتضع البستان ثدْى الغمام، وأصبحت هذه الرباعية -التي كانت قد نُظمت في عهد ربيع الشباب- مناسبة للحال (رباعية فارسية، ترجمتها):

**منذ أن أعدّ الربيع حفلاً للحُسْن،**

**سلك البلبل الطريق إلى رفيقه في سعادة وحبور**

**[١٠٢] اظهر، يا شروق الشمس، وانشر البهجة اليوم،**

---

(١) لعله يعنى بالنقوش هنا الصُور، راجع بويل.

تحت ظلّ صفصافة الشمس الخمرية[1].

وانتعشت الدواب؛ صدرت الأوامر بعقد الرايات والبنود (على الرماح)، واحتشاد الجنود بهدف الجهاد وقلع قلاع الإلحاد، واستعدت كل القوات التي كانت في تلك النواحى - سواء من الترك أو التاجيك. لم تكن مدينة "تون"[2] قد تحوّلت بعد عن مظاهر السّفالة والضّعة وظلت مقيمة على ضلالها القديم، ومن ثم تقدم "هولاكو" إليها أولاً، وفى أوائل ربيع الأول (مارس - أبريل ١٢٥٦) حمّل خيول الفتح والظّفر أحمال مراده.

وحين بلغ حدود "زاوه" و"خواف" ألقى السّحاب الثّقيل بظلاله، فكلّف "كوكا إيلكاى" و"كيدبوقا" والأمراء الآخرين [بمعالجة الأمر]، فلما وصلوا هناك أبدت الحشود في ذلك المكان بعض المقاومة حتى تسلل الجيش في اليوم السابع إلى داخل المدينة وأطاح بأسوارها فسوّاها بالأرض، وسيق الرجال والنساء جميعًا إلى الصّحراء، فأفنوا من كان عمره عشر سنوات فأكثر بالسّهام [١٠٣] عدا الشابّات من النّساء فقد أبقوا عليهن أحياء. وعادوا من هناك ظافرين إلى حضرة ملك العالم. ومن ثمّ انطلقوا إلى "طوس".

---

(١) "لا نعرف كيف يمكن تصحيح البيت الثانى أو المقصود به تمامًا" (القزوينى)، وقد استعنت في الترجمة بالترجمة الإنجليزية لبويل، الذى اعتمد في قراءة البيت على نسخة من النسخ الخطية التي استعان بها القزوينى في تحقيق الكتاب، وهى "ج"، انظر بويل، ص ٦١٥، هامش ٤٠.

(٢) تُعرف الآن باسم "فردوس".

وفى ربيع الآخر (أبريل - مايو) نصبوا خيمة من النسيج في "جنح الفقراء" بالقرب من "طوس"، على مدخل حديقة كان الأمير "أرغون" قد أنشأها، فأصبح "جنح الفقراء" مجمع الأمراء.

كانت تلك الخيمة هى التي أمر ملك العالم "منكوقا آن" الأمير "أرغون" بإعدادها لأخيه [هولاكو]، واستجابة لأمر الإمبراطور جمع (أرغون) أساتذة مصانع النسيج واستشارهم، وفى النهاية تقرر أن تصنع الخيمة من قطعة واحدة من القماش ذات وجهين، وبالتوفيق بين النّسيج والصباغة جعلوا منها نسخة من صنعة صُنّاع "صنعاء" [١٠٤]، فكان ظهرها وبطنها متشابها وداخلها وخارجها متساويًا من تطابق النقوش والألوان بعضها مع بعض مثل أصحاب القلوب الطيبة، تعجز أسنان القوارض عن قطعها، تلك القبة المذهبة والخيمة التي تشبه السّماء، وقرص الشمس فقد بريقه وانكسف نوره؛ بسبب الغيرة من القرص الخشبى[1] لهذه الخيمة، وانخسف البدر المنير من تدويرها. وقضوا بضعة أيام في احتفال وابتهاج هناك، وبدا وفود المسرّات والبهجة على صدورهم أمرًا لا يمكن حصره.

ثم ارتحل الملك راغبًا في إراحة خيوله.بحديقة المنصورية - التي كان الأمير "أرغون" قد جدّد عمارتها بعد اندراس وانطماس، فصارت الآن في غاية الرّوعة حتى أثارت غيرة جنان الدنيا، وعن هذه البقعة قال الأنورى [الشاعر]:

(بيت فارسى، ترجمته):

**ويحك يا صورة المنصورية، يا لك من بستان وقصر**

**بل لعلّك جنّة بعثها الله إلى الدنيا**

---

(١) في الأصل: كُماج، وهو الخشبة المدوّرة العريضة التي توضع وسط السقف الذى يُثبّتْ فيه رأس عمود الخيمة. (القزوينى).

وفى ذلك اليوم أقامت زوجات الأمير "أرغون" والوزير (الصاحب) "عز الدين طاهر" وليمة ونظَموا احتفالاً، وفى اليوم التالى ارتحلوا وأقاموا في مرج "رادكان" بعض الوقت أيضًا، وكانت الخمور تتدفق كالماء [قادمة] من كل الولايات البعيدة والقريبة من "مرو" [١٠٥] "ويازر" و"دهستان" كما كانت الإمدادات تتوالى وتوضع بغير حساب عند كل مرحلة [طيلة الطريق].

وما إن ارتحلوا من هناك حتى بلغوا "خبوشان"(١)، وهى مدينة كانت قد ظلت معطلة وخربة منذ أول خروج جيش "المغول" حتى هذه السنة، وصارت مبانيها وأماكنها يبابًا كما صارت كل قنواتها خالية من الماء، بينما لم يبق جدار قائم من بين الجدران الخارجية للمسجد الجامع.

وكنت قد اشتريتُ من قبل رُبع تلك المدينة من سكانها ورعاياها. وبملاحظة شغف الملك ومَيْله إلى تعمير الخرائب عَرَضتُ عليه قضية تلك المدينة، فأصغى الملك إلى ما قلت وأصدر أمرًا بإصلاح القنوات و[إعادة] تشييد المبانى، ونصب الأسواق، وخفض عيش الرعايا وجمعهم [من جديد في المدينة] وقد تكبّد نفقات إعلاء البناء نقدًا من خزانته حتى لا تقع أية أعباء على كاهل الرعية، فتدفّقت المياه جارية في قنواتها من جديد بعد انقطاع، وعاد السكان بعد جلائهم عنها سنين عديدة، وقد أتوا بفلاّحين وحُفارا للقنوات من "قُهستان" وجعلوهم يستقرّون هناك، وأمر [الملك] ببناء المصانع وأنشأ حديقة متصلة بالمسجد الجامع، كان الجامع والمقبرة قد تخرّبا، فقدّم الوزير الكبير (الصاحب الأعظم) سيف الدين آقا ثلاثة آلاف دينار ذهبًا ومن ثمّ بدأ العمل في إعادة بنائها وإحيائها من جديد.

---

(١) تعرف حاليًا باسم "قوشان".

توقف [هولاكو] شهرًا في [١٠٦] "أُستو"، فلما نضب العلف من الجبال والوادى ارتحل.

وفى تلك الأثناء أرسل "ركن الدين خورشاه" أخاه "شهنشاه" وكبار المسئولين في دولته لإعلان خضوعه وطاعته والاستظهار بالمتابعة والولاء لبلاطه، وحين بلغت هذه الكلمات السمع الملكى، أمر الملك بأن تتم معاملتهم بإعزاز وإكرام، وعيّن رسلاً للتوجه إلى "ركن الدين"، كما أرسل واحدًا من رجالهم مع الرسل وأصرّ بقوة على وجوب حضور "ركن الدين" بنفسه وعلى تخريب القلاع، فلما وصل ذلك الأمر إلى ركن الدين ردّ بجواب مشحون بالكذب والبهتان انطلاقًا من جنونه ورعونته.

وأصبح واضحًا للملك أن حظّه قد تراجع وأن من المتعذّر معالجة أمره باللّين والرفق، فمضى نحوه من "خُرقان"[١] عازمًا الغزو.

***

(١) خُرقان: كانت تقع على بعد أربعة فراسخ من "بيستم" على طريق "إستراباد"، انظر، لوسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٦٦.

## ذكر تَقَدُّم ملك العالم "هولاكو"
## لفتح قلاع الملاحدة

لم يأخذ ركن الدين حذره من تردّد السفراء والرّسل واختلافهم إليه، ولتنفيذ رغبة الملك أخلى نحو خمس قلاع [١٠٧] لم يكن بها أية مخازن ولم تكن محصّنة بدرجة كافية، ونزع بوابات قلاع أخر وأزاح منها المقاتلين[١]، ظنًا منه بأنه قد يستطيع بالمكر والكيد بهذه الأباطيل من الكذب والزور دفع الكائن المقدور، ولكن: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦﴾ [المؤمنون].

[فانطلق الملك] مرتحلاً من "خَرَقان" منتصف شعبان (سبتمبر ١٢٥٦) واستعد للهجوم على قلاعه واستئصال رباعه، وأرسلت التعليمات إلى الجيوش التي كانت في العراق وغيره من الأطراف فتجمعت واستعدت، وتقدمت الميمنة [بقيادة] "بوقاتيمور" و"كوكا إيلكاى" من طريق مازندران، والميسرة بقيادة "تكودار أغول" و"كيدبوقا" من طريق "خوار" و"سَمْنان"، بينما سار الأميران "بُلغاى" و"توتار" وجيوش العراق من اتجاه، أما الملك نفسه فتقدم [فى القلب] مع رجال يرون في البؤس شرابًا هنيئًا ولا يُلقون إلى البأس بالاً.

(بيت فارسى، ترجمته):

غادروا فاسودّ وجه الدّنيا

وانبهرت السّماوات [برؤية] "سُهراب"[٢]

---

(١) "سرنيوار پايدار" كذا في الأصل ولا معنى لها، وفى النسخة الخطية ب "سر ديوار بينداخت"، ويبدو أنه الأصوب، وقد اختارها "بويل" في ترجمته الإنجليزية كما اخترناها في هذه الترجمة.

(٢) من "الشاهنامه" في وصف "سُهراب" البطل الإيرانى القديم.

ومرّة أخرى أرسل في الطليعة رسلاً بأنه عزم [١٠٨] على الوثوب وانتوى التّقدم إلى الأمام مهاجمًا "ركن الدين"، الذى أضاف إلى جرائمه الماضية أعذارًا جوفاء وعللاً واهية، لكنه لو جعل قلبه سليمًا وتقدم لاستقبال الملك لكنّا قد قرأنا درس: "مضى ما مضى" على جرائمه، وألقينا نظرة عفو وإغماض على هفواته، ولافْتَرّ ثغرنا وبسمنا في وجه ملتمساته مسارعين في تلبيتها.

وحين عبرت المظلّة الضّاربة في عنان السّماء لابن الملك الفاتح للعالم بجوار "فيروزكوه"[١]، أعادوا رسل [هولاكو] وأخذوا هم أنفسهم في تخريب جدران القلاع وأسوارها.

وبرفقة الرّسل جاء الوزير المزوّر والمُدَبِّر المُدْبر "كيقباد" بأنواع التزويرات والمكائد. وتعهّد بتخريب القلاع والرّباع، والتمس إعفاء ركن الدين من مغادرة القلعة لمدة سنة واحدة، وأن تسلّم القلاع الثلاثة: ألمُوت ولمسّر ولال –وهى منازلهم القديمة– من التّخريب، وسوف يُسلّم "ركن الدين" باقى القلاع وسوف ينفّذ –على أى حال– الأمر الذى يتم التوصّل إليه، وأرسل رخصة لحاكم "گردكوه" وحاكم قلاع "قهستان" [١٠٩] لكى يمثُلوا في حضرة الملك.

كان ركن الدين يتصور أن بإمكانه بهذا الخداع والغرور أن يدفع القدر، وأن يقلب الوزير بهذا التزوير – القدر المُبْرَم رأسًا على عقب.

وحين وصلت قوات الملك إلى إقليم "قَصْران"[٢] جرى حصار قلعة "شاهدز" – التي كانت تقع في طريق تحرّكهم [بواسطة قوات تابعة] "لكيد بوقا" فالتفّوا حولها من جميع الجهات وفتحوا ذلك الحصن في غضون يوم أو يومين قهرًا وقسرًا، كما استولوا أيضًا على قلعتين أو ثلاثًا أخر من المنطقة المجاورة.

---

(١) إحدى قلاع الإسماعيلية.

(٢) قصران، كان أحد الأقاليم القريبة من الرى، (بويل).

ومرّة أخرى أرسل الملك الرّسل وأمره[1] بالالتزام بتعهّده بالنزول. فأعاد الرّسل من جديد بأعذار، راغبًا في التعويق والتسويف والانتظار حتى سقوط ثلوج الخريف.

وطلب ضمانًا بألا يحاصر الجيش القلاع وألا يكون هناك قتال ونهب وغارة، ووافق على إرسال ابنه مع ثلاثمائة من الرجال في معيّته، وأن يدمّر كل القلاع، فقبل الملك رجاءه وتوقّف في «عباس آباد» القريبة من «الري»؛ انتظارًا لتنفيذ تعهّده، ورفعت القوات الحصار عن القلاع التي كانت تحاصرها[2]. وفي الموعد المحدّد أرسل «ركن الدين» طفلاً في السابعة أو الثامنة [١١٠] من عمره قائلاً: «هذا ولدي»، بصحبة عدد من الأكابر والمسئولين عنده، ولصدق فراسة الملك وفطنته أدرك أن الولد زائف[3]، وطلب البيّنة على إثبات بُنُوّة الطّفل، فسأل «شهنشاه» ووزراء ركن الدين - الذين كان بعث بهم من قبل، لكن أولئك الذين غشيت قلوبُهم بظلمات الإلحاد لم يبوحوا بالحقيقة، غير أن الملك عرف الوضع بذكائه وحدسه، وتظاهر بالجهل وخصّ الطفل بالإعزاز والتلطّف وسمح له بالعودة، ثم إنه ارتحل من «عباس آباد» وعسكر في «بيشكيل - دره»[4]، وأخذ ركن الدين [١١١] يتشفع يومًا بعد يوم في إعادة أخيه والوزير والآخرين، وأتباعه من قرناء السوء [ممن دفعوا به بعيدًا] عن طريق الخضوع القويم وألقوا به في وهدة الضلالة والعناد.

---

(١) أي أمر ركن الدين.

(٢) يبدو أن المقصود هو أن القوات قد تم صرفها عن محاصرة القلاع بأمر هولاكو لكي يتبينوا ما إذا كان الملاحدة سيوفون بعهدهم أم لا. (القزويني).

(٣) يرى جامع التواريخ (طبع كاترمر ٢٠٤) أن الحقيقة هي أنه كان ابنا لركن الدين بالفعل ولم يكن هناك كذب أو خداع في الأمر. (القزويني).

(٤) في الأصل «بيسكله دز»، والتصحيح الموجود في المتن يعتمد على ما ورد في النسخة الخطية (ب) وقد اعتمده بويل في ترجمته الإنجليزية. و«بيشكيل - دره» إقليم يقع إلى الجنوب الغربي بين «طالقان» إلى الشرق من قزوين. راجع أيضًا القزويني، ٣/٤٢٨-٤٢٩.

وحين رجع الابن المزوَّر إلى أبيه المُدْبِر، أرسل أخاه الآخر «شيرانشاه» وفي معيته ثلاثمائة رجل في الموعد الذي كان قد تم الاتفاق على إرسالهم فيه بعد استعادة هذا الملعون لابنه المزوَّر، على أمل أن تسفر هذه الذريعة والباطل عن حثّ جيش الملك على الرجوع، وظل يلتمس إعادة أخيه وجماعة الوزراء الذين سبق إرسالهم وأخذ يلتمس الأعذار من عدم الخروج بنفسه حتى ينصرم فصل الشتاء ويحلّ فصل الرّبيع ويذهب عنه ما يعتريه من خوف ورعب.

فأعاد الملك «شهنشاه» أخا ركن الدين، وأبلغه الأمر بأن عليه تقوية قلاعه وإحكامها استعدادًا للقتال، وحين عاد الرّسول أتى معه العذر المبتذل نفسه، فتحقق الملك أن في رأس ركن الدين شرًّا وأن في دخيلته مكيدة، فصمم على استئصاله، وصدر الأمر للجيوش المرابطة حول ركن الدين بأن يتقدم كل منهم من موضعه في خط متواز.

وفي العاشر من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة [٣ من أكتوبر ١٢٥٦] انطلق الملك من «بيشكيل دره» [١١٢]، فأصدر في البداية أمرًا بإلقاء أولئك الملاعين والجنود[1] والمسئولين -الذين كانوا محتجزين في «جمالاباد» بالقرب من قزوين- في الجحيم خفية، ومنذ ذلك الوقت ذاع بين أهل قزوين مَثَلٌ يقال لكل من يُقتل: «ارسل إلى جمالاباد».

وقد غادر رسل متوجّهين إلى كلّ البلاد لتدبير وإرسال إمدادات الجيش من أكياس[2] القمح وكذلك الكثير من الدوابّ الصّالحة للذّبح أو الركوب، ولما كان نقل الإمدادات [يتم عبر منطقة ممتدة] من «أرمينيا» إلى «يزد» ومن ولاية الأكراد إلى

---

(١) ربما كان المؤلف يعني بهم الثلاثمائة رجل المرافقين لابن ركن الدين، انظر الصفحة السابقة.

(٢) في الأصل: تغارها، و«تغار» وحدة تعادل عشرة كيلو جرامات عند المغول الإيلخانيين. انظر فرهنك معين.

«جرجان» والدوابّ الخاصة بالديوان لا تكفي للوفاء بالغرض، صدر الأمر بأن تُصادر دواب كل إنسان أيًا كان، سواء كان وضيعًا أو شريفًا، تركيًا أو تازيكيًا، لحساب الإسطبل، حتى يتم عند ذاك إرسال الأكياس المعبأة بالإمدادات.

وفي الثامن عشر من هذا الشهر [١٨ من نوفمبر ١٢٥٦] أشرفت المظلة الضاربة في عنان السماء فوق قُلّة الجبل المواجه [القلعة] «ميمون دز» بارزةً من جهة الشّمال، وفي اليوم التالي طاف الملك على جوانب القلعة وحولها لبحث واختبار النّقاط التي يمكن شنّ الهجوم منها، وكانت «ميمون دز» قلعة تشبه ما ذكره أبو العلاء[1] بقوله: [١١٣]

فلا تَبلغُ الأَرْوَى شَماريخُها العُلى ولا الطيرُ حتَى نَسْرُها وعُقابُها

ولا طَمِعَت فيها أمانيُّ طالبٍ ولا نَبَحت إلا النّجومَ كلابُها

وهنا تشاور الملك مع الأمراء وكبار القادة وأركان الدولة حول ضرب حصار حول القلعة أو التراجع انتظارًا للعام المقبل، ولأن الفصل شتاء وكان من الصعوبة الحصول على المؤن ومن المُحال تدبير العلف، والدّواب هزيلة ضامرة؛ فقد كان أغلب الأمراء يفضّلون الرُجوع، وتكلم من الأقارب «بوقا تيمور» ومن الوزراء الأمير سيف الدين –وكان هو الرّكن الأقوى– ومن الأمراء «كيدبوقا» و«طاير» فقصروا كلامهم على [ضرورة] المحاصرة، ومن ثمّ بدوا وكأنهم تكلموا بما في ضمير الملك الذي أصر على هذا الرّأي وحده وأمر كل الجيش بالاستعداد للحصار والتجهّز للقتال.

---

(١) أخطأ المؤلف في نسبة هذينْ البيتين إلى أبي العلاء فهما من جملة أبيات لكعب بن معدان الأشقري، من شعراء العصر الأموي في وصف قلعة «نيزك» في «بادغيس» بالقرب من هراة، والتي تم فتحها على يدي اليزيد بن مهلب سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣ – ٧٠٤م. راجع حواشي وإضافات القزويني، جهانگشاي ٣: ٣٠٢-٣٠٣.

فلما رأى "ركن الدين" هذا أذعن للطاعة ونزل من العُلا إلى الحضيض. وإلا كانت أقاليم مملكته قد نَضَبت جرّاء نقل كل ما فيها من المؤن والمأكول والمشروب.

ولما كان المزيد من أخبار «ركن الدين» قد تم تدوينه في «كتاب الفتح» الذي يتلو هذا الفصل، فإن تكراره هنا سيكون من باب الإطالة؛ ومن ثمّ رأينا أن نقتصر على هذا القدر.

***

# [١١٤] نسخة كتاب فتح قلعة الموت

الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده، والصّلاة والسلام على النّبي الذي لا نبيّ بعده.

منذ أن سبق الحكم المحكم ﴿...كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة]، وضع [الله تعالى] مفاتيح ممالك الربع المسكون في كفّ قدرة سلاطين العصر والخواقين الكبار الواحد تلو الآخر، وفي كل عصر، ووفقًا لما يقتضيه الحكم وتمليه الإرادة، أظهر من عالم الغيب سيّدًا، وطرّز كسوة حياة كل واحد منهم بانتصارات وفتوح في المشارق والمغارب عطّرت نفحاتُها مشامّ الخلائق - على النحو المسطور في بطون الكتب والمذكور على أعواد المنابر، إلى أن حل يومنا هذا فازدان وجه البسيطة بالعدل الشامل والعقل الكامل لخان الخانات، مصدر نعمة الأمن والأمان، حاكم الأرض والزمان، مَن رَفَعهُ الرّحمن ببديع صُنعه وقُدرته[١]: منكوقا آن، فتجلّت أنوار العاطفة والرأفة من أفق النّصَفة والعدل، ولم يصل إلى سمع أحد وما رأى أحد رأي العين مثل هذا الفتح المبين. إنه في الحق عنوان لـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح]. قد يسّره الباري - جل جلاله وعمّ نواله - بفضل تحرّك الملك المبارك العادل هولاكو وتصميمه، فبتدبيره حل عقدتها.

(بيت بالفارسية، ترجمته):

**- هو من يحفظ سيفهُ الدينَ قويًا، هو مَن له عظمة وشمائل أحد الأباطرة**

---

(١) في الأصل: صنع قدرة الرحمن، والتصحيح من النسخة الخطية ج، وهي إحدى النسخ التي اعتمد عليها المحقق في تحقيق الكتاب. انظر هامش ٤، ص ١١٤ من الأصل الفارسي.

- بُراق همّته العالية يلمس فَرْقَ الثُّريا، بينما برقُ عزمه الأكيد يسحق وجه الأرض [١١٥].

ونظرًا لأن الله تعالى قال: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...﴿٧﴾ ﴾ [المائدة]. فإن العبد المخلص لسعادته المتزايدة عطا ملك بن محمد الجويني المستوفى، يريد إرسال هذه البشارة إلى أقاليم العالم –البعيد منها والقريب– ويبعث بنداءٍ أرسله لسان الإيمان؛ لكي يصل إلى أرواح المؤمنين الموحدين، هو:

ظَهَـــر الحـــقُّ ثابـــتَ الأركـــانِ صـــاعدَ الـــنَّجم عَـــاليَ البُنيـــانِ

وهَـــوَى للـــرَّدى ذوو الـــنَّقْصِ والبَغْـــ ـــي وأَهْـــلِ الضَّـــلال والطُّغيـــانِ

وسوف يسجّل شطرًا ويقيد بالتحرير سطرًا من تفاصيل ما حدث وكيفية وقوعه –على سبيل الإجمال– مما سيظل باقيًا على صفحات السنين، لكي يبلغ مسامع الخاصّ والعام والكبار والكرام من بداية المشرق حتى منتهى بلاد الشام –**أسمعها الله بالبشارات**– أن عنقاء المظلة الضّاربة في عنان السماء للملك فاتح العالم هولاكو قد ألقت بظلال الجلال على هذه الديار، وأن الرايات المعلنَة بالنصر قد نُشرت في هذه البقاع والرّباع [١١٦] واتباعًا للسنة الإلهية ﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء]. أرسل الملك الرسل تباعًا إلى ركن الدين بشيرًا ونذيرًا تأميلاً وتحذيرًا لعله يبادر بالقدوم مداراة ومجاملة ويجعل الانقياد والطاعة ملاذًا له من تصاريف الزمان، غير أنه في كل نوبة –بسبب شبابه وحداثة سِنِّه– كان يرسل جوابًا بعيدًا عن هدف الصدق هاجزا جانب الصواب، ظاهره مخالف لباطنه وقوله مجانف لفعله، ومن ثمّ استقر رأي الملك –الذي يشع كالشمس، كما أنه مرآة لماهية الأشياء وإكسير للعقل والحكمة– على تذليل قلاع ركن الدين (التي كانت تنطح «قرن الثور» وتمسك بيدها –لفرط عُلوّها– بوسط «الجوزاء»)، وتسامت إيوان زُحَل برجال هم «نجوم قواطع» من

النّقار والجدال، لو أقدمت الشّمس على مصاحبتهم لأثرت السّير ليلاً كالقمر، وإذا تعرض المريخ لسهامهم لأصبح «مشترٍ» للسلامة مثل «الزُهَرة»)، لكسر ظهر تلك الطائفة [١١٧] التي امتنعت – لغفلتها – بالجبل، فيجعل أوجَ جلال ركن الدين حَضيضَ ذُلّه، وينزل بدرجة شرفه إلى حد الهبوط، كما يجعل من بيته الموروث – الذي ظل يغتر بأن فيه عزّته، أي «ميمون دز» – وبالاً عليه.

وبتلقين النّصر والإقبال أرسل الرسل في منتصف شوال سنة أربع وخمسين وستمائة [نوفمبر ١٢٥٦] إلى الأمراء وكبار القادة الذين كانوا قد اتخذوا مواقعهم من بعيد حول القلاع مثل حزام أحاط بوسط دَبُور، وأمر بأن يتقدّم كل منهم بمحاذاة الآخرين. وأرسل «سقنجاق نوين» و«تمغا» في المقدمة مع جيش من أبناء التّرك ممَن تركوا النّوم والرّاحة وجعلوا من السيوف اللامعة قوتًا يقتاتون به. وخلفهم تحرّك الملك –مبارك القدم والرأي، ملك الملوك المؤيد بتأييد الله– بجيش مهيب من الكثرة بحيث تتوه في خضمّه يأجوج ومأجوج. جناحاه مملوءان عن آخرهما بشباب مولع بالحرب يجعل الشمال طعمة السّماك البحر في الليالي الظلماء بطعن السّنان، كما يجعل السّرطان قوتًا لأسد الفلك:

**القائلين إذا هُم بالقَنا خَرجوا**

**مِن غَمرة الموتِ في حَوْمَاتِها عودوا**[(١)]

[١١٨] إنهم رماة للسّهام، سهم كل واحد منهم يجعل «كوكبة القوس والرامي» دمارًا ووبالاً لـ«عُطارد» ويُحيل أبناء السّرج والحصان إلى بنات النعش، وقد زيّن الملك قلب الجيش برجال ذوي خبرة وتجربة ممن ذاقوا حلاوة الحياة ومرارتها، رجالٌ

---

(١) لعمرو القنا من شعراء الخوارج من جملة أبيات، انظر الحماسة ج٢ ص١٠٨. (القزويني).

يعدّون يوم المصافّ ليلة زفاف، ويضيفون حدود البيض (السيوف اللامعة) إلى خدود النساء (البيض)، ويحسبون جراح الرّماح لثم المِلاح.

وانطلقوا من طريق «الطّالقان» بسرعة الرّيح كالسّيل في انحداره ولسان النّار في صعوده، بينما حوافر خيولهم تلقي الغبار في عين الزمان.

وفي اليوم نفسه الذي تحركوا فيه اعترض طريقهم كبش جبلي، وفي الحال أطاح به بعض الشباب ممن يشتاقون إلى الشهرة، بسهامهم، فعدّ الملك ذلك فألا (حسنًا) وعلم أن الكبش النطّاح سوف يكون ضحيّة في التنّور، وأن مذهب الحسن بن الصباح سيكون بلا أتباع.

وحين عسكرت قوّات ملك العالم في ذلك اليوم [١١٩] في إقليم طالقان أمر عساكر كرمان ويزد بمحاصرة القلاع المحلية هناك مثل «آله نشين» و«منصورية» وبضعة قلاع أخر، وعزز من قوّة هذه العساكر بقوّات المغول – التي كان المُعَوَّلُ عليها.

وفي اليوم التّالي، حين رفعت الشمس قرصها المنير من ياقة الأفق ضربوا طبول الرّحيل ومن ثم تقدّموا في طريق «هزار چام»[١]، التي كانت ملتفّة ألفافًا كطيّات طُرر الغيد الحسان، بل ضيّقة كصراط يوم القيامة، مظلمة ظلمة الطّريق إلى جهنم، لا مكان فيها للأقدام فما بالك بالإقدام؟ ولا يتيسر للوعول فيها الاحتفاظ بتوازنها فما بالك ببني البشر؟ ليس من السهل الخطو في سهلها، ولا يتأتى في حَزْنِها

(١) هزار– چام، ممرّ معروف في سلسلة جبال «ألبُرز» يقع على بعد حوالي ٨٠–٩٠ ميلاً من الشمال الغربي لطهران، بين إقليم طالقان في الغرب و«كلاردشت» و«كوجور» في الشرق و«تنكابن» في الشمال. (القزويني).

إلا الحُزن [١٢٠]، ولقد مرّ الملك، وآثر اختيار المشقة والعناء على سلوك طريق الرّاحة واليُسر، وغنّى لسان الزّمان هذه الأغنية.

(بيت فارسي، ترجمته):

**بَدت المظلّةُ والسماءُ أسفلَ منها**

**بَدت سَحابًا يظلّل الشّمس**

وذلك حين فتحت [تلك المظلة] فوق قلة جبل في مقابلة القلعة[١].

ومن اتّجاه «أُستوندار»، التي تقع إلى اليمين، جاء «بوقا تيمور» و«كوكا إيلكاي» بقوات كلها نار وغضب سالكين طرقًا كلها مرتفعة وملتوية كعهود الأشرار [١٢١] قلالها مملوءة بالشعاب، ومن ناحية «ألْموت»، التي تقع إلى اليسار، جاء الأمراء: "بلغاي"، و"توتار" بعدد كبير من الرجال، كلهم طالب ثأر، ومن خلفهم قدم «كيدبوقا نوين» بحشد كأنه جبل من الحديد، فأخذت الأودية والجبال تموج بأفواج ضخمة من الرجال، أما الجبال التي كانت تتعالى برءوسها وتُظهر رباطة الجأش [١٢٢] والتجلّد فقد صارت الآن مطأطئة الرأس من وطآت الخيول والجمال وموطئًا للأقدام، وصُمّت آذان العالم من هزير[٢] هدير الجمال وأصوات الأبواق والطّبول، بينما عميت قلوب الخصوم وعيونهم من صهيل الخيول وبريق السّنان، ﴿... **وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا** ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب].

وفي أحد الأيام انضمت قوات بلا عد أو حصر بعضها إلى بعض على هيئة دائرة حول القلعة المذكورة التي هي حاضرة الإلحاد والفجور تشتمل (الدائرة) على كل صغير وكبير.

---

(١) يعني قلعة «ميمون دز».

(٢) هزير: صوت الرعد.

وفي ذلك الزمان عندما كانت تلك الطائفة في أوج قوتها واستعلاء أمرها، كان أبوه[1] «علاء الدين» قد أصدر أمرًا لكبار المسئولين والوزراء – على شاكلة [قول فرعون] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر]. لدراسة قلال تلك الجبال وتلالها [١٢٣] لمدة اثنتى عشرة سنة، حتى اختاروا ذلك الجبل الشاهق الذي يُسِرُّ بالأسرار إلى «العيّوق»[2] وعلى قمّته (التي كان بها عين ماء فوق الفوّهة، فضلاً عن نبعين أو ثلاثة ينابيع أخرى في وسط القمة) بدءوا في بناء قلعة «ميمون دز»، وأقاموا أسوارها الواقية وجدرانها من الجصّ والحصى. وعلى بعد فرسخ منها حفروا جدولاً مثل جدول «أرزيز»[3]، وجعلوا الماء يتدفّق في داخل القلعة، ويستحيل على الحيوانات –بسبب شدّة البرد– أن تجد لها مأوى أو تعيش في ذلك الموضع منذ بداية الخريف حتى الربيع.

ومن ثمّ، ظنّ ركن الدين أنه يستحيل على بشر أن يجتاز ويمرّ إلى القلعة أو يبادر بحصارها، فجبالها كان بعضها يتلوى على بعض؛ حتى إن طائر العُقاب ينكّل على عقبيه فيأبى العبور، بينما كانت الفرائس وحيوانات الصيد تبحث عن مهرب لها بين أساساتها. وبسبب الارتفاع الشاهق لذلك المكان «العِليّ» انطبق عليه قول «علي»[4]: «**ينحَدرُ عنّي السّيل ولا يَرقى إليّ الطّير**».

---

(١) يعني أبا ركن الدين.

(٢) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا.

(٣) أرزيز: نهر مشهور ملوث بالرصاص. انظر: بارتولد، تركستان، ص٨٥، ٨٩، ٤١٣.

(٤) يعني «علي بن أبي طالب» - كرم الله وجهه - فقد قال ذلك في بداية خطبته «الشقشقية» المشهورة (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٥٠). ويلاحظ الأستاذ القزويني أن المؤلف قد أفرط في استعمال الألفاظ المتجانسة المتشابهة في هذا الفصل المسمى «كتاب الفتح» بشكل مبالغ فيه، أمّا المترجم فقد عانى أشدّ المعاناة في ترجمته.

ولما رأى المقيمون بالقلعة أن القوم عددهم كعدد النمل، وهم مثل الثعبان، قد ضربوا حولها [١٢٤] سبع حلقات، وتحايلوا بسرعة حتى أقاموا مواقع لهم على الحجر الصلد، وتضامّت صفوفهم كما يحدث في «پنجه»[١]، وأمسكت أكفّ بعضهم ببعض، كان أهل القلعة إذا نظروا إليهم في وضح النهار رأوا رجالاً وأعلامًا وإذا نظروا في الليل حسبوا أن الأرض أصبحت لكثرة النيران سماء مليئة بالنجوم، [أو] أصبحت عالمًا مملوءًا بالسّيوف والخناجر، ولم يكن يبدو للعيان وَسَطٌ ولا حافة. ولشدّة الأسى أقام كل واحد منهم ممن كانوا على الأبراج والأسوار مأتمًا في قلبه وقت الابتهاج والاحتفال، ﴿... هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس].

أراد الملك الحاذق، على الرغم من ثقته في قوّته واقتداره، أن يستدرجهم إلى الفخ بأحسن الوجوه دون أن يجعل جيشه يتكبد عناء، فأرسل رسولاً إلى ركن الدين ليعلن عن وصول أعلامه، وكان لا يزال على قناعته باستمالة جانب ركن الدين وقومه قائلاً: إذا كان صلاح أمر ركن الدين قد ظل حتى الآن بالنسبة إليه غامضًا؛ بسبب كثرة وساوس جماعة من القردة والنسانيس، ونظرًا لصغر سنّه فإن عين عقله لا تنتبه من نُعاس الغفلة، ومن ثَمّ عليه الآن، وقبل أن يتعرّض قومه -الذين يشبهون النّمل ممن لا نظر لهم ولا رأي- لشدّة وطأة ﴿... لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ...﴿١٨﴾﴾ [ النمل]. أن يستبدل حكم آية ﴿...ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ...﴿١٨﴾﴾ [النمل]. بـ «**اخرجوا من أماكنكم**» ويعكس وصية الحسن بن الصباح: **عليكم بالقلاع**، فيجعلها: **عليكم [١٢٥] بالانقلاع عنها**، فينزل من القلعة ولا يلقي بنفسه إلى التهلكة؛ بسبب تدابير عصابة المدابير[٢] وأكاذيبهم التي لا طائل من ورائها، وأن يسارع -بوازع من الحظ- [بالفرار] من ورطات

(١) نوع من الرقص. (بويل).

(٢) كذا في الأصل، وهي جمع مدبور، بمعنى سيئ الحظ، والكلمة ليست بفصيحة، ولا يرد لها ذكر في كتب اللغة المشهورة، ولكنها وردت في قاموس «دوزي». (القزويني)

البليّات إلى ساحل النجاة، فالوعود التي بُذلت للإبقاء عليه هو وقومه وأهله لا تزال قائمة بل هناك المزيد منها، فلقد أرادت همّتنا العالية [الاستمتاع] في كل الأحوال بلذّة العفو والصّفح.

فأرسل[1] من القلعة ردًّا يقول فيه: «الضّبع ليس في الجُحر، كما يقولون، ولن يستطيع فعل شيء حتى يتلقّى خبرًا»؛ يعني أن ركن الدين غائب، وليس بوسعنا الخروج دون إذنه وإجازته.

وفي اليوم التّالي عاد الرّسول، وحين ارتضعت تباشير الصبح اللّبن من ثدي الليل واضطربت الدنيا من صرخات الرجال التي تشبه الرّعد وزئير الأسود، تقدّم الملك من الطريق الأيسر إلى الذّروة العليا، لفحص مداخلها ومخارجها ومشاهدة مراقيها ومعارجها، ثم عاد ليلاً من طريق آخر إلى مقرّه السّعيد، وفي اليوم التّالي -حين سلّ حُرّاس الشّمس سيوفهم البرّاقة من غِمد الأفق فأنزلت الهزيمة بجيش ظلام الليل- عزف [جند المغول] على قيثارة الحرب بينما كانوا يشربون «الصبوح» [١٢٦] وبهدف هتك ستر خصومهم المساكين أعدّوا العدّة لمعركة بالمنجنيق والحجارة، فقطعوا الأشجار التي كان [الملاحدة] قد ربّوها ورووها على مدى سنين طويلة مضت، غير عارفين بالغرض الذي سوف تستخدم من أجله، وبما ستنتج من ثمار في النهاية، فقد هذّبها [جند المغول] واستخدموها قذائف للمنجنيق:

أعلّمُه الرماية كلّ يَومٍ فلمّا اشتدّ ساعدهُ رَماني[2]

(١) الفاعل هنا - فيما يبدو - هو حاكم القلعة.

(٢) لمعن بن أوس، أو لمالك بن فهم الأزدي، أو لعقيل بن عُلّفة على اختلاف في قائله، انظر اللسان في س د د.

وفي تلك الأيام حشدوا عند كلّ مسافة -تبلغ جزءًا واحدًا من أربعة وعشرين جزءًا من الفرسخ الواحد[1]- مجموعة من الرياضيين؛ لكي ينقلوا دعائم وعمد المجانيق الثقيلة جدًا إلى القمّة.

وفي اليوم التّالي، حين رُفع غطاء الليل عن تَثُور الأرض وبرز قرص الشّمس من معدة الليل، أمر الملك حرسه الخاص بالصّعود إلى الذّروة وأن ينصبوا مخيّمه الخاص هناك.

[١٢٧]

عَلَونا دوْشَنًا . بأشَدَّ مِنهُ وأَثْبَتَ عِندَ مُشْتَجَرِ الرِّماحِ[2]

بِجَيش جَاشَ بالفُرسانِ حَتّى ظَننتُ البرَّ بحرًا مِن سِلاحِ[3]

هذا بينما أعدّ أصحاب القلعة -أثناء الليل- عُدّتهم للقتال، وعهدوا ببروج القلعة الشّامخة في السّماء إلى علوجهم فشرعوا في القتال، ونصبوا قوائم المجانيق، وفي منتصف شوال [نوفمبر ١٢٥٦] استهلّوا عمليات الإطلاق السريع للحجارة.

(بيت فارسي، ترجمته):

**شَددتَ العنانَ وأخذتَ تلعبُ بجرأةٍ**

**خسنٌ، لعلّ العنان لا يفلت في النهاية**

---

(١) في الأصل: آماج، ويساوي ١ إلى ٢٤ جزءًا من الفرسخ. (القزويني).

(٢) دوشن، اسم جبل. (القزويني).

(٣) من أبيات لأبي فراس الحمداني يمدح بها ابن عمه سيف الدولة. انظر يتيمة الدهر، ج١، ص٤٩. (القزويني).

ومن هذا الجانب أيضا كان الشبان يفلقون الرءوس بسهامهم الشبيهة بالرماح، وهم[1] لا يجدون مهربًا من الحجارة والسهام، لقد أطلقوا سهاما[2] بدت وكأنها سهم من الأجل، فأثخنت أولئك المدابير بالجراح بضرب ملك الموت، حين أخذت تتساقط كتساقط البرد من مناخل الغمام.

(بيت فارسي، ترجمته):

**[١٢٨] مرق السهم عبر الدروع، كما تمزق رياحُ السَحَرِ عبر أوراق الورود**

وحين دفعت الشمس درع الظلّ أمامها توقفوا عن القتال، وفي اليوم الرابع – الذي كان أزمة مرضيهم وبرهانًا شاهدًا على الحق– عند تباشير إسفار الصباح ارتفع الصياح والنفير والصراخ والزئير، وسلك الجانبان طريق البدء في القتال، فانطلقت من بروج القوس نجومُ السهام السريعة الرائشة[3]، واستعملوا «قوس الثور»[4]، الذي كان الحرفيّون المهرة الخطائيون قد صنعوه ويبلغ مداه ٢٥٠٠ خطوة؛ لكي يتم إطلاقه على أولئك المفضوحين، وذلك حين لم يجدوا علاجًا غيره، وقُتل الكثيرون من جند الملاحدة الأبالسة بنصال مثل الشهب، كما كانت الحجارة تسقط من القلعة كالأوراق، لكن لم يصب أحدٌ بجروح إلا واحد فقط أسفل القلعة.

فلما عاينوا في ذلك اليوم قوّة قبضة المغول توقفوا عن القتال، وقرع أرباب القلعة باب الصلح بعد [أن اكتووا] بحُمّى الحرب، فأرسل ركن الدين رسولاً برسالة مؤدّاها: «لقد أخفيت نفسي حتى الآن؛ لأنني لم أكن متأكدًا من وصول جلالتكم،

---

(١) يعني الملاحدة.

(٢) يعني المغول.

(٣) أي ذات الريش.

(٤) في الأصل «كمان گاو» (قوس الثور) «ويبدو أنه كان نوعا من المجانيق أو هو نشاب ضخم لا يقذف الحجارة بل يقذف الحديد». (بويل).

سوف يتوقف الجيش الآن عن القتال وينصرف عن الحرب، سأخرج اليوم أو غدًا وأجعل تراب البلاط «توتياء»[1] لعيني».

بهذه الحيلة والخداع ألقى ذلك المخاتل المخادع الماء على النار حتى أقلعوا عن القتال في ذلك اليوم، [١٢٩] ثمّ إنهم كفّوا في اليوم التّالي عن الخصام والنّقار؛ انتظارًا لنزوله وانحداره [من القلعة]، وفي آخر النّهار أرسل رسولاً آخر والتمس إصدار أمر ملكي لمنحه أمانًا لشخصه، فصدر الأمر لمبشّر هذه البشارات[2] بأن يكتب أمرًا ملكيًا استجابة لطلبهم، ولما كان نصّ هذا الأمر لا يتناسب مع إدراجه هنا فقد تم إثباته مع أحداث أخرى في «تاريخ جهانـگشاي» للجويني[3]، وتم إرساله إلى ركن الدين، وقرئ على ملأ من الناس منهم فابتهج أولئك الذين كانت بهم مُسكة من عقل وإيثار لأموالهم وأنفسهم.

وحين بلغ النّهار نهايته وحل اللّيل فتبدّل الظّلام بالضّياء وعدوا بأن سينزل في اليوم التالي، فلما وُلد الغد من ظلمة اللّيل الدّامسة واستعدّ للنّزول، بلغ جماعة من غلاة الفدائيين الغاية في الاعتراض ولم يرضوا بنزوله، لدرجة أنهم عزموا على التخلّص من أولئك الذين كانوا يحرّضونه على اتّخاذ قرار النزول.

فلم يلبث ركن الدين أن أرسل –مرة أخرى– شخصًا برسالة يقول فيها: «كنتُ قد أعددتُ الهدايا [لتقديمها إليكم] [١٣٠] قبل المبادرة بحضوري، لكن أغلب أتباعي قد استبد بهم الغضب وصمّموا على التخلص منّي قبل تنفيذ هذه الخطّة، ومن ثم فقد أُحبط عزمي».

---

(١) التوتياء: حجر يُكتَحَلُ بمسحوقه (معرّبة)، المعجم الوسيط.

(٢) يعني نفسه؛ أي علاء الدين عطا ملك الجويني، مؤلف الكتاب.

(٣) نص هذا الأمر ليس موجودًا في نسخ الكتاب التي بين أيدينا، ويبدو أن المؤلف نسي أن يفي بوعده. (القزويني).

وحين أبلغ الرسول هذا الكلام إلى سمع «الإيلخان» المبارك، لم تظهر على ملامحه أيّة بادرة تدل على استياء في داخله، قلّ أو كثر، وقال: لأولى بركن الدين أن يحافظ على حياته، ثم صرف الرّسول.

وخلال مجيء الرّسل وذهابهم تم العثور على مواقع مناسبة لنصب المجانيق، حيث تم نقل أجزائها وتجميعها وتركيبها بسهولة، وفي اليوم التالي: (بيت بالفارسية، ترجمته):

**حين شقّت الشّمسُ الحجابَ الملوّن بالقار**

**ثُمّ خرجت من ورائه:**

**[١٣١]** صدر الأمر بأن على كلّ شخص على مدار القلعة أن يلتزم [بالعدو] الذي أمامه وأن على كلّ شخص -حيثما كان- أن يتحرّك إلى الأمام ويسعى للاشتباك بالخصوم، فتعالت صيحة القتال وتجاوب معها الصّدى من مدار القلعة، على مسافة فرسخ أو أكثر، وتملّكت الرّعدة أوصال الجبال وأعضاءها من دحرجة الصّخور التي يدفعونها من أعلى، وأخذ قلب الحجر الأصمّ يتحوّل إلى تراب؛ بسبب تصادم الصخور [المندفعة من علٍ][1]، وتمزّق جيب الفلك الأعلى من تكاثر الصّوْلات، أما مقاليع المجانيق – التي تمّ نصبها خلال ذلك اليوم، فكانت حجارتها قد صنعت من أخشاب أشجار الصّنوبر التي بلغ عمرها مائة عام وكانت ثمارها (كقول الله تعالى): ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾[الصافات]، فمن أول حجر أطلق منها تحطّم منجنيق العدو، وسُحق كثيرون تحته، وغلب الرّعب والفزع عليهم من السّهام التي كانت تغشاهم من كلّ جانب، فتفرّقوا جميعًا، واتّخذ كل واحد منهم ملاذًا من الحجر كدرع واق في ركن من الأركان، هذا بينما أخذ بعض من يقفون على أحد الأبراج يزحفون من هول الموقف كما يزحف الفأر داخل الجحور أو كما تهرب

(١) في الأصل: صخرات صحرات، كذا! وصحرات، لا معنى لها. (القزويني).

السّحالي إلى [۱۳۲] داخل جُحْر كل جُحْر، وجُرح بعضُهم ولقي بعضهم حتفه، وطيلة ذلك اليوم أبدوا مقاومة لكنها عاجزة وتحركًا كتحرك النساء. وحين أزاحت السماء قلنسوة الشمس عن رأسها ورفعت الأرض حجاب الليل من الثَّرى إلى الثُّريا، أمسكوا عن القتال.

وما إن أطلّ ملك الضّياء من جيب المشرق حتى شرع الصّفوة من جنود جيش الملك في العمل، وأخرجوا أيديهم من كُمّ الجهاد مسندين ظهر الثبات إلى جبل المقاومة.

لقد رأى ركن الدين أنه لن ينال إلا الحسرة، وأنه ظلّ طيلة هذه المدّة يزجي الوقت بسوف ولعلّ، ويعيد الرّسل بمعاذير غير مقبولة، وما زال حتى الآن يماطل على المنوال نفسه على أمل أن يجعل نَدّافُو قطن الشتاء جيش الملك نِدفًا ومِزَقًا متفرّقة، إلا أنه رأى أن انتظار الشتاء والثلوج وَهْم، فبفضل الحق -عزّ شأنه، وميامن الحظ المتزايد للملك- لم يُبْدِ يوم من تلك الأيام وجهًا عابسًا، ولم تحجب الشمس سحب الغمام، وطيلة شهر «دي»[١] كان «الأمس» أكثر برودة بالقياس إلى «اليوم»، و«غدًا» أكثر لطفًا من اليوم، وكلّ الثلوج التي كانت قد سقطت [۱۳۳] في أول فصل الخريف – أي قبل وصول كل هؤلاء الخصوم – قد توقّفت، ولا يتذكّر أي واحد من الرّجال المسنّين ممّن بلغوا من العمر مائة عام أنه كان بإمكان أحد أن يدخل هذه البقاع، أو يخرج منها منذ بدء حلول الشّمس في أول نقطة الميزان، وذلك بسبب برودة الجوّ، وسقوط النّدى وكثرة الثّلوج، وفي ضوء هذه الظروف لم ير ركن الدين ملجأ وملاذًا إلا في الاستسلام والالتياذ بظلّ الاسترحام، ولجأ إلى التضرّع والتشفّع من شدّة البأس والخوف والرّعب. (بيت فارسي، ترجمته):

---

(١) شهر «دي» يمثل أكثر شهور شتاء السنة الإيرانية برودة (٢٢ من ديسمبر من السنة الشمسية – ٢١ من يناير). والمؤلف هنا يتلاعب بالألفاظ فلفظ دي، يعني الشهر المذكور كما يعني أيضا أمس أو البارحة.

**إذا دفع قهرك طلائعه إلى البحر، لتحوّلت**

**الدُرَّة إلى حبّة رُمّان في أعماق حلق الصدف**

فبعث برسل، والتمس المغفرة والعفو عن جرائمه الماضية. وهنا سطّرت العاطفة الإمبراطورية العامة والرّحمة الملكية التّامة –بقلم القدرة– آية ﴿... **فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ** ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر]، على صفحات أعماله وأعمال قومه.

وبدأ ركن الدين في إخراج أغلب الأعيان والوزراء بصحبة ابنه، وفي اليوم التّالي نزل بنفسه بعد أن حظي بوعد بالمعاملة بالإحسان.

كان ذلك اليوم المبارك هو سلخ شهر شوال من هذا العام [١٩ من نوفمبر ١٢٥٦م] وهو من ثَمّ سلخ إقبال أصحاب الجبال بل كان غُرَّة تباشير لطف ذي الجلال.

جملة القول: إن ركن الدين نزل من تلك الذُروة العالية والمكمن الرفيع الذي كان يظنّ نفسه وهو في أعلاه (بيت فارسي ترجمته):

**كأني على جبل «جلنباد» المنيع، فَغفُور على عرشه ويور على سريره**[١]

نزل وهو يتعثر من الحيرة والذُهول ﴿... **كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ**... ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام]. [١٣٤] وودّع ذلك المقام المألوف والوطن المعروف بآلاف الآلام والحسرات وداعًا لم يكن يتصور معه العود إليه مرّة أخرى. وهل تثبت كثرة القلاع واستحكامات الحصون أمام سابقة حُكْم الأزل، ومتى كانت بنات الأفكار وثبات العقول مساعدًا ومعينًا عند انقضاء الدُول؟ إن إشارة واحدة من القَدَر تبطل

---

(١) من جملة أبيات لمظفر خمج من الكتبة في عهد السلطان سنجر السلجوقي، وفغفور لقب إمبراطور الصين، ويور لقب الإسكندر الأكبر عند الهنود.

مئات الآلاف من التّدابير المموّهة، كما أن نصف إيماءة من القضاء تجعل الملايين من تلبيسات البشر هباءً منثورا:

الدّهرُ يلعبُ بالوَرَى لَعِبَ الصَّوالِج بالكُرهْ
والدّهرُ قنّاص وما الـ إنسانُ إلاّ قُنْبَرَهْ[1]

وما إن سارع ركن الدين إلى النّزول مع أهله وقومه حتى وجد الملاذ؛ بسبب تشرّفه بتقبيل عتبة بلاط ملك العالم، واعترف بالجرائم والآثام التي كان قد اقترفها في الأيام الماضية والشهور السالفة وهو في حالة من الخجل والنّدم، غير أنّ لطائف العواطف الإمبراطورية وروائع الصّنائع الملكية أحالت ما كان يشعر به ركن الدين من استيحاش واستنفار[2] إلى استئناس واستبشار، وبعثت إلى روحه بشرى الحياة له ولقومه بعد أن ظنّوا أنهم موتى.

وفي اليوم التالي أنزل كلّ إخوته وأبنائه وأهل بيته وعائلته وثقاته وسكّان القلعة إلى الوادي [١٣٥] فخرج كلّ من كان هناك من الجند ببضائعه وأمتعته، ودخل جيش المغول فأخذ في هدم الأبنية، وكنسوا ترابها بمكنسة الفناء[3].

وفجأة وثب جماعة من غُلاة الفدائيين –مضحّين بأرواحهم في سبيل الضّلالة والجهالة– باحثين عن هلاكهم برغبة قلوبهم باسطين أجنحتهم كالنمل حتى ارتقوا القبّة المشيّدة للقصر، والتي كانت مجلسًا لحكّام المملكة ومُدبّري أمرها بل لمُدبري الديّن

---

(١) من أبيات للقاضي أبي الفضل أحمد بن محمد الرشيدي اللوكري. (القزويني).

(٢) كذا في الأصل بالعربية، ويعني به النفور.

(٣) الفناء، إضافة من إحدى نسخ الكتاب الخطية ج، انظر هامش ١ من الأصل.

والدّنيا، ولو أراد الله بالنّملة صلاحًا لما أنبت لها جناحًا[١]، وبسطوا أيديهم للقتال، ومن جانب الجيش المظفّر تمّ توجيه المجانيق نحو أولئك الزّنادقة عُمْي الأبصار مُعْوَجّي الأفئدة، فبدأ الإطلاق السّريع للحجارة والسّهام الطّائرة المباغتة وكأنه اللعنات المنصبة على إبليس.

وطيلة ثلاثة أيام بلياليها واصلوا المقاومة، وفي اليوم الرابع صعد شجعان الجيش -الذين هم أشبه ما يكونون بالشجاع[٢] والبواسل الأشدّاء- فوق تلك القبّة الشّامخة السّامقة وسحقوا أولئك الضُلّال صلال[٣] الفعل، ومزّقوا أعضاء أولئك التّعساء وأجزاءهم إربًا.

وبصرف النظر عما كان في خزائن "ميمون دز"، فإن ركن الدين لم يكن يملك شيئًا جديرًا بأن يُقدَّم كهدية للملك [١٣٦] ذلك لأنّ كل ما كان يملكه ركن الدين قد تفرّق ووُزّع أثناء تحرّك القوّات جيئة وذهابًا، فلم يبق بيده شيء ووزعها الملك كلّها بسخاء، وجاد بها على أركان الدولة وفيالق المملكة.

ثم أرسل إلى القلاع الأخرى التي كانت تقع في ذلك الوادي[٤] رسله وضبّاطه مع رسل الإيلخان بتعليمات لتدميرها، ورجع الملك موفّقًا مظفّرًا.

---

(١) منسوب إلى عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور، كتبه عن مروان بن الحكم إلى أبي مسلم الخراساني، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣١٣، ٤: ٣٧، انظر أيضًا مجمع الأمثال ١:٥٧.

(٢) الشّجاع: الثّعبان.

(٣) صلال: كذا في الأصل كلمة عربية، وتعني الثعبان الذي لا دواء لسمّه.

(٤) في الأصل: رودخانه: ضفتا النهر.

وتوجه أحد الرّسل إلى حاكم «ألموت»؛ لكي يدعوه للإذعان والطاعة بدوره وأن يلحق بسيّده في الخضوع والولاء، فلبث متردّدًا في النزول على الفور، فانتدب الأمير «بلغاي» مع قوة كبيرة من الرّجال لحصار القلعة، فقاد «بلغاي» الجيش حتى بلغ أسفل «ألموت» وفرض حصارًا حولها من كل جانب.

وحين أمعن سكان القلعة النّظر في عواقب الأمر وتصاريف القدر أرسلوا رسولاً بطلب الأمان وسؤال المعاملة بالإحسان، وتوسّط ركن الدين من جانبه حتى قبل الملك الصّفح عن جرائم القوم.

وفي أواخر ذي القعدة من السّنة المذكورة [أوائل ديسمبر ١٢٥٦] نزل كلّ سكان تلك البؤرة -التي هي بدعة الطغيان وعشّ الشّيطان- بكلّ بضائعهم وأمتعتهم إلى الوادي.

وخلال ثلاثة أيام بلياليها وثب الجيش إلى القلعة واستولى على ما عجز القوم عن حمله، ثم أضرم الجند النّار على الفور في مختلف أنواع الأبنية والمنازل، ونثروا ترابها بمكنسة الدّمار في الرّيح وسوّوها بالأصل [١٣٧] (بيتان بالفارسية، ترجمتهما):

**- مَخَافَةُ الموتِ لا تَليق في يَوْمَين: يومٌ**

**يَحلُّ فيه القضاءُ ويومٌ لا يَحلُّ فيه القضاء**

**- فيومَ يحلُّ القضاءُ لا ينفعُ دَفْعُه، ويومَ لا**

**يحلُّ القضاءُ لا يليقُ الخَوفُ فيه**

ذات ليلة حين حلّ القضاء انطبق على ذلك كله حُكْمُ قَالَ تَعَالَى: ﴿...جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا...﴿٨٢﴾﴾ [هود] عند انبلاج الصُّبح، ويوم لم يحن القضاء حين حاصر

محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان قلعة ألموت هذه نفسها أيام الحسن بن الصباح لمدّة أحد عشر عامًا ولمرّات عديدة مع قلّة ما فيها من عُدَدٍ وذخيرة (وهي قصة يتعين مطالعتها من كتب التاريخ) لم يُجْدِ ذلك كلّه شيئًا.

ومن المقرّر والمؤكّد عند الرّجل البصير هو أن لكلّ بداية نهاية ولكلّ كمال نُقصان، فإذا ما حان الحين لا يمكن لشيء أن يحول دونه، وقال رسول الله ﷺ: **«حقٌّ على الله أن لا يرفع شيئا إلا ويَضعَهُ».**

وفي هذا الأسبوع نفسه وصل شمس الدين حاكم قلاع قهستان، وطلب مرسومًا من الملك، ثم إنه اصطحب ثِقاة ركن الدين من أجل تخريب كلّ القلاع بدءًا بـ «گردكوه»، وكان عددها أكثر من خمسين، بقيت في إقليم قهستان ترفع أيديها في مواجهة السماوات وتطاول الكواكب؛ لكي يُحيلوا بذلك خمر تصوّراتهم [١٣٨] إلى سراب.

وجاء من نواحي «ديلمان»(١) و«أشْكَوَر»(٢) و«طارم» و«خركام»(٣) محافظون للقلاع انخرطوا في زمرة العبيد المطيعين للملك وحصلوا على مراسيم ملكية، ثم خرّبوا القلاع.

وفي أول ذي الحجة من الحجة المذكورة [٢١ من ديسمبر ١٢٥٦] لَوَى الملك -أدامه الله شمسًا ساطعة- عنان الانصراف صوب المعسكر، ووزّع كلّ ما كان قد غنم من غنائم على الشّريف والوضيع من قوّات التّرك والتّازيك، وبعث بركن الدين -

---

(١) ديلم أو دَيْلمان موطن الدّيالمة، المعروفين بآل بويه الذين حكموا جنوب إيران والعراق (٣٢٥-٤٤٨ / ٩٣٢-١٠٥٥) وتقع ديلمان حاليًا في شرق جيلان وغرب مازندران. انظر مينورسكي، حدود العالم، ص٣٨٥، ٣٨٧، ٣٨٨ (بويل).

(٢) منطقة قروية تحفّها الجبال في غرب جيلان. (فرهنك معين).

(٣) اسم قرية من قرى منطقة «هزار جريب» إقليم مازندران، راجع رحلة رابينو *Mazandran and Astrabad* ص *124*. (بويل، لغت نامه دهخدا).

وبصحبته كلّ أقاربه من بنين وبنات- إلى قزوين وحدّد إقامتهم هناك، ونزل الملك - أبقاه الله حتى نَفْخ الصّور- مؤيّدًا مظفّرًا بالمعسكر حتى آخر هذا الشهر المذكور، فحلّ هناك كما تَحلّ الشّمس بمنزل الشّرف.

(بيت بالفارسية، ترجمته):

**في سَماء حضرته قَدم شمسُ المُلوك، مُوفقًا مُظفرًا من رحلةِ صَيْد مَلَكية**

فمن ذا الذي رأى رَأيَ العين كيف حلّت السكينة بالعالم بركضة واحدة، وأيّ حكيم ذاك الذي سمعت أذنُه أن الجِصان الجامح قد تمّ ترويضُه كالجَمل المنيف بحركة واحدة؟

بهذا الفتح الذي يتساوى مع فتح «خَيْبَر» (فالعيان يغني عن الخبر والمشاهدة تكفي عن الحكاية) اتّضح السرّ الإلهي في خروج جنكيزخان وبانت المصلحة في انتقال المُلك إلى مَلِك الدّنيا «منكوقا آن». [١٣٩] فبهذا النّصر المُبين استقرّت مفاتيح ممالك العالم في يد قوّة [المغول]، وفُتحت مغاليق بقايا بلاد الأقاليم التي ظلّت مستعصية على الفتح؛ بسبب ضِنَّة الزّمان.

سمّاه الصّالحون «فتح الفتوح» بينما لقّبه الطالحون بمصباح الصَّبوح[١]، بهذه البشارة أخذت النّسائم تواصل هبوبها، وطيور الجوّ تواصل تحليقها، ويهنّئ الأولياء أرواح الأنبياء، ويبعث الأحياء البشرى للأموات:

**فَتْحٌ تَفَتَّحَ أبوابُ السَّماءِ لَه**
**وتَبْرزُ الأرضُ في أبْرادِها القُشُبُ[٢]**

(١) "أي أن كل امرئ رأى هذا الفتح من وجهة نظره، لكن الجملة يمكن أن تكون مثلاً يُضرب للشمس كأن يُقال: هاهي ذي الشمس" (مينورسكي، حاشية ٨١ ص ٦٣٨ من الترجمة الإنجليزية للكتاب).

(٢) البيت لأبي تمّام في مدح المعتصم.

يا له من علاجٍ ظَهَر في هذا العالم: عالم الكون والفساد، ويا له من سرور وارتياح بدا في الدنيا التي هي وكر الغمّ والحزن.

**أما أراهُ اليومَ يا ربِّ في الصَّحو أم في المَنام**[١].

لم يبق للفئة الصّباحية الباغية والطّائفة الطّاغية المُباحيّة حَجَر مبنيٌّ على حَجَر في موطن الإلحاد بمنطقة «رودبار ألموت»[٢].

فقد كتب نَقّاشُ الأزل بقلم القهر على مدخل دار كل إنسان في الوكر العامر بالبدعة «**فتلك بيوتهم خاوية**»، ونادى مؤذّن القضاء صارخًا على الأركان الأربعة لمملكة أولئك المخاذيل بنداء «**فبعدًا للقوم الظالمين**» وذهب حريمهم المشئوم وحرمهم كمذهبهم الباطل بَدَدًا، وأصبح ذهب أولئك الحمقى المخادعين المزوّرين – والذي بدا وكأنه إبريز خالص – [١٤٠] رصاصًا حقيرًا.

واليوم، وبفضل يُمْن الملك الذي يشعّ نوره على العالم، لو وجد أحد الفداوية[٣] في ركن لوجدته مؤثرًا أن يفعل فعل النساء[٤]، وحيثما وجدت داعيًا[٥] رأيته ناعيًا، وقد صار كل رفيق[٦] رقيقًا[٧]، وغدا كل واحد من أصحاب الدعوة الإسماعيلية ذبيحًا

---

(١) للشاعر الفارسي أوحد الدين الأنوري، الديوان، طبع تبريز ص١٢. (القزويني).

(٢) انظر فيما يلي حواشي الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني، ص ٣٤٣ فيما يلي.

(٣) في الأصل «كارد زن» الضّارب بالخنجر، ويعني بهم جماعة الفداوية أو الانتحاريين الذين يضربون بالخنجر غير مبالين بالموت، ويطلق عليهم أيضًا «الحشاشون».

(٤) أي يتخفّى عن الأنظار كما تفعل النّساء؛ حفاظًا على حياته. (القزويني).

(٥) داعي، من اصطلاحات الباطنية، ويمثّل درجة من بين درجاتهم وألقابهم ورتبهم كالمأذون والحجّة والإمام والأساس والناطق، راجع كتاب دولة الإسماعيلية في إيران، للمترجم، طبعة الدار الثقافية بمصر سنة ١٩٩٩، ص٣٩.

(٦) رفيق، من اصطلاحات الباطنية في إيران، ويبدو أنه كان يطلق فيما بينهم على كل من يتبع مذهبهم. (القزويني).

(٧) رقيق، بمعنى العبد.

لضاربي السيف الأحمدي[١]، وصار «مولاناهم» الذي يقولون له: **اللهم مولانا**[٢] - **فاها بفيهم**[٣]- [١٤١] عبدًا لأولاد الزنا[٤] (من جند المغول)، أما إمامهم العالم الحكيم، بل سيدهم[٥] في هذا العالم - وهو من كانوا يعتقدون فيه أنه ﴿... **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن]. فقد وقع كالفريسة في فخ القدر، وأما السادة فيهم[٦] فقد غدوا بغير قوة وحِشمة، كما غدا أصحاب العزّة[٧] فيهم بغير عزّة وحُرْمة، وكل من كان فيهم شريفًا صار كالكلب مهينًا، كما صار صاحب كل حصن أهلاً لأن يُقدّم إلى المشنقة، وفقد كل رئيس لقلعة من قلاعهم رأسه وصولجانه، نعم، صاروا بين الخلائق أذلاّء

---

(١) لعله يريد بالسيف الأحمدي سيف الإسلام، كما فسره بويل المترجم الإنجليزي للكتاب.

(٢) يتضح من كتب التواريخ أن خلفاء الإسماعيلية وملوكهم كان أتباعهم في كل من مصر وإيران يخاطبونهم بـ «مولانا» و«مولى» ولكن يتبين مما نقرأه هنا أنهم كانوا يطلقون عليهم أيضًا: «اللهم مولانا»، مما يدل على نوع اعتقاد بألوهيتهم (هذا إن لم يكن ما يقوله المؤلف محض اتهام). (القزويني)

(٣) فاها بفيهم، كذا في الأصل، جملة دعائية في العربية، قال في اللسان: «هو من أمثالهم في باب الدعاء على الرجل.. إنما يريد فا الداهية، وقيل: معناه الخيبة لك، وحكي فاهًا بفيك منوّنًا أي ألصق الله فاك بالأرض».

(٤) في الأصل: مولى مولان، ومولى: العبد، ومولان جمع مول وتعني بالفارسية ولد الزّنا وابن الحرام، ويطلق على جند المغول، وينطوي على سباب فاحش لجُنْد المغول، وله نظائر في هذا الكتاب. (القزويني).

(٥) في الأصل «خداوند»، واللفظ على التحقيق هو: خواند وخوند وخُنْد، وكان من الألقاب الخاصة بملوك الإسماعيلية في إيران منذ الحسن بن محمد بن بزرك أميد ومن أتى بعده... (القزويني)

(٦) في الأصل: محتشمان، جمع محتشم، وهو كبير الفاطمية.

(٧) في الأصل: كيا، بمعنى حكام القرى وملاك الأراضي وحراس الحدود ومن في حكمهم.

كاليهود، وكالشوارع ترابًا تدوسه الأقدام، قال تعالى: ﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ...(٦١)﴾ [البقرة]، ﴿... أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ...(٢٥)﴾ [الرعد][1].

ها هم أولاء اليوم ملوك الروم والفرنج ينعمون بنوم هادئ هنيء وهم الذين ظلّت وجوههم شاحبة؛ خوفًا من أولئك الملاعين فكانوا يدفعون لهم الجزية ولم يكن ينتابهم خجل من تلك الجزية.

لقد استراح النّاس جميعًا -وبخاصة أهل الإيمان- من شرّ مكيدتهم وخبث عقيدتهم، بل إن كل الأنام من خاصّ وعامّ كرام ولئام قد عمّتهم الغبطة وشملهم السّرور، وأصبحت حكاية رستم بن دستان[2] إذا قورنت بهذه الأحداث ضربًا من أساطير الأولين.

إن إدراك البصائر إنما يتحقّق من خلال هذا الفتح المبين، ونور النّهار الذي يضيء العالم إنما يزهو ويزدان بهذا الأمر، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾ [الأنعام].

* * *

(١) آيتان من سورتين لا آية واحدة كما يُتوهَم في بادئ الأمر ﴿... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ...﴾ [البقرة]، ﴿... أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ...﴾ [الرعد].

(٢) رستم بن دستان: البطل الأسطوري عند الفرس.

## ذكر تقرير

# مذاهب الباطنية والإسماعيلية وأحوالهم[1]

فى صدر الإسلام بعد أيّام الخلفاء الرّاشدين -صلوات الله عليهم أجمعين- ظهر من بين المسلمين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الإسلام؛ فقد رسخت عصبية المجوس في قلوب هذه الطّائفة. [١٤٣] ولكى يشيعوا بين الناس الشكّ والضّلال أذاعوا أقوالاً مؤدّاها أن لظاهر الشريعة باطنا سُتر عن أكثر النّاس، ودعموا هذه الأباطيل بالأقوال التي وصلت إليهم عن فلاسفة اليونان، كما اقتبسوا بعض المبادئ من مذاهب المجوس. ولكى لا يشنّع عليهم أهل الإسلام، بل لكى يشيّعوهم[2] كانوا ينكرون على طوائف فرق المؤمنين أنهم لم ينصروا آل بيت الرسول -صلوات الله عليهم- خاصّة عندما جهر بظلمهم يزيد[3] وأتباعه -عليهم ما يستحقّون- فلم ينتقم لهم أحد من بين هؤلاء الأمراء وأهل الحلّ والعقد، ورضوا بخلافة آل يزيد.

---

(١) هوامش هذا القسم كلّها كتبها محقّق الكتاب الأستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني، عدا الهوامش التي تمّ التنبيه فيها على أنها للمترجم.

(٢) شيعه على رأيه تابعه وقواه، وفلان يشيعه على ذلك أى يقويه (لسان العرب).

(٣) يعنى يزيدَ بن معاوية الخليفة الأموى الثانى. (المترجم).

ولما انفصل الكيسانية[١] عن باقى الشّيعة، وتبعوا محمد بن الحنفيّة انضم أولئك إلى الكيسانية ونسبوا إليه[٢] تقرير العلوم الباطنية، إلى أن خرج زيد بن علىّ، ورفضه شيعة محمد[٣] بن علىّ بن الحسين -صلوات الله عليهم- ورضوانه، فقيل: رفضوا زيدًا. وقد ظل اسم الرافضة[٤] يطلق عليهم منذ ذلك الحين، ولما أصيب الكيسانية بالوَهَن؛ بسبب نقص عددهم وعُدّتهم انضم هؤلاء القوم إلى الرّوافض.

وكان من بينهم شخص من أعقاب [١٤٤] جعفر الطيار[٥] يقال له: عبد الله

---

(١) الكيسانية فرقة من فرق الشّيعة. يقول الشهرستانى (الملل والنحل ج١ ص ٢٨٠): إنهم أصحاب كيسان مولى على بن أبى طالب. بينما ينسبها النوبختى (فرق الشّيعة ص ٢٣) والقمى (المقالات والفرق ص ٢١) إلى المختار بن أبى عبد الله الثقفى وكان لقبه كيسان. وهم الذين قالوا بإمامة محمد بن على بى أبى طالب المعروف بابن الحنفية. (انظر أيضا مقالات الإسلاميين للأشعرى ج١ ص ١٦ - ٢١، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧ - ٣٤، الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٧٩ - ١٨٠). (المترجم).

(٢) يعنى: إلى محمد بن الحنفية.

(٣) يعنى: الإمام محمد الباقر.

(٤) إلى مثل هذا الرأى في سبب تسميتهم بالرافضة أو الروافض يذهب الفخر الرازى (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٢) فيقول: "وإنما سُمّوا بالرافضة لأن زيد بن على بن الحسين خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه فقال لهم: رفضتمونى؟ قالوا: نعم. فبقى عليهم هذا الاسم". ولكن الأشعرى يقول في مقالات الإسلاميين ج١ ص ١٥: "وإنما سمّوا الرافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر". وانظر وجهًا آخر في سبب هذه التسمية لدى كل من النوبختى (فرق الشّيعة ص ٦٣) والقمى (المقالات والفرق من ص ٧٧). وانظر أيضًا البغدادى (الفرق بين الفرق ص ٢٥)، ابن الجوزى (تلبيس ص ١٠٣)، الإسفراييني (التبصير في الدين ص ٧٥). (المترجم).

(٥) في سبب تسمية جعفر بالطيار انظر عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب، طبع بومباى ص ١٨ - ١٩.

ابن معاوية[1] قبل دعوة الروافض، وتبحّر في ذلك المذهب، ووضع المؤلّفات في توطيده، ومن جملة مؤلّفاته أنه اخترع جدولاً[2] في تعيين أوائل الشّهور العربية، وقال بعدم الحاجة إلى رؤية الهلال، وقد نسب وضع الجدول - وهو بحر الضلال - إلى أئمّة أهل البيت -رضوان الله عليهم- وقال: إن الإمام يستطيع رؤية الهلال، ولا يمكن لأحد غيره أن يشعر به، فأوائل الشّهور تقع قبل التمكّن من رؤية الهلال. فأنكر ذلك عليه روافض الشّيعة ودب بينهم الخلاف، فأطلق جماعة الجدوليين على أنفسهم اسم "أهل العلم الباطن" وأطلقوا على باقى الشّيعة اسم "أهل الظاهر".

[وظل الأمر على ما كان عليه] حتى جاء عصر جعفر الصادق رضى الله عنه، وكان له أربعة أولاد أكبرهم إسماعيل الذى كان حفيدًا للحسن من جهة أمّه[3]،

(١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب خرج على بنى أمية في أواخر أيام دولتهم واستولى على فارس وإصفهان وكرمان، لكنه قتل في النهاية على يد أبى مسلم الخراسانى في سنة ١٣٠هـ، انظر الطبرى ٢: ١٨٧٩ - ١٨٨٧، ١٩٧٦ - ١٩٨٠ وابن الأثير في حوادث سنتى ١٢٧و ١٢٩. (المترجم).

(٢) أبو الريحان في الآثار الباقية ص ٦٤ - ٦٨ وأبو منصور البغدادى في الفرق بين الفرق ص ٢٥٦ ينسبان وضع هذا الجدول إلى عبد الكريم بن أبى العوجاء الزنديق المعروف. ولم أعثر في أى مرجع من المراجع المتعلقة بترجمة حال عبد الله بن معاوية أو الخاصة بشرح مذهبه وطريقته على ما يثبت نسبة وضع هذا الجدول إليه كما يزعم الجوينى.

(٣) أم إسماعيل هى فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن على بن أبى طالب: "فولد جعفر بن محمد إسماعيل الأعرج وعبد الله وأم فروة أمهم فاطمة ابنة الحسين الأثرم بن الحسين بن على بن أبى طالب "(الطبرى القسم الرابع، ص ٢٠٥٩). "وأما إسماعيل بن جعفر الصادق ويكنى أبا محمد وأمه فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن على بن أبى طالب، وكان أكبر ولد أبيه ويعرف بإسماعيل الأعرج "(عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب، ورقة ١٤٣). "ومكث الصادق خمسا وعشرين سنة لا ولد له إلا إسماعيل وعبد الله وأم فروة وأمهم فاطمة بنت الحسين بن الحسن" (دستور المنجمين ورقة ٣٣٣، نسخة المكتبة الأهلية بباريس رقم *Arabe 5968*).

والثاني: موسى وكانت أمه أم ولد، [١٤٥] والثالث: محمد الدّيباج[١] وهو مدفون بظاهر جُرجان[٢] بجانب قبر الدّاعي[٣]، والرّابع: عبد الله المعروف بالأفطح[٤]، قال الشّيعة: إن جعفرا إمام معصوم، وقد نصّ على ابنه إسماعيل، غير أن إسماعيل كان يعاقر الخمر فأنكر جعفر الصادق عليه ذلك، وقد روى عنه أنه قال: "إن إسماعيل

---

(١) "محمد الديباج بن جعفر الصادق لُقّب بذلك لحسن وجهه" (عمدة الطالب طبع بومباى ص ٢١٨). (المترجم).

(٢) "ومن مزار الأكابر (فى جرجان) قبر محمد بن جعفر الصادق، وهذا المزار مشهور باسم القبر الأحمر" (نزهة القلوب ص ١٥٩).

(٣) المراد بالدّاعى هو: "محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ملك طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد الداعى الكبير وأقام سبع عشرة سنة وسبعة أشهر، ثم حاربه محمد بن هارون السرجينى صاحب إسماعيل بن أحمد السامانى فقتله وحمل رأسه إلى بخارى ودفن بدنه بجرجان، عند قبر الديباج محمد بن الصادق عليهما السلام "(عمدة الطالب ص ٧٠ طبع بومباى باختصار). ومحمد بن زيد هذا هو أحد السادات العلوية الذين حكموا طبرستان منذ سنة ٢٥٠هـ، واستمر حكمهم لها حتى سنة ٣١٦هـ عندما استولى أسفار بن شيرويه الدّيلمى عليها. ومحمد بن زيد يعد واحدا من الأربعة الكبار الذين حكموا تلك البلاد وكانوا يتمتعون بالاستقلال عن من سواهم، أولهم: الحسن بن زيد المعروف بالدّاعى الكبير (٢٥٠ – ٢٧٠هـ)، وثانيهم: محمد بن زيد المذكور وهو معروف بالداعى على إطلاقها (٢٧٠ – ٢٨٧)، وثالثهم: الحسن بن على الحسينى المعروف بناصر الحق والناصر الكبير الذى كان له الفضل في إدخال الديالمة والجبل في الإسلام (٣٠١ – ٣٠٤) والرابع: هو الحسن بن القاسم الحسنى المعروف بالداعى الصغير (٣٠٤ – ٣١٦)، وفى السنة الأخيرة قتل على يد أسفار بن شيرويه، فانقرضت بموته تلك الدولة. (انظر الطبرى القسم الثالث في مواضع عديدة وابن الأثير تحت السنوات المذكورة، وتاريخ طبرستان لسيد ظهير الدين ص ٢٨٢ وما بعدها، وانظر فيما يلي ص ٢٢٤ وما بعدها). (المترجم).

(٤) الأفطح لقب عبد الله وكان أكبر أولاد الإمام جعفر الصادق سنًا بعد إسماعيل سُمى به "لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرأس، وقد قيل: إنه كان أفطح الرجلين". (رجال الكشى ص ٢٤٥)، انظر أيضا خطط المقريزى، ج ١ ص ١٧٤، والأنساب للسمعانى ص ٤٢٩ والشهرستانى ص ١٢٦.

ليس ابنى لكنه شيطان ظهر في صورته"، ونقلوا عنه أيضا أنه قال: "بدا[١] لله في أمر إسماعيل". فنصّ على ابنه الآخر موسى.

أما الطائفة التي انتقلت من الكيسانية إلى الرّوافض فقد انضمّت إلى إسماعيل وانفصلت عن الرّوافض، وقالوا: إن الأصل هو النصّ الأول، ولا يجوز البداء على الله، وكلّ من يعرف باطن الشريعة لا يعاقب إذا ما أغفل الظّاهر، وكلّ ما يأتيه الإمام من قول أو فعل فهو حقّ إذ لم يتطرق خلل أو نقصان إلى إسماعيل من جرّاء شُرب الخمر. [١٤٦] فسموا الإسماعيلية وتميّزوا بهذا الاسم عن باقى الشّيعة.

وقبل وفاة جعفر الصادق -رضى الله عنه[٢]- توفي إسماعيل سنة خمس وأربعين ومائة [٧٦٢-٣م] في قرية عريض (وهى تبعد أربعة فراسخ عن المدينة)، فأدخل المدينة محمولاً على أكتاف الرجال، فأحضر جعفر الصادق - رضى الله عنه - والى المدينة - وكان يحكمها من قبل الخلفاء العباسيين رضوان الله عليهم - وجماعة من مشاهير المدينة ومشايخها وكشف لهم عن [جثته]، وحرّر محضرًا لإثبات وفاته موشّحًا بتوقيعات جماعة الحاضرين، ثم دفنه في البقيع.

---

(١) معنى البداء: "أن الله تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدو له فلا يفعله" (ابن حزم ج٤ ص ١٨٢)، وانظر البداء عند الشّيعة "أصل الشّيعة وأصولها" للشيخ محمد حين آل كاشف الغطاء ص ١٠٩. (المترجم).

(٢) تقع وفاة الإمام جعفر الصادق على أشهر الروايات في سنة ١٤٨ هـ (انظر أصول الكافى، تهذيب الشيخ الطوسى، تاريخ ابن واضح اليعقوبى ج ٣ ص٤٥٨ (= ج ٣ ص ١٥٠ طبع النجف)، ومروج الذهب في أوائل خلافة المنصور، وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٨، وابن خلّكان في "جعفر"، وعمدة الطالب ورقة ١١٨ (= ورقة ٩٠ أ من نسخة دار الكتب المصرية، ص ١٧٣ طبع بومباى) وغيرها. وبقول ضعيف في سنة ١٤٧ (عمدة الطالب أيضا، في إحدى روايتيه) أو سنة ١٤٦ (المعارف لابن قتيبة ص ٧٣)، وكانت وفاة إسماعيل بتصريح المصنّف سنة ١٤٥ وبذلك تكون وفاة إسماعيل سابقة على وفاة أبيه بثلاثة أعوام أو بعامين أو بعام واحد وليس بخمسة أعوام على أى تقدير (كما تقول إحدى نسخ جهانگشاى الخطيّة).

قال القوم الذين كانوا ينتسبون إلى إسماعيل: إن إسماعيل لم يكن قد مات، ولكنهم أعلنوا موته على سبيل التعمية على الناس حتى لا يُقصد هو وأتباعه بالقتل، وقال باقى الشّيعة: لقد كان غرض جعفر هو إظهار بطلان مقالة تلك الطائفة التي انتسبت إلى إسماعيل، وواقع الأمر أن هذين الرأيين [١٤٧] باطلان كلاهما؛ فقد فسّر كل من الجماعتين هذا الفعل وفق هواه، ولقد كان هدف جعفر هو إبراء ساحته من حوالة دعوى الإمامة التي نسبوها إليه من حيث إن نصه على أولاده معناه إنكاره هو وشيعته للخلفاء.

مجمل القول: إنه لما تُوفي جعفر -رضى الله عنه- تابع جمهور الشّيعة موسى. وقال عدد يسير بإمامة محمد الديباج فسموا[١]، وقالت فرقة ضئيلة بإمامة عبد الله الأفطح فسموها الفطحية[٢].

وبعد مدّة أرسل الخلفاء إلى المدينة وأحضروا موسى على سبيل الإشخاص إلى بغداد حيث حبسوه وتُوفّي في السجن، وقال الشّيعة: إنه سُمّ. ولقد نُقل إلى حافة الجسر وأُخرج لأهل بغداد حتى يروا أن ليس بجثّته جروح. ودُفن بمقابر[٣] قريش.

---

(١) يبدو أن التصحيح بديباجي وديباجية من تصرفات النساخ أنفسهم بمناسبة كلمة "ديباج" ولم نر في موضع آخر تسمية لهذه الفرقة باسم "الديباجية" فالشهرستانى في موضع واحد من الملل والنحل ص ١٦ يسمى أتباع محمد الديباج العمارية: "فمنهم من قال بإمامة محمد وهم العامرية" وفى موضع آخر ص ١٢٦ يسميهم الشميطية.

(٢) نسبة إلى عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق. (المترجم).

(٣) لا توجد كلمة قريش في أية نسخة من النسخ الخطية وواضح أنه من دونها تصبح العبارة لغوا ومن قبيل النار حارّة، وصريح أقوال المؤرخين أن مدفن الإمام موسى الكاظم كان بمقابر قريش ببغداد: "ودفن بمقابر قريش" (عمدة الطالب ورقة ١١٨ = ص ١٧٥ طبع بومباى)، "ودفن في مقابر قريش ببغداد" (الشهرستانى ص ١٢٧)، "مقابر قريش ببغداد وهى مقبرة مشهورة، هى التي فيها قبر موسى الكاظم" (ياقوت في باب الميم).

[١٤٨] وقد بقي ابنه على بن موسى الرّضا بالمدينة حتى نقله المأمون إلى خراسان، وله قصّة مشهورة، وتوفي بطوس، وقالوا: مات مسمومًا، وقد دفن بها.

ولما كان الخلفاء يتعقّبون هذه الجماعة لادّعائهم الإمامة، فقد توارى أولاد إسماعيل، وتفرّقوا عن المدينة إلى العراق وخراسان وتوجّه بعضهم إلى المغرب.

وقال الإسماعيلية: إن إسماعيل كان لا يزال حيًا بعد وفاة جعفر بخمسة أعوام؛ فقد رُئي في سوق البصرة، يسأله مُقْعَد، فأخذ إسماعيل بيده فبرئ، ووقف على قدميه وسار معه، كما دعا أيضًا لأعمى فأبصر.

ولما مات إسماعيل توجه ابنه محمد، الذى كان شابًا يافعًا في عصر جعفر كما كان أكبر سنًا من موسى (بن جعفر) [١]، توجه إلى الجبال[٢] ثم قدم إلى الرّى ومنها إلى قرية سمله[٣]، "ومحمد آباد" بالرّى منسوبة إليه، وكان له أولاد تواروا في خراسان، ثم توجّهوا إلى قندهار[٤] من أعمال ولاية السِّند واستوطنوها.

---

(١) كانت ولادة موسى الكاظم في سنة ١٢٨ هـ، وولادة محمد بن إسماعيل بتصريح دستور المنجمين ورقة ٣٣٤ في سنة ١٢١ هـ يتضح إذن أن محمد بن إسماعيل كان أكبر من عمه موسى الكاظم بسبعة أعوام.

(٢) يعني: الرى وإصفهان وهمدان وتوابعها، وكان يطلق عليها فيها مضى اسم "العراق العجمى". (المترجم).

(٣) يحتمل أن تكون هذه الكلمة تصحيف شلمبه التي كانت قصبة دماوند (انظر ياقوت في باب الشين وابن خرداذبة ص ١١٨). المترجم: وجاء في رسالة القضاء والقدر للشيخ الرئيس ابن سينا (ص ٤٤): "إنه لما تيسر عودى من شلمبه راكبا جدد إصفهان عرست ببعض القلاع المعقودة على الجادّة" (نقلا عن حواشى "دانش بزوه" على جامع التواريخ الجزء الخاص بالإسماعيلية ص ٢٠٠). (المترجم).

(٤) ليس المقصود بها قندهار الموجودة في الجنوب الشرقي من أفغانستان، ولكن المقصود بها "كندهارا" المملكة الهندية وعاصمتها فايهند التي تقع بين أندوس ونهر كابل. انظر: *Minorsky, Hudud el Aalam, pp. 254 - 255*. (المترجم).

وقد تدفق دعاة الإسماعيلية في داخل الولايات ودعوا النّاس إلى مذهبهم، فقبل دعوتهم خلق كثير.

[١٤٩] توجه على بن إسماعيل من تلك النّاحية إلى الشّام والمغرب مناديا: "من نجا برأسه[١]". ولما لم يكن طالب إمامة كما أن أحدا لم يتبعه - ظهر هناك وظهر أعقابه من بعده وما زالوا ظاهرين حتى الآن.

وبرز لجماعة الإسماعيلية رؤساء شرحوا مقالاتهم وفصّلوها فقالوا: لم يخل العالم من إمام قط ولن يخلو من إمام، وكل من كان إماما لا بدّ أن يكون أبوه إماما وأبو أبيه وهلمّ جرا حتى آدم عليه السلام، بل حتى الأزل، كما يذهب بعضهم لأنهم يقولون بقِدَم العالم، كما لا بدّ من أن يكون ابن الإمام إمامًا وابن ابنه، وهلمّ جرًا إلى الأبد، ولا يمكن أن يموت الإمام إلا بعد أن يكون ابنه الذى سوف يتولّى الإمامة من بعده قد وُلد أو انفصل عن صُلبه، ويقولون: إن هذا هو معنى الآية ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ... ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران]، والآية ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ... ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف]. ولما احتج عليهم الشّيعة بالحسن بن علىّ -وكان إماما باتفاق الشّيعة أجمعين- بينما لم يكن ابنه إمامًا، أجابوا بأن إمامته مستودعة؛ أى لم تكن ثابتة، فكانت إمامته عارية، بينما كانت إمامة الحسين مستقرّة، والآية "﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴿٩٨﴾﴾: [الأنعام] " تشير إلى ذلك.

ويقولون: إن الإمام لا يكون ظاهرًا على الدّوام؛ فهو أحيانا يظهر وأحيانا يستتر؛ مثله في ذلك مثل الليل والنهار متعاقبان، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن تكون دعوته [١٥٠] مستورة، وأما إذا كان الإمام مستورا فلا بدّ أن تكون دعوته ظاهرة[٢] وأن يعين دعاته بين النّاس، حتى لا يكون للنّاس على الله حجّة.

---

(١) مجمع الأمثال في باب الميم ج ٢ ص ١٦٩.

(٢) عبارة الجوينى هى تقريبا عبارة الشهرستانى نفسها: "قالوا: ولن تخلو الأرض أبدًا من إمام حى قاهر إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن يكون حجته ودعاته ظاهرين" (الشهرستانى ص ١٤٦ = ج١ ص ٤٢٥ طبع الأزهر).

فالرّسل أصحاب التنزيل والأئمّة أصحاب التّأويل، ولا يخلو عهد قطّ ولا عهد أى رسول من إمام، وقد جاء بعد إبراهيم شخص ورد ذكره في التوراة فقالت[١]: إنه كان في ذلك الوقت ملك يسمى في التوراة باللّغة السّريانية والعبرية ملخيزداق ملخ شوليم[٢] ومعناه باللغة العربية ملك الصّدق وملك السّلام، وقالت[٣]: إنه لما وصل إليه إبراهيم -صلوات الله عليه- أعطاه عشرة حيوانات، والخضر الذى أراد أن يعلّم موسى العلم اللّدنى كان إمامًا أو مختارًا لكي يكون إمامًا[٤].

[١٥١] وكانت فترة ما قبل الإسلام دور ستر فكان الأئمّة مستترين، وقد ظهرت الإمامة في عصر علىّ -رضى الله عنه- وكان علىّ (بن أبى طالب) إمام ذلك الدّور، ومنذ عهده ظهر الأئمّة حتى إسماعيل ومحمد بن إسماعيل الذى كان سابع الأئمة[٥].

ثم بدأ الستر بإسماعيل ومحمد الذى كان آخر دور الظهور، فقد استتر تمامًا وبقي الأئمة من بعده مستترين إلى أن ظهروا.

---

(١) يعنى قالت التوراة.

(٢) التوراة في تراجمها المختلفة، طبع والتون، سفر التكوين فصل ١٤ أية ١٨.

(٣) يعنى التوراة.

(٤) كذا في الأصل: "إمام بود نامزد إمام". وقد اعتمدت على رأي المحقّق (القزويني) في ترجمة الجملة. (المترجم).

(٥) كذا في جميع النسخ، وفى دستور المنجمين ورقة ٣٣٤ يطلق عليه أيضا "السابع التام" وما زالت هذه المسألة -وهى أن الإسماعيلية يعدون محمد بن إسماعيل السابع لا الثامن في عداد الأئمة- خافية على كاتب هذه السطور. انظر خطط المقريزى ج٢ ص ٢٢٩، ٢٣١ وانظر ترجمة كازانوفا لهذا الفصل من الخطط في الرسالة المسماة "التعاليم الخفية لفاطميى مصر" ص ١٣٧ حاشية ٢، ص ١٤٠ حاشية١، ٤.

وقالوا: إن موسى بن جعفر فدى إسماعيل بنفسه كما فدى على بن موسى الرّضا بنفسه محمّد بن إسماعيل[1]، وقصة إبراهيم الذّبيح ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصافات]: [١٥٢] تشير إلى ما يشاكل ذلك. ومجمل القول: إنهم أقرّوا خرافات كثيرة وظهر من بينهم دعاة، منهم ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون[2] الذى يعد من كبار علماء هذه الطّائفة، وحسن شيخ عبدان[3]، وظهر منهم في زمن جعفر

(١) النسخة الخطية ح: "وقالوا فدى موسى بن جعفر محمد بن إسماعيل" ولو أن هذا مخالف لباقى النسخ إلا أنه مطابق تمامًا لدستور المنجمين ورقة ٣٣٤: "وقد روى أنه (أى موسى الكاظم) فدى ابن أخيه محمد بن إسماعيل لما طلبه العباسية"، والاحتمال قوى في أن النسخة (ح) هى وحدها الصواب؛ لأنه فضلاً عن مطابقتها لدستور المنجمين وهى نسخة قديمة ذات قيمة بالغة عن الإسماعيلية النزارية، وقد بقى أصل النسخة منذ عهدهم - فإن موسى بن جعفر كان معاصرًا طيلة حياته تقريبًا لمحمد بن إسماعيل وليس لإسماعيل.

(٢) كتب الأستاذ القزوينى بحثًا واسعًا عن ميمون القداح وابنه عبد الله في حواشى الجزء الثالث من جهانگشاى ص ٣١٢ - ٣٤٣، وقد قمنا بترجمته إلى العربية فيما يلي، ص ٢٥٥ وما بعدها وقد استند برنارد لويس في كتابة ***The Origins of Ismailism*** الذى نشر في سنة ١٩٤٠م على بحث الأستاذ القزوينى. أما إيفانوف فقد رجع لمناقشة الآراء المتعلقة بشخصيتهما إلى مراجع إسماعيلية خالصة في كتابه ***Ismaili Tradition Concerning The Rise of The Fatimids.*** المنشور في سنة ١٩٤٢م، ثم عاد إيفانوف ونشر في سنة ١٩٤٦م كتابا مستقلا عن صلة هذين الشخصين بالإسماعيلية بعنوان: ***The Allaged Founder of Ismailism*** ناقش فيه بالتفصيل النصوص المتعلقة بهما وانتهى إلى الآراء نفسها التي أجملها في كتابه السالف الذكر. (المترجم).

(٣) يريد به عبدان الكاتب، من كبار دعاة الإسماعيلية وصهر حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط رئيس القرامطة المشهور. ويورد النديم في الفهرست ص ١٨٩ أسماء بعض مؤلفات عبدان. وقد قتل عبدان في حدود سنة ٢٨٠ هـ. ويعرف سائر المؤرخين هذا الداعى باسم "عبدان" لا حسن شيخ عبدان كما ورد في المتن. (انظر الفهرست ص ١٨٧ - ١٨٩، والتنبيه والإشراف للمسعودى ص ٣٧٤، واتعاظ الحنفا للمقريزى ص ٢٠٩، ٢١٤ - ٢١٥). (المترجم).

الصّادق –رضوان الله عليه– أبو الخطاب[1] الذى ادّعى ألوهيّة جعفر، وهذا ما يقوله كل من الاتحادية والحلولية، وقد قال جعفر عنه: "ملعون هو وأصحابه". وأمثال هؤلاء كثيرون، نجد إشارات عنهم في كتب التّواريخ والمقالات.

خلاصة القول: إن هذه المذاهب وتلك المقالات قد انتشرت، وظهر في أكثر بلاد الإسلام من المغرب والمشرق قوم، بعضهم مستترون وبعضهم ظاهرون، كلهم متّفقون على أن الزمان لا يخلو من إمام يمكن عن طريقه معرفة الله، ولا سبيل إلى معرفة الله دون معرفة الإمام، وإلى هذا الإمام أشار الرسل في كافة العصور، كما أن للشّريعة باطنا وظاهرا، الأصل هو الباطن، فإذا كان النّاس عالمين بباطن الشّرع **[١٥٣]** فلا بأس إن هم استهانوا بالظاهر. وعلى هذا الأساس تُعدّ مقالاتهم من مقالات أصحاب المذاهب؛ بمعنى أنها خارجة عن الملة.

حتى كان ظهور القرامطة في عصر الخليفة المعتمد سنة ثمان وسبعين ومائتين، وتفصيل ذلك وارد في التّواريخ، وكان أوّلهم حمدان قرمط[2]، خرج في سواد الكوفة لما التف حوله جماعة من النّاس، فأعملوا أيديهم في قتل المسلمين ونهب الأموال وسبى الذّرارى، وكان يهاجم مدن العراق والشّام، ثم يختفى في البادية،

---

(١) المراد هو أبو الخطاب محمد بن أبى زينب مقلاص الأسدى الأجدع الذى تنسب إليه الفرقة المعروفة بالخطّابية من غلاة الشّيعة. (المترجم).

(٢) المقصود هو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط الذى اشتق اسم القرامطة من لقبه على أشهر الأقوال. وتاريخ وفاته ليس معروفا، ولكن النويرى في نهاية الأرب يشير إلى أن أثره قد فقد كليه قبل سنة ست وثمانين ومائتين بقليل، ولم يقف له أحد على أثر، ولم يعلم ماذا كانت نهايته. (انظر نهاية الأرب، النسخة المصورة بدار الكتب المصرية جزء ٢٤ ورقة ١١٦). (المترجم).

واستفحلت فتنتهم وعجز الخلفاء عن التصدى لهم، وقد استولوا على البحرين(١)، وتوجهوا بعد ذلك إلى مكّة، فقتلوا الحجيج، وملئوا بئر زمزم بجثث القتلى، وقطعوا الحجر الأسود(٢) واحتفظوا به خمسا وعشرين سنة(٣)، [١٥٤] وقد طلب ملوك الإسلام أن يستردّوه بمائة ألف دينار(٤)، إلا أنهم رفضوا بيعه، وفى نهاية الخمس والعشرين سنة أحضروه إلى الكوفة وألقوا به في جامع الكوفة ووضعوا معه ورقة كتب

---

(١) ليس المقصود بها الجزر الموجودة حاليًا بهذا الاسم في الخليج، بل في الجهة المقابلة لها في شبه الجزيرة العربية، وهى المنطقة التي يطلق عليها الآن اسم "الحسا" أو "الإحساء". (انظر كتاب الخليج العربى للدكتور جمال زكريا قاسم ص ٢٧). (المترجم).

(٢) كذا في بعض النسخ الخطية، وتقول النسخة (ح) وجامع التواريخ ورقة ١١ = ص ١٧ من طبعة طهران: "قطعوه نصفين" – وقد بحثت عجلا فلم أعثر في أى موضع على ما يفيد بأن القرامطة قطعوا الحجر الأسود نصفين كما تقرر إحدى النسخ وجامع التواريخ، بل قال بعض المؤرخين، ومن بينهم المقريزى في اتعاظ (ص ١٢٩ = ٢٤٥ طبع الدكتور الشيال): "شقوقًا حدثت فيه بعد انقلاعه"، وقال الأزرقى وابن جبير: إن الحجر الأسود قطع إلى عدة قطع، وسكت البعض الآخر، ومن بينهم ابن الأثير عن هذه الفقرة كلية. انظر قرامطة ديخويه ص ١٤٧.

(٣) تبلغ المدة الحقيقة التي احتفظ فيها القرامطة بالحجر الأسود اثنين وعشرين عامًا لا خمسة وعشرين. (انظر ابن الأثير ج٨ ص ١٩٢ في حوادث سنة ٣٣٩، وتاريخ أبى الفدا في حوادث السنة نفسها، واتعاظ الحنفا للمقريزى ص ٢٤٣، ٢٤٦ طبع مصر). (المترجم).

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية، وكافة المؤرخين يذكرون خمسين ألفا، انظر قرامطة دى خويه ص ١٤٥.

فيها: "أخذنا هذا الحجر بأمر وردناه بأمر"، وقد حمل أهل الإسلام[١] الحجر إلى مكّة ووضعوه في مقرّه.

وفى أثناء فتنة القرامطة قدم إلى ولاية الكوفة والعراق أحد دعاة الإسماعيلية، من أعقاب عبد الله بن ميمون القدّاح، وكان معه طفل وقال: "إننى داعى الإمام وظهور الإمام وشيك"، وأرسل شخصًا يسمّى بلقاسم بن حوشب[٢] إلى اليمن؛ لكى يتولى أمر الدعوة بها، وكلّفه بأن يرسل الدّعاة إلى الأطراف، وقد تحسّنت الأمور لأبى القاسم هذا ودخل جماعة في [١٥٥] دعوته، وممن أرسلهم أبو القاسم رجل يقال له أبو عبد الله[٣] الصّوفى المحتسب[٤] من قبيلة كتامة[٥] بالمغرب –وكان قد دخل في دعوة بلقاسم– ليتولّى أمر الدعوة بها، وقد قبل أناس مذهبه، فكتب إلى ذلك

---

(١) وهذا أيضا مخالف لأقوال عامة المؤرخين؛ إذ يقولون: إن القرامطة بعد أن علقوا الحجر مدة في جامع الكوفة حملوه إلى مكة، وأعادوه إلى مكانه السابق. انظر اتعاظ ص ١٢٩ (ص ٢٤٦ طبع مصر)، ودى خويه ص ١٤٥.

(٢) يريد به أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زادان النجار الكوفى الملقب بالمنصور، من مشاهير دعاة الإسماعيلية في اليمن.

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بأبى عبد الله الشيعى.

(٤) لم أعثر بين كتب التواريخ على من يلقب أبا عبد الله الشيعى بلقب "الصوفى" إلا في جامع التواريخ ورقة ١٣ = ص ٢٠ طبع طهران، حيث يسمى صاحب الترجمة (أبو عبد الله الصوفى الشيعى المشرقى)، ولكن نظرا لأن رشيد الدين قد استنسخ هذه الفصول بنفس عبارة جهانگشاى في الغالب الأعم لذا لا يمكن اعتبار جامع التواريخ سندا مستقلاً بذاته.
المترجم: غير أن المسعودى في مروج الذهب ج١ ص ٣٧١ وذيل الطبرى لعريب ص ٥٢ يسميانه: "أبو عبد الله المحتسب الصوفى".

(٥) كان أبو عبد الله الشيعى بإجماع المؤرخين من أهل المشرق، وانتهى بعضهم إلى اعتباره من أهل الكوفة، واعتبره البعض الآخر من رامهرمز، وعده آخرون من صنعاء اليمن، فالمقريزى يرى في اتعاظ الحنفا (ص ٨٦ طبع الدكتور الشيال) أن أبا عبد الله كان "أصله من الكوفة.. من رامهرمز" بينما يرى ابن الأثير (ج٨ ص١٢ طبع ليدن) أنه كان "من أهل صنعاء" وكذلك يرى القلقشندى في صبح الأعشى (ج١٣ ص ٢٤٠)، ويعتبره صاحب البيان المغرب (ج١ ص ١٥٢) أنه كان "رجلاً من أهل المشرق".(المترجم).

الشّخص الذى كان من أعقاب عبد الله بن ميمون، وأرسل إليه الرّسائل؛ لأنه أقرب إلى الإمام من بلقاسم بن حوشب، [١٥٦] وكان ذلك الشخص يحرّضه على الدّعوة، فلما عظم أمر أبى عبد الله واستولى على بعض بلاد المغرب وحدود القيروان وسجلماسة توجّه ذلك الشخص الذى كان من أعقاب عبد الله بن ميمون إلى تلك النواحي ومعه الطّفل، ولدى وصولهما إلى سجلماسة استقبله أبو عبد الله الكتامى[١] وقام على خدمته وقال له: "إننى كنت أقوم بحكم هذه الولايات بصفتى نائبًا عنك، أما وقد وصلت الآن فأنت أولى". قال: "إننى كنت أقول من قبل إننى داعي الإمام حسب ما اقتضته المصلحة؛ حيث إن وقت ظهور الإمام لم يكن قد حان، أما الآن فقد حان وقت الظّهور، وأنا أقول: إننى الإمام وأنا من [١٥٧] أبناء إسماعيل بن جعفر". وسمّى نفسه عبد الله[٢] المهدى، كما أطلق على الطّفل اسم القائم بأمر الله محمد، ونصب نفسه إماما وخليفة، واجتمع عليه المغاربة وبخاصّة بنو كتامة. وبنى مدينة المهديّة في أرض القيروان[٣] سنة ثمان وخمسين ومائتين[٤] (صح: ثمان وثلاثمائة).

---

(١) هذا سهو واضح؛ لأن المؤرخين يجمعون على أن المهدى وابنه كانا قد وقعا في قبضة اليسع ابن مدرار والى سجلماسة قبل أن يقدم أبو عبد الله الشيعى على فتحها. ولقد بدا لعبد الله المذكور حينئذ أنه لن يستطيع أن يخلص المهدى وابنه من أسر اليسع إلا إذا فتح المدينة، فتم له فتحها في السابع من ذى الحجة سنة ستّ وتسعين ومائتين. (انظر ابن عذارى في البيان المغرب ج١ ص ١٥١). (المترجم).

(٢) كذا أيضا في جامع التواريخ ورقة ١٧ = ص ٢٦ ط. طهران (ذكرت مرتين). على الرغم من أن جمهور المؤرخين قد كتبوا اسم المهدى عبيد الله فإن دستور المنجمين وهو من تواليف الإسماعيلية أنفسهم يقول في ترجمة حياة المهدى ورقة ٣٣٥: "مولانا الإمام المهدى بالله أبو محمد عبد الله صلوات الله عليه... وكان يقال له قبل الظهور عبيد الله". ولما كان المصنف في هذا الجزء من كتابه يستعمل الكثير من مصادر الإسماعيلية أنفسهم فينبغى ألا نعدّ أن عبد الله في المتن بدلا من عبيد الله سهو وتصحيف من النساخ.

(٣) ذلك خطأ ظاهر لأن المهدى ولد في سنة ٢٥٩ أو ٢٦٠ هـ أى بعد سنة أو سنتين من هذا التاريخ. (انظر ابن خلّكان ١: ٤٩٢، واتعاظ ص ٤٤، ودستور المنجمين ٣٣٥)، فكيف يمكن إذن أن يكون قد بنى المهدية في سنة ٢٥٨هـ، أى قبل ولادته بسنة أو سنتين؟! ولما كان المهدى قد شرع في بناء المهدية في سنة ٣٠٣هـ وأتمها في سنة ٣٠٨ هـ فالصواب في المتن إما أن يكون "ثلاثا وثلاثمائة" إذا كان قصد الجوينى هو تاريخ البدء في بنائها، وإما "ثمان وثلاثمائة" إذا كان يقصد تاريخ إتمامها. ولكن نظرا لأن كلّ أعداد المتن ليست خاطئة بل تبقى كلمة "ثمان" صحيحة على الأقل فإن الاحتمال الثانى يبدو أرجح.

(٤) الهامش السابق نفسه.

[١٥٨] ولما ارتفع شأنه أراد أن يفسد إيوان الشّريعة، فأخذ يبدى التّهاون في أحكامها. فداخل أبا عبد الله الصوفى المحتسب شكّ في شأنه، ففترت عزيمته في هذا الأمر. وأراد يوسف أخو عبد الله[١] العصيان، كما طلب إلى عبد الله أن يخرج على المهدى. ولهذا قتل المهدى أبا عبد الله وأخاه.

**ذكر خلافة المهدى الفاطمى والخلفاء الفاطميين**

وكان ظهور المهدى بسجلماسة من بلاد المغرب، وكان استيلاؤه في سنة ست وتسعين ومائتين [٩٠٨-٩٠٩م]، وفى سنة اثنتين وثلاثمائة[٢] [٩١٤-٩١٥م] انتصر على بنى الأغلب الذين كانوا ملوك المغرب من قبل العباسيين وقضى عليهم، كما انتصر على ممالك المغرب وإفريقية وصقلية كافّة. وهم يروون خبرا عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال: "على رأس الثلاثمائة، تطلع الشمس من مغربها". وقالوا: إن ظهور المهدى هو تأويل هذا الخبر، وقالوا أيضًا: كان بين محمد بن إسماعيل والمهدى ثلاثة أئمة مستترين [١٥٩] أسماؤهم محمد بن أحمد بن[٣] وألقابهم الرضىّ[٤] والوفىّ والتقىّ[٥]، وقال المسلمون بولاية

---

(١) يكتب المقريزى اسم أخى عبد الله الشيعى: "أبا العباس محمد" (اتعاظ الحنفا ص ٦٨ طبع مصر) بينما يكتبه ابن خلكان (ج١ ص ١٧٨): "أبا العباس أحمد" ولم نر مرجعًا ذكر اسمه على النحو الوارد في المتن. (المترجم).

(٢) هذا مخالف لإجماع المؤرخين فكلهم بلا استثناء حدد تاريخ انقراض بنى الأغلب بسنة ست وتسعين ومائتين، فقد هرب آخر سلاطين بنى الأغلب أبو مضر زيادة الله بن أبى العباس من وجه أبى عبد الله الشيعى عندما حاصر عاصمته رقادة في السنة المذكورة. (انظر ابن عذارى ج١ ص ١٤٤ وما بعدها، تاريخ الولاة للكندى ص ٢٦٧، وابن الأثير ج٨ في حوادث سنة ٣٩٦، واتعاظ الحنفا ص ٦٩ طبع القسطنطينية). (المترجم).

(٣) جامع التواريخ = ص ٢٦ ط طهران: محمد بن أحمد، يقول دستور المنجمين تحت عنوان: "الأئمة الثلاثة المستورين" ورقة ٣٣٥: "ويقال إسلامهم (ظ: أسماؤهم) محمد بن أحمد"، وهكذا يلاحظ أن اسم الإمام الثالث من الأئمة المستترين لا يرد حتى في دستور المنجمين وهو من كتب الإسماعيلية أنفسهم.

(٤) جامع التواريخ ١٧: رضىّ (مشددا) = وفى النسخة المطبوعة بطهران ص ٢٦ك رضى دون تشديد. ودستور المنجمين ورقة ٣٣٥: "الرضى، الرضىّ" في موضعين وقد قرأ دخويه في رسالة القرامطة ص ٥ و ٩ كلمة الرضى هذه (الرضا) رغم أنه نقل في ص ٢٠٤ من الرسالة نفسها نص عبارة دستور المنجمين وطبع هذه الكلمات صوابا وبوضوح تام مرتين: "الرضىّ" بالياء المشددة.

(٥) جامع ١٧ = ص ٢٦ ط طهران، ابن خلكان ج١ ص ٢٩٣: "وقيل هو (أى المهدى) عبيد الله ابن التقى بن الوفى بن الرضى".

المغرب: إن المهدى من أعقاب عبد الله بن سالم البصرى[١] ومن دعاة تلك الطائفة، بينما قال أهل بغداد والعراق: إنه من أعقاب عبد الله بن ميمون القدّاح. خلاصة القول: إنهم كلّهم أجمعوا على تكذيب انتسابه لإسماعيل بن جعفر وأنكروه. وفى عصر القادر بالله عقد محضر في بغداد، قرّر فيه الأعيان والسّادات والقضاة والعلماء كتابة أن مذهب[٢] أولاد المهدى مقدوح، وأنهم كاذبون في انتسابهم لجعفر الصّادق [١٦٠] رضوان الله عليه – وسوف نثبت نصّ هذا المحضر في أثناء ذكر "الحاكم" خامس أعقاب المهدى. وقد تولّى المهدى ستًا وعشرين سنة وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

جلس مكانه ابنه القائم، وخرج في عهده رجل من أهل المغرب يقال له أبو زيد[٣]، وكان رجلاً مسلما متدينا سنّى المذهب ورعا، وعدَّد على النّاس بدع المهدى

---

(١) لا يذكر الطبرى وابن الأثير والمقريزى في الخطط واتعاظ الحنفا اسم عبد الله سالم البصرى، وإن كان الطبرى يسمى عبيد الله المهدى في موضعين من تاريخه (القسم الثالث ص ٢٢٩١، ٢٢٩٢) "ابن البصرى". بينما يذكر عريب بن سعد اسم عبد الله بن سالم البصرى في ذيل تاريخ الطبرى (ص ٢٧ – ٢٨ طبع المطبعة الحسينية): "عبيد الله هذا القائم بإفريقية هو عبيد الله بن عبد الله بن سالم. وكان عبيد الله يعرف أول دخوله القيروان بابن البصرى". (المترجم).

(٢) كذا في جميع النسخ الخطية: "مذهب" بينما يرد في جامع التواريخ ١٧ = ص ٢٦ ط طهران: "نسب" ويبدو أن هذا هو المعنى المقصود. (المترجم).

(٣) يريد به أبا يزيد مخلد بن كيدار خرج على القائم الفاطمى. كان بإجماع المؤرخين من الخوارج الإباضية (انظر التنبيه والإشراف للمسعودى ص ٣٣٣ – ٣٣٥، الفهرست للنديم ص ١٨٧. ويقول عنه المقريزى في اتعاظ الحنفا ص ١٠٩ طبع مصر: "كان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء .(المترجم)

والقائم، فتابعه بعض النّاس، واشتبك في قتال مع القائم، فهزم جيشه وحوصر في المهدية، وأُطلق عليه أتباع القائم اسم الدّجال؛ لأنّهم ذكروا في الملاحم أن دجّالا سوف يخرج على المهدى أو على القائم.

وقد توفّي القائم في أثناء تلك المعارك في شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة [مايو – يونيه ٩٤٦م]، فظلّ نبأ وفاته في طيّ الكتمان.

وجلس مكانه ابنه المنصور إسماعيل، وبدأ في الإعداد لمقاومة أبى يزيد وكان رجلا صاحب رأى شجاعًا، فانتصر على أبى [١٦١] يزيد وهزمه، وتابع السير في أثره مدة واشتبك معه وفى النهاية أسره وقتله.

وأمر بأن يُطاف بجثّته في بلاد المغرب، وجلس مكان أبيه، وأظهر موته، وقد توفي هو أيضًا في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة [٩٥٢-٩٥٣م].

وجلس مكانه ابنه المعز أبو تميم معد، كان رجلاً صاحب رأى، مدبرا، شجاعًا، موفور الحظ، ساس الملك على الوجه الأكمل، واتسع ملكه عن ملك آبائه، وقد قصر جلّ همّه على طلب مُلك مصر، التي كانت في ذلك الوقت في يد كافور الإخشيدى، فأرسل المعزّ إليها غلامه أبا الحسن جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة [٩٦٨-٩٦٩م] كى يدعو له، فاستجاب له خلق كثير، وقد استمال كافور بعد ذلك، ودعاه فاستجاب له، فخطب في مصر باسم المعزّ مناوأة للخلفاء العبّاسيين.

وقد توفّى كافور في السّنة نفسها أى سنة ثمان وخمسين[1] [٩٦٨-٩٦٩م].

---

(١) توفي كافور على أشير الأقوال في سنة ست وخمسين وثلاثمائة، وبقول في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وبقول آخر في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. أى قبل قدوم جوهر إلى مصر (٣٥٨هـ) بسنة على الأقل وبثلاث سنين على الأكثر، وهكذا يلاحظ أن الفقرات السابقة المتعلقة بعلاقات جوهر بكافور بعد قدوم جوهر إلى مصر باطلة كلية. (انظر الولاة للكندى ص ٢٩٧، ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٦ – ٣٥٨، ابن عذارى ج١، ص ٢٣٦. الخطط للمقريزى ج٣ ص ٤١ – ٤٢). (المترجم)

واستقلّ جوهر بملك مصر من قبل المعزّ، وفى السّنة نفسها أيضًا وضع أساس مدينة القاهرة على امتداد الفسطاط فاكتمل بناؤها سنة اثنتين وستين [٩٧٢-٩٧٣م] [١٦٢] وسمَوها القاهرة المُعزّية.

ووصل المعزّ إلى مصر في رمضان سنة اثنتين وستّين [يوليه ٩٧٣م] بجيوش لا حصر لها وتجملات لا نهاية لها، وجعل من القاهرة عاصمة له، وخرجت مصر وأرض الحجاز من قبضة تصرّف بنى العبّاس ودخلت في يد المعزّ، فبسط العدل والإنصاف في تلك الممالك، وتتردّد على الألسنة حكايات عجيبة عن مظاهر عدله وآثار إنصافه، وقد توفي في ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة [ديسمبر ٩٧٥ – يناير ٩٧٦م].

جلس مكانه العزيز أبو منصور نزار فدخلت ممالك المغرب ومصر والحجاز في حوزته، وحكايات قتاله وحروبه وظفره على البتكين[١] المعزى[٢]، حاكم الشام من قبل الطّائع لله، والحسن بن أحمد القرمطى الذى كان قد قدم لمدد البتكين، مذكورة في تاريخ المغاربة، وكانت وفاته في رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة [سبتمبر – أكتوبر ٩٩٦م]، وكان العزيز رجلاً حسن السيرة حليمًا،

---

(١) اسم هذا الشخص مكتوب في ابن الأثير الفتكين "فى جميع المواضع" ومنها ٨: ٢٦٠ وما بعدها، وفى الخطط "افتكين" ومنها ٤: ٦٦.

(٢) "الفتكين التركى مولى معز الدولة بن بويه" (أيضا ٨: ٢٦٠)، "قدّم الأتراك عليهم الفتكين وهو من أكابر قوادهم وموالى معز الدولة" (ابن الأثير ٨: ٢٥٥)" الفتكين مولى أحمد بن بويه الملقّب بمعزّ الدولة" (دستور المنجمين ٣٤١).

فمن حلمه أن الحسن بن بشر[١] [١٦٣] الدمشقى هجاه هو ووزيره ابن كلّس[٢] وكاتب إنشائه أبا منصور[٣] الدروانى[٤] بهذه القطعة[٥]:

قُل لأبى نَصر[٦] كاتبِ القَصر والمتأتّى[٧] لنقضِ ذى الأمرِ

انُقض عُرى المُلكِ للوزير تَفُزْ منه بحُسنِ الثّناء والذكر

[١٦٤] وأعط وامنع[٨] ولا تَخَفْ أحدًا فصاحبُ القصر ليسَ في القصرِ

وليس يدرى[٩] ماذا يُراد به وهو إذا دَرى فما يَدْرى

---

(١) انظر ابن الأثير ٩: ٤٨ في حوادث سنة ٣٨٦.

(٢) هو أبو الفرج يعقوب بن ... كلس بكسر كاف ثم لام مشددة، وزير العزيز الفاطمى، انظر ابن خلّكان في حرف الياء ج٢ ص ٥٠٠ – ٥٠٤، وابن الأثير ٩: ٤٨، والخطط للمقريزى ٤: ٦٧ وغيرها.

(٣) ابن الأثير ٩: ٤٨ ومختصر الدول لابن العبرى ٣١٠: أبو نصر، ولا شك في أن هذا هو الصواب وأن أبا منصور تصحيف من النساخ؛ لأنه فضلاً عن ابن الأثير وابن العبرى فإن اسمه يرد صريحًا في الأشعار الآتية (أبو نصر)، غير أننا أبقينا المتن على حاله؛ نظرا لاتفاق النسخ، وهذا هو نص عبارة ابن الأثير: "كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقى وكان كثير الهجاء، فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز وكاتب الإنشاء من جهته أبا نصر عبد الله بن الحسين القيروانى فقال: قل لأبى نصر الأبيات.

(٤) ابن الأثير: القيروانى (وسبق ذكر نصه في الحاشية السابقة)، ويغلب على الظن أن "دروانى" في المتن مصحّف "القيروانى" الموجودة في ابن الأثير، وخصوصًا أن هذه الحكاية قد نقلت عنه حرفا بحرف، أو نقلها الاثنان من مصدر مشترك.

(٥) هذه الأبيات مذكورة في ابن الأثير ٩: ٤٨ ومختصر الدول لابن العبرى ص ٣١، وقد بحثت عجلا فلم أجدها في موضع آخر.

(٦) كذا أيضا في ابن الأثير ومختصر الدول، والوزن يقتضى ترك تنوينه فالظاهر أنه منع من الصرف لضرورة الشعر.

(٧) مختصر الدول: ٣١٠ والمتأنى (بنون بدلا من التاء الثانية).

(٨) كذا أيضا في مختصر الدول ٣١٠، ابن الأثير: أو امنع.

(٩) كذا ابن الأثير ومختصر الدول.

فشكاه ابن كلّس إلى الوزير وأنشده هذه القطعة، فقال له: "هذا شيء اشتركنا في الهجاء به[١] فشاركني في العفو عنه، فنظم مرة ثانية هجاءً آخر، وأضاف فيه الفضلَ قائد جيشه[٢]:

تنصّر فالتنصّر دينُ حقٍّ     عليهِ زمانُنا هذا يَدُل
وقُل بثلاثةٍ عزُّوا وجَلُّوا     وعطِّل ما سِواهُم فَهْو عُطْلُ
فيعقوبُ الوزيرُ أب وهذا     العزيزُ ابن وروحُ القدسِ فَضْلُ

ومرّة ثانية عرض الوزير[٣] هذا الشعر على العزيز، الذى قال رغم شدة غضبه: "اعف عنه"[٤] وعفا عنه مرّة أخرى.

وفى النّهاية دخل الوزير على العزيز في المرة الثالثة [١٦٥] وقال: لم يبق للعفو عن هذا معنى؛ فهو نقصان لهيبة الملك؛ فقد قال هذه المرّة شعرًا فاحشًا في حقّك أنت العزيز وفّى أنا الوزير ونديمك ابن زبارج[٥] في هذه القطعة[٦]:

زبارجىّ     نَـديمُ     وكِلّسى[٧]     وزيـرُ

---

(١) ابن الأثير: فيه في الهجاء (بدلا من "في الهجاء به").
(٢) بحثت عجلا فلم أجد هذه الأبيات إلا في ابن الأثير ٩: ٤٨.
(٣) ابن الأثير: "فشكاه (الوزير) أيضا إلى العزيز".
(٤) كذا في ابن الأثير (دون حركات).
(٥) ابن الأثير ٩: ٤٨.
(٦) بحثت عجلاً فلم أعثر على هذين البيتين في موضع آخر غير ابن الأثير ٩: ٤٨.
(٧) كذا في ابن الأثير (دون حركات)، والواضح أن المقصود هو يعقوب بن كلس الوزير.

فغضب العزيز وأمر الوزير بالقبض عليه، ثم عاد فأسف على ما بدر منه، وأشار بإطلاق سراحه، ولما عرف الوزير بذلك بادر بقتله قبل وصول الرسول، فأسف العزيز على ذلك وأصابه الحزن.

وكان العزيز قد أعطى الشَّام ليهودى يقال له منشا[1]، كما أعطى مصر لنصرانىّ يقال له عيسى بن نسطورس[2] وكانا يظلمان المسلمين، ويعتديان عليهم بسبب العقيدة، فأرسلت امرأة رقعة إلى العزيز تقول فيها: "يا أمير المؤمنين [١٦٦] بالذى أعزّ اليهود بمنشا[3] بن لثام[4] والنّصارى بعيسى بن نسطورس وأذلّ المسلمين بك ألاّ نظرت في حالي". فتأثر العزيز بما جاء في هذه الرقعة وعزلهما، وأخذ من النصرانى ثلاثمائة ألف دينار وردّ مظالمه، وقد فرض في مناسبات مختلفة على اليهود والنّصارى مؤن المسلمين.

وقد تولّى بعده ابنه الحاكم أبو على منصور وهو في الثّانية عشرة[5] من عمره، وكان بقدر ما عند أبيه من الحلم عنده من الطيش والجنون[6]، فقد أذاق أهل مصر غاية الظلم والعسف، وكان من عاداته أنه إذا ركب رفعوا إليه المظالم فيستمع

---

(١) كذا أيضا في ابن الأثير ٩: ٩٨، وتاريخ ابن القلانسى ص: ٣٣ منشا بن إبراهيم القزّاز، وتاريخ حلب لابن العديم (نسخة باريس *Arabe 1666* ورقة ٤٩): أبو سهل منشا بن إبراهيم اليهودى القزاز (بقاف وزايين معجمتين أولاهما مشددة)، أبو الفدا ج٢ ص ١٣٨، ميشا.

(٢) كذا أيضا في ابن الأثير ٩ : ٤٨، وابن القلانسى ص ٣٣، ٤٦.

(٣) كذا أيضا في ابن الأثير وابن القلانسى.

(٤) جامع ٣٢ (= ص ٤٩ طبع طهران)، لا يذكر كل من ابن الأثير وابن تغرى بردى وأبو الفدا اسم أبى منشا، وابن القلانسى يقول مرتين في ص ٣٣: منشا بن فرار، ومرة واحدة منشا ابن إبراهيم بن الفرار، انظر ص ١٦٥ ج ٧.

(٥) ابن الأثير ج ٩ ص ٤٩: "فولى وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر".

(٦) استعملت في ترجمة هذه الجملة أسلوب ابن الطقطقى نفسه في "الفخرى" ص١٥٩ عند عقده مقارنة بين تيقظ المأمون وإهمال الأمين وتفريطه. (المترجم)

إليها ولا ينكر بأىّ حال ما تشتمل عليه من مظالم، فكانوا يناولونه الأوراق يتضمن معظمها فحشا وشتما فيه وفى آبائه وأجداده وتقرير فساد نسبه.

لدرجة أنهم أعدّوا تمثال امرأة من الورق [١٦٧] وألبسوها ملاءة في زىّ امرأة(١)، ووضعوا في يدها ظُلامة مختومة ونصبوها في طريقه الذى يمرّ به، فلما وصلت الورقة من يدها إلى الحاكم الظالم وجد شتائم وفحشا قبيحًا وفضائح ومخازى له ولأسلافه، فغضب وأمر بالقبض على المرأة، فلما سارعوا إليها وجدوها تمثالاً. فأمر العبيد والأجناد -من شدّة غيظه من ذلك- بحرق مصر وقتل أهلها، فثار أهل مصر لدفع هذه الشّناعة والذبّ عن حريمهم، إلا أن أصحاب الحاكم كانوا يحرقون كل موضع عجز أهل مصر عن الدّفاع عنه ويغيرون عليه، وكان الحاكم يذهب بنفسه كل يوم لمشاهدة تلك الحال، ويتظاهر بأن هذه شكل الأفعال إنما تُؤَدّى دون رضاه وإذنه، وفى اليوم الثالث من بدء هذا الحال لجأ مشايخ مصر وأربابها إلى المسجد الجامع، ورفعوا المصاحف على فروع الأشجار، ورفعوا المظالم وقالوا: "لو كان هذا الفساد ينفّذ دون إذنك وأمرك، فأذن لنا، نحن عبيدك ورعاياك، بدفع المفسدين ومنعهم". [١٦٨] قال: "لم آمر بهذا الفساد، فهلاّ دفعتموه أنتم؟". وقال للجند: "امضوا فيما بدأتم فيه". فلما انشغلوا بالقتال ساق غوغاء المدينة الجنود إلى باب القاهرة، حيث محطّ رحال الحاكم، فخاف وأشار بمنع الجند. مجمل القول: إن ربع مصر قد احترق في هذه الواقعة وتعرّض نصفها للغارة، وقد ارتكب غلمان الحاكم

---

(١) هذه الحكاية بتمامها مطابقة حرفًا بحرف تقريبًا لابن تغرى بردى [فى النجوم الزاهرة] (ج٢ ص ٦٦) الذى نقلها من تاريخ الصابى، والاحتمال قوى في أن الجوينى نقل أيضا عن المصدر نفسه؛ أى: عن ابن الصابى، وهذا هو نص الفقرة المعادلة في النجوم الزاهرة: "عملوا تمثال امرأة من قراطيس بخفّ وإزار ونصبوها في بعض الطرق، وتركوا في يدها رقعة كأنها ظلامة". انظر أيضا ابن الأثير ٩: ٤٨، ١٣٠.

الكثير من الفضائح مع حريم أهل مصر فقتل أرباب الشرف والمروءة أنفسهم خشية العار.

وقد اعتاد الحاكم أن يطوف الأسواق ليلاً؛ ليتفقّد أحوال الرعية، وكان أيضًا يدفع بالعجائز وينظمهن للتجسّس على أحوال النّساء، والتعرّف على أمورهن بحيث يدخلن قصور الناس ويخرجن منه، ينهين إليه ما صدق وما كذب عن النساء وأهل السّتر، وقد قتل من جراء هذا خلقًا من النساء، وأرسل مناديًا ينادى بأن تمتنع النساء عن الخروج من البيوت، ولا يسرن على السّطوح ولا يخيط الإسكافيون أحذية النساء.

وكان قد منع الناس من شرب الخمر فلما لم يمتنعوا أمر باقتلاع معظم أشجار العنب.

ولمحة أخرى من عادته، إذ كان يكتب الرّقاع بخط يده بعضها يقول: "امنحوا من حمل هذه ألف دينار أو مدينة كذا [١٦٩] أو خلعة ثمينة" وبعضها الآخر يقول: "اقتلوا من حمل تلك، أو خذوا منه جزءًا من المال، أو اقطعوا عضوًا من أعضائه ونكّلوا ومثّلوا به" ثم يختم الرّقاع بالشّمع والعنبر والطّين المختوم[١]، ويبعثرها أيام الاحتفالات فيلتقط كل شخص، في غاية الحرص والوَجَل، رقعة من هذه الرّقاع وفقًا لحظه ويحملها الى متصرفى الأعمال، بحيث يُنفَذُ ما اشتملت عليه الرقعة في الحال.

---

(١) الطين المختوم: طين أحمر اللون يستعمل في الطب. (تحفة المؤمنين وبرهان قاطع في "گل مختوم").

وقد أصدر الحاكم أمرًا بمنع النّصارى واليهود من ركوب الخيل والبغال ومن امتلاك الرّكاب الحديد، وأن يكون لكل منهم جرس[١] يعلّق في صدره كقلادة حتى يميّزهم عن المسلمين.

وبسبب هذه الحركات المذمومة اشمأزّ أهل البلد –مسلمين وذمّيين– من ذميم أفعاله وسوء أحكامه، وملّ منه حرمه وبطانته وخواصّه.

وقد اتهم أخته ستّ الملك بابن دوّاس[٢] الذى كان أميرًا من أمرائه ومقدّم جيوشه ومدبّر أموره، فأبلغت أخته هذا الكلام في رسالة إلى ابن دوّاس واتفقا على قتل الحاكم وإقامة ابنه عليًا بعده، وتعاهدا واستقرا على أن يهلكاه، فأعطيا ألف دينار لغلامين من غلمان ابن دواس؛ كي يعدا كمينًا على جبل المقطّم[٣] القريب من القاهرة [١٧٠] فإذا ما توجه الحاكم مع الركابى إلى هناك وفقًا لعادته وثبا عليه لقتله. وكان الحاكم يدعى العلم بالنّجوم، وكان قد تنبأ بأن تلك الليلة ستكون فاصلا بالنسبة إليه إذا عبره جاوز الثّمانين، وأخبر والدته بهذا فبكت كثيرًا وتوسّلت إليه قائلة: إن من الخير له ألا يتحرّك الليلة. فالتزم كلام الوالدة، فلما حلّ السَّحَر استولى عليه الضَّجَر، فلم يطق السّكون والرّاحة ولم يستطع النوم والاستقرار، وقد بكت أمّه كثيرًا، وتعلّقت بطرف ثوبه، ولكن ذلك لم يُجد نفعًا، وقال: "لو لم أتحرّك هذه اللحظة فإن روحى ستطير من جسدى". فتوجه –على عادته– إلى المقطّم مع ركابيّه، فخرج الغلمان من

---

(١) جامع ٣٧ (= ص ٥٥ طبع طيران) "وأعدوا جرسًا به عدة قلادات"، الخطط ٤: ٧٣ "ألزم اليهود أن يكون في أعناقهم جرس إذا دخلوا الحمام".

(٢) انظر ابن الأثير ٩: ١٣٠، ١٣١، والنجوم ٢: ٧١ "سيف الدولة ابن دواس من شيوخ كتامة".

(٣) "خرج الحاكم الى الجبل المعروف بالمقطم ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال يعنى سنة إحدى عشرة وأربعمائة فطاف ليلته كليا، وأصبح عند قبر الفقاعى، ثم توجه شرقى حلوان موضع بالمقطم، ومعه ركابيّان إلخ" (ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ٢: ٧٥ نقلاً عن القضاعى).

الكمين وفتكا به هو والركابىّ، وأحضرا جثّته لإخفائها لدى أخته، فدفنته في قصرها، ولم يطلع أحد على ذلك السرّ اللهمّ إلا الوزير الذى أطلعاه عليه بعد التأكيد والتحليف، ولما علم الوزير اتّفق معهما في تدبير الأمر وتسكين الناس، فكانوا ينسبون سبب غيبته إلى أنه غاب مدّة تستغرق سبعة أيام، وكانوا يحضرون كل يوم شخصًا مختلفا ليخبر النّاس بأن الحاكم في المكان الفلانى.

[١٧١] قصارى القول: إنهم أطلعوا الأعيان والأركان، وبعد أخذ العهود وإطلاق العطايا بايعوا ابنه أبا الحسن عليًا، ولقّب بالظّاهر باللهِ[١] وأجلس على العرش، وأظهرت [ستُّ الملك] نبأ وفاة الحاكم، ومنحت ابن دوّاس خلعًا فاخرة، وولته أمور الملك.

وعندئذ استدعت نسيمًا الخادم الذى كان قهرمان القصور وأفضل الغلمان، وكان يلازمه على الدّوام مائة غلام مسلّحين بالسيوف لحراسة الخليفة، ووضعت معه خطة لقتل ابن دوّاس، واحتالا بأن جعلا هؤلاء الغلمان المائة ملازمين لركاب ابن دوّاس حتى دخل القصر يومًا فأمرت (ستّ الملك) به، فأغلق نسيم أبواب القصر وأحكمها وقال للغلمان: يقول مولانا الظّاهر: اقتلوا ابن دوّاس قاتل أبى الحاكم[٢]، فأعملوا فيه السيوف حتى قضوا عليه، وبعد الفراغ منه قامت ستّ الملك [١٧٢] في مدة وجيزة بالقضاء على كل من شاركه في قتل الحاكم أو اطلع عليه، واستقلت هى وانفردت بتدبير أمور الدولة وترتيب مصالح المملكة وتمكّنت هيبتها من قلوب أرباب الحلّ والعقد وأعيان الدّولة.

---

(١) جامع ٤٣ (= ص ٦٤ ط طهران): الظاهر لدين الله وقد ضبط جميع المؤرخين لقبه "الظاهر لإعزاز دين الله"، وليس الظاهر بالله ولا الظاهر لدين الله. انظر ابن الأثير ٩: ١٣٢، ١٨٦، وأبى الفدا ٢: ١٥٨، ١٦٧ وابن خلّكان ١: ٤٠٢، وابن القلانسى ٨٣ والخطط للمقريزى ٢: ١٦٧، وابن تغرى بردى (فى النجوم الزاهرة): ١٢٩ وما بعدها، ودستور المنجمين ورقة ٣٤٢، وابن العبرى ٣١٣.

(٢) "هذا قاتل مولانا الحاكم فاقتلوه" (ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ٢: ٧٧).

وكان قتل الحاكم وتخليص الله تعالى لخلائق تلك البلاد من ظلمه وغشمه وأفعاله الذميمة وأخلاقه اللئيمة في شوال[١] سنة إحدى عشرة وأربعمائة / يناير - فبراير ١٠٢١م، من ملك الموت إلى مالك[٢].

وقد تولى الظّاهر الخلافة خمس عشرة سنة وكانت وفاته في شهور[٣] سنة سبع [١٧٣] وعشرين وأربعمائة / ١٠٣٥ - ١٠٣٦م.

***

(١) المتفق عليه بين المؤرخين هو أن الحاكم فقد وقتل في ٢٧ أو ٢٨ شوال، انظر ابن الأثير ٩: ١٣٠، وابن خلّكان ٢: ٢٥١، والخطط ٢: ١٦٧، ٤: ٧٤، وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ٢: ٨١ وأبا الفدا ٢: ١٥٨، ودستور المنجمين ٣٤٢.

(٢) اسم خازن جهنم، انظر كتب التفاسير في تفسير آية ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف]، وهذه العبارة مصراع من بيتين لأبى الفتح البستى وأوردهما الثعالبى في الإيجاز والإعجاز وهما:

قلت له لما قضى نحبه: لا ردّك الرحمن من هالك
أما وقد فارقتنا فانتقل من ملك الموت الى مالك

(٣) توفي على وجه التحديد في الخامس عشر من شعبان من السنة المذكورة، انظر ابن الأثير ٩: ١٨٦، وابن خلّكان ١: ٤٠٣، وابن القلانسى ٨٣، وأبا الفدا ٢: ١٥٩، والخطط ٢: ١٦٩، وابن تغرى بردى في النجوم ٢: ١٣٦.

# ذكر محضر المهدى المقدوح

فى سنة تسع وثلاثمائة[1] (صح: إحدى وأربعمائة)، [١٠٢١م] كان صاحب الموصل من قبل الخلفاء العباسيين في عهد القادر بالله هو معتمد الدّولة أبو منيع[2] قرواش بن المقلَّد العقيلى، وقد بدأ الحاكم الكتابة إليه، وكان يرسل إليه من مصر [١٧٤] التحف والعطايا بعضها في إثر بعض ويدعوه لمبايعته، فاستجاب له معتمد الدولة، وحرض أهل الموصل على طاعة الحاكم ومخالفة القادر بالله، وقرأ الخطبة باسم الحاكم، وتوجه من هناك إلى الكوفة، وجعل الخطبة هناك أيضًا باسمه[3]، وفى ذلك الوقت كان بهاء الدين ابن عضد الدّولة قد ذهب إلى فارس، فلمّا علم بهذا الأمر أرسل شخصًا إلى معتمد الدّولة وشدد عليه، فأسف معتمد الدولة من فعلته وأفرغ ذهنه من ربقة طاعة الحاكم. فقرئت الخطبة مرة أخرى في البلاد المذكورة باسم القادر بالله، فصار مخصوصًا بالخلع الثمينة من دار الخلافة، وتفصيل هذا الأمر وكيفيته مسجّلة

---

(١) وذلك خطأ واضح، والصواب "إحدى وأربعمائة" كما ذكرنا في المتن بين قوسين، أوّلاً: لأن هذه الواقعة –يعنى قراءة قرواش الخطبة في ممالكه باسم الحاكم– تذكر بإجماع المؤرخين في وقائع سنة ٤٠١ (انظر ابن الأثير ٩: ٩٢، وابن خلّكان ٢: ٢٣٧، وأبا الفدا ٢: ١٣٩، وابن تغرى بردى في النجوم ٢: ١٠٧ – ١١٠). ثانيا: لأن ولادة الحاكم كانت في سنة ٣٧٥ هـ أى بعد ٦٦ سنة من سنة "تسع وثلاثمائة" فكيف يمكن إذن أن يكون قرواش قد قرأ الخطبة باسم الحاكم قبل ولادته بست وستين سنة؟!

(٢) والصواب " أبو المنيع" بألف ولام، انظر ابن الأثير ٩: ٨٢، وابن خلّكان ٢: ٢٣٦، ٢٣٧، والنجوم ٧: ١٠٧ وغيرها وقد صححنا قرواش عن ضبط ابن خلّكان ٢: ٢٣٩.

(٣) "وفى هذه السنة (٤٠١) أيضًا خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل للحاكم بأمر الله العلوى صاحب مصر بأعماله كلها وهى الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها" (ابن الأثير ٩: ٩٢).

في كتب التاريخ، فلنسلك هنا سبيل الإيجاز، والغرض من هذا هو نقل المحضر الذى أجمعوا فيه على بطلان نسبهم، وهذه نسخته[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد به الشهود أن معدّ[2] بن إسماعيل[3] المستولى [4] على مصر هو معد بن إسماعيل بن عبد الرّحمن[5] بن سعيد[6]، وأنهم منتسبون إلى ديصان بن سعيد الذى انتسب إليه الدّيصانية، وأن سعيدا المذكور[7] صار إلى المغرب[8] وتسمّى[9] بعبد الله[10] وتلقب [11] بالمهدى وأن هذا الناجم[12] بمصر هو

---

(١) ذكر هذا المحضر أيضًا، باختلاف يسير مع جهانگشاى، أبو الفدا في ٢: ١٥٠، والمقريزى في الاتعاظ ٢٢: ٢٣ (= ٥٨. ٦٠ طبع مصر)، وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ٢: ١١٢ – ١١٣.

(٢) أى المعز.

(٣) أى المنصور.

(٤) أى الذى استولى سابقًا، يعنى المعز.

(٥) أى القائم، واسمه عند عامة المؤرخين محمد، ولكن المقريزى نقل في الاتعاظ ص ٤٥ قولا أن اسمه عبد الرحمن، وذكر المسعودى في التنبيه والإشراف ص ٣٣٤ أيضا أن اسمه عبد الرحمن.

(٦) هذا هو اسم المهدى على زعم أعدائه.

(٧) كذا في جميع النسخ، وقد أضافت النجوم: لما. ولا نجد هذه الجملة في أبى الفدا واتعاظ.

(٨) كذا في جميع النسخ، ولا نجد هذه الواو في النجوم، والجملة بأكملها ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ.

(٩) كذا في النجوم، وفى بعض النسخ يسمى، ولا نجد الجملة في أبى الفدا واتعاظ.

(١٠) النجوم: بعبيد الله، والجملة ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ، وكما يبدو صراحة في دستور المنجمين عبد الله كلاهما اسمان صحيحان للمهدى، انظر ص ١٣ حاشية ٣ وما يقابلها من الترجمة العربية، إذن فلا موجب للتوهم بأن عبد الله في المتن تصحيف عبيد الله.

(١١) كذا في النجوم، والجملة ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ.

(١٢) كذا في بعض النسخ وأبى الفدا والنجوم واتعاظ.

منصور الملقب[١] بالحاكم – حكم الله عليه بالبوار والدّمار – ابن نزار[٢] بن معدّ[٣] ابن إسماعيل[٤] بن عبد الرّحمن[٥] بن سعيد[٦] وإن من تقدمه [١٧٦] من سلفه الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاّعنين أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد على ابن أبى طالب، ولا يتعلّقون منه بسبب[٧]، وأما ما ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور لم يتوقّف أحد من أهل بيوتات الطالبيين[٨] من[٩] إطلاق القول في هؤلاء أنهم خوارج أدعياء، وأن هذا الإنكار لباطلهم كان شائعًا بالحرمين و[١٠] في أول أمرهم بالمغرب منتشرًا انتشارًا عظيمًا، وأن هذا النّاجم بمصر هو وسلفه كفّار وفسّاق و[١١] زنادقة ملحدون معطّلون، وللإسلام جاحدون[١٢] ولمذهب الثنوية[١٣] والمجوسية معتقدون، عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج و[١٧٧] أحلّوا الخمور، وسفكوا الدّماء، وسبّوا الأنبياء، وادّعوا الرّبوبية، وكُتب فى[١٤] ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة / نوفمبر ١٠١١م،

---

(١) كذا في جميع النسخ، وكذا أيضا في النجوم، وأبى الفدا واتعاظ: المتلقب. ولعله أظهر.

(٢) أى العزيز.

(٣) أى المعز.

(٤) أى المنصور

(٥) أى القائم، انظر حاشية (٤).

(٦) أى المهدى، انظر حاشية (٥).

(٧) هذه الجملة ليست موجودة في أبى الفدا واتعاظ والنجوم.

(٨) أبو الفدا واتعاظ لا يكتبان الجملة.

(٩) النجوم: عن. ولعله أصوب.

(١٠) كذا في جميع النسخ، والواو غير موجودة في النجوم، وأصل الجملة غير موجود في أبى الفدا واتعاظ.

(١١) كذا في جميع النسخ، وهذه الواو غير موجودة في أبى الفدا واتعاظ والنجوم.

(١٢) كذا في أبى الفدا واتعاظ، والجملة ليست موجودة في النجوم.

(١٣) النجوم: اليهودية، وليست الجملة موجودة في أبى الفدا واتعاظ.

(١٤) كذا في جميع النسخ، وقد أضاف كل من أبى الفدا واتعاظ: شهر.

وشهد بذلك من العلويين الشرفاء[١] المرتضى والرّضى الموسويّان وجماعة منهم[٢]، وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ أبو حامد الإسفراينى وأبو الحسن[٣] القدورى وقاضى القضاة أبو محمد بن الأكفانى[٤] وأبو عبد الله البيضاوى[٥]، وقد قرئ هذا المحضر على المنابر ببغداد وغيرها من البلاد.

---

(١) هذه الجملة غير موجودة في النجوم، ولم يذكر كل من أبى الفدا واتعاظ اسم أحد من الشهود.

(٢) أى من العلويين الشرفاء.

(٣) كذا في جميع النسخ، النجوم: أبو الحسين، وهو المشهور في كنيته.

(٤) النجوم: أبو محمد عبد الله بن الأكفانى، ابن الأثير ٩: ٩٨ وابن خلدون ٣: ٤٤٢ كلاهما: ابن الأكفانى.

(٥) ابن خلدون ٣: ٤٤٢: أبو عبد الله البيضاوى، ابن الأثير ٩: ٩٨: أبو عبد الله بن البيضاوى (بإقحام كلمة ابن)، والنجوم لا تذكره.

## ذكر جلوس المستنصر بن الظّاهر

لما مات الظاهر كان ابنه أبو تميم معدّ في السّابعة من عمره فأُجلس على كرسيّ العرش [١٧٨] ولُقّب بالمستنصر، وكان مشهورا بوفرة الجنون وقلّة العقل، ونظرا لما كان يأتيه من تلوّن في الأفعال، وتناقض في الأعمال، وإسراف في الأموال في غير مصارفها القويمة والمنع في مواضع الإطلاق –اشتهر بالمستنصر المجنون– وقد روى في الكتب وذكر في التواريخ روايات نادرة بعيدة كل البعد عما جرت عليه العادة عند الخلفاء والسّلاطين وما تقتضيه رسومهم، ونحن نذكر هنا خصلة أو خصلتين طريفتين حتى يمكن التوصل عن طريقهما إلى كنه أمثاله ونظائر أفعاله.

**أما الخصلة الأولى:** فهي عن إسرافه؛ وذلك أنه اعتاد أن يطلب عيون الجواهر القيّمة من الخزانة، فيدقّها كالكحل ويذروها في جدول ماء، **والثّانية:** هي أنه كان بخيلاً لدرجة أنه اضطر الجند – بسبب إمساك الأرزاق المعهودة ومنع الأطلاق المرسومة – إلى الشغب والثورة، فحصروه يوما في القصر، وطلبوا رواتبهم، فكتب بخطة رقعة في الاعتذار عن التقدير[١] والإمساك، ثم أرسلها إلى الجند:

**أصبحتُ لا أَرْجو ولا أَتَقى غيرَ إلهى ولـهُ الفضـلُ**

**جَدّى نَبِيّى وإمـامى أَبى وقَـولىَ التوحيدُ والعدْلُ[٢]**

---

(١) "القدر التضييق كالتقدير، وقدر عليه الشيء قدرا وقدره ضيقه، قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر]، أى: ضيق. (لسان وتاج).

(٢) هذان البيتان مذكوران في تاريخ ابن القلانسى ٩٥، والنجوم ٢: ٢٤٠،٢٣٩، والخطط للمقريزى ٤: ٧٣ وينسب المقريزى الواقعة المذكورة في البيتين للحاكم، والنجوم في الموضع الثانى للآمر بأحكام الله.

[١٧٩] المال مال الله والعبيد عبيد الله[١]، والعطاء خير من المنع، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

وأفعاله الباقية مماثلة لهذه الحكاية ويمكن قياسها عليها:

فإنّها خَطِراتٌ من وَساوِسِهِ يُعطى ويَمنع لا بُخلاً ولا كَرماَ

وعلى هذا النّحو قضى المستنصر عهده، وبقي في الخلافة ستّين عامًا[٢]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۝١٧٨﴾ [آل عمران].

وكان له ولدان، أحدهما يسمى أبو منصور نزار، جعله في البداية وليًا للعهد ولقّبه بالمصطفى لدين الله، ثم تراجع عن ذلك وخلعه، وجعل ابنه أبا القاسم أحمد وليا للعهد ولقبه المُستعلى بالله[٣].

وقد انقسم أئمّة البدعة وأعيانها بعد وفاة المستنصر إلى فريقين: فريق قال بإمامة نزار؛ على اعتبار أن النصّ الأول هو الصّحيح، وكان من هذه الفرقة الإسماعيلية؛ يعنى ملاحدة العراق والشّام وقومش[٤] وخراسان، وكان يقال لهم: النّزارية. وأثبتت الفرقة الأخرى إمامة المستعلى [١٨٠] وهم إسماعيلية مصر وتلك الديار ويقال لهم المستعلوية[٥].

---

(١) كذا أيضا في ابن القلانسى ٩٥، والنجوم ٢: ٢٤٠: والعبد عبد الله، والخطط ٤: ٧٣: والخلق عباد الله.

(٢) كانت وفاة المستنصر في ١٨ من ذى الحجة سنة أربعمائة وسبع وثمانين.

(٣) هذا سهو واضح؛ لأن الذى خلع نزارا من ولاية العهد هو أمير الجيوش شاهنشاه بن بدر الجمالي المعروف بالأفضل وليس المستنصر، ولقد تم خلع نزار بعد وفاة المستنصر (انظر ابن القلانسى ص ١٢٨ وابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٧، وابن ميسر ص ٣٤ – ٣٥). (المترجم)

(٤) قومش وقومس كانت إحدى الولايات الصغيرة الواقعة في الجنوب الشرقى لسلسلة جبال ألبرز (انظر حاشية (١) في ترجمة بويل الإنجليزية لهذا الموضع من جهانگشاى). (المترجم).

(٥) صبح الأعشى ج١٣ ص ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٧ في جميع المواضع: مستعلوية.

وفى عهد المستنصر أظهر الحسن بن الصبّاح الدّعوة بولايات الديلم على التفصيل الآتى فيما بعد، وقد أطلق على طائفة النزارية اسم الإلحاد لأنهم رفعوا – في دعوة الحسن بن الصباح – الشّرائع المحمّدية (التى سنّها الرسول) عليه السّلام، وأباحوا المحرّمات. قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤٧﴾ [المائدة]، ولكن طائفة المستعلوية لم ينسلخوا عن ظاهر الشرع، واقتدوا بسنن آبائهم وأجدادهم.

وقد تبع أجناد مصر وأهاليها المستعلى وأجلسوه على عرش الخلافة. بينما هرب نزار مع ولديه من المستعلى، وتوجّه إلى الإسكندريّة، فقبل أهلها بيعته. فأرسل المستعلى جيوشًا حصرته مدّة في الإسكندريّة، وفى النهاية سلّمت الإسكندريّة وحمل هو وابناه إلى مصر، وقد ظل الثّلاثة في السّجن بالقاهرة إلى أن قضوا نحبهم، وتدّعى طائفة النّزارية أن أحد أبناء نزار، الذى انتقلت إليه الإمامة – وفق مذهبهم الباطل – ترك ابنا له في الإسكندريّة لم يعثر عليه [١٨١] أو يتعرف أحد عليه، وإليه ينتسب رئيس ملاحدة ألموت الآن[١]، وسوف يأتى ذكر ذلك في دعوة الملاحدة الجديدة.

وقد بقى المستعلى في الخلافة إلى أن تُوفي[٢].

وجلس مكانه ابنه أبو على منصور[٣]، وفى الرابع من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة / ١٠ من أكتوبر ١١٣٠م قضى عليه فجأة جماعة من غلاة المذهب النزارى.

---

(١) من هذا نعلم أن هذا الموضع من الكتاب ألف من قبل فتح قلاع ألموت على يد هولاكو. انظر ج١ مقدمة المصحح ص فد – فاه.

(٢) في ١٧ صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة.

(٣) الملقب الآمر بأحكام الله.

ولما لم يكن قد أعقب ولدًا فقد جعل ابن عمه أبا الميمون عبد المجيد بن محمد وليا للعهد(١)، فقام مقامه، وصار خليفة، ولقب بالحافظ لدين الله، وبقي في الخلافة عشرين سنة(٢).

وجلس مكانه من بعده أبو منصور إسماعيل(٣)، وقد لقب بالظافر، قتله عباس بن تميم الذى كان وزيره(٤) [١٨٢] ونصب مكانه ابنه أبا القاسم عيسى وهو في الخامسة من عمره، وكان لقبه الفائز بالله(٥)، ولقد مات بعد أن مكث في الخلافة ست سنوات(٦).

ونصب بعد موته ابن عمه أبو محمد عبد الله بن يوسف بن حافظ خليفة، ولقب بالعاضد لدين الله، وقد ظل في الخلافة إلى أن استولى آل أيوب على مصر وبلادها.

***

(١) محمد هذا هو أبو الحافظ لدين الله بن المستنصر، ولم يكن خليفة، وكنيته أبو القاسم.

(٢) توفى في الخامس من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

(٣) وهو ابن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المذكور.

(٤) في منتصف المحرم، ويقول آخر في سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولمزيد من المعلومات عن عباس بن تميم. انظر ابن الأثير في حوادث سنتى ٥٤٤ و٥٤٨، وابن خلكان ج١ ص ٤٠٧. وأسامة بن منقذ في كتابه "الاعتبار" طبع فيليب حتى ص ١٨ – ٢٩، وقد ورد اسم عباس ابن تميم في صبح الأعشى ج ١٣: ٢٤٢، ٢٤٣ محرفًا "عياش" بياء مثناة تحتانية وشين.

(٥) لقب هذا الخليفة بإجماع المؤرخين هو الفائز بنصر الله، ويختصر أحيانًا إلى الفائز، فالفائز بالله الوارد في المتن سهو بلا شك.

(٦) في ١٧ من رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

## ذكر السبب في ذلك
## وما جرت عليه الحال فيه

في أوائل سنة أربع وخمسين[1] (صح: أربع وستين) وخمسمائة / ١١٦٨ - ١١٦٩م قدم جيش ضخم للفرنج إلى ديار مصر، فأعمل فيها القتل والنهب، [١٨٣] وكان شابور[2] وزير العاضد في ذلك الوقت هو صاحب الحلّ والعقد بمملكة مصر، فلما انشغل جند الفرنج بمحاصرة القاهرة وتملّك اليأس من الخليفة والوزير وأهالى مصر والقاهرة كافّة، عقد شابور صلحا مع قائدهم بألف ألف[3] دينار مصرى،

---

(١) هذا خطأ واضح ومخالف لإجماع المؤرخين، ومناقض لما صرح به المؤلف نفسه بعد ما يقرب من خمسة عشر سطرا من أن دخول شيركوه القاهرة مع جنوده كان في سنة ٥٦٤هـ، والصواب في المتن "أربع وستين" بدلا من "أربع وخمسين" وقد وضعنا التاريخ الصحيح بين قوسين.

(٢) جامع التواريخ ٦٢ وما بعدها: شاوور (بواوين) في كل المواضع (ص ٩٢ طبع طهران: شاور)، اسم هذا الشخص مذكور في جميع كتب المؤرخين العرب بلا استثناء "شاور"، بشين معجمة وواو واحدة، غير أنه لما كان اسمه قد كتب في هذا الكتاب في جميع المواضع وجميع النسخ بلا استثناء شابور (أو سابور) فإنه يتبين لنا أن هذه الكلمة ليست ناشئة من غلط النساخ، بل من المصنف نفسه الذى خيل إليه أنها شابور، وكان يقرؤها على ذلك، ويؤيد هذه الفقرة ما ذكر في جامع التواريخ الذى غالبا ما يتابع جهانگشاى في هذه الفصول، فقد كتبت هذه الكلمة في جميع المواضع (شاوور) بواوين، وواضح أننا احتفظنا بالإملاء الأصلية للمصنف في جميع المواضع. (المترجم: وقد عقد الأستاذ القزوينى في بحث هذه المسألة فصلاً طويلاً في حواشى آخر الكتاب، انظر جهانگشاى ج ٣ ص ٣٧١ - ٣٧٩ وما يقابلها من الترجمة العربية في هذا الكتاب ص٢٩٢ وما بعدها).

(٣) "وصالح شاور الفرنج على ألف ألف دينار" (أبو الفدا في حوادث ٥٦٤ ج ٣: ٥٤٧ - «فأرسل (شاور) إلى ملك الفرنج يشير بالصلح وأخذ مال، فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف دينار مصرية يعجل البعض ويمهل البعض" (ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة ج ١١: ١٥١).

بعضها بالأجل وبعضها نقدًا، فرفع الفرنج الحصار عن القاهرة، غير أنهم ظلَوا مقيمين بالدّيار المصرية انتظارا لاستيفاء باقى المال الذى اتّفقوا عليه.

وفى ذلك الوقت كان نور الدين محمود بن زنگي بن آقسنقر هو صاحب الشّام، فاستغاث العاضد والوزير وأهل مصر به من سيطرة الفرنج، وطلبوا الاستعانة بمدده ومعاضدته، لدرجة أنهم أرسلوا إليه [١٨٤] ذوابات من شعر النّساء، فأرسل نور الدين شيركوه، صاحب حمص، بجيش جرّار للمحافظة على ديار مصر، وقد صاحب صلاح الدين يوسف بن أيوب عمه شيركوه، ولما سمع الفرنج بخبر جيش الشّام عادوا إلى ديارهم، وتوجه شيركوه إلى القاهرة، فوصلها في السّابع من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة / ١٦ من يناير ١١٦٩م، وقد استقبله العاضد وشابور تعظيمًا وإكرامًا لمقدمه، فطلب شيركوه من شابور مالاً للجند، ولكنه أخذ في المماطلة والتسويف، فانقلب الولاء والصّفاء إلى تنافر وعداء، وأخذ شابور في التدبير لقتل شيركوه بحجّة دعوته لينزل ضيفًا عليه[١]، ولما كان العاضد ضعيفًا عاجزًا في يد شابور فقد أخبر شيركوه عن مكيدته، وهكذا وجد الباعث على قتله، وفى أحد الأيام قدم شابور عند شيركوه على سبيل التفقّد والتودّد فذهب ابن أخيه صلاح الدين يوسف لاستقباله وفق مقتضى العادة مع جماعة من أهل السّلاح، فقبض عليه وأرسل رأسه إلى العاضد طبقًا لرغبته. وكان ذلك في السّابع عشر[٢] من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة / ٢٦ من يناير ١١٦٩.

---

(١) "ثم إن شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمرائه ويقبض عليهم ... إلخ" (أبو الفدا ج ٣: ٤٨). (المترجم).

(٢) انظر ابن الأثير ١١: ١٥٢، والخطط ٢: ١٧٧٥، وابن خلّكان ١: ٢٣٧، ٢: ٥٦.

وقد عهد العاضد [١٨٥] بمنصب الوزارة إلى شيركوه، ولقّبه الملك المنصور، ولم تكد تمضى ثلاثة أشهر(١) حتى قضى نحبه، فأعطى الوزارة أخيه صلاح الدين يوسف، فضبط صلاح الدين الأمور، إذ استولى على العاضد ومملكة مصر، فكان العاضد يأتمر بأمره.

وكتب صاحب الشّام نور الدين محمود إلى صلاح الدين أنه: "طالما نفذ الحكم في تلك الممالك، فينبغى نصرة الحقّ على الباطل، وأن يوضع الحق في نصابه، فعليكم أن تظهروا شعار دعوة الإسلام بذكر اسم الخلفاء العبّاسيين"، فاستجاب صلاح الدين لذلك وخطب أول جمعة من المحرّم سنة ستّ(٢) (صح: سبع) وستين وخمسمائة على منابر الدّيار المصرية باسم الناصر لدين الله(٣) كما ضربت السكة باسمه.

ولقد توفي العاضد يوم عاشوراء، فحبس صلاح الدين أولاده [١٨٦] وأنسابه، وفى النهاية أذاقهم جميعًا شربة الفناء، وقطع نسلهم بصفة نهائية، واستقل صلاح الدين يوسف واستبدّ(٤)، وله آثار محمودة ومقامات مشهورة.

***

---

(١) كانت مدة وزارة شيركوه على وجه التحديد شهرين وخمسة أيام، وكانت وفاته في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة (ابن الأثير ١١: ١٥٣، وابن خلّكان ١: ٢٤٦).

(٢) وذلك سهو واضح ومخالف لإجماع المؤرخين، وهم جميعًا يذكرون أن قطع خطبة الفاطميين في مصر وإقامة الخطبة باسم بنى العباس وقع على وجه التحديد في سنة سبع وستين وخمسمائة، والصواب في المتن "سبع" بدلا من "ست" دون أدنى شك أو تردّد.

(٣) وهذا أيضًا سهو واضح من المصنف، والصواب باتفاق المؤرخين هو "المستضيء بالله" بدلا من الناصر لدين الله، بينما كان تاريخ جلوس الناصر لدين الله في سنة خمس وسبعين وخمسمائة، أى بعد ثمانية أعوام من هذه الواقعة. مدة خلافة المستضيء من سنة ٥٦٦ حتى سنة ٥٧٥هـ.

(٤) "استبد به تفرّد" (القاموس المحيط للفيروز آبادى). (المترجم).

## ذكر الحسن بن الصباح وما أحدثه من تجديد ودعوة الملاحدة التي يقال لها: الدعوة الجديدة لا جددها الله تعالى

بعد أن استأصل الحقّ تعالى -بفضل عزيمة وحركة أمير الدنيا هولاكو- قلاع هؤلاء الملاعين ورباعهم، ودفع شرّهم، صدر الأمر عند فتح ألموت، بأن يطّلع مؤلف هذا الكتاب على مستودعات الخزانة ومحتويات المكتبة كى يستخرج ما يجده لائقًا بالسّلطان، خلاصة القول: إننى لما كنت أقوم بفحص المكتبة التي كانوا قد بدءوا في جمعها منذ سنين عديدة، شرعت في استخراج المصاحف ونفائس الكتب -كما **يُخرج الحيَّ من الميّت**- من بين الكثير من أباطيل الفضول وأضاليل الأصول في مذهبهم وعقيدتهم، بحيث امتزجت بالمصاحف المجيدة وأنواع الكتب النفيسة، فانتسج فيها الخير بالشر، فعثرت على كتاب كانوا يسمونه "سرگذشت سيّدنا" (أى سيرة سيّدنا) يتضمن [١٨٧] ترجمة حياة الحسن بن الصبّاح، فنقلت منه ما كان ملائمًا[١] ومناسبًا لسياق هذا التاريخ، وأوردت ما كان مصدّقًا ومحققًا.

---

(١) حصل رشيد الدين أيضًا على هذا الكتاب: سرگذشت سيدنا. وأدرج خلاصته (وليس هو بعينه كما صرح) في جامع التواريخ، ولكن منقولاته من ذلك الكتاب أكثر تفصيلاً من منقولات الجوينى، وأغلب الظن أن الجوينى نظرا لفرط تدينه وتصلبه في العقيدة قد استعمل هذا الكتاب -الذى كان يعد في نظره من كتب الكفر والضلال- بكل كراهية واشمئزاز. ولهذا نلاحظ أنه أفرط في تلخيصه واختصاره، واقتصر بقدر الإمكان على أقل ما يمكن منه وما هو ضروري لفهم تاريخ "الملاحدة".

ترجع نسبته إلى قبيلة حِمْيَرْ، قدم أبوه من اليمن إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى قم، ومن قم إلى الرى، فاستوطنها، وهناك ولد الحسن بن الصبّاح.

(بيت فارسي ترجمته).

**- أصلك من قاين وموطنك في كوشكك[١]،**

**أيها الديوث الغبىَ، ماذا تفعل في جيلان؟**

**[١٨٨]** اسمه الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد (ابن)[٢] الصبّاح الحِمْيَرى، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ذكروا في السّيرة[٣] أن جماعة من أتباعه كتبوا أحوال آبائه وأحضروا الأوراق إليه، إلا أنه -على سبيل التّصنّع والتّليس- لم يقبلها وغسلها في الماء.

ويقرّر هذا الحسن اللعين: "كنت أتبع مذهب آبائى، وهو مذهب الشّيعة الاثنا عشرية، وكان في الرىَ رجل يسمى أميره ضراب على مذهب باطنية مصر، وكنا نتناظر معًا بصفة دائمة، فيكسر مذهبنا، ولكنى لم أكن أسلّم بينما استقرت آراؤه في قلبى، وفى تلك الأثناء أصبت بمرض خطير شديد، فقلت في نفسى: إن ذلك المذهب هو الحق، ولكنّى لم أقبله من جرّاء تعصّبى الشّديد، فلو وصل الأجل الموعود - والعياذ بالله- لهلكت دون أن أصل إلى الحق، فشفيت مما ألمَّ بي من مرض، وكان هناك رجل آخر من جملة الباطنية يسمى أبو نجم سرّاج. فذهبت أتعرّف عنده على

---

(١) كذا في مجمع الفصحاء وهفت إقليم، من أبيات لكوشككى القاينى من شعراء عهد السلطان سنجر وهو مخاطب الشاعر، انظر هفت إقليم في عنوان قهستان، ومجمع الفصحاء ج١ ص ٤٤٨.

(٢) كلمة "ابن" ساقطة من جميع النسخ الخطية، بينما الصواب بلا شك هو إثباتها؛ لأن الصبّاح لم يكن لقب محمد كما يظن إذا سقطت كلمة "ابن"، بل كان اسم أبيه، وكلمة الصباح من الأعلام المعروفة عند العرب؛ إلا أنها لم ترد لقبًا في أى موضع على الإطلاق.

(٣) يعنى سرگذشت سيدنا (سيرة سيدنا).

هذا المذهب، فشرحه لى وفصَّلَه حتى وقفت على غوامضه، وكان هناك رجل آخر يسمى "مؤمن" منحه عبد الملك بن عطّاش الإجازة بالقيام بأمر الدعوة [١٨٩]، فأردت أن آخذ على يديه عهد البيعة فقال: إن مرتبتك أعلى من مرتبتى فأنت حسن، أما أنا فمؤمن، فكيف آخذ عليك هذا؟ يعنى كيف آخذ منك البيعة للإمام؟". إلا أنه أخذ العهد منّى بعد إلحاح.

ولما وصل عبد الملك بن عطّاش داعى العراق في ذلك الوقت إلى الرىّ في سنة أربع وستين وأربعمائة / ١٠٧١ - ١٠٧٢م أعجب بى، فأمر بأن أتولى نيابة الدّعوة، وأشار بوجوب توجّهى إلى خليفة مصر، وكان في ذلك الوقت هو المستنصر[١].

وفى سنة تسع وستين وأربعمائة ١٠٧٦ - ١٠٧٧م توجّهت -عازمًا على السفر إلى مصر- إلى إصفهان (ثم سار منها عن طريق آذربيجان إلى الشام بعد الأخطار التي شاهدها ودوّنها في ذلك التّاريخ)[٢].

وفى النّهاية وصلت إلى مصر في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة/١٠٧٨ - ١٠٧٩م [٣]، فأقمت[٤] بها ما يقرب من سنة ونصف ولم أصل طوال[٥] [١٩٠]

---

(١) جامع التواريخ ٦٦ - (نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Pers. 1113- Suppl.* = ص ٩٩ ط. طهران): "وكان خليفة ذلك الزمان هو المستنصر بالله".

(٢) كذا بصيغة الغائب - ولقد لخص المصنف فصلا طويلا ابتداء من جملة: "ثم سار منها عن طريق آذربيجان" إلى هنا، ولهذا أورد الأفعال بصيغة الغائب، والفقرة المعادلة لهذه الكلمات في جامع التواريخ تقع في ما يقرب من صفحة كاملة (ورقة ٦٦ س ٢٤ - ورقة ٦٧ س ١٢ ويقع هذا الفصل في طبعة طهران من ص ٩٩ - ١٠١) وهو يقصد بالتاريخ هنا "سرگذشت سيدنا" (سيرة سيدنا).

(٣) جامع التواريخ ٦٧ = ص ٩٩ طبع طهران: "وصل سيدنا إلى القاهرة المعزية يوم الأربعاء الثامن من عشر من شهر صفر المظفر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة"، ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٧ (ج٩: ١٨٦) ويتبعه ابن ميسّر (ص ٢٧) أن تاريخ وصول الحسن بن الصباح إلى مصر كان في سنة ٤٧٩، وذلك سهو واضح لأن منقولات المصنف من "سرگذشت سيدنا" في هذه المواضع هى غالبًا عين كلام الحسن بن الصباح مباشرة ولا بد أن يكون قوله في الأمور المتعلقة به شخصيًا مقدمًا على أقوال الآخرين.

(٤) كذا بصيغة المتكلم.

(٥) ابن الأثير في حوادث سنوات ٤٢٧، ٤٨٧، ٤٩٤ يكرر التصريح بأن الحسن بن الصباح قابل المستنصر شخصيًا وسأله: "من إمامى بعدك؟ فقال: ابنى نزار". ولا شك في أن ما جاء في =

مدّة إقامتى إلى المستنصر، ولكن المستنصر كان واقفًا على أمرى وامتدحنى غير مرة. وكان أمير الجيوش(١)، أمير جنده، هو المتسلّط والحاكم المطلق، (وهو في الوقت نفسه) صهر(٢) المستعلى، الابن الأصغر الذى كان المستنصر قد نصّ نصًّا ثانيًا بأن يكون وليًّا للعهد. وكنت أنا طبقًا لقاعدة أصول مذهبى [١٩١] أقوم بالدّعوة لنزار، (وقد مضى تقرير ذلك)، لهذا ساءت علاقة أمير الجيوش بى، فعقد خاصره استعدادًا للنّيل منى، وكانت نتيجة ذلك أنهم أجبرونى على التوجّه إلى المغرب فوق ظهر إحدى السفن مع جماعة من الفرنج. وكان البحر هائجًا فألقى بالسّفينة إلى الشّام، وهناك وقعت لى واقعة(٣)، وقدمت من هناك إلى حلب فوصلت منها إلى إصفهان عن طريق بغداد وخوزستان في ذى الحجّة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة/ مايو – يونيه ١٠٨١، ثم توجهت منها إلى حدود كرمان ويزد فقمت بالدعوة حينًا، ثم

---

= "سرگذشت سيدنا" فيما يتعلق بالأمور الشخصية للحسن بن الصباح مقدم كما قلنا على أى قول آخر.

وانظر مقدمة إيفانوف الإنجليزية لكتاب كلام پير *pxv, f.n. 2* حيث يذكر الإشارات التي وردت في كتابات الإسماعيلية عن مقابلة الحسن بن الصباح للمستنصر الفاطمى. (المترجم).

(١) يريد به بدر الجمالي أبا أمير الجيوش شاهنشاه المعروف بالأفضل، وقد وصل في سنة ٤٦٦ هـ إلى وزارة المستنصر وبقى في هذا المنصب حتى نهاية عمره. وفى سنة ٤٧٨ هـ توفي المستنصر قبل وفاته بخمسة أشهر. (انظر ابن خلّكان في ترجمة ابن شاهنشاه، وابن ميسر ٢٢ – ٣٠، وخطط المقريزى ٢: ٢١١ – ٢١٣، وابن تغرى بردى في مواضع عديدة).

(٢) المراد بكلمة صهر هنا أبو الزوجة، فقد كانت بنت بدر الجمالى زوجة المستعلى، "وكان المستنصر نعت المستعلى بهذا اللقب (أى بولى عهد المؤمنين) لما عقد نكاحه على ابنة أمير الجيوش بدر" (تاريخ ابن ميسر ٦٦).

(٣) المراد بـ (الواقعة) كما يتضح من الفقرة المعادلة لهذا الموضع في جامع التواريخ ٦٨ = ص ١٠٣ ط طهران هى على ما يبدو الكرامة التي أظهرها كما يزعم في السفينة، وكان قد أخبر الناس قبل حدوث الواقعة بأن السفينة لن تغرق "وفجأة هبت ريح عاصفة فتحطمت السفينة فاضطرب القوم وكان سيدنا خالى البال مطمئنًا، فسأله رجل كيف تجلس هكذا آمنًا والحال على ما ترى؟ قال: أخبرنى المستنصر عن هذا الأمر وقال: لا تخش شيئًا على الإطلاق؛ ولذا تجدنى لا ألقى بالا، فاستقرت السفينة على صخرة إلخ".

عدت بعد ذلك إلى إصفهان، وذهبت مرّة أخرى إلى خوزستان، وقدمت من هناك إلى فريم[1] وشهريار كوه[2] عن طريق الصّحراء.

[١٩٢] وقد أقمت في دامغان ثلاث سنوات، ومن هناك وجهت جماعة الدعاة إلى أندجرود[3] والولايات الأخرى بألموت لكى يدخلوا النساء في الدعوة، ثم ذهبت إلى جرجان، وطرز[4]، وسرحد[5]، وچناشك[6]، ثم عدت أدراجى من هناك.

---

(١) كذا في جامع التواريخ ٦٨ ص ١٠٣ ط طهران، مدينة كانت تقع في المنطقة الجبلية شرقى مازندران.

(٢) شهرياركوه (جبل شهريار) الظاهر أنه كان عبارة عن سلسلة جبال فيروزكوه وسودا كوه الحالية، وكانت فريم هى مدينته الرئيسية.

(٣) أندجرود (أندج رود) وهى ما زالت باقية باسمها حتى الآن. وتعدّ - طبقًا للتقسيم الحالى - إحدى نواحى ألموت الأربعة: فيشان ناحيه، أندج رود، آتان ناحية، بالا رودبار.

(٤) طرز بطاء وراء مهملتين وزاى معجمة، لم أعثر على هذه الكلمة في أى كتاب من كتب المسالك والممالك، ويذكر ابن الأثير قرية بالاسم نفسه (يعنى طرز) في حوادث سنة ٥٢٠ ويقول: إنها من أعمال بيبق ومن القرى المخصوصة بالباطنية. والاحتمال شديد في أنها هى القرية المذكورة نفسها في المتن.

(٥) يبدو من سياق العبارة أنه ربما كان موضعًا في حدود جرجان أو قريبًا من تلك النواحى ولكن لم يتيسر لى تعيين موضعها على وجه التحديد. وفى الكتب القديمة في المسالك والممالك والكتب الحديثة في الجغرافيا توجد ثلاثة مواضع باسم "سرحد" ولكن ليس لأى منها صلة بهذا المقام، بل إنها جميعًا بعيدة تمامًا عن الموضع الذى نحن بصدده.

(٦) چناشك: هى إحدى النواحى على الحدود الشرقية لولاية إستراباد تبعد عن مدينة استرباد بحوالى عشرين فرسخًا من ناحية الشرق وحوالى عشرة فراسخ غرب جاجرم، وهى الآن عبارة عن ما يقرب من ست قرى منفصلة بعضها عن البعض، وكانت فيما سبق اسمًا لقلعة حصينة أيضًا تقع في تلك النواحى.

[١٩٣] (وسبب ذلك أن نظام الملك كان قد كلَّف أبا مسلم الرّازى[١] بأن يقبض على الحسن)، فكان يبذل أقصى ما في وسعه للعثور عليَّ، فلم أستطع القدوم إلى الريّ وكنت أريد أن أذهب إلى ديلمان ببلاد الرّوم حيث كنت قد أرسلت الدّعاة. ولذلك قدمت إلى سارى ومنها وصلت إلى قزوين عن طريق دنباوند وخوار الريّ، وهكذا تحاشيت الريّ.

وقد أرسلت من قزوين مرّة أخرى داعيًا إلى قلعة ألموت، وكان يتوّلاها رجل يقال له علوى مهدى من قبل ملكشاه، وألموت إله أموت يعنى عشّ العقاب[٢]، فقد كان للعقاب عشّ بها، فقبل الدّعوة جماعة في ألموت ثم دعوا بدورهم العلوى فقال هو بلسانه (تظاهرًا): "قبلتُ"، وأتبع ذلك باستعمال الحيلة فأنزل من القلعة كل من قَبِل الدّعوة وأغلق دونهم بابها، وقال: "هى قلعة السّلطان". وبعد نقاش طويل سمح لهؤلاء الجماعة بالدخول ثانية فلم يقبلوا بعد ذلك النّزول من القلعة بمقتضى طلبه.

[١٩٤] مجمل القول: إنى ذهبتُ[٣] من قزوين إلى ديلمان، (ثم توجّه منها إلى ولاية إشكور[٤]، حيث تركها إلى أندجرود المتاخمة لألموت فأقام بها فترة من الزّمن).

---

(١) "وكان رئيس الرى إنسانا يقال له أبو مسلم وهو صهر نظام الملك... فلما هرب الحسن من أبى مسلم طلبه فلم يدركه" (ابن الأثير حوادث سنة ٤٩٤).

(٢) يقول ابن الأثير (١٠: ١٣١): "ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب" . والظاهر أن تفسير ابن الأثير أقرب للصواب لأن "أموت" بلغة الديلم. كما يبدو . هى نفس كلمة "آموخت" ومعناها تعلم.

(٣) كذا بصيغة المتكلم المفرد.

(٤) إشكور بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف وفتح الواو ثم في الآخر راء مهملة وهو النطق الحالى للأهالى.

ويكتبها بيترولي في *The Castels of The Assassins* في كل المواضع *Ashkavar* بفتح الألف. (المترجم).

وعن طريق تزهّده الشّديد وقع كثير من النّاس في حبائله وقبلوا دعوته[١]، فحملوه إلى القلعة في مساء يوم الأربعاء السّادس من رجب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة/٤ من سبتمبر ١٠٩٠م، ومن نوادر الاتّفاقات أن حروف إله أموت هى بحساب الجُمّل تاريخ سنة صعوده إلى ألموت التي اغتصبوها، وبقى متخفيًا مدّة وسمّى نفسه دهخدا (العُمدة)، فلما اطّلع العلوى على واقع الحال وعلم أنه عاجز عن التصرّف، أذنوا له بالرّحيل، فكتب (الحسن) حوالة بثلاثة آلاف دينار هى ثمن القلعة لحاكم گردكوه ودامغان الرّئيس [١٩٥] المظفر المستوفى الذى كان قد قبل دعوته سرًا، وكان من عادة الحسن أن يكتب الرّقاع موجزة أشدّ الإيجاز؛ بسبب غاية الزّهد على نمط هذه الحوالة: الرئيس م ظ[٢] حفظه الله، لتسليم علوى مهدى ثمنًا لألموت ثلاثة آلاف دينار، على النبى المصطفى وآله السلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مجمل القول: إن علوى أخذ الحوالة وقال لنفسه: "إن الرّئيس المظفر رجل عظيم وهو نائب للأمير داد[٣] حبشى بن التونتاق فأنّى له أن يعطينى شيئًا برقعة كهذه"، وبعد مدّة نزل دامغان وكان قد صار مُقِلَّ الحال فأخذ الرقعة التي كانت معه إلى الرّئيس المظفّر على سبيل التجربة، فقبل الرئيس المظفّر الخط وسلّمه الذّهب في الحال.

---

(١) من هذا الموضع حتى أواخر الصفحة التالية فضلاً عن فقرات متعددة أخرى من هذا الفصل، وهى المتعلقة بالحسن بن الصباح نقلت بنصها قريبًا في تاريخ ابن إسفنديار، ويبدو أن هذه الفقرات من إلحاقات النساخ المتأخرين على تاريخ طبرستان.

(٢) يعنى المظفّر.

(٣) ذكر عطا ملك في الجزء الثانى من جهانگشاى اسم أمير خراسان في ذلك الوقت داد بك (أمير داد) حبشى بن التونتاق. انظر جوامع العلوم للفخر الرازى نسخة باريس ***Suppl. Pers. 1595*** ورقة ٦٧؛ تاريخ السلجوقية طبع هوتسما ص ٢٥٩؛ وابن الأثير في حوادث ٤٩٠، ٤٩٣.

فلما استقرّ الحسن بن الصبّاح -أخزاه الله- في ألموت واستقلّ، وجّه الدّعاة إلى الأطراف والأكناف، وقصر عهده على إظهار الدّعوة وإضلال قصّار النّظر، وقد أحدث في تلك البدعة تغييرًا أطلقت عليه تلك الطّائفة من بعده "الدعوة الجديدة"، إذ كان المتقدمون منهم قد أسسوا مذهبهم على تأويل التنزيل، وعلى الأخص الآيات المتشابهة والاستخراجات الغريبة من معانى الأخبار والآثار وما شاكل ذلك، وكانوا يقولون: إن لكل تنزيل تأويلاً ولكل [١٩٦] ظاهر باطنًا، ولكن الحسن بن الصبّاح فتح باب التعليم والتعلّم على مصراعيه. وقال: إن معرفة الله لا تكون بالعقل والنّظر، بل بتعليم الإمام؛ لأن أكثر الخلق في العالم عقلاء، ولكل شخص نظرة في طريق الدين، فلو كان نظر العقل كافيًا لمعرفة الله لما اعترض أهل مذهب من المذاهب على غيرهم، ولكان الجميع متساوين؛ لأن كل الناس متديّنون بنظر العقل. غير أن سبيل الاعتراض والإنكار مفتوح، ويحتاج البعض إلى تقليد البعض، وهذا هو مذهب التّعليم (يبيّن) أن العقل غير كاف، بل ينبغى وجود إمام بتعليمه يتعلّم النّاس في كل دور ويتديّنون.

وابتدع عدّة عبارات موجزة استعملها ملواحًا لحبائل خداعه، وأطلق عليها اسم الإلزام، فظنّ الجهّال والعوامّ أن تحت تلك الألفاظ المختصرة معانٍ كثيرة، وأدقّ هذه الألفاظ والمعانى هو ما كان يسأله للمعترضين على مذهبه وهو هل العقل كاف أم لا؟ يعنى أن العقل لو كان كافيًا لمعرفة الله لما وصل لذى عقل إنكار لمعترض، فلو قال معترض: إن العقل غير كاف فيجب -إلى جانب نظر العقل- وجود مُعلّم في كل حين، هذا هو مذهبه.

أما ما يقوله[1] من أن العقل كاف أم لا فإن مذهبه الذى يطلب إثباته في هذا السؤال هو أنه يجب وجود التّعليم مع العقل، بينما يقول مذهب الخصم بأنه لا يجب وجود التعليم مع العقل، فإذا لم يكن وجود التّعليم واجبًا فربما كان وجوده جائزًا، فعندئذ يكون معينًا للعقل على النظر، وقد لا يكون وجوده جائزًا فيكتفى بالعقل وحده [١٩٧] وإلا فلن تحصل معرفة الله، وهذان وجهان، بينما انشغل هو بإبطال الوجه الثانى، ويقول: إنّى أبطلت مذهبهم، ولكنه لم يفعل ذلك؛ لأن مذهب جمهور أهل العالم هو أن وجود العقل المجرد ليس كافيًا، ويشترط استعمال العقل على وجه مخصوص، فالتّعليم والهداية معينان لبعض العقلاء، وليس للبعض بهما حاجة، إلا أنه لا مانع إذا وجدا، فإذا كان الأمر كذلك لعرفنا أنه لم يكن قد بلغ مبلغ التعرّض لإبطال مذهب الجمهور.

كما أن وقف التّعليم على شخص معّين أمر يفتقر إلى دليل، ودليله هو مجرد قوله؛ إذ إنه يقول: "طالما أننى أثبت التعليم، وليس هناك من أحد غيرى يقول بالتّعليم لكان تعيين المعلّم إذن بقولى أنا". وهذا الكلام ظاهر الفساد، وهو بمثابة قول شخص: "إننى أقول: إن الإمام هو فلان والبرهان على ذلك أننى أنا أقول هذا الكلام". فإذا قال: "الإجماع حق، أما إذا كان قولى ليس صحيحًا فقد أبطلت إذن قول الآخرين ولاجتمعت الأمة على الباطل" فالجواب عليه أن الإجماع حق عند الجمهور بسبب القرآن والخبر وهو ليس كذلك عندك[2]، إذن بناء مذهبك على الإجماع يكون بناء على قول خصمك ولا يفيدك، وليس له خلاف هذا حجّة أخرى على تعيين الإمام.

---

(١) يبدأ كلام الجوينى من هنا في إبطال استدلال الحسن بن الصباح.

(٢) لا يعترف الشّيعة، ومن بينهم الإسماعيلية، بالإجماع الذى يعتبره أهل السنة أحد مصادر التشريع الأربعة، اللهم إلا باعتباره كاشفًا عن رأى الإمام المعصوم عند الاثنى عشرية. (المترجم).

أما ما كان قد قاله من أن [١٩٨] الرسول عليه السلام يقول: «**أمرت أن أقاتل النّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» وأن هذا يعنى أنه ينبغى أن يأخذوا قول لا إله إلا الله منى، وهذا هو (مذهب) التّعليم – فالإجابة عليه بأن هذا معارض لحكاية العجوز التي سألوها عن الله، فأشارت إلى السماء، فقال الرسول عليه السلام: «**دعوها فإنها مؤمنة**». وقال: «**عليكم بدين العجائز**». ولم يقل للعجوز: إنك لم تعرفى الله منى فلست مؤمنة. وقال أعرابى: «**أليس الزمان حقًّا**»[١]. قال الرسول عليه السلام: «**دعوه فقد فقه**». ومن هذا القبيل كثير يمكن إيراده. ولما كان هذا الكتاب ليس مجالا لإبطال مذاهب الباطل وإثبات مذهب الحق فقد رُئي أن الاختصار على هذا القدر أولى. هذا[٢] أنموذج من الخرافات التي تعدّ ظواهرها حبائل التّلبيس وبواطنها عوامل [١٩٩] إبليس، وكان يقرّر أن الهدف من ذلك هو المنع عن نظر العقل وتحصيل العلم، ﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧** ﴾ [البقرة].

خلاصة القول: إن الحسن كان يبذل قصارى جهده في استخلاص النّواحى المتاخمة لألموت والمواضع القريبة منها، وكان يتسلّم كل مكان تيسّر بتلبيس الدّعوة، وأما ما لم يغترّ بتغريره فكان يستولى عليه بالقتل والهتك والنهّب والسّفك والحرب، وكان يستولى على كل ما يستطيع من القلاع، وحيثما كان يجد منطقة صخريّة تصلح للبناء أقام عليها قلعة.

---

(١) لم أستطع أن أعثر على أصل الحديث في أى موضع.

في الأصل: أليست. (المترجم).

(٢) من هذا الموضع وحوالى خمسة أسطر أخرى مكتوبة في ابن اسفنديار.

وكان من بين خواصّ السلطان ملك شاه أمير يسمى يورناس (ظ: يورنتاش)[١] [٢٠٠] كانت نواحى ألموت إقطاعًا له، فكان يهاجم سفح ألموت المرّة تلو المرّة وكان يقتل ويغير على كل من قبل دعوة (ابن الصباح) وأطاعه حيثما كان، ولما لم تكن القلعة قد زُوّدَت بعد بالمؤن فقد ضاق الأمر على المقيمين بها وأصابهم العجز وعزموا على أن يسلّموا القلعة لعدد ضئيل من الرّجال ويتحوّلوا عنها إلى مكان آخر، عندئذ ادعى الحسن بن الصباح أن رسالة وصلته من إمامه، يعنى المستنصر، تقضى بألا ينتقلوا من ذلك الموضع؛ فالإقبال منه متوقّع، وهكذا استطاع بهذا التمويه أن يجعل القوم يعقدون العزم على مقاساة الشّدائد فتمكّنوا في ألموت، وأطلقوا عليها اسم بلدة الإقبال؛ نسبة إلى هذا اللفظ الذى ذكره.

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمائة [١٠٩١ - ١٠٩٢م] أرسل أحد دعاته المسمّى حسين القاينى إلى قهستان ليتولّى الدعوة بها، فاستجاب له جماعة واستقلّوا

---

(١) يبدو أن هذه الكلمة الفاسدة في كل النسخ الخطية هى تصحيف "يورنتاش" وهى في التركية بمعنى الحجر الأبيض من (يورن) (يورون، يورونك، أورون، أورونك) بمعنى أبيض (تاش) بمعنى حجر، وفى ديوان لغات الترك لكاشغرى ١: ١٢٠ يقول: "أرنك الأبيض من كل شيء والغزية تسمية آق"، وللكلمة رسم آخر هو أورنكتاش (جامع التواريخ طبع بلوشه ٢٦٥)، ومن نظائر هذا التركيب أرنك قش بمعنى الصقر الأبيض، وتأتى أيضًا بمعنى الطائر الأبيض (الكاشغرى ١: ٢٧٨). ويرنقش رسم آخر للكلمة نفسها وهو من الأعلام التركية المعروفة ويأتى ذكره كثيرًا في تاريخ السلاجقة، وأورونك تيمور يعنى الحديد الأبيض وهو أيضًا من الأعلام التركية (حواشى بلوشيه على جامع التواريخ ٢٦٥) وأرنبغا (أرنك بوغا) بمعنى الثور الأبيض وهو اسم أشخاص عديدين من أمراء مماليك مصر (المنهل الصافى في باب الألف)، ولم أعثر على اسم هذا الأمير في أى كتاب من كتب التواريخ المعروفة، وكان ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩٤ (ج ١٠: ١٣٢) قد ذكر أصل الموضوع، ولكنه لم يذكر اسم هذا الأمير، وفى تاريخ گزيده ص ٥١٨ كتب اسم هذا الأمير "ألتون تاش" والواضح أنها كلمة مغايرة تمامًا وهى تحريف من النساخ أو من المؤلف نفسه.

بإحدى نواحى قهستان، فاعتبر نائبًا لحكمهم من قبل الحسن بن الصبّاح، وكما تقدّم الحسن بن الصبّاح في ألموت بذلوا هم أيضا جهدهم في العمل على إنشاء الدعوة بقهستان واستخلاص النّواحى المحيطة بهم وحدودها عن طريق استعمال التزاوير[1] والاستيلاء على القلاع.

[٢٠١] فلما تفشّت حكاية بدعته وامتدت أضرار تلك الطائفة إلى المسلمين المجاورين لهم أنفذ السّلطان ملكشاه في أوائل سنة خمس وثمانين وأربعمائة [١٠٩٢م] أميرًا يقال له أرسلانتاش؛ لمحاربة الحسن بن الصبّاح وأتباعه واستئصالهم، فقعد الأمير في جمادى الأولى[2] من السنة المذكورة لمحاصرة ألموت، ولم يكن مع الحسن بن الصبّاح في ذلك الوقت سوى ستين أو سبعين رجلاً، ولم يكن لديهم سوى القليل من المؤن، فكانوا يعيشون على ما يسدّ الرّمق من قليل القوت، وكانوا منشغلين بحرب المحاصِرين وقتالهم. وكان داعى الحسن ابن الصبّاح، المسمى دهدار بو علي، قد انتقل من زواره وأردستان، وأقام في قزوين، واستجاب له قوم كثيرون من أهل قزوين، كما كان هناك أناس كثيرون قد تقلّدوا الدعوة الصبّاحية في ولايات الطالقان وكوه بره[3] وولاية الرى، [٢٠٢] وكان رجوعهم إلى ذلك الذى استوطن قزوين، فطلب الحسن بن الصباح المدد من دهدار بو على الذى حرض جماعة من أهالى كوه بره والطالقان كما

(١) لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة (العربية) أو معرفة المقصود منها، ولم أعرف هل المعنى المعروف للتزوير وهو المكر والحيلة والخداع هو المراد هنا أم المراد معنى آخر، وفضلاً عن هذا فإن جمع تزوير على تزاوير ولو أنه جائز قياسًا في الاستعمال إلا أنها تبدو غريبة إلى حد ما وغير مألوفة كما لو جمعنا مثلاً تدليس وتنبيه على تداليس وتنابيه.

(٢) كذا وبالتذكير، "قال الفراء: فإن سمعت تذكير جمادى فإنما يذهب به لى الشهر" (لسان وتاج)، "قال ابن مكى: ولا يقال جمادى الأولى بالتذكير وجوزه في كلامه على تثقيف اللسان" (صبح الأعشى ٢: ٣٦٧).

(٣) كوه بره هى قطعا بره التي وصفت في نزهة القلوب ٢١٧، ٢١٨ ومن الوصف الذى ورد في نزهة القلوب نتبين على وجه اليقين أنها منجيل الحالية.

أرسل من قزوين الأسلحة وآلات الحرب وقدم ثلاثمائة رجل من هؤلاء الرجال لمدد الحسن بن الصبّاح، فألقوا أنفسهم داخل القلعة وبمعاونة المقيمين في ألموت ومظاهرة قوم من أهالى رودبار، كانوا قد اتفقوا وتواعدوا على لقائهم خارج القلعة، أغاروا ليلا على جيش أرسلانتاش في آخر شعبان من السنة نفسها [سبتمبر – أكتوبر ١٠٩٢]. فانهزم جيش أرسلانتاش بتقدير إلهى وانصرفوا عن الموت وعادوا أدراجهم إلى ملكشاه.

وجزع السّلطان ملكشاه من جرّاء هذا، ولكنه أصرّ على استئصال تلك الطّائفة، غير أن أجله كان قد وصل إلى نهايته، فتباطأت إجراءات قمع أولئك المخذولين؛ بسبب وفاته وقويت فتنتهم.

وفى أوائل سنة خمس وثمانين وأربعمائة [١٠٩٢م] أوفد السّلطان أيضًا أميرا آخر من خواصّه يقال له غزل سارغ لدفع ملاحدة قهستان، وأمر جيوش خراسان باتبّاعه ومعاونته، فحاصرهم غزل سارغ في قلعة [٢٠٣] دره[(١)] المتاخمة لسيستان وهى من أعمال مؤمناباد[(٢)] واشتغل بقتالهم. فوصله خبر وفاة ملكشاه قبل

---

(١) دره قرية تبعد عن طبس مسينان بحوالى خمسة عشر فرسخًا كما تبعد عشرين فرسخا جنوب شرقى بيرجند وتقع على رأس الطريق الموصل من بيرجند الى سيستان، وما زالت هناك إحدى القلاع القديمة على القمم الواقعة على حدودها. انظر نزهة القلوب ١٤٦، وجامع التواريخ ٧٢ (نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Suppl. Pers 113* ص ١٠٩ ط طهران)، وتاريخ سيستان ٣١، وبلدان الخلافة الشرقية للوسترنج ٣٦٣، والخرائط الأوروبية الجديدة وتكتبه ***Duruh, Dera,*** والأخيرة هى الإملاء الإنجليزى لهذه الكلمة؛ لأنهم في اللغة الإنجليزية يكتبون الفتحة أحيانًا ***u*** وقد طبعت هذه الكلمة في خريطة إيران لميرزا عبد الرازق خان المهندس (نقلا عن الخرائط الإنجليزية دون أدنى شك) دورره بواوين، وذلك سهو.

(٢) مؤمن آباد ناحية جبلية بين بيرجند وطبس مسينان تقع شرقى بيرجند وغربى طبس مسينان وما زالت تحمل الاسم نفسه، انظر نزهة القلوب ١٤٦، وجامع التواريخ *72u* = ص ١٠٩ ط طهران، وبلدان الخلافة الشرقية ٣٦٢ والخرائط الجديدة.

استخلاصها، فنهض عنها وتفرّق جيشه. وعلى شاكلة طغاة الموت مدّ أولئك الجماعة يد التّطاول إلى كل طرف من الأطراف، وسحبوا قدم التّعدى، كما قيل:

يَا لَكِ مِن قُبَّرَةٍ بِمَعْمِرِ
خَلاَ لَكِ الجَوُّ فَبِيضى واصْفِرِى[1]

وفى بدء[2] خروج الحسن كان نظام الملك الحسن بن على بن إسحاق الطوسى –رحمه الله– وزيرًا لملكشاه، ولقد بذل غاية جهده في استئصال الفتنة الصبّاحية من جذورها، وكان يسعى جهده في تجهيز وتسريح العساكر لقمعهم وقسرهم، وذلك لما كان يراه بنظره الثّاقب من شمائل أحوال الحسن [٢٠٤]. بن الصبّاح وأتباعه وهم أمارات الفتن في الإسلام، ولما كان يشاهده من علامات الخلل. فمدّ الحسن بن الصبّاح مصائد المكائد؛ كى يستدرج في فخ الإهلاك منذ الوهلة الأولى صيدًا عظيمًا، مثل نظام الملك، فيذيع بسبب ذلك صيتُ ناموسه. فمهّد بشعبدة الغرور ودمدمة الزّور والتعبئات المزخرفة والمعمّيات المزيفة[3] لقاعدة الفداوية، فتوجه رجل اسمه أبو طاهر[4] الأرّانى، ونسبه **خسر الدنيا والآخرة**، وهو مزوّد بالضّلال (لاعتقاده) بأنه يطلب سعادة الآخرة – إلى حدود نهاوند في منزل

---

(١) صدره: يا لك من قبرة بمعمر، من جملة أبيات لطرفه بن العبد أو للكميت بن ربيعة التغلبى، انظر مجمع الأمثال في باب الخاء (طبع مصر ج١ ص ١٦١) ولسان العرب في مادة ق ب ر.

(٢) من هنا إلى حوالى ١٤ سطرا آخرين مكتوب بالنص في تاريخ ابن اسفنديار.

(٣) لعل الإشارة هنا إلى (الجنة) التي وصفها ماركوبولو في رحلته، وقد نقل نص ماركولو إدوارد براون في المجلد الثانى من موسوعته تاريخ الأدب في إيران وهو المجلد الذى ترجمه إلى العربية المرحوم الأستاذ الدكتور ابراهيم أمين الشواربى، انظر ص ٢٥٣ – ٢٥٥. (المترجم).

(٤) في جامع التواريخ ٧٣ وحبيب السير جزء ٤ من المجلد الثانى ص ٧٣: أبو طاهر، وقد فضلنا رسم جامع التواريخ لأن المصنف قد درج على كتابته "بو" من دون ألف فهو مثلاً يكتب اسم المهدى في ص ١٥٦: بو عبد الله. (المترجم).

يقال له سحنه[١] ليلة الجمعة الثانى عشر من رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة على هيئة صوفى. وتقدم إلى محفّة نظام الملك وهو متوجه في المحفّة بعد الإفطار من البلاط إلى خيمة الحريم فطعنه بخنجر، فاستشهد نظام المُلك متأثّرًا بجراحه، فكان أوّل شخص قتله الفداوية[٢].

ولما عاد الحسن بن الصبّاح من مصر توجه إلى إصفهان، كان قد ذاع صيت مقالته [٢٠٥] وانتسابه إلى الباطنية والدّعوة التي كان يقوم بها، وكان الأشخاص الذين جبلوا على نصرة الإسلام والذّود عن الدين يطلبونه، فكان يتوارى لهذا السّبب[٣]، وفى إصفهان ذهب إلى دار الرّئيس أبى الفضل، الذى كان قد قبل دعوته خفية وأقام بها مدّة، وعندما كان الرئيس يقابله يتبادلان أطراف الحديث ويناقشان همومهما ومتاعبهما، وذات يوم -في أثناء الشكوى من الزمان وحكاية

---

(١) قرية من توابع كرمانشاه ما زالت باقية باسمها حتى الآن. (المترجم).

(٢) آخر الفقرة المعادلة لابن اسفنديار.

(٣) يضيف رشيد الدين في هذا الموضع (جامع التواريخ)، (الجزء الخاص بالإسماعيلية ص ١١٠ – ١١٢ طبع طهران) "قصة الأصدقاء الثلاثة" وهم الحسن بن الصباح ونظام الملك وعمر الخيّام (ونجد هذه القصة منقولة إلى الترجمة العربية للمجلد الثانى من موسوعة براون *A litrary History of Persia vol. II* للمرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربى ص ٢٣٦ – ٢٣٨)، وهى مذكورة أيضا في تاريخ گزيده لحمد الله المستوفى، وروضة الصفا لميرخوند، وحبيب السير لخواندامير، وتذكرة الشعراء لدولتشاه، والكتاب المنسوب لنظام الملك "الوصايا"، كذلك في مقدمة رباعيات الخيام المنشورة بالفارسية والإنجليزية. وانظر تحليلاً لهذه القصة في كل من: كتاب براون في الموضع المذكور، وحواشى القزوينى على چهار مقالة لنظامى عروضى السمرقندى طبع ليدن ص ٢١٦ – ٢١٧، ومقال لوكهارت في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية بلندن المجلد الخامس سنة ١٩٢٩ بعنوان: *Hasan- I- Sabbah and The Assassins B.S. O. A. S. 1929 VOL. I pp. 676 - 696*– ومقال بوين في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية بعنوان: *The Sar - Gudhasht _i_Sayyidna, The Tale of Three School Fellow and The Wasaya of The Nizam el-Mulk by Harold Bowen, J.R.A.S. 1931, pp. 782-771* والرأى العلمى السائد الآن بالنسبة إلى هذه القصة أنها أسطورة اختلقها الإسماعيلية؛ ليضعوا زعيمهم الحسن بن الصباح في مصاف وزير عظيم له خطورته وشهرته مثل نظام الملك، أو رياضى فيلسوف كعمر الخيام. (المترجم).

تعصب السّلطان وأركان دولته- تأوّه الحسن بن الصبّاح، وقال: "واأسفاه! لو كان معي رجلان قلبا واحدا لكنت قلبت هذا الملك رأسا على عقب"، فظنّ الرئيس أبو الفضل أن الحسن قد أصيب بأعراض الماليخوليا من كثرة الفكر وشدّة الخوف ومباشرة الأسفار المحفوفة بالخطر، وإلا فكيف يمكنه بشخصين متّحدين أن يقلبا رأسا على عقب ملكا لسلطان تقع تحت خطبته وسكّته البلاد من مصر إلى كاشغر ويسير تحت لوائه الألوف ما بين راجل وراكب، يجعل العالم يضطرب بإشارة واحدة، فأمعن النّظر في هذا، وقال لنفسه: "إنه ليس رجلا من أهل اللغو والقول الجزاف، فلا شك أنه أصيب بمرض عقلي"، وعلى ضوء هذا الظّن أخذ يعدّ العدّة لعلاج مرض الماليخوليا دون أن يطّلع الحسن. فأعد مشروبات معطرة وأغذية مقوّية للمزاج ومرطّبة للدّماغ تناسب من يعاني من مثل هذه العلّة، وحملها إليه في الوقت المعتاد لتناول شرابه وطعامه، وعندما شاهد الحسن بن الصبّاح نوع الشّراب والطعّام وقف على ما يدور في خلد الرئيس أبي الفضل وعزم على الرحّيل في الحال، ولقد أكثر الرّئيس من التضرّع [٢٠٦] والرّجاء، ولكنه رفض البقاء. ويقال: إنه ذهب إلى كرمان[١]، ثم عاد بعد ذلك وتمكّن من ألموت، وقتل نظام الملك على يد الفدائيين، ومات السّلطان ملكشاه بعد نظام الملك بأربعين يوما، واختلّت أمور المملكة واضطربت أحوالها وظهر الاضطراب والفوضى في الولايات. وانتهازًا لتلك الفرصة قوى أمر الحسن بن الصبّاح فكان يلجأ إليه كل من أصابه خوف، فانتهز الرّئيس أبو الفضل المذكور فرصة وذهب إلى ألموت، وانخرط في زمرته، وذات يوم اتّجه الحسن إليه وقال: "لا نعرف على وجه التحقيق من منا كان مصابا بالماليخوليا أنا أم أنت؟ لقد رأيت أنّي عندما وجدت رفيقين لمعاونتي وفّيت بقولي وبرهنت على دعواي". فخرّ الرئيس أبو الفضل ساجدا عند أقدامه وطلب المغفرة.

---

(١) جامع التواريخ ٧٥ = ص ١١٣ ط طهران "إلى مصر"، وهذا خطأ فاحش، فالواضح أن الجويني قال في بداية هذه الحكاية: "ولما عاد الحسن بن الصباح من مصر توجه إلى إصفهان"، فلا بد أن تكون هذه الواقعة قد حدثت إذن بعد عودته من مصر وليس قبل عودته.

وبعد[1] نظام الملك بفترة طعنوا اثنين من أولاده بالخنجر على دفعتين، فأما أولهما المسمى أحمد[2] فقد أصيب بالشّلل في بغداد، [۲۰۷] كما طعنوا فخر الملك[3] بالخنجر في نيسابور، ثم إنه أخذ بعد ذلك في قتل الأمراء والقوّاد والمشاهير الواحد تلو الآخر بحيلة الفداوية، فكان يتخلّص من كل من يتعصب معه بهذه الحيلة، ويطول بنا المقام لو ذكرنا أسماءهم[4]، ومن أجل هذا ابتلى القريب والبعيد من أصحاب الأطراف بحبّهم وبغضهم فكانوا واقعين في ورطة الهلاك، أما المحبّون فكان ينطبق عليهم حكم «**خسر الدنيا والآخرة**» لما كان سلاطين الإسلام يقومون به من قهرهم واستئصالهم، وأما المبغضون فكانوا يلوذون بقفص التحفظ والحيطة لما كان يتميّز به من مكر وحيلة فقُتل منهم الكثيرون.

ولما دبَّ النزاع بين بركيارغ وأخيه محمد، وَلَدىْ السلطان ملكشاه، وظهر الاضطراب والخلل في المملكة اتّفق الرئيس المظفَّر الذى كان حاكم دامغان مع

---

(١) في جامع التواريخ ٧٥ = ص ١١٣ ط طهران: وقبل واقعة نظام الملك، وذلك خطأ فاحش.

(٢) يعنى أبا نصر أحمد بن نظام الملك الذى كان ملقبا بلقب أبيه نظام الملك، وقد عين من سنة ٥٠٠ – ٥٠٤ وزيرا للخليفة المسترشد بالله، وتوفي في بغداد سنة ٥٤٤، وقد وقعت حادثة طعنه بالخنجر على يد الباطنية في سنة ٥٠٣ هـ في جامع بغداد، انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥١٦، ٥١٧، ٥٤٤، وتاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص ٩٦ – ١٠٢ ويكتب لقبه ضياء الملك، وراحة الصدور ص ١٥٢ – ١٦٢ – ١٦٥.

(٣) يعنى فخر الملك أبا الفتح المظفر بن نظام الملك، اختاره تتش أرسلان وزيرًا له في سنة ٤٨٧هـ. ثم عمل وزيرا في السنة التالية لبرقيارق بعد قتل تتش، ونال وزارة السلطان سنجر في حدود ٤٩٠ هـ وبقي فيها عشر سنوات إلى أن توفي، وقد قتل بيد الباطنية في نيسابور سنة ٥٠٠ هـ، انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥٠٠، وتاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص ٨٦، ٢٦٥، وراحة الصدور ص ١٣٩، ١٤٣.

(٤) نجد أسماءهم في جامع التواريخ القسم الخاص بالإسماعيلية طبع طهران ص ١٣٤ – ١٣٧. (المترجم).

منويه الأمير داد حبشى[1]، على أن يطلب قلعة گردكوه من السّلطان بركيارق، [٢٠٨] فقرن السلطان ملتمسه بالإجابة. فذهب الرّئيس المظفر بوصفه نائبًا عن حبشى إلى قلعة گردكوه وأنفق في عمارتها واستحكاماتها أموالا طائلة. ونقل كلّ خزائن منويه إليها، فلما استظهر بالذّخائر والخزائن أظهر سر معتقده بقبول الدّعوة لصاحب البدعة والتزام طريقة الكفر والإلحاد، وأقام في القلعة أربعين سنة من قبل الحسن بن الصباح حتى نهاية عمره، وحفر بئرا في فصيل گردكوه في الحجر الصّلد، وتعمّق ثلاثمائة ذراع، فلما لم يصل إلى الماء ترك الحفر، وبعد وفاته بسنوات وقع زلزال فتفجرت عين في البئر.

مجمل القول: إن أمر الحسن ودعوته قد ارتفعا بمعاضدة الرئيس المظفّر الذى كان سدًا منيعا وشرًا بليغا. وكان المقيمون في قلعة لمّسر[2]، وهى تقع أيضا في رودبار بألموت، يرفضون دعوته فأرسل أحد رفاقه المسمّى كيابزرك أميد مع جماعة من الملاحدة فتسلّق القلعة خفية في ليلة الأربعاء العشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين[3] وأربعمائة [١٠ من سبتمبر ١١٠٢م] [٢٠٩] وقتل ساكنيها، وأقام بزرگ أميد عشرين عاما في تلك القلعة، ولم يكن ينزل منها إلا عندما يستدعيه الحسن.

---

(١) الأمير داد حبشى بن التونتاق من أمراء السلاجقة المعروفين وكان واليًا على خراسان وقتل في سنة ٤٩٣ هـ في الحرب التي نشبت بينه وبين سنجر (انظر جهانگشاي ج٢ ص ٢، ٣، ج٣ ص ١٩٥).

(٢) زارت الآنسة فرياستارك أطلال لمسّر في سنة ١٩٣١م، ووصفت مشاهداتها في تلك المنطقة في فصل كتبته بعنوان "قلعة الحشاشين في لمسّر»، وهو الفصل الرابع من كتابها *The Valleys of The Assassins.* (المترجم).

(٣) جامع التواريخ نسخة باريس ورقة ٧٦: وثمانين، طبع طهران ص ١١٥: تسع وثمانين.

وكان للحسن بن الصبّاح ولدان، أحدهما يقال له الأستاذ حسين، وكان في قلعة ألموت علوى يقال له زيد بن حسنى، وقد كان يدعو لنفسه سرًا، وكان قد أوشك على أن يضع نهاية لأمر الحسن بن الصبّاح، وفى بداية الأمر قُتل حسين القاينى[١] الذى كان داعى قهستان بيد حسين[٢] الدنباوندى، فاتهم الأستاذ حسين بن الصبّاح بدم حسين القاينى، فأمر الحسن بقتل ابنه وأحمد[٣] [٢١٠] الدنباوندى. وبعد مضىّ عام وقف على حقيقة الأمر فقتل العلوى بابنه الذى قُتل.

ولما كان الحسن بن الصباح قد وضع أساس العمل والناموس على الزّهد والورع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٤]، فلم يشرب أحد في ملكه الخمر جهارا أو يصبّها في جرّة طوال خمسة وثلاثين عاما[٥] أقامها في ألموت، وقد وصل به الأمر إلى أنه طرد من القلعة رجلا كان يضرب على النّاى فلم يعد إليها مرة ثانية، وكان ابنه الآخر واسمه محمد قد اتهم بشرب الخمر فأمر بقتله، وكان من عادته أن يشير إلى أنه إزاء قتل ولديه الاثنين لن يتصوّر أحد بعد وفاته أنه كان يقوم بالدعوة من أجلهما وأن ذلك كان هدفه.

---

(١) حسين القاينى من دعاة الحسن بن الصباح المعروفين.

(٢) يبدو من سياق العبارة بعد ثلاثة أسطر أخرى أن "أحمد الدنباوندى" ينبغى أن يكون في مكان "حسين الدنباوندى" ويظهر أن هذا هو الصواب. وربما كان النساخ، أو المصنف نفسه – نظرا لكثرة تكرار أسماء الحسن وحسين وحسنى وقد وردت هذه الأسماء عدة مرات على التوالى في هذه الأسطر الثلاثة – قد أبدلوا "أحمد" بـ "حسين" دون قصد.

(٣) الحاشية السابقة.

(٤) ليس "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" كالمصطلح المستعمل اليوم.

(٥) جامع التواريخ ٨٢: ثمانية وثمانين = ص ١٢٤ ط طهران: ثمانية وثلاثين.

وعلى منوال هذا الناموس حدث ذات مرة أنه أرسل في وقت الحصار[١] امرأته مع ابنتيه [٢١١] إلى گردكوه وكتب إلى الرئيس المظفر: "إذا قام هؤلاء النسوة بالعمل على المغزل من أجل الدعوة فأعطهن أجر حاجتهن". ومنذ ذلك الوقت لم يكن حكامهم[٢] يحتفظون بنسائهم إلى جانبهم أثناء تأديتهم لوظيفتهم.

ولما تمادى الاستيلاء الصبّاحى واستفحل جمع السلطان محمد بن ملكشاه الجيوش لاستئصالهم، وأرسل على رأسها نظام الملك أحمد بن نظام الملك. فطوّق ألموت وأستاوند القريبة منها على شاطئ أنديج[٣]، ونشب بينهم القتال فترة من الوقت وأتلفوا غلّتهم، فلما [٢١٢] عجز عن إنجاز مهمّته خرج الجيش من رودبار، وعمَّ قلاعهم غلاء عظيم حتى اقتاتوا بالعشب، وقد أدّى ذلك بهم إلى أن دفعوا بنسائهم وأبنائهم إلى كل صوب، كذلك أرسل هو الآخر امرأته وابنتيه إلى گردكوه، وكان الجيش يهاجم رودبار المرّة تلو المرّة طيلة ثماني سنوات متّصلة فيتلف الغلال، وكان الجانبان منشغلين بالقتال، فلما عرف (السلطان محمد) أنه لم يعد لدى الحسن ورجاله قوت ولا قوة أمّر الأتابك نوشتكين شير گير[٤] على الجيوش في أول سنة إحدى

---

(١) يعني محاصرة ألموت التي استمرت ثماني سنوات وقام بها جنود السلطان محمد بن ملكشاه، وكما سيصرح المصنف في الصفحتين التاليتين.

(٢) ترجمنا كلمة "محتشم"، وكان يعبر بها عن الرئيس المحلى في دولة الإسماعيلية في إيران، إلى: حاكم (انظر كتاب "المغول في التاريخ" للأستاذ الدكتور فؤاد الصياد ص ١٤٦). (المترجم).

(٣) المقصود هو نهر أندج بفتح ألف وسكون نون وكسر دال مهملة وفى الأخر ج وهو أحد فروع نهر ألموت وما زال هذا الاسم (يعنى "أندج رود") يطلق عليه حتى الآن، واسم ناحية أند جرود الذى مر مأخوذ من اسم هذا النهر. أما نهر ألموت فالمعروف أنه عبارة عن الفرع الشمالى من الفرعين الكبيرين لنهر شاهرود. وفرعه الجنوبى هو نهر الطالقان.

(٤) الأمير نوشتكين المعروف بشيرگير كان من أمراء السلاجقة المشهورين، وقد قتل في سنة ٥٢٥ هـ بأمر أبى القاسم ناصر بن على الدرگزينى الأنسابادى وزير السلطان محمود بن ملكشاه (ابن الأثير في حوادث سنة ٥٢٥ هـ، ج ١٠: ٢٨٥).

عشر(ة) وخمسمائة وأمره بأن يحاصر القلاع من الآن فصاعدا، وفى أول شهر صفر حاصروا لمسّر، وفى الحادى عشر من ربيع حاصروا ألموت، وأقاموا المجانيق واشتدّت الحرب بين الفريقين حتى ذى الحجة من السّنة نفسها، ولما أن أوشكوا على الاستيلاء على القلاع وتخليص الخلق من فتنهم وصل الخبر بوفاة السّلطان محمد بن ملكشاه في إصفهان، فتفرّقت الجيوش، وظل الملاحدة أحياء، وسحبوا الذّخائر وآلات الحرب والأسلحة التي كان الجيش قد حشدها إلى داخل قلاعهم.

لمّا[1] كان لكل حظ غاية ولكل أمر نهاية قدّر الحق تعالى بكمال علمه وقدرته حدّدها ووقّتها [٢١٣] في أزل الآزال، وإلى أن تحين تلك السّاعة لن يتسنى لشىء أن يتم بأى حال من الأحوال حتى لو استعملت القوّة الوفيرة والآلة والعدّة، والدّليل على ذلك أنّ فتح هذه القلاع واستئصال هذه البقاع كان منوطًا بظهور دولة سلطان العالم منكوقا آن وكان منضبطًا بقوة وشوكة وحركة أخيه سلطان الدّنيا هولاكو، الذى قلب في الحقيقة كلّ أماكنهم ورباعهم أصلاً ورأسًا في أسبوع واحد، فكان جديرًا بأن ينطبق عليه الحكم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود] مما سيأتى شرحه عقب ذلك، فلم تكن مخاصمة[2] ابن أخى السلطان سنجر لتوجد مجالا لتدارك أمر الملاحدة، فاستعادوا قوّتهم مرة أخرى، فلما استقرّ الملك للسلطان سنجر بدأ بإرسال الجند إلى قهستان لتدارك أمرهم، فاستمرت المخاصمة التامة عدة سنوات، وكان الحسن بن الصبّاح يرسل الرّسل لتحرّى[3] الصّلح، ولكنه لم يكن يجاب إلى طلبه فخدع الحسن بن الصبّاح جماعة من خواصّ السلطان بأنواع المصائد [٢١٤] فكانوا يحفظون غيبه أمام

---

(١) جواب (لما) هو: "فلم تكن مخاصمة ابن أخى السلطان سنجر... إلخ".

(٢) والمقصود بمخاصمة السلطان سنجر الخلاف والنزاع الذى دب بين السلطان محمود بن ملكشاه وعمه السلطان سنجر بعد وفاة أبيه كما ترد مفصلة في كتب التاريخ.

(٣) التحرى: القصد والاجتهاد في الطلب. وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن]؛ أى توخّوا وعمدوا" (لسان).

السلطان، وخدع أحد الخدم بمال خطير وأرسل خنجرًا غرسوه في الأرض أمام سرير السّلطان في ليلة كان السّلطان قد نام فيها ثملا، فلما استيقظ ورأى السّكين ساوره القلق، ونظرًا لأن التهمة لم تثبت على أحد أشار بأن يظل الأمر سرًّا، فأرسل الحسن بن الصبّاح رسولا وأعطاه رسالة مضمونها "لو لم تكن إرادة الخير بالسّلطان قائمة لكان أجدر بذلك الخنجر الذى غرس في الأرض الصلبة أن يغرس في صدر السلطان اللّين". فخاف السّلطان، ومال لمصالحتهم لهذا السبب، قصارى القول: إن السلطان كفَّ عن مهاجمتهم؛ بسبب هذا التمويه، فارتقى أمرهم في عهده. وسمح لهم بإدرار قدره ثلاثة آلاف دينار من خراج أملاكهم في ناحية قومش، كما عينهم للحراسة ولجباية قدر ضئيل من المال من أبناء السّبيل أسفل گردكوه، وما زالت هذه العادة باقية حتى الآن. ولقد رأيت مجموعة من المنشورات السّنجرية لاستمالتهم وتملّقهم كانت قد ظلت محفوظة في مكتبتهم، ومنها استطعت أن استدلّ على وفور إغضاء السُّلطان وإغماضه [٢١٥] ونشدانه للسّلام معهم. خلاصة القول: إنهم نعموا في عهده بالرّاحة والرّفاهية.

وفى أيام السّلطان أيضا مرض الحسن، في شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وخمسمائة [مايو – يونيه ١١٢٤م]، وأرسل رجلا إلى لمسّر يستدعى بزرك أميد، وعيّنه مكانه، وجعل على ميمنته دهدار بو على الأردستانى وخصّه بديوان الدعوة، وجعل الحسن بن آدم القصرانى على ميسرته، كما جعل كيا با جعفر، الذى كان صاحب الجيش، أمامه، وأوصى بأن يتم تدبير الأمور باتفاق الأربعة جميعًا واستصوابهم إلى أن يأتى الإمام إلى ملكه، وسارع الحسن ليلة الأربعاء السادس من ربيع الآخر سنة ثمانى عشر(ة) وخمسمائة [٢٣ من مايو ١١٢٤م] إلى نار الله وسقره.

ومنذ ذلك اليوم الذى صعد فيه الحسن بن الصبّاح إلى القلعة – كما سبق أن ذكرنا – إلى أن توفي، بعد خمسة وثلاثين عامًا، لم ينزل من القلعة مرّة واحدة ولم يخرج من القصر الذى كان يقيم فيه سوى مرّتين، وصعد إلى سطح [٢١٦] القصر مرتين؛ إذ إنه اعتكف باقى أوقاته داخل القصر يطالع الكتب، ويشتغل بتقرير كلام بدعته وتدبير أمور

المملكة. ويؤثر عن الصّابى أنه عندما كان يؤلّف تاريخ التّاجى قال لصديق سأله عما يشغله: «**أكاذيب ألفقها وأباطيل أنمقها**[1]**، حديث خرافة يا أم عمرو**[2]».

**ذكر سلطنة كيا بزرگ أميد**

لما جلس **بزرك أميد** هو ورفاقه الآخرون استمرّ في انتهاج المنهج نفسه وسلوك ذات المسلك الصبّاحى طيلة عشرين عامًا[3]، وأخذ يحكم البناء ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ (١٠٩)﴾ [التوبة]. ولما كانت دولة السلطان سنجر ما زالت قائمة فلم يكن هناك أحد يجدّ في إقلاع[4] قلاعهم وهدم بقاعهم.

---

(١) انظر ابن خلّكان في ترجمة الصابى (إبراهيم بن هلال)، وقد نقل ابن خلّكان هذه العبارة بعكس ترتيبها هنا: أباطيل أنمقيا وأكاذيب ألفقها.

(٢) مصراع بيت لعبد الله بن الزبعرى الشاعر المشهور الذى عاصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصدره: حياة ثم موت ثم نشر. ذكره الثعالبى في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (طبع مصر، ص ١٠٢)، وانظر مجمع الأمثال للميدانى في باب الحاء المهملة لمعرفة أصل "حديث خرافة"، وانظر أيضًا شرح مقامات الحريرى للشريشى (ج١ ص ٨٢) وبه تفصيل ممتع للغاية فيما يتعلق بأصل هذا الحديث.

(٣) على الرغم من وجود كلمة "عشرين عامًا" في أغلب النسخ الخطية القديمة لجهانگشاى، وكذلك في جامع التواريخ ٨٩ = ص ١٣٧ ط طهران فإن هذه الكلمة على وجه القطع واليقين ودون أدنى شبهة، غلط فاحش وخطأ بين؛ لأن مدة سلطنة بزرك أميد باتفاق المؤرخين ومن بينهم المؤلف كانت أربعة عشر عامًا وليست عشرين؛ ذلك لأن وفاة الحسن بن الصباح وقعت في ٦ من ربيع الآخر سنة ٥١٨ هـ كما ذكر المصنف في السطور القليلة السابقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد صرح المصنف في ص ١٨٠ بأن وفاة بزرك أميد كانت في ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٥٣٢ هـ، ومن الواضح أن الفترة بين هذين التاريخين تبلغ أربعة عشر عامًا وشهرين وعشرين يومًا وليست عشرين عامًا، وفضلاً عن هذا الاستنباط فإن تاريخ گزيده ص ٥٢١ وحبيب السير الجزء الرابع من المجلد الثانى ص ٦٢ يحددان مدة حكم بزرگ أميد بصراحة ووضوح بأربعة عشر عامًا وشهرين وعشرين يومًا، فليس خطأ كلمة (عشرين عامًا) موضعًا للشك والشبهة أصلا، وربما كان هذا الخطأ موجودًا في المصدر الإسماعيلى المشترك الذى استفاد به كل من الجوينى ورشيد الدين وليس من النساخ المتأخرين.

(٤) إقلاع بوزن إفعال بمعنى الاستئصال، لم يتفق لنا العثور عليها في كتب اللغة المعتمدة، وقد جاءت فقط بهذا المعنى كل من: قلع، مجردة، واقتلاع (افتعال)، وتقليع (تفعيل).

وفى تلك الفترة جرت منافرة بين أمير المؤمنين المسترشد بالله وبين السّلطان مسعود السّلجوقى، الذي كان حاكمًا للعراق وأذربيجان نيابة عن عمّه السّلطان سنجر، وسبب ذلك أنهم كانوا في تلك الأيام في بغداد يذكرون اسم السّلطان الغائب في الخطبة بعد اسم الخليفة، وفقًا لما كان يجرى عليه الحال في عصر آل بويه، ولكن السّلطان مسعودًا لم يكن يُذكر على المنابر، فاستقرّ في خاطره العزم على مهاجمة بغداد، فأراد المسترشد بالله أمير المؤمنين أن يبادر هو فيسبقه على رأس [٢١٨] جيش كثيف، فلما وصل بالقرب من همدان تقدّم السّلطان مسعود بجيشه من الناحية المقابلة، فغدر جماعة من جيش بغداد وانضموا إلى جيش السّلطان، وأُسر وزيره وكلّ أركان دولته، فأمر السلطان مسعود جنده بألا يؤذوا مخلوقًا أبدًا من جيشه وأن يقنعوا بالمال والغارة، ولم يهلك من الجانبين في هذه المعركة سوى خمسة أنفس.

وقد حبس السّلطان مسعود أركان دولة الخليفة بأسرهم في القلعة، ولكنه التزم حرمة أمير المؤمنين، فسار في صحبته إلى مراغة، وأرسل رجلاً إلى عمه السّلطان سنجر ينهى إليه ما حدث، وقد اتفق أن وقعت في تلك الأيام زلازل متواترة وصواعق مترادفة، فأوقعت الرّياح العاصفة الدّنيا في الاضطراب، فنسب النّاس ذلك إلى وقوع هذا الحادث، فأرسل السّلطان سنجر وكتب خطابًا إلى السلطان مسعود مضمونه ما يلى: «يتعين على ابن غيّاث الدين مسعود حالما يطّلع على هذا المنشور أن يتوجّه لخدمة أمير المؤمنين وبعد تقبيل تراب بلاط [٢١٩] حامى العالم يلتمس الصفح الجميل من الجرائم والأثقال[١] التي كانت سببًا للخذلان، وأن يستغفر من بادرات الزلل، وأن يعلم أننى أعرف أن وقوع هذه الحادثة هو السّبب في حدوث مختلف الصواعق وهبوب رياح العواصف التي لم يشاهدها أحد قط في هذا العصر، والتى استمرت عشرين يومًا حتى الآن، ولذا

---

(١) والأثقال: الذنوب وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۝١٣﴾ [العنكبوت:]؛ أى: آثامهم. (تاج العروس).

كنت أخشى أن يضطرب الجند والخلق من جرّاء هذا الاختلال، وليعلم، والله، أن تلافى هذا الأمر واجب، وليعد ذلك فرضًا عينًا».

ويمكن الاستدلال بما حدث على ما كان عليه السلطان من خشية الله ونقاء العقيدة.

ولقد توجّه السلطان مسعود ممتثلاً للأمر إلى حضرة أمير المؤمنين، وبعد تقديم الاعتذار والتزام الاستغفار والإقرار بالآثام والأوزار التمس العفو، وقد حمل السلطان مسعود غاشية أمير المؤمنين تبرّكًا وتيمّنا، وسار راجلاً أمام حصانه إلى خيمته التي كان قد أقامها له، فلما استقرّ أمير المؤمنين على العرش انتصب السّلطان واقفًا على قدميه في موضع الحجّاب ومقام النواب.

وأرسل السّلطان سنجر مرة أخرى رسولا (لإبلاغهم) أنه إذا كان أمير المؤمنين يفكّر الآن في التوجه إلى دار السلام فلا بد أن يتخذ في هذا الصّدد الاستعداد والترتيب اللائق بحضرته، ولإعلان هذا الأمر أرسل السّلطان سنجر أحد المعتمدين[١] من بين كبار المقرّبين إليه برسالة إلى السلطان مسعود. [٢٢٠] فركب السّلطان لاستقبال الرسول، فانتهز جماعة من ملاعين الفداوية والملاحدة فرصةً خلوّ البلاط من الجند والحراس فدخلوا فجأة على أمير المؤمنين وطعنوه بالخناجر في السابع عشر من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة. [٢٩ من أغسطس ١١٣٥م] فجزع السّلطان مسعود جزعًا شديدًا، وأقام عزاء عظيمًا يليق بالجانبين، ودفن أمير المؤمنين في داخل مراغة[٢].

---

(١) يطلق عليه كل من العماد الكاتب (ص ١٧٧ = ص ١٦٢ ط مصر) وابن الأثير (١١: ١٢): يرنقش قرآن خوان.

(٢) "وبقى حتى دفنه أهل مراغة" (ابن الأثير ١١: ١٢).

وكان جماعة من قصار النّظر وسيّئ الطّوية بالنّسبة إلى الدولة السّنجرية ينسبون هذا الحادث إلى حضرة السّلطان سنجر[1]، ولكن كذب المنجمون وربّ الكعبة، فحسن طويّة السّلطان سنجر ونقاء سريرته في اتّباع الدّين الحنيف والشّريعة وتقويتهما، وتعظيمه لكل ما يتعلق بدار الخلافة، إلى جانب شفقته ورأفته [٢٢١] - كل ذلك واضح بحيث لا يمكن أن ينسب إلى حضرته أمثال هذا البهتان وأشكال هذا التزوير، فقد كان منبع الصّفح ومنشأ الرّأفة. مجمل القول والكلام يَجُرُّ بعضه بعضًا، أنا وصلنا إلى ما نريد أن نقول، فقد ظلّ بزرگ أميد جالسًا على رأس الضّلال في دست[2] الجهل حتى السادس والعشرين من جمادى الأولى (صح: الأولى) من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة [٩ من فبراير ١١٣٨م]، حيث سحق تحت أقدام الهلاك واشتدت لهيب الجحيم من حطب جثته.

### ذكر سلطنة محمد بن بزرگ أميد

أما ابنه محمد الذى كان قد جعله وليًا لعهده قبل وفاته بثلاثة أيام، فقد شايع[3] سنته بحكم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف]، كما كانت خاتمة أبيه

---

(١) من بين الأشخاص الذين يرون أن المسترشد قتل بتحريض من السلطان سنجر العماد الكاتب في تاريخ السلجوقية ص ١٧٨ = ص ١٦٢ ط مصر: "فعرف بقرائن الأحوال أن سنجر سير الباطنية لقتله وما أشنع وما أفظع ما أقدم عليه من فعله".

(٢) يعنى في مسند أو عرش.

(٣) شايعه: قوّاه وتابعه.

الوخيمة هى قتل المسترشد بالله كانت فاتحته الذّميمة قتل ابن المسترشد الرّاشد بالله، وسبب ذلك ما يلي:

لما جلس الرّاشد للخلافة مال البعض لخلعه بينما تمسّكت طائفة بقرارها في مبايعته، وبعد أن اشتبك مع السلطان مسعود في عدّة مواقع استقر عزمه على السّير من بغداد لقصد الملاحدة والثّأر لدم أبيه، فأصيب بمرض في الطّريق ووصل إلى إصفهان وهو لا يزال على حالته من الوهن، فدخل عليه في بلاطه جماعة من مخاذيل الفداوية فجأة وطعنوه بالخناجر[1]، وقد دفن هو أيضًا حيث قتل. ومنذ ذلك الوقت عاد الخلفاء العبّاسيون إلى الاختفاء واحتجبوا عن الخلق.

وكان محمد بن بزرك أميد، متابعًا لمذهب الحسن بن الصبّاح وأبيه، يبذل قصارى جهده في إحكام قواعد المذهب، ودأب على انتهاج نهجهم في إقامة رسوم الإسلام والتزام الشّرع (على النحو) الذى أظهروه [٢٢٢]، إلى أن توفي في الثّالث من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة [٢٠ من فبراير ١١٦٤م] وألحق ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

---

(١) في ٢٥ أو ٢٦ رمضان سنة ٥٣٢ هـ (ابن الأثير ١١: ٢٨، العماد الكاتب ص ١٨٠ = ص ١٦٢ ط مصر).

## ذكر ولادة الحسن بن محمد بن بزرگ أميد

ولد الحسن في سنة عشرين وخمسمائة [١١٢٦ - ١١٢٧م]. ولما قارب البلوغ استولت عليه الرّغبة في تحصيل وبحث أقاويل مذهب الحسن بن الصبّاح وأسلافه، فتتبّع بإتقان كلام الدّعوة في طريقة الصبّاح والزاماته، وصار بارعًا في تقرير مذهبهم، فلما قام بخلط ذلك النوع من الكلمات بمواعظ المتصوفة وطرقهم، وصبّ في تخريجاته الشّخصية الغثّ والسّمين في هذا القالب، كان يردّد على الدوام في عهد أبيه محمد، الكلمات الخطابية وأمثالها التي يعجب بها العوامّ والنّاقصون من النّاس منذ النظرة الأولى التي يسمونها **النّظرة الخرقاء**[1]، كما كان يقول باستحسان تلك الدعّوة، ويزيد من خداع أولئك القوم، ولما كان أبوه عاريًا من هذا الفن فقد بدأ ابنه بهذه التّلبيسات والتّزويقات[2] عالمًا متفوّقًا إلى جانبه، فكان من أجل ذلك يرفع من ضلالات أهل الجهالة؛ رغبة في أن يتابعه العوامّ. [٢٢٤] ونظرًا لأنهم لم يكونوا قد

---

(١) لا شك في أن المصنف يقصد أن يشير إلى المثل المعروف "النظرة الأولى حمقاء" (أى خادعة وقائمة على غير أساس، والمقصود من ضرب هذا المثل هو وجوب التروى والتفكير وتجديد النظر ؛ فالنظرة الأولى غير كافية؛ لأنها في الغالب خاطئة واهية). وننتهى من هذا إلى أن هذا المثل لم يكن بعين العبارة في ذهن المصنف، وأنه نقله من حافظته فبدل حمقاء بخرقاء، ومعناهما واحد، انظر في المثل المذكور ذيل مجمع الأمثال للميدانى (لفريتاغ) ج٣ ص ٥١٣ نقلا عن المستصفى في الأمثال للزمخشرى وعن غاية الكمال في شوارد الأمثال لشرف الدين إسماعيل المعرى.

(٢) التزويق معناه التزيين: والتحسين الظاهرى والتمويه والتلبيس - قال في تاج العروس: "والتزويق والتزيين: والتحسين، زوقت الشيء إذا زينته وموهته وكلام مزوق، أى محسن، وقد زوقه تزويقًا، ويقال: هذا كتاب مزور مزوق" انتهى. أصل الكلمة معناه الطلاء بالزئبق.

سمعوا مثل تلك المقالات من أبيه بدعوا يظنّون أنه هو الإمام الذى وعدهم به الحسن بن الصباح، فاشتدّت محبة الطائفة له وكانوا يسارعون إلى متابعته.

فلما سمع أبوه محمد بهذا الحال ووقف على مظانّ القوم، وكان متشدّدا في التزام مبادئ أبيه والحسن[1] فيما يختص بالدّعوة إلى الإمام وإظهار شعار الإسلام[2]، عدّ سلوك ابنه معارضًا لتلك المبادئ، وأنكره عليه إنكارًا بليغًا، وجمع الناس وقال: "هذا الحسن ابنى، وأنا لست الإمام، بل إننى داع من دعاته، وكل من يعير هذا الكلام أذنًا صاغية ويصدّقه يعدّ كافرًا لا دين له". وعلى هذا الأساس أنزل بالقوم الذين سلّموا بإمامة ابنه أنواع المطالبات والعقوبات، وقتل مائتين وخمسين نفسًا في القلعة من المتّهمين دفعة واحدة وربط جثثهم على ظهور مائتين وخمسين من المتهمين بالتهمة نفسها، وأخرجهم من القلعة، وبهذه الوسيلة انزجروا وامتنعوا.

ولقد استولى الخوف على الحسن نفسه من تبعة ما حدث، واشتدت خشيته من أبيه، فكتب فصولا في التبرّؤ من تلك التّهمة والتّباعد عن تلك المقالة [٢٢٥] وطعن في الجماعة التي كانت تظن مثل هذه الظنون ولعنهم، وبذل قصارى جهده في إبطال هذه الأقوال وتثبيت مذهب أبيه وتوطيده وألّف الرّسائل التي ما زالت ألفاظها مشهورة حتى الآن بين تلك الطوائف.

---

(١) يعنى الحسن بن الصباح.

(٢) يعنى أن محمد بن بزرك أميد كان متشددًا ومتصلبًا في اتباع طريقة أبيه بزرك أميد والحسن ابن الصباح والعمل بسيرتهما في الدعوة إلى الإمام والتقيد بمتابعة شريعة الإسلام.

وكان الحسن قد اعتاد شرب الخمر خفية فتتناهى إلى سمع أبيه إشارة عن هذا الحال فيذل غاية جهده في استكشاف حقيقة الأمر، إلا أن الحسن أخذ يدبر لطائف الحيل للتخلّص من التّهمة، حتى تبخّر ذلك الظنّ من ضمير أبيه، ولم يعد له أثر.

وكان أتباعهم الكفرة الفاسقون، الذين أوشكوا على الانسلاخ من شعار الشّريعة، يعدّون ارتكاب المحظور وشرب الخمور علامة على ظهور الإمام الموعود. فلما قام مقام أبيه بدأ أشياعه وأتباعه بزيادة توقيره بحكم اعتقادهم فيه؛ إذ كانوا يظنّون أنه الإمام، فلما تفرّد واستبدّ[1] لم يعاقب القوم على إطلاق ذلك الهذيان ولم يعاقبهم، بل إنه بدأ، منذ اللحظة الأولى لجلوسه في مكان أبيه، يجيز مسخ ونسخ الرّسوم الشّرعية والقواعد الإسلامية التي ظلّوا يلتزمون بها منذ عهد الحسن ابن الصبّاح، وكان يتناولها بالتغيير [٢٢٦].

وفي رمضان سنة تسع وخمسين [يوليو - أغسطس ١١٦٤م] أمر بإقامة منبر في ساحة ميدان أسفل ألموت بحيث تكون قبلته في الوجهة المغايرة لقبلة أهل الإسلام، فلما أن كان السابع عشر من رمضان [٨ من أغسطس] أمر أهالي ولايته، الذين كان قد استدعاهم إلى ألموت في ذلك الحين، بأن اجتمعوا في ذلك الميدان، ونصب أربعة أعلام كبار الحجم ذات أربعة ألوان هي: الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر، كانت وقد أعدّت لهذا الغرض، على أركان المنبر الأربعة، ثم اعتلى المنبر وأظهر لأولئك المتجبّرين الأشقياء، الذين كانوا يتوجهون بتأثير غوايته وإضلاله نحو الشّقاء والخسران، أن رجلا قدم إليه في الخفاء من لدن المقتدى المذموم، أعني الإمام الموهوم الذى كان مفقودًا ليس له وجود، وأحضر على حدّ تعبيرهم خطبة وسجلا[2] تمهيدًا لقاعدة معتقدهم الفاسد، ثم ألقى وهو مُعْتَلٍ المنبر المنحرف أقوالاً في قضية

---

(١) تفرد واستبد كلاهما بمعنى واحد (انظر القاموس المحيط). (المترجم).

(٢) سيتكرر اصطلاح "الخطبة والسّجلّ" في الفصل نفسه بعد ذلك.

مذهبهم الباطل المتعسّف. وقال: إن إمامهم قد فتح باب رحمته وأبواب رأفته على المسلمين وعليهم كذلك، فبعث إليهم بالترحّم، ودعا أتباعه الخاصّين المختارين ورفع عنهم آصار[1] الشّريعة وأوزارها ورسومها [٢٢٧]، وأوصلهم إلى القيامة، وعندئذ قرأ خطبة باللغة العربية، كانت جميع معانيها كذبًا وزورًا وتلفيق خرافات كما كان أغلب ألفاظها غلطًا وسقطًا وخطأ فاحشًا وعباراتها مشوّشة، (قرأها) على أنها كلام إمامهم المجهول المعدوم.

وأوقف واحدًا من جُهّال ضُلاّل أتباعه الأراذل كان عارفًا بالعربية[2] على إحدى درجات المنبر ليترجم للحاضرين باللغة الفارسية تلك التّرّهات المردودة والألفاظ غير المحمودة ويقرّرها لهم. وكان مضمون خطبته: "الحسن بن محمد بزرك أميد هو خليفتنا وحجّتنا وداعينا، على شيعتنا أن يطيعوه ويتابعوه في أمور الدّين والدّنيا، وأن يعتبروا حكمه محكمًا، ويدركوا أن قوله هو قولنا، ويعرفوا أن مولانا (فاها بفيهم)[3] قد نشر رحمته عليهم، ودعاهم إلى رحمته وأوصلهم إلى الله".

وعلى هذا المنوال قرأ زخارف الزّور، ولطائف الغرور، والفضائح المَخْرقة[4]، وقبائح الزّندقة، المجهولة في الشّرع المرفوضة للعقل.

---

(١) "والإصر: العهد الثقيل، وفي التنزيل: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف]، والإصر: الذنب والثقل، وجمعه آصار" (لسان).

(٢) كان هذا هو الفقيه محمد البُستي. انظر إيفانوف (كلام پير) ص ١١٧. (المترجم).

(٣) انظر فيما سبق ص ١١٧ هامش ٨٢.

(٤) مخرقة: بفتح ميم وسكون خاء معجمة بمعنى الكذب والحيلة والخداع وخفة اليد، قال في تاج العروس: "المخرقة: إظهار الخرق توصلا إلى حيلة. وقيل: مخرق. والمخرق: المموه؛ وهو مستعار من مخاريق الصبيان" يقول الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٠٠: "الشعوذة هي السرعة والخفة وهي مخاريق وخفة في اليد وتصوير الباطل في صورة الحق". انظر أيضا طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١: ٢٢٠ ص ٢١، وسياست نامه لنظام الملك ص ٤٨ س ١٩.

[٢٢٨] وبعد الانتهاء من الإنشاء البارد، والإيراد غير الوارد نزل من على المنبر وصلى ركعتى العيد، فأعِدّ خوان ودُعى القوم للإفطار، ففعلوا، بينما كان أصحاب الملاهى وأسباب المناهى يحيطون بهم إظهارًا للطّرب والابتهاج على رسم الأعياد وقال: "اليوم عيد"[١]. ومنذ ذلك الحين والملاحدة -على الباقين منهم ما يستحقون- يطلقون على اليوم السابع عشر من رمضان اسم (عيد القيام)، وفى ذلك اليوم كان أغلبهم يشرب الخمر بشره ويتظاهر باللّهو والطّرب، فقد كان أكثر هؤلاء المجهولين المخذولين يريدون بذلك التهتك والافتضاح مضايقة المسلمين الذين ابتلوا بالإقامة بينهم ومعاندتهم.

**وما أنا منهمُ بالعيشِ فيهمُ ولكنْ معدنُ الذَّهبِ الرَّغام**[٢]

كذلك أظهر الحسن قبيح السيرة، إذ كان مضلّ البصيرة، في أثناء الفصل والخطبة[٣] المذكورة أنه حجّة وداع من قبل الإمام؛ يعنى هو القائم مقامه ونائبه المنفرد، وهو في الوقت نفسه ابن محمد بن بزرك أميد؛ لأنه كان يكتب على أبواب القلاع والحصون ولوحات الجدران وعناوين كتاباته أنه "الحسن بن محمد بن بزرك أميد"، وعلى هذا النّمط كانت كل أقوال أولئك الجهّال الضّلال وأفعالهم مخاريق[٤] وتزاويق[٥] كما يقال في المثل السائر **يُسِرُّ حَسْوًا في ارْتِغاءٍ**[٦]، ثم إنه أخذ شيئًا

---

(١) "اليوم عيد القيامة" جامع التواريخ ١٠٦ (ص ١٦٥ طبع طهران).

(٢) للمتنبى من قصيدة مطلعها:

**فؤاد ما يسلّيه المُدام وعيشٌ مثلُ ما تهبُ اللّئام**

(٣) سيتكرر فيما يلى ذكر تعبير "الفصل والخطبة".

(٤) انظر حاشية (٤) في الصفحة السابقة.

(٥) انظر فيما سبق ص ٢٠٢، حاشية ٢.

(٦) الارتغاء: شرب الرغوة، قال أبو زيد والأصمعى أصله الرجل ينال من اللبن - يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره (مجمع الأمثال ٢: ٢٥١، ولسان العرب في ر غ و).

فشيئًا يؤكد في الفصول التي كان يكتبها دون استناد إلى أصول لتقرير المذهب غير المهذّب الذى كان يطّلع بنشره، أحيانًا بالتعريض وأحيانًا بالتصريح، أنه على الرّغم من أنهم عدّوه في الظّاهر ولد محمد بن بزرك أميد فإنه في الحقيقة هو الإمام وهو ابن إمام من أولاد نزار بن المستنصر.

ولما أرسل إلى قهستان، في ذلك الوقت، بالعلامة(١) التي ترمز إلى دعوته التي يطلقون عليها اسم "دعوة القيامة"، وأراد إشاعة تلك الشّناعة هناك أيضًا، وكان قد ذكر رغبته في ذلك صراحةً، فالذى حدث هو أن حاكم قهستان الذى كان نائبًا من قبله في تلك المملكة، يسمّى الرّئيس المظفّر، فأرسل الحسن إليه الخطبة والسجلّ والفصل(٢)، وقد سبق ذكرها، مع شخص يقال له محمد بن خاقان ليقرأها على القوم هناك، وأعطى -على لسان [٢٣٠] ذلك الشخص- رسالة إلى أهالى قهستان ملائمة لمضامين تلك الأكاذيب.

وفى الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وخمسين وخمسمائة [١٨من أكتوبر ١١٦٤م] أقام الرئيس المظفّر في القلعة، التي كانت منشأ كفرهم وإلحادهم على الرّغم من أنهم كانوا يطلقون عليها اسم "مؤمناباد"، منبرًا منحرفًا عن سمت السداد، منصرفًا لجهة الفساد على الوجهة التي كان إمامه المفتضح قد ولاّه إياها في ألموت، واعتلى المنبر، وقرأ الخطبة والسجلّ والفصل، التي أرسلت إليه، ثم صعد محمد بن خاقان إلى الدرجة الثانية من المنبر وقرأ رسالة الحسن الشّفوية ومضمونها: "إن المستنصر كان قد أرسل قبل ذلك برسالة إلى ألموت مؤدّاها: أن الله تعالى جعل على الدوام بين الناس خليفة، وجعل لهذا الخليفة خليفة. واليوم أنا خليفة الله وخليفتى

---

(١) ولعل المقصود هنا حكاية الأعلام الأربعة ذات الألوان الأربعة: الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر التي سبقت الإشارة إليها فيما سبق.

(٢) مر ذكرها في الصفحات القليلة السابقة.

الحسن بن الصباح، فلو أطاعوا أمر الحسن واتّبعوه فقد أطاعوا أمرى أنا المستنصر. واليوم أقول: أنا الحسن، إننى خليفة الله على أرضه وخليفتى هو هذا الرئيس المظفَّر، فينبغى أن تطيعوا أمره وتعتبروا كل ما يقوله دينًا لكم".

وفى ذلك اليوم، لدى تقرير إفشاء هذه المخازى وتقرير تلك المساوئ في مقام الملاحدة مؤمناباد، قام حريم ذلك الجمع بضرب الصّنج والرباب وشربن الخمر جهارًا على درجات المنبر ذاتها.

ولأولئك الجهلة [٢٣١] المجهولين والبطلة المخذولين روايتان، بل غوايتان، في كيفية الميلاد والانتساب الباطل للحسن المطعون، الذى كان في الحقيقة وثنًا ملعونًا، من إمام مفترض، رغبة في إثبات أنه من أعقاب نزار بوجه منقوض. والمبنىّ على المُحال مُحال، **فالوجه الأشهر** الذى هو معتقد أكثرهم (يدل على أنهم) لم يتوقّفوا ولم يتخلّفوا قط عن إطلاق ولد الزّنا عليه؛ ذلك لأنهم اتفقوا جميعًا في القول بأن شخصًا من مصر يقال له القاضى أبو الحسن الصعيدى، كان من أقارب المستنصر وثقاته، جاء إلى ألموت عند الحسن بن الصبّاح في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة [١٠٩٥م]، أعنى بعد سنة واحدة[١] من وفاة المستنصر، ومكث بها ستة أشهر ثم عاد في رجب من السنة نفسها [يولية – أغسطس ١٠٩٥م] إلى مصر، وقد كان الحسن بن الصبّاح يؤكّد ضرورة معاملته بالتّعظيم والتوّقير، كما كان هو نفسه يبذل جهدًا بالغًا في معاملته على هذا النحو. وكان قد أحضر إلى ألموت، في زى

---

(١) كانت وفاة المستنصر كما مر في هوامش ص ١٧٩ (وما يقابلها من الترجمة) في ١٨ من ذى الحجة سنة ٤٨٧ هـ وإذا كان القاضى أبو الحسن الصعيدى قد بقى في ألموت ستة أشهر كما يقول المصنف ورجع إلى مصر في رجب ٤٨٨ هـ فلا يكون قدومه إلى ألموت بعد وفاة المستنصر بسنة كاملة، بل بشهر أو شهرين على الأكثر، كما يتضح من الحساب، إذن فتعدّ "سنة واحدة" مسامحة غير عادية.

التخفى ولباس التورية، حفيدًا لنزار الذى كان إمامًا من جملة أئمتهم، ولكنه لم يفش هذا السر ولم يُظهره إلا للحسن بن الصبّاح وحده دون غيره، وقد أسكنوه قرية أسفل ألموت.

وبسبب [٢٣٢] الحكمة الأزلية، كان يجب أن ينتقل مستقرّ الإمامة من مصر إلى ولاية الدّيلم، ولأنه كان ينبغى أن تظهر تلك الفضيحة التي يطلقون عليها اسم "دعوة القيامة" في ألموت – زنا الشّخص نفسه[١] الذى قدم من مصر أو ابنه الذى كان قد ولد داخل حدود ألموت –ولم يطّلع الناس على حقيقة أمره– بامرأة محمد بن بزرك أميد، فحملت تلك المرأة بالحسن من الإمام، فلما اتّفق أن وقعت الولادة غير المباركة في منزل محمد بن بزرك أميد، علم كل من محمد وأتباعه أن الولد ولده[٢] بينما كان الحسن نفسه إمامًا وابن إمام.

هذا هو القول المشهور الذى يعدّ متمسك الجمهور، وهو الأصحّ والأصلح عندهم، [٢٣٣] وهو مبنىّ على أنواع الخزى والافتضاح، وأولّ ذلك أنهم كانوا يقولون إن الصبىّ الذى رضوا بإمامته ابن حرام. ويقول الشاعر في ولد الزنا:

**فَمتَى تقرُّ العينُ من وَلَدِ الزِّنا ومَتى تَطيبُ شَمائلُ الأَوْغادِ**

**وأما ثانيًا** فكيفية نسبه الذى أثبتوه بلا حسب مخالفة للخبر النبوى المصطفوى على قائله الصلاة والسلام: «**الوَلَدُ للفِراشِ وللعَاهِرةِ الحَجَرُ**»، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، **وإن القول ما قالت حذام**[٣]. **وأما ثالثًا** فإن الطامة الكبرى وموجب الشّقاء،

---

(١) يعنى: حفيد نزار.
(٢) يعنى: محمد بن بزرگ أميد.
(٣) شطر من بيت مشهور للُجيم بن صعب أو لوسيم بن طارق، وأصل البيت هكذا:
**إذا قالت حذام فصدّ قوها فإن القول ما قالت حذام**
انظر شواهد العينى بهامش خزانة الأدب ٤: ٣٧٠، ولسان العرب في ح ذ م.

وخسران العقبى، أنهم –رغبة منهم في تصحيح هذا الوجه السّقيم– وضعوا حال الأنبياء والمرسلين موضع التّشبيه، ونسبوا هذا الحال المموّه للرّسل المنزّهين، فقالوا هذا الانتساب كانتساب ذبيح الله إسماعيل ابن خليل الله إبراهيم صلوت الله عليهما، وقد كان في الحقيقة ابن ملك السّلام الذى ورد ذكره في التوراة بملخيزداق، كما جاء في مقدّمة هذه الأوراق، ولقد كان إسماعيل– على زعم هذه الطّائفة الضّالة –إمامًا من جملة أئمتهم، وكانوا قد عدّوه في الظّاهر ابن إبراهيم صلوات الله عليه، فيكون إسماعيل بمقتضى هذه الدّعوة إمامًا عندهم وإبراهيم ليس إمامًا.

**أما الوجه الثانى** الذى [٢٣٤] كان معتقَد أولاد بزرك أميد وأقاربه، أعنى الخاصّة من أهالى منطقة ألموت، فهو أن محمد بن بزرك أميد رزق بولد في قلعة ألموت، وفى اليوم نفسه رُزق الإمام المجهول – الذى لم يكن له وجود – بالحسن من أمّه في القرية التي تقع أسفل ألموت، وبعد ثلاثة أيام صعدت امرأة قلعة ألموت ودخلت قصر محمد بن بزرك أميد، وقد لاحظ عدة أشخاص أنها كانت تضع تحت عباءتها شيئًا، وقد جلست حيث وضع طفل محمد بن بزرك أميد (لينام)، وبحكم الحكمة الإلهية لم يكن هناك في تلك السّاعة غيرها، فوضعت الحسن هذا، الذى كان ابن إمام، مكانه وحملت طفل محمد بن بزرك أميد تحت الرّداء وذهبت.

وهذا الوجه في حدّ ذاته أكثر افتضاحًا من الوجه الأول؛ إذ كيف تدخل امرأة غريبة قصر الملك، ولا يكون حوالى طفل الملك أحد على الإطلاق فتضع طفلاً غريبًا مكانه، وتحمله دون أن تسترعى انتباه أحد، بعد ذلك لا يتمكّن أحد أبدًا سواء كان أبوه أو أمه وحاضنته والخدم والغلمان من التعرّف على الاختلاف بين الطفل الغريب وطفلهم. وقد نشأ هذا الوجه ذاته دون أدنى ريب من جرّاء مكابرة العقل، وتكذيب الحسّ، ومعاندة العرف والعادة، وبناء على تصديق هذا القول يروون عن محمد بن الحسن هذا أنه كان قد قال: "إن حديث بنوّة الحسن بن محمد بن بزرك أميد يشبه بنوة

إسماعيل من إبراهيم عليهما السلام، بيد أن التفاوت بينهما لم يتعد معرفة إبراهيم بأن إسماعيل ابن إمام، وليس ابنه، لأن تبديل الولدين[١] [٢٣٥] حدث بمعرفة ورضا إبراهيم عليه السلام، ولم يكن ذلك سرًا (مخفيًا) عليه، بينما لم يعرف محمد بن بزرك أميد هذا السرّ وظنّ أن الحسن ابنه، في حين أنه كان إمامًا".

ولقد قال أرباب الاعتقاد الأوّل والرّواية المتقدّمة: إن محمد بن بزرك أميد عرف بعد ولادة الطفل، أنه ليس ابنه، وأن ذلك الشخص الذى تفترض الطّائفة الضّالة إمامته قد ارتكب الفجور والزّنا بامرأته فقتله خفية. ويمقتضى هذا الظنّ يكون محمد بن بزرك أميد قد قتل إمامًا.

ولقد كنا ذكرنا أنه[٢] كان قد ضيّق نطاق التصلّب والتّشدد في التزام رسوم الإسلام ومتابعة أركان الشريعة على مبادئ مذهب الحسن بن الصبّاح، ذلك المذهب الذى كان عين الافتضاح.

فكانوا يعادونه ويلعنه أغلبهم ولا يسمحون بزيارة قبره، الذى كان يقع بجانب قبر الحسن بن الصبّاح وبزرك أميد ودهدار بو على الأردستانى. [٢٣٦] ثم إن الملاحدة جميعًا، خذلهم الله، انقسموا إلى فرقتين مرة أخرى في عدد الآباء بين الحسن هذا وبين نزار، فقال قوم: ينبغى أن يكون بينهم ثلاثة آباء، وهم يدعونهم[٣] بالإمامة إذ يقولون: إن أسماءهم مجهولة بينما كانوا في الحقيقة – كما ورد في المثل – اسمًا بغير مسمى، فهؤلاء القوم يعتقدون أنهم: الحسن بن القاهر بقوة الله ابن المهتدى بن الهادى بن المصطفى نزار بن المستنصر. وقال آخرون: لم يكن بينهم أكثر من

---

(١) المراد بـ "الولدين": ولد حضرة إبراهيم وولد مخليزداق السابق الذكر.

(٢) أى: محمد بن بزرك أميد.

(٣) يعنى: أنه لما كانت الأسماء الحقيقية للآباء الثلاثة بين الحسن ونزار مجهولة فقد اضطر الإسماعيلية إلى ذكرها فقط بألقاب إمامتهم التي هى عبارة عن القاهر بقوة الله والمهتدى والهادى.

أبوين لأن القاهر بقوة الله كان لقب الحسن هذا، ويقولون في نسبه: الحسن ابن المهتدى [٢٣٧] بن الهادى بن نزار.

وكانت شهرة الحسن هذا في عرف طائفة الملاحدة بـ«على ذكره السلام»، ولقد كان أصل اللقب، حيث طبّق في مبدأ الأمر عليه، دعاء كان بعضهم يقوله لبعض في زمانه، ثم صار بعد ذلك لقبًا مشهورًا له لا يدعونه بلقب غيره.

قصارى القول: إن حاصل هذا المذهب كان بلا حاصل كما كان سرّ هذه الدّعوة كله شرًّا؛ ذلك أنهم قالوا قول الفلاسفة بقدم العالم وبأن الزمان غير متناه والمعاد روحانىّ. وقد أوّلوا الجنّة والنّار وما فيها[1] جميعًا بهذه الطريقة؛ لكى يؤولوا معانى تلك الوجوه تأويلا روحانيًّا، ثم إنهم قالوا، بناء على هذا الأساس: إن القيامة أيضًا هى الوقت الذى يصل فيه الخلق إلى الله، وتظهر بواطن الخلائق وحقائقهم، وترتفع أعمال الطّاعة؛ ففى عالم الدّنيا يكون الكلّ عملا، بينما لا يوجد حساب، أما الآخرة فكلها حساب ولا يوجد عمل، وهذه هى الرّوحانية، كما أن القيامة الموعودة والمنتظرة في كافة الملل [٢٣٨] والمذاهب هى هذه التي أظهرها الحسن، وكان قد رفع -على ضوء هذه القواعد- التّكاليف الشّرعية عن النّاس؛ لأنه ينبغى على الجميع في هذا الدّور -أي دور القيامة- التوجه إلى الله بكل الوجوه وترك رسوم الشرائع وعادات العبادات المؤقتة، ومن المقرّر في الشريعة أنه يجب أن تُقام عبادة الله في اليوم والليلة خمس مرّات وأن تكون لله. ذلك تكليف ظاهر، ولكن الآن في (عصر) القيامة ينبغى أن يكون الناس دائمًا مع الله بقلوبهم، وأن تتوجّه النفس ذاتها بصفة دائمة إلى الحضرة الإلهية، وتلك هى الصّلاة الحقيقية.

---

(١) ليست "فيهما" كما يمكن أن يتوهم.

وقياسًا على هذا أوّلوا كافة أركان الشّريعة ورسوم الإسلام وظنّوا التّظاهر[1] بها مرتفعًا، ورفعوا حلال وحُرمة معظم (التّعاليم)، وكان الحسن قد قال في مناسبات عديدة، بالتعريض تارة وبالتصريح تارة أخرى: إنه كما هو الحال في دور الشّريعة، إذا لم يقم الإنسان بالطاعة والعبادة ولكنه أدى حكم القيامة معتبرًا أن الطاعة والعبادة شيء روحانى فإنه يؤخذ بالنّكال والعقاب ويرجم، فإن الحال يكون كذلك بالنسبة إلى دور القيامة؛ بحيث لو أقام فيه أحد حكم الشريعة وواظب على العبادات والرّسوم الإسلامية، كان التّنكيل والقتل والرّجم والتّعذيب أكثر وجوبًا بالنسبة إليه. (كما قرّر الشيء الكثير) على نمط هذه الخرافات والأباطيل.

وباتباع هذا الطّريق الذى هو سبيل الغواية والإغواء والإبطال والإضلال غرق أولئك المدابير المخاذيل في بحار الضّلال وتحيّروا في بيداء الحيرة. و«**خسر الدنيا والآخرة**» فمارسوا الإباحة والتزم غُلاتهم، عن عمدٍ أو عن جهل، مذهب الإباحة، وأطلق قوم –والتراب في أفواههم– الألوهية على أئمّة ضلالهم، الذين كانوا في مرتبة أخسّ من البهائم والسّباع والحشرات.

فلما أجازوا إظهار هذه البدعة والإلحاد نادى جماعة [۲۳۹] من أهالى تلك الدّيار، وكان لديهم من العقل نصيب كما كان قد بقي شعاع من البصيرة على أفئدتهم (بنداء): «**ومن نجا برأسه فقد ربح**»، فتركوا الاستيطان بين أولئك الضّالين، وقذفوا بأنفسهم خفية وجهارًا في بلاد المسلمين، وخصوصًا قهستان حيث جلا عنها عدد كبير من الناس واستوطنوا خراسان ﴿...وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء]. أما من لم يستطع منهم الذّهاب، أو من لم يرغب في الجلاء عن مسكنه القديم فقد مكثوا

---

(١) يعنى أنهم رفعوا التظاهر برسوم الشريعة الإسلامية وأدابها التي كانت سيرة الحسن بن الصباح وخلفائه.

على ديارهم وأسبابهم، ورضوا هم كذلك من أثر الشّقاوة بأن يوسموا بسوء الاسم واسم الإلحاد، ولكنّهم كانوا مسلمين في ضمائرهم، وكانوا كلما استطاعوا يلتزمون بأوامر الشرع ونواهيه في الخفاء. فكان جمهور أهالي ولايات الملاحدة -خذلهم الله- يتّبعون معنى هذه الآية من القرآن المجيد: ﴿...فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد].

ويسبب هذا العقد المزخرف والنقد المزيّف للحسن بن بزرك أميد، الذى لقّبوه بعلى على ذكره السلام، فإنّهم دَعَوْه "قائم القيامة" وأطلقوا على دعوته اسم "القيامة".

ومن بين الناس الذين كانت لا تزال تصل إلى مشامّ ضمائرهم رائحة من خشية الله والدّيانة رجل يقال له الحسن بن ناماور أخو الحسن من جهة الأم من بقايا آل بويه، الذين كانوا أصلهم من ولاية الدّيلمان كما هو مسطور في التواريخ، فلم يطق هذا الرجل صبرًا على إفشاء تلك الفضائح والأضاليل، **رحمه الله وجزاه عن حسن نيّته خيرًا**، فطعن الحسن المضلّ بخنجر في يوم السبت السادس من ربيع الأول سنة إحدى وستّين وخمسمائة [٩ من يناير ١١٦٦م] داخل قلعة لمسّر، فغادر الدّنيا إلى **نار الله الموقدة**.

## ذكر سلطنة محمد بن الحسن بن محمد بن بزرگ أميد

[٢٤٠] أما ابنه **محمد** فكان الشقيُّ الماضى[١] قد نصّ على إمامته، بحكم الضّلال بمقتضى زعمهم، فجلس مكان أبيه وهو في التاسعة عشرة من عمره، ﴿...ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴿٤٠﴾﴾ [النور]. وقد قام بتعذيب وقتل الحسن بن ناماور،

(١) يريد به الحسن بن محمد بن بزرگ أميد (المترجم).

مع جميع أقربائه من الرّجال والنّساء والأطفال، وكانوا البقيّة الباقية في تلك الدّيار من قبيلة بويه، بعد تعذيبهم والتنكيل بهم. فقطع نسل بويه.

وكان محمد الاسم مذمّم الفعل هذا أكثر غلوًا من أبيه في إظهار البدعة التي كانوا يطلقون عليها اسم دعوة القيامة، التي تعتبر الإباحة من لوازمها، كما كان أكثر صراحة في إظهار الإمامة، وكان يدّعي الحكمة والعلم بالفلسفة رغم أنه كان عاريًا عاطلا من ذلك العلم، بل من كل العلوم، وكان قد أدرج اصطلاحات الفلاسفة في الفصول التي كتبها[1] والأصول غير المرتّبة التي قالها، وكان يظهر التّفوق والتّسوق[2] بإيراد النّقاط على نمط حديث الحكماء، ولقد قال النبى عليه الصلاة والسلام: «**المتشبع بما ليس [٢٤١] عنده كلابس ثوبى زور**»[3]. وكانت معظم ألفاظ كلامه ومعانيها في العربيّة والحكمة والتّفسير والأخبار والأمثال والأشعار -التي كان قد انتحلها جميعًا وادّعاها لنفسه- تحريفًا وتخريفًا[4] وخطأ وتصحيفًا.

---

(١) قد بقى من مؤلفاته رسالة صغيرة الحجم بعنوان: "رساله درنصيحت" (انظر *Ivanov, A Guide To Ismaili Litrature, London 1933*). (المترجم).

(٢) التسوق: هو البيع والشراء وهو مشتق من السوق، يقال: تسوق القوم إذا باعوا واشتروا (اللسان). وهذا المعنى كما هو ملاحظ لا يتناسب مع المقام، ولعل مراد المصنف هو (تزيين السوق) و(العمل على رواج السوق) بالمعنى المجازى لهذين التعبيرين، يعنى أن يظهر فضله للأنظار، أو يحرص على إظهار الفضل ونحو ذلك.

(٣) قال في اللسان في ش ب ع تشبع الرجل تزين بما عنده، وفى الحديث المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي الزور أى المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك كالذى يرى أنه شبعان وليس كذلك، ومن فعله فإنما يسخر من نفسه وهو من أفعال ذوى الزور، بل هو في نفسه زور وكذب، انظر المرجع نفسه في ث وب، وزور، وشرح الجامع الصغير للسيوطى ج ٣ ص ٣٥٩ – ٣٦١، ومجمع الأمثال ٢: ٦٤ تحت عنوان "كلابس ثوبى زور".

(٤) تخريف بالخاء المعجمة، قال في تاج العروس: "خرفة تخريفًا نسبة إلى الخرف أى فساد العقل".

وبحكم نص التنزيل الحكيم: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف] أُمهل في الملك ستا وأربعين سنة، وفى عصره سفك الملاحدة كثيرًا من الدّماء البريئة، وأثاروا الفتن، ومارسوا أنواع الفساد، ونهبوا الأموال وقطعوا الطّرق، وأصروا على فساد الإلحاد كما استقرّوا على قاعدة الكفر.

وكان لمحمد ابنان، أكبرهما الحسن، الذى لقب بجلال الدين. كانت ولادته في سنة اثنتين وستين وخمسمائة [١١٦٦-١١٦٧م]، وكان أبوه قد نصّ عليه في أيام طفولته [٢٤٢] بأن يخلفه، فلما كبر وظهر أثر التعقل فيه، بدأ ينكر طريقة أبيه، ويستقذر رسوم الإلحاد والإباحة.

فتفرّس أبوه أثر ذلك فيه، فنشأ بينهم نوع من العناد، وكان كل منهم يخالف الآخر ويحترز منه. وعندما كان جلال الدين الحسن يطلب –في أيّام الاحتفالات والمجامع العامّة– الدخول إلى البلاط، كان أبوه يحذر منه ولا يأتمنه، وكان يخفى درعًا تحت ملابسه، كما كان يحتفظ (حوله) دائمًا بالملاحدة الذين كانوا أهل ثقته ويغالون في القول بدعوة الغواية، لحفظه من أيّة مؤامرة يدبّرها ابنه.

## ذكر سلطنة جلال الدين الحسن بن محمد...

وكان جلال الدين حسن –إما عن حسن اعتقاد أو عن طريق العناد الذى وقع بينه وبين أبيه، **(والله أعلم بما في الضّمائر، والحكم من الخلق على الظّاهر والله يتولى السّرائر فله أو عليه ما يستحقّه)**– كان قد أرسل الرسل خفية على سبيل مكايدة أبيه إلى خليفة بغداد وإلى السلاطين والملوك الآخرين ليُظهر أنه ليس على غرار أبيه، مسلم العقيدة؛ وأنه إذا ما وصل الدور إليه بعد أبيه فإنه سيرفع الإلحاد ويمهّد لقاعدة الإسلام، وبهذا النّوع قدم توطئة وتأسيسًا. وقد تُوفي محمد غير المحمود

هذا والمقتدى المطرود في العاشر من ربيع الأول سنة سبع وستمائة [أول سبتمبر ١٢١٠م]، وقال قوم: مات مسمومًا.

[٢٤٣] جلس مكانه بعده بمقتضى ولاية العهد ابنه **جلال الدين حسن**، فأظهر الإسلام بعد أن تولى الحكم مباشرة، وقام بزجر قومه وشيعته ومنعهم – بالتوبيخ والتشديد– عن الإلحاد، وحملهم على التزام الإسلام، واتباع رسوم الشرع، وأرسل الرّسل إلى خليفة بغداد وإلى السّلطان محمد خوارزمشاه وملوك وأمراء العراق والأطراف الأخرى لإبلاغهم بهذه التغييرات، وبمقتضى التّوطئة والتّمهيد الذى كان قد شرع فيه خلال عهد أبيه وأبلغ به الأطراف صدّقوا كلامه، وعلى الأخصّ أصدرت دار الخلافة الحكم بإسلامه، وأظهرت أنواع العطف بالنسبة إليه، ففتحت طريق المكاتبات والمراسلات معه، وكتبوا له الألقاب بالحُرمة، وبتلك الوسيلة الحميدة أفتى الأئمَة من جميع البلاد الإسلامية بإسلامه هو وقومه وأجازوا مواصلته والزواج به، واشتهر ذكره بجلال الدين نومسلمان (أى المسلم الجديد)، كما سُمِّى اتباعه في عهده أيضًا بنومسلمان.

ولقد أمر بعمارة المساجد في ولايته، وطلب الفقهاء من أطراف خراسان والعراق؛ ليتولوّا شئون القضاء والخطابة وأمثال هذه الأمور الدّينية في ملكه، فأعزّهم وأكرمهم.

أما أهالى قزوين فقد أبوا في البداية قبول إسلام جلال الدين وقومه، وكان ذلك؛ بسبب تديّنهم وصلابتهم في الإسلام –فضلاً عن معرفتهم الوثيقة، بحكم الجوار وقرب المسافة– بتزويرات الملاحدة وأكاذيبهم وتمويهاتهم ومكائدهم، وأنهم عانوا منهم المتاعب ولحقتهم أشدّ الأضرار، وقامت بين الجانبين حروب، فتأصلت بينهم العداوة؛ ولذلك قام قضاتهم وأئمّتهم بتفحّص الأمر [٢٤٤] والتدبّر فيه، وطلبوا الدّلائل والبيّنات على صدق تلك الدعاوى، فلما تمّ تقرير قبول إسلامهم بمقتضى فتاوى دار الخلافة وأئمّة

بلاد الإسلام الأخرى بذل جلال الدين قصارى جهده في استرضاء [أهالى قزوين]، وكان يتقرّب إلى عظمائهم، وطلب إيفاد جماعة من أعيان قزوين إلى ألمُوت؛ لكى ينظروا في مكتبات الحسن بن الصبّاح وأسلاف جلال الدين ففصلوا عددًا كبيرا من فصول أبى جلال الدين وجدّه والحسن بن الصبّاح والكتب الأخرى التي تتضمن تقرير مذهب الإلحاد والزّندقة وتخالف عقائد المسلمين، فأمر جلال الدين بإحراقها بحضور أولئك القزوينيين أيضًا وفقًا لما أشاروا به، وقال بطعن ولعن آبائه وأسلافه والممهّدين لتلك الدّعوة، ولقد رأيتُ في أيدى أعيان قزوين وقضاتها ورقة، كانوا قد كتبوها على لسان جلال الدين الحسن في التزام الإسلام، وقبول شعار الشّريعة، والتبرّى من الإلحاد ومذهب الآباء والأسلاف، وكان جلال الدين قد دون بخطّه عدّة سطور على صدر الورقة تبرّأ مّن ذلك المذهب، فلما وصل إلى اسم أبيه وأجداده كتب هذا الدعاء عليهم: «ملأ الله قبورهم نارًا». مجمل القول: إن إسلامه وإسلام شيعته قد انتشر، وظهر لأهل الإسلام نوع من الألفة معهم، كما منع خليفة الوقت وسلاطين العصر مهاجمتهم أو قتلهم.

وتوجّهت أمّ جلال الدين، وكانت امرأة مسلمة، للحجّ في سنة تسع وستمائة [١٢١٢ – ١٢١٣م] وكان جلال الدين قد أرسل معها سبيلا[١] فأعزّوا أمه وأكرموها ببغداد إكرامًا عظيمًا[٢]، وقُدّم سبيله في طريق الحج على سبيل ملوك الأطراف.

---

(١) الظاهر أن السبيل هو القافلة من الحاج التي تصحب أحد الأعلام وأمير الحاج وفيها كل ما يحتاج إليه الحجاج ويعطى في سبيل الله بلا مقابل، ومن ذلك الدواب والطعام والشراب. يقول النسوى في سيرة جلال الدين المنكبرني في المورد نفسه ص ١٦: "وانضاف إلى ذلك استهانتهم (يعنى أهل بغداد) بالسبيل الذى كان للسلطان في طريق مكة حرسها الله تعالى حتى بلغه تقديمهم سبيل صاحب الإسماعيلية جلال الدين الحسن على سبيله"، ويقول ابن الأثير أيضًا في المورد نفسه في حوادث سنة ٦١٤: "وكان سبيله إذا ورد بغداد يقدم غيره عليه ولعل في عسكره مائة مثل الذى يقدم سبيله عليه" ويفترض دوزى في القاموس أن هذه الكلمة معناها المؤن وما يحتاج إليه الحاج وأورد العبارة التالية لابن خلّكان للتدليل على ذلك: "وكان يقيم في كل سنة سبيلاً للحجاج ويسيّر معه جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه في الطريق". والشاهد أهم من المدّعى، فالمراد بالسبيل في هذه العبارة كما هو واضح هو المعنى نفسه الذى سبق ذكره.

(٢) ابن الأثير حوادث ٦٠٨.

[٢٤٥] وكان جلال الدين قد وطّد علاقات الموافقة والصّداقة مع الأتابك مظهر الدين أوزبك، ملك أرّان وآذربيجان، وكان يحرص على أن تكون صلته به أوثق من صلته بمن سواه من الملوك. وكانت بين ناصر الدين منكلى الذى كان يتملّك العراق، وبن الأتابك معاندة، ووقع بينهما عداء، وكان جيشه يغالب جلال الدين على بعض ولاياته، فاتفق كل من الأتابك وجلال الدين تواضعا، وتوجّه جلال الدين إلى آذربيجان في سنة عشر وستمائة [١٢١٣ - ١٢١٤م] عازمًا على مدد الأتابك وقتال منكلى، وكان الأتابك يجتهد في معاملة جلال الدين بالإعزاز طوال المدّة التي قضاها في ملكه، وهى مدة تبلغ عامًا ونصف عام. وقامت بينهما مؤاخاة، وكان الأتابك يواظب على إرسال المؤن الوفيرة إليه، ويفرط في بذل الأموال، لدرجة أنه بعد إقامة الأنزال والعلوفات لجلال الدين وجيشه وبعد توزيع أنواع التّشريفات والخلع الثّمينة كافّة، لا على كبار قواد الجيش جلال الدين فحسب، بل على كافة الجند، كان يرسل إلى خزانته كل يوم ألف دينار من الذّهب المسكوك [٢٤٦] للمتطلبات اليومية.

مجمل القول: إن جلال الدين أقام مع الأتابك أوزبك مدة في بيلغان، وأرسلا الرسل متفقين إلى حضرة دار الخلافة والشّام والدّيار الأخرى طلبًا للإمدادات لطرد منكلى من العراق، فأرسلت دار الخلافة مظفر الدين وجه السبع مع جيش كامل لمددهم، وأمرت مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك أن ينضمّ إليهم بجيش من إربل؛ لكى يعمل الجميع في يوم القتال برأيه وتدبيره ويطيعون إشارته وتوجيهه. وأرسل جيش آخر من الشام لمددهم.

وفى سنة إحدى عشرة وستمائة[1] [١٢١٤ - ١٢١٥م] هزموا ناصر منكلى، كما هو مشهور ذكره، وإيراده هنا ليس مناسبًا لسياق هذا التاريخ، ومكّنوا سيف الدين

---

(١) ضبط ابن الأثير ١٢: ١٤١ تاريخ هذه الواقعة في شهر جمادى الأولى سنة ٦١٢ هـ.

إيغملش[1] مكان منكلى [٢٤٧] في العراق وأعطوا أبهر وزنجان لجلال الدين جزاء سعيه، وبقيت هاتان المدينتان ونواحيهما تحت تصرّف نوّابه.

وبعد عام ونصف عام من المقام في العراق وأرّان وآذربايجان عاد جلال الدين إلى ألموت، وفى هذا السّفر ونظرًا لطول مدة إقامته بتلك البلاد صارت دعوة إسلامه أكثر تأكيدًا وأشد تصديقًا، وزادت مخالطة المسلمين له، وقد التمس جلال الدين خطبة النّساء من أمراء جيلان، فأبدوا تقاعدًا وفُتورًا ولم يقبلوا بغير إذن يصدر من دار الخلافة، فأرسل جلال الدين رسولا إلى بغداد، فأجابه أمير المؤمنين الناصر لدين الله إلى ملتمسه، وأجاز بأن يقوم أمراء جيلان بمواصلته بحكم الإسلام، وبمقتضى هذا تزوّج جلال الدين أربعا من بنات أمرائهم، أولاهن أخت كيكاوس، الذى كان لا يزال حيًّا يمتلك ولاية كوتم[2]، وقد ولد علاء الدين محمد، ابن جلال الدين من هذه [٢٤٨] المرأة.

---

(١) كذا في جامع التواريخ ١١٤ (= ص ١٧٧ ط طهران)، هذه الكلمة محرفة وفاسدة في نسخ جهانگشاى الخطية كافّة؛ لأن اسم الشخص الذى نصب بعد هزيمة منكلى في سنة ٦١١ (أو سنة ٦١٢) حاكمًا على العراق من قبل الخلفاء وقتل بعد أربع سنوات من حكومته على يد الباطنية في أوائل سنة ٦١٤ يأتى في جميع كتب المؤرخين المعاصرين أو قريبى العصر لهذه الواقعة مثل ابن الأثير ١٢: ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، والنسوى ١٣، وأبى الفدا ٣: ١١٦، وجهانگشاى نفسه ج٢: ١٢١ في جميع المواضع إغلمش (بألف وغين معجمة ثم لام وميم وفى الآخر شين معجمة)، وفى جامع التواريخ كما مر (إيغلمش) بالضبط المذكور نفسه بزيادة ياء بعد الحرف الأول، ولما كان المصدر الوحيد الذى اعتمد رشيد الدين عليه في هذه الفصول المتعلقة بأواخر الإسماعيلية يتمثل في كتاب جهانگشاى للجوينى؛ حيث نقل أغلب عباراته بعينها حرفًا بحرف فلا يبقى شك تقريبًا في أن إغملش كانت مسطورة في نسخة جهانگشاى التي كانت لديه في الموضع الذى نحن بصدده بحيث حفظها بإملائها نفسه، لذا قمنا بتصحيح إغلمش في المتن طبقًا لرواية جامع التواريخ وهي أقرب الصور إلى «إغملش» عند عامّة المؤرخين المدقّقين. في آثار البلاد للقزوينى اسم هذا الشخص في ص ٢٠١ إيقلمس وفى ص ٢٥١ إيقلمش.

(٢) تعرف حاليًا بكهذم، وهى ناحية بولاية جيلان تقع غربى سفيدرود، ما بين منجيل من الجهة الجنوبية، ورشت من الجهة الشمالية (انظر حواشي آخر الكتاب). (المترجم).

وهم يقولون: إنه لما تحرك سلطان الدنيا جنكيزخان قادمًا من تركستان أرسل جلال الدين إليه أمراءه خفية قبل أن يصل إلى بلاد الإسلام، وكتب الرّسائل وعرض عليه الخضوع والطّاعة، كان هذا هو زعم الملاحدة، والحقيقة غامضة غير واضحة، ولكن الشّيء الواضح أنه لما دخلت جيوش السلطان فاتح العالم جنكيزخان بلاد الإسلام، كان أول شخص من الملوك أرسل الرّسل في هذه الناحية من جيحون لإظهار الولاء وقبول الخضوع هو جلال الدين.

استعمل قاعدة الصّواب، وأسّس بناء الصّلاح، غير أنّه جاء بعده ابن جاهل وأتباع حيارى فلم يبادروا –بسبب الشّقاوة الجهل– بتشييد ذلك الأساس وإتمامه، ولكنهم أخذوا بالتدبير الفاسد، بل الإدبار القاصد في نقض ذلك التّرتيب، حتى رأوا ما رأوا: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر].

وكان أمير المؤمنين على بن أبى طالب –عليه السلام– قد ذكر في إحدى خطبه قومًا من المتمرّدين رأوا وخامة عاقبة تدبيراتهم الفاسدة، فقال كلمتين أو ثلاثا في ذلك الصدد تتفق وحال الطائفة المذكورة والحكاية المسطورة: «**زرعوا الفُجور وسَقَوْه الغرور فحصدوا الثُّبور**(١)».

---

(١) فقرة من الخطبة الثانية من نهج البلاغة، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١: ٤٥، وانظر أيضا شرح الكتاب لابن ميثم البحرانى ٩٣، ورواية نهج البلاغة في هذين الموضعين هى "وحصدوا" بالواو.

## ذكر سلطنة علاء الدين محمد بن جلال الدين الحسن

[٢٤٩] كان **علاء الدين محمد** في التّاسعة من عمره عندما جلس مكان أبيه الذى تُوفي في منتصف رمضان سنة ثمانى عشرة وستّمائة [أول نوفمبر ١٢٢١م]، ولم يكن له سوى ابن واحد هو علاء الدين المذكور.

وكان جلال الدين قد مات مريضًا بالإسهال فاتّهموا نساءه بدسّ السم له بالاتفاق مع أخته وبعض أقاربه، فقام الوزير، الذى كان بمقتضى وصيّته مدبّرًا للملك ومربّيًا لابنه علاء الدين، بقتل خلق كثير من أقاربه، وأخته، ونسائه، وخواصّه، وأهل بطانته بتلك التّهمة، وقام بحرق بعضهم.

ولما كان علاء الدين لا يزال طفلا، ولم يكن قد لقى نصيبًا من التّربية والتّأديب، وطبقًا لمذهبهم المزيف وطريقهم المزيّف يُعدّ إمامهم متشابهًا، في المعنى الأصلى في أطوار الطفولة والشباب والشيخوخة وكل ما يقوله كيفما كان يُعدّ حقًّا. والامتثال لأمره في أى أسلوب يمارسه دين لأولئك الكفرة، ولذلك لا يمكن لمخلوق تعنيفه بأى حال من الأحوال كما لا يجوز في اعتقادهم المذموم تأديبه ولا توجيه نصح إليه أو إرشاد. فلا غرو أن أغفلوا تدبير (أمور) الدين والدنيا، والمحافظة على المبادئ التي كانوا قد التزموا بها بإسلامهم وأعرضوا عن الاهتمام بأمور المُلك، وكان الطفل الجاهل الذى (بايعوه) يتكفّل بأمور دينهم ودنياهم ويرعى مصالحهم.

ومَنْ كان الغُرابُ له دَليلاً فَناووس المجُوسِ له مَقيلُ[1]

---

(١) انظر ذيل مجمع الأمثال لفرايتاغ ص ٤٦٦، وحياة الحيوان ٢: ٢١٤ في عنوان "الغراب"، وقد روى الاثنان هذا المثل على النحو التالى:

ومن يكن الغُرابُ لهُ دليلاً يمرّ به على جِيف الكِلاب

ولقد شُغل مع أقرانه من الأطفال باللعب واللهو واقتناء الجمال ورعى الأغنام فوقع تدبير الأمور برأى النّساء، حتّى اضمحلّت الأسس التي كان أبوه قد وضعها، [٢٥٠] وبطلت التدابير التي كانت على منهاج الإصابة، وأول ذلك كله أن أولئك الذين كانوا قد تقلّدوا الشريعة والإسلام؛ خوفًا من أبيه وهم خبثاء الطويّة مظلمو الضّمير وكانوا لا يزالون يعتقدون في مذهب جده الفاسد﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة] لم يروا من يمنعهم ويزجرهم عن ارتكاب المنكرات والمحظورات، ونظرًا لأنه لم يكن لديهم محرّض أو وازع على اتباع الفرائض والسنن واقتفاء آثار السّداد والرّشاد، ارتدّوا مرة أخرى إلى إلحادهم ومروقهم، ولم تكد تنقضى مدة قصيرة حتى عادت لهم الغلبة والقوّة. أما الآخرون الذين كانوا قد قبلوا الإسلام عن بصيرة وأرادوا المداومة على هذا المذهب فقد خافوا من مهاجمة أولئك الملحدين ونكايتهم وأخفوا إسلامهم مرّة أخرى؛ خوفًا على حياتهم، فشاع الإلحاد من جديد – لا أعاده الله أبدا – بين تلك الطّائفة المشئومة والمجتمع المذموم. ولهذا السبب أُهملت قواعد الملة والدّولة ومصالح الدّين والدّنيا مرة أخرى وولّت وجهها نحو الاندراس.

ولما انقضى ما يقرب من ست سنوات على تولى ذلك الطفل المُلك قام الطبيب الذى استخدموه بفصده، دون أن يكون مريضًا ودون داع وخلافًا للنصيحة والمشاورة، فأخرج دمًا بكثرة بالغة، فاختلّ دماغه، وتمثلت أمامه الخيالات، وبعد مدّة قصيرة ظهرت عليه علّة الماليخوليا، ولم يكن لأحد قوّة ولا جرأة على أن يقول بوجوب اعتزاله أو معالجته كما لم يتمكن الأطبّاء هناك وغيرهم من ذوى العقل والمعرفة من القول: إنه مصاب بالماليخوليا أو بأذى مماثل، وإلا فإن عوامّ تلك الطائفة سوف تسعى دون أدنى ريب في طلب دمهم؛ لأن الأذى الذى يتعلق به نقصان في العلم أو زوال في العقل [٢٥١] لا يجوز على الإمام بحيث يمكن عندئذ نسبة بعض أوامره وأفعاله إلى اختلال العقل وفساد المزاج والدماغ؛ فلا غرو أن كانت تلك العلّة تتزايد يومًا بعد يوم حتى استولت عليه تمامًا/ وفى خلال السنوات الأخيرة من عهده أصبح

علاء الدين الخالى من التدابير مجنونًا من أثر ذلك المرض، فضلاً عن نقصان العقل الغريزى وانعدام التأديب والتربية في أيام الصّبا.

فصارت القيود والسّلاسل مناسبة له. ونظرًا لأن هذا قد حدث في هذا العهد ويعرف المعاصرون سوء تدبيره وفساد عاداته، وخبث خياله، وإهماله وإضلاله، وغاية جنونه، ورسومه غير الميمونة، فلا حاجة إذن إلى شرح؛ لأن التّفصيل يستطيل، ولا يتيسر تقرير عشر العشير من وصفه بتحرير الطّوامير، فلو اشتبه أحد فينبغى عليه الاستدلال على الفاتحة من الخاتمة، وعلى البداية من النهاية، وعلى المقدّمة من النّتيجة، هذا فضلاً عن نخوة الملك والغرور لمن كان أتباعه وأشياعه أشقياء أغبياء، من الطفولة إلى آخر العمر، ونظرًا لفساد خيالهم وبلادة حسّهم أقاموا في ضميره الأسود وخاطره الفاسد أن كل ما يفكّر فيه إنّما يطالعه من نقوش اللوح المحفوظ، وكل ما يقوله إنما يقوله بإلهام إلهى، ولا يجوز أن يكون فكره وقوله خطأ وسهوا، حتى انخدع هو أيضًا بذلك، فوقع في خطأ مع نفسه، وكان يروى من الأحوال الماضية [٢٥٢] التي تظهر (لهم) وكأنّها أعاجيب، ويجعل من الأخبار الخفيّة أشياء مغيبة، كلها خبط عشواء، وقولٌ على العمياء، وكذبُ صراح، ومحضُ افتضاح، ولم يكن يفكّر في أن تلك الهذيانات سوف تصطدم بتكذيب ذوى العقول.

وبسبب ما كان في طبعه من سوء التّربية وعدم الممارسة والشّراسة والزّعارة(١) لم يكن أحد يملك القدرة على أن يعارضه، أو يشير في حضوره إلى مسألة من المسائل التي تتّصل بمصالح المملكة قد يتغيّر منها خاطره قليلاً، فلا شكّ أن الجواب على ذلك الشخص يكون قتله في الحال بالنّكال بعد معاقبته بالمُثلة غير اللائقة وقطع أعضائه.

---

(١) الزعارة: الشراسة. (القاموس المحيط). (المترجم).

فلا غرو أن أخفيت عنه الأخبار التي تتعلّق بداخل مملكته وخارجها وأحوال الأصدقاء والأعداء، لدرجة أنه كان يرسل الرّسل إلى بلاطات السّلاطين، فإذا ما عادوا فإنهم لا يعيدون على مسامعه الجواب الذى رد به الملوك على التماسه وكلامه؛ لأن ذلك لم يكن موافقًا لطبعه على الإطلاق، وعلى الرغم من أنه كان يعرف هذا فإنه كان يخفيه في نفسه، ولم يجرؤ ناصح قط على التلفّظ أمامه بكلمة عن ذلك. وكانت كل رسائله للسلاطين كذبًا وتلفيق أباطيل، وكان يظن أن ذلك التزوير الذى يتظاهر جهّال قومه بتصديقه نفاقًا، إما لجهلهم وإما لخوفهم، سوف ينطلى على حضرات السلاطين أو يشكلُ على العقلاء.

وكانت تقع في ملكه كل يوم سواء بأمره أو من دون أمره إحدى حوادث السّرقة وقطع الطّريق وإيذاء الخلق، فكان يظنّ أنه يمكنه تمهيد العذر عن ذلك بالكلام التقليدى وبذل المال. إلى أن زاد الأمر عن الحد وأصبحت حياته ونساؤه وولده ودماؤه وملكه وماله كلها عرضة لذلك التخبّط والجنون، وليس ذلك كله بحاجة إلى شرح أو تقرير؛ لأنه في غاية [٢٥٣] الوضوح والاشتهار.

وكان ركن الدين خورشاه هو أكبر أبناء علاء الدين، وفى أثناء طفولته كان علاء الدين نفسه لا يزال في سنّ الشباب؛ إذ لم يكن فارق الميلاد بينهما يتجاوز ثمانية عشر عامًا، وعندما كان ركن الدين لا يزال طفلا كان علاء الدين يقول لنفسه : "إن ركن الدين سوف يكون إمامًا وهو وليّ عهدى". فلما كبر ركن الدين لم يفرّق مخاذيل أتباعهما بينه وبين أبيه من حيث التعظيم والرّتبة، فكان حكمه نافذًا كحكم أبيه؛ لذلك استاء منه علاء الدين وأخذ يردّد: "سوف أجعل ولى عهدى ابنًا آخر غير ركن الدين". فلم يقبل قومهما، بمقتضى مذهبهم، ذلك الكلام وقالوا: "اعتبار النصّ الأول صحيح".

ومن أجل ذلك كان علاء الدين يؤذى ركن الدين كما كان يعذّبه بغير سبب، ويعاقبه بصفة مستمرة بمقتضى جنونه وغلبة اختلال عقله، كما كان دائم المؤاخذة له، وكان قد اضطره إلى البقاء بصفة دائمة مع الحريم في حجرة مجاورة لحجرة أبيه، فلم يكن يجرؤ على الخروج في وضح النّهار، فكان ينتهز الفرصة عندما يكون أبوه ثملاً أو مشغولاً برعى قطيع من الأغنام -وفقًا لما جرت عليه عادته- أو منشغلاً بشيء آخر أو غافلاً (عنه) فيتسلّل من الحجرة في المساء لشرب الخمر أو يذهب إلى حيث يشاء.

مجمل القول: إن علة جنون علاء الدين وغلبة هَوَسه قد اشتد في شهور سنة ثلاث وخمسين وستمائة [١٢٥٥ - ١٢٥٦م]، فازداد تغيّره على ركن الدين بالأسباب والاتفاقات الفلكية التي يطول تفصيل الحديث عنها، ولا يليق إيرادها في هذا التاريخ، فاستمر في عقابه وإيذائه، وكان يواصل إيذاءه وتهديده ووعيده، حتى خاف الولد منه على حياته وكان يقول [٢٥٤]: "لست آمن -في أى وقت من الأوقات- على حياتى من أبى".

ولهذا أخذ يعد العدّة للهرب من وجه أبيه على أن يذهب إلى قلاع الشام ويستولى عليها، أو يسيطر على ألموت وميمون دز وبعض قلاع رودبار المشحونة بالخزائن والذّخائر وينفصل عن أبيه ويتمرّد عليه.

وقد حدث في السّنة نفسها أن كان أكثر أركان دولة علاء الدين وأعيان مملكته خائفين منه، بحيث لم يكن أحد منهم قط يطمئن إلى بقائه على قيد الحياة؛ إذ كان قد اتّهم بعضهم بمتابعة ركن الدين، فتغيّر عليهم، كما كان قد اتهم بعضهم -بسبب خياله الشاذ ودماغه المختلّ- بتهم أخرى فكان يواصل إيذاءهم وتعذيبهم. مع أنهم لم يكونوا في خوفهم يحادثون بعضهم بعضًا وإنما كانوا يتّبعون أسلوب المداراة تظاهرًا ونفاقًا، بحيث أدى ذلك كله إلى أن ملّ منه الخواصّ والعوامّ، وكانوا على ثقة

من أن ذلك التدبير الذى كان قد مارسه ومخايل الإدبار التي لاحت على أحواله سوف تذهب بسلطته وملكه أدراج الرياح.

وكان ركن الدين يتّخذ من الكلام التالى شراكًا ينصبها: "نتيجة لما يأتيه أبى من أعمال وأفعال سمجة عزم جيش المغول على مهاجمة هذه المملكة بينما لا يلقى أبى بالاً، أما أنا فأننى أعتزله وأرسل الرّسل إلى حضرة سلطان وجه الأرض (يعني هولاكو) وإلى عبيد بلاطه وأنا أقبل الخضوع والعبوديّة، ولن أسمح لأحد بعد الآن أن يقوم بحركة فاسدة في ملكى حتى يبقى الملك وتبقى الرّعية".

لهذه الأسباب والدّواعى بايعه أغلبَ العظماء والأركان ورجال الجيش واتّفقوا على شرط أن يكونوا معه في كل ناحية يتوجّه إليها وأن يحفظوه من أتباع أبيه وأجناده وأن يبذلوا أرواحهم دونه، إلا إذا قصده أبوه فإنهم عندئذ لن يضربوا أباه ضربة أو يرفعوا عليه يدًا.

فلما انقضى شهر على هذا الحديث مرض ركن الدين ولزم الفراش وبقي عاجزًا عن الحركة. [٢٥٥] وفى يوم من الأيام شرب أبوه خمرًا فنام وكان قد شرب في كوخ من الخشب والغاب مجاور لاصطبل الأغنام، وكان ينام من حوله عدد من الغلمان والرّعاة والجمّالين وأمثال هؤلاء الأراذل والسّفلة، وفى منتصف اللّيل وجد مقتولاً من أثر طعنه بلطة في رقبته. فانتهى أمره بهذا الجرح، بينما جُرح هندى وتركمانى كانا قد ناما بجواره، فمات التركمانى بعد ذلك بينما شفى الهندى، وقد حدث هذا في سلخ شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة [أول ديسمبر ١٢٥٥م] في مكان يقال له شيركوه[١]، حيث كان علاء الدين يقضى معظم أوقاته.

---

(١) المترجم: اسم قرية وواد يقع في القسم الغربى من ناحية ألموت.

ووجّه أولاد علاء الدين وقومه تهمة القتل إلى عدة أشخاص، فقاموا متأثّرين بذلك الوهم بقتل عدد من المقرّبين لعلاء الدين وخدمه الذين كانوْا قد شوهدوا بجوار الموضع الذى قتل فيه؛ حيث كانوا يقومون بحراسته ليلاً، ولقد توسّعوا في توجيه الاتهام والاشتباه إلى المواضع البعيدة والقريبة، فوصل الأمر بهم إلى أن قالوا:إن رجلين أو ثلاثة مجهولين قدموا من قزوين وبالمحاباة وبالاتفاق مع الخواصّ وكبار المقرّبين لعلاء الدين وإرشادهم توجّهوا إلى فراشه وقتلوه، ثم عادوا أدراجهم بمعاونة أولئك الخواص وحمايتهم. فكانوا يتّهمون وهما وظنّا كل فرد بالتعاون معهم وإرشادهم، حتى استطاعوا بعد مضى أسبوع أن يتوصلوا بوضوح المخايل والدلائل من شمائل الأحوال عن يقين أن الحسن المازندرانى الذى كان أخصّ خواصّ علاء الدين [٢٥٦] وملازمه ليل نهار ومستودع أسراره هو الذى قتله. وقد قيل أيضًا:إن زوجة الحسن –التي كانت عشيقة علاء الدين ولم يكن الحسن قد أخفى عنها حادثة القتل– أفشت ذلك السرّ لركن الدين. قصارى القول: نهم قتلوا الحسن، بعد أسبوع، وأحرقوا جثته كما أحرقوا أبناءه الثلاثة وكانوا بنتين وولدا. وجلس **ركن الدين خُرشاه مكان أبيه.**

عندما كان الحسن المازندرانى طفلا حمله جيوش المغول من مازندران، فهرب من الجيش في العراق وذهبت إلى مُلك علاء الدين، وكان أمرد مليحا، فلما رآه علاء الدين أحبه وقرّبه إليه، فصار أمامه محلّ اعتماده التامّ، وكان يعزّه إعزازًا بليغًا ويسمح له بالكلام في حريّة تامة، ومع هذا كان –بسبب جنونه وسوء طبعه– يؤذيه على الدوام بالتخيّلات والتعليلات ويضربه ضربًا عنيفًا، فتحطمت أكثر أسنانه، وقطع جزءًا من عضو ذكوريته[١]، وعلى الرغم من أن لحيته نمت، وظهرت في النهاية بعض آثار البياض في شعره فإنه ظلّ منظور علاء الدين ومحبوبه، وكان يفضّله على الأماردة والمعشوقين، وقد وهب للحسن إحدى خادماته التي كان يعشقها؛

(١) لا نعثر على "ذكورية" في كتب اللغة المعتمدة، اللهم إلا في قاموس دوزى، ولا بد أن تكون كذلك قياسا على رجولية وطفولية وما شاكلها.

ليتزوّجها، ومع أن الحسن رزق منها بثلاثة أبناء فإنه لم يكن يجرؤ على الذهاب إلى منزله أو على النوم مع امرأته دون إذن من علاء الدين، ولم يكن علاء الدين يستتر من الحسن أثناء مقاربته ومباشرته لامرأته، وكان الوزراء وكبار رجال دولة علاء الدين وسائر أهالي المملكة يتقرّبون إلى الحسن في رفع الحاجات وإنهاء الحالات والمهمّات الأخرى، بل في [٢٥٧] المصالح، إذ لم يكن هناك من يستطيع مباسطة علاء الدين في الحديث مثله، ولم يكن يقبل تنفيذ أمر بقول امرئ غيره. وكثيرًا ما كان الحسن يوافق ويجيز من تلقاء نفسه على ما يريد دون استطلاع رأى علاء الدين، وكانت أحكامه تنفّذ بتمامها. وكان قد استطاع بهذه المداخل المذكورة أن يجمع مالا كثيرًا غير أنه لم يكن يستطيع أن يتمتع به، وكان يخفيه عن علاء الدين، ولقد كان لباسه، الذى يتكون من رداء من الصّوف والقطن الرّديء، قديمًا ممزقًا في أغلب الأحيان، مثله مثل ما على مخدومه المذموم علاء الدين؛ لأنه كان يضطر إلى أن يعيش متشبّها في ملبسه ومأكله وحالاته كلها بعلاء الدين، وكان يلازمه دائمًا في السير مترجّلا خلف قطيع الأغنام، أما في وقت التعزّز والتنعّم فكان يركب حمارا، وعندما كان يرتدى ملابس أفضل أو يقع في روع علاء الدين أن لديه بعض المال، فإنه كان يبتلى بالضّربات المبرحة، والمطالبات الشديدة، والتمثيل الشّنيع.

لهذه الأسباب استقر الحقد على علاء الدين في قلبه وارتبطت دواعى الغضب والشّحناء بعضها ببعض، وكان رجلا مسلما؛ إذ إنه رغم معاشرته لعلاء الدين السّنين الطوال، كان حب الإسلام وبغض الإلحاد قد تمكنا من قلبه وعقيدته، وكان قد نشأ للحسن عن طريق مجانسة الغربة واعتقاد الإسلام مؤانسة إلى بعض المسلمين الذين كانوا في خدمة علاء الدين، وبقوا بالضرورة أسرى في ملكه، وتوطّدت بينهم صداقة، وحينما كان يجد معهم فرصة المناقشة والحوار كان ينصرف إلى ذكر مثالب علاء الدين ونشر مخازيه ومساوئه (تعبيرًا) عن نفثة المصدور وشرح الغصّة ومقاساة شدائد معيشته، وبمقتضى هذه الدّواعى أصبح التّوفيق رفيقه حتى اغتال علاء الدين فخاطر بقلبه وروحه في ذلك الجهاد. **جزاه الله بنيّته خيرا.**

[٢٥٨] ولقد قال البعض: إن ركن الدين خورشاه قد قتل أباه، وهذا مخالف للحقيقة؛ لأن ركن الدين كان مصابا بالحمّى في تلك الليلة وملازما للفراش، وبقي اجزا عن الحركة عدّة أيام. ولكن للأسباب التي سبق ذكرها، فضلاً عن قرائن الأحوال المختلفة عن ذلك، يمكن الاستدلال على أنه لم يستنكر قتل أبيه أو يستاء منه وأن الحسن قد أقدم على فعل ذلك برضًا منه. ويمكن أيضًا أن يكون الحسن قد اتفق منذ البداية مع ركن الدين وأقدم على هذه الفعلة بمشورته وموافقته؛ لأنه لما ذاع الخبر بأنه قتل علاء الدين لم يقبض عليه ركن الدين، ولم يطالب ويستعلم عمّن ساعده في ذلك العمل، وكيف نشأ الوازع، بل أرسله على سبيل التّعليل؛ ليتولى أمر قطيع غنمه الخاصّ الذى كان قد بقي عن علاء الدين، بحيث يُعنى بالخراف ويهتمّ بأمرها، وأرسل في عقبه أحد ثقاته، فضرب الحسن ببلطة لما غفل، فقتله بطريقة لا يستطيع بها أن يعرف أنه هوجم [٢٥٩] فلا يتمكن من التفوّه بحرف. فقال النّاس مستندين إلى هذه الإمارات والدّلائل إن ركن الدين والحسن كانا قد تواضعا وتعاهدا على قتل أبيه فخشي، إذا أجرى تحقيق أو محاكمة، أن يشي الحسن بكلمة عن معرفته بالأمر أو حتى عن إذنه أو إشارته وإيعازه. وكانت أم ركن الدين وإخوته –خلال السنة التي بقيها في الملك خلفا لأبيه– إذا أرادوا إيذاءه واستثارته يتهمونه بقتل أبيه ويعدّون ذلك من معايبه، وكانوا يتهمون الجماعة الذين كانوا يعدّون أصدقاء ركن الدين ومن أهل رعايته في عهد علاء الدين وهم الذين أعزهم ركن الدين –لما جلس مكان أبيه، وعدّهم من خاصته وأهله– فينسبون إليهم أنهم تعاونوا معه في قتل أبيه علاء الدين، بل كانوا يقولون: إن ركن الدين رضي بقتل أبيه أو أمر به بحضّهم وتحريضهم، والله أعلم بالخفيات والسرائر.

***

## ذكر أحوال ركن الدين خورشاه بعد وفاه أبيه

بعد أن فرغ من مراسم العزاء التي استغرقت ثلاثة أيام وجلس مكان أبيه، أرسل الجيش الذى كان أبوه قد جهّزه لمهاجمة شال رود(١) من ناحية خلخال، [٢٦٠] فاستولوا على قلعتها وأعملوا فيها القتل والغارة. وبعد ذلك أرسل رجلا إلى گيلان وغيرها من البلاد المجاورة لإعلان وفاة أبية، وبدأ –خلافا لسيرة أبيه– في وضع أسس الصّفاء مع أولئك الجماعة، وأرسل إلى كل ولاياته بالتزام الإسلام، وبأن يسلكوا سبل السّلام.

وأرسل رسولا إلى "يسورنوين" في همدان يقول: "طالما تقلّدت الحكم فسوف أسلك طريق الخضوع، وأمحو غبار الخلاف من طلعة الإخلاص". فأجابه يسورنوين بأن مواكب الأمير هولاكو وشيكة الوصول، والصّلاح في أن يخرج بنفسه، ولقد بذل غاية جهده في حثّه على ذلك، وبعد ذهاب الرّسل وقدومها أرسل رسالة وقرّر "سأرسل أخى شهنشاه بادئ ذى بدء حتى يسير في رفقة يسورنوين" فسيّر شهنشاه في صحبة جماعة من كفاة الحضرة في غُرّة جمادى الأولى(٢)، فوصل إلى يسورنوين في حدود قزوين فأرسل يسور ابنه موراقا في صحبة شهنشاه إلى حضرة السلطان.

---

(١) انظر: نزهة القلوب لحمد الله المستوفى ص ٨٢، ٢٢٣، (حيث تبدو «شاهرود» في الموضع الأول من س ١٤ تصحيف "شالرود" ويكرر لوسترنج في "بلدان الخلافة الإسلامية" ص ١٦٩ ألفاظ المستوفى بعينها وبالتصحيف نفسه، هذا إذا كان ذلك في الواقع تصحيفًا، كما يكرر ذلك في الخريطة المقابلة لـ ص ٨٧).

(٢) سنة ٦٥٤ – "الأولى" كذا انظر ما سبق ص ١٨٥، حاشية ٢.

وفى العاشر من الشّهر نفسه [٥ من يونيه ١٢٥٦] دخل يسور «رودبار ألموت» كقائد لجيوش المغول والتاجيك. [٢٦١] وكان جنود ركن الدين وفداويوه قد تجمّعوا على قمة سيالان كوه[1] في أعلى ألموت، وعزم الجيش المغولى على الصعود من أسفل فوقعت موقعة عظيمة، إلا أنه لما كانت قمة الجبل محكمة والرّجال كثيرون فقد تراجع جيش المغول وأتلف جنوده غلاّتهم عن آخرها واشتغلوا بتخريب الولاية، وفى أثناء ذلك وصل الرّسل الذين كانوا قد أُمروا بالسير من قبل سلطان الدنيا من أستوا بعد وصول شهنشاه إلى العبودية في أواخر جمادى الآخر (صح: الآخرة) إلى ركن الدين وسلّموه مرسومًا باستمالته [٢٦٢] واستعطافه، إذ إنه نظرًا لأنه أرسل أخاه وأدّى العبودية والخضوع وما زال يؤديهما، فقد عفوت عما ارتكب أبوه وأتباعه من أخطاء في عهد أبيه، وحيث إنه لم يصدر عن ركن الدين نفسه أى جرم خلال المدة التي جلس فيها مكان أبيه، فإنه إذا خرّب القلاع وتوجّه للعبودية فلن تقدم الجيوش

---

(١) أغلب الظن أن المراد هو "سيلان كوه" (بسين مهملة وياء مثناة تحتانية ثم ألف ولام ثم ألف وفى الآخر نون) (أى جبل سيلان) وهو اسم جبل يقع في شمالى منطقة ألموت الجبلية شرقى الجبل المعروف بتخت سليمان، وما زالت بعض آثار قلعة ألموت المشهورة باقية حتى الآن، وكانت قد بنيت على صخرة من صخور هذا الجبل، وقد طبعت هذه الكلمة محرفة وخطأ في أغلب الكتب الجغرافية والخرائط الأوروبية الجديدة: ففى جغرافيا إليزة ركلو ج ٩ ص ١٥٨ – ١٥٩، وفى قاموس فيفن دوسن مارتن الجغرافي ج ٣ ص ٧٤٠: سيالر ***Siyalar*** – براء مهملة في آخر الكلمة بدل النون، وفى الخريطة الكبرى لإيران طبع وزارة الدفاع البريطانية سنة ١٨٩١: سيفالا ***Sivala***، وبناء على التحقيق الذى قام به صديقى الفاضل السيد ميرزا عباس إقبال أشتيانى في طهران معتمدا على بعض المثقفين من أهالى المكان نفسه تحقيقًا لرغبتى يتبين أن الكلمة "سيالان" كما ضبطناها هى الصحيحة. ولا شك في أن أهل البيت أدرى بما في البيت، وقد طبعت هذه الكلمة في الخريطة الكبرى لإيران التي أعدها السيد ميرزا عبد الرازق خان المهندس "سبالان" بالباء الموحدة، ولكن المؤلف المحترم صرح شفاهة للسيد إقبال بأن الباء الموحدة خطأ مطبعى وأن الصواب ياء مثناة تحتانية.

على عمل من أعمال التّخريب في ولايته فأظهر ركن الدين الطّاعة وخرّب عددًا من القلاع، أما ألَمُوت وميمون دز ولمسَر فقد رمى أبوابها وحطّم بعض أسوارها وأبراجها.

وبمقتضى أمر السلطان -الذى سبق ذكره- انسحب يسورنوين وجنوده من الولاية. وتوجّه أحد خاصّة السّلطان وصدر الدين في صحبته إلى عبوديّة السّلطان، فوصلا للعبوديّة لإبلاغه بما انتهى إليه الأمر وطلبا حاكما والتمسا مهلة سنة واحدة، وقد بقى بعض الرّسل هناك بغرض الفراغ من تخريب القلاع الباقية. وفى أوائل شعبان كان رسول السّلطان وصدر الدين قد وصلا إلى الحضرة في شغان[1]، ثم رجعا من البلاط [٢٦٣] وسلّما ركن الدين مرسوما مقدّرا على التّرغيب والتّرهيب. وكان تولاك[2] بهادر قد قدم في صحبتهما، وكانت التعليمات تقضى بأنه لو أطاع ركن الدين فإن عليه بمقتضى الأمر أن يتوجّه لإظهار الخضوع وأن يتولى تولاك الحكم في غيبته للمحافظة على الولاية.

أما ركن الدين فقد حمله قصور تفكيره على إظهار شيء من التقاعس عن الخروج وخاف وتلعثم، وأثار غبار التعلل، وقد سيّر وزيره شمس الدين كيلكى، وابن عم أبيه سيف الدين سلطان ملك بن كيا بو منصور، في صحبة الرّسل إلى الحضرة في السّابع من شعبان، أما هو فقد اعتذر وطلب مهلة. كما أرسل استدعائين لكى يحضر نوّابه من گردكوه وقهستان إلى خدمة السلطان ويظهروا العبودية والطاعة، وقد وصل الشّخصان المشار إليهما إلى الحضرة في حدود الرى، ولما رفعت رايات السلطان في ولاية اللاّر ودماوند أوفد (السّلطان) شمس الدين كيلكى من هناك إلى [٢٦٤] گردكوه ليحضر حاكمها إلى حضرته، كما أوفد رجلا من مصاحبى الوزير

(١) في الأصل سفاق، انظر فيما يلي ص ٣٧٢ – ٣٧٥. (المترجم).

(٢) جامع التواريخ، طبع كاترمر، ١٨٤: توكل.

إلى قهستان لإحضار حاكمها، كذلك أوفد سيف الدين سلطان ملك مع جماعة الرّسل إلى ركن الدين لإبلاغه بأنه لمّا كان سلطان الدّنيا قد نزل في دماوند فقد أصبح من الواجب على ركن الدين أن يتوجّه لإظهار العبودية، ولو حدث أن تخلّف بهدف تدبير أمره خمسة أيام فعليه أن يرسل ابنه أوّلاً، وقد وصلوا[١] في أول رمضان [٢٢ من سبتمبر] أسفل ميمون دز، واضطرب ركن الدين وقومه من نبأ وصول رايات فاتح العالم إلى الحدود، ومن الإشارات السلطانية التي أشار بها السلطان، فاستولى الرّعب والخوف على ركن الدين، وقال: "سوف أرسل ابنى" وهذا ما فعله بعد إشارة النصحاء والمشيرين[٢] وبعد استشارتهم ثم بدءوا في التجهز (للرحيل) إلا أنه أخذ يدبّر التلبيسات والتّمويهات خفية مستمعا لقول النساء وقصار النظر. فما كان منه إلا أن أرسل طفلا في سن ابنه، وكانت أمّ هذا الطفل كردية تعمل خادمة في قصر أبيه، فلما افتضح أمر حملها بالطفل أرسلها علاء الدين إلى منزل أبيها. ولما ولد الطّفل لم يجسر أحد على القول بنسبته إلى علاء الدين ولم يعيروا الأمر انتباها، فجعل (ركن الدين) هذا الطفل شركا للخداع في هذا الشّأن، وأخفى الأمر وموّهه على مدبّريه ومشيريه وأعلن :"ها أنذا أرسل ابنى" وقد أرسل هذا الطفل في صحبة الرسل في السابع عشر من رمضان [٨ من أكتوبر].

---

(١) يعني رسل هولاكو.

(٢) كان نصير الدين الطوسى أحد هؤلاء. وكان، طبقًا لتاريخ طبرستان لابن اسفنديار (ترجمة براون ص ٢.٥٩) يعمل وزيرًا لركن الدين. (المترجم).

وكانت رايات السلطان قد وصلت إلى حدود ولاية ركن الدين، فكيف يبقى الأمر سرًّا؟ ولقد كان واضحا أنه أرسل ابنا مزيفا[1]، إلا أن حضرة السّلطان لم يأمر في الحال بكشف ذلك التّلبيس واستمر الإغضاء والموارأة. وبعد يومين أعيد الطّفل المزور برسالة مضمونها أنه لا يزال مجرد طفل صغير، فإذا كان ركن الدين [٢٦٥] سوف يضطرّ إلى التأخّر قليلاً عن الوصول إلى العبودية، فعليه أن يعجّل بإرسال أخيه الآخر، حتى يعيدوا إليه أخاه شهنشاه، الذى لازم خدمة البلاط مدة طويلة، إجابة لملتمس ركن الدين، وقد وصل الابن المزوّر إلى ركن الدين في الثانى والعشرين من رمضان [١٣ من أكتوبر].

وفى هذه الأثناء لما كانت المسافة بين رودبار الموت وبلاط السّلطان قريبة كان الرسل يترددون على الدوام يحملون الرّسائل من حضرة السّلطان، وعدا ووعيدًا، واستمالة وإنذارا، مجمل القول: إن ركن الدين سيّر أخاه الآخر، المسمى شيرانشاه[2] إلى حضرة السلطان في الخامس من شوّال [٢٦ من أكتوبر]، فوصل شيرانشاه إلى عبودية السّلطان في اليوم الثالث الموافق السابع من شوّال [٢٨ من أكتوبر] بناحية يقال لها فسكر من مضافات الرىّ. وفى الوقت نفسه عاد الوزير كيلكى من گردكوه وقد أحضر حاكمها القاضى تاج الدين مردانشاه إلى عبودية سلطان الدنيا. وفى التّاسع من شوّال [٣٠ من أكتوبر] أعيد أخوه شاهنشاه من هناك برسالة مضمونها "إنه لو خرّب ركن الدين قلعة ميمون دز وتوجه بنفسه إلى عبودية السلطان، فسوف يصير موضع شفقتنا

---

(١) يعتقد جامع التواريخ (كاترمر ٢٠٤ = ص ٢٥٢ من الترجمة العربية) أنه كان الابن الحقيقى لركن الدين، ولم يكن في الأمر كذب أو بهتان "وفى السابع عشر من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة، أرسل خورشاه إلى هولاكو، ابنه الذى كان في السابعة أو الثامنة من عمره -وكان قد أنجبه من محظية- بصحبة طائفة من الأكابر والأعيان".

(٢) جامع التواريخ يطلق عليه الاسم نفسه في الجزء الخامس الخاص بالإسماعيلية ١٢٢ = ص ١٨٨ طبع طهران، بينما يطلق عليه في الجزء الخاص بهولاكو طبع كاترمر ص ٢٠٤ = ص ٢٥٢ من الترجمة العربية – اسم (شروانشاه).

وإعزازنا، على النحو الذى تجرى عليه عادة عاطفتنا، وإلا فلا يعلم أحد إلاّ الله ما بقي محتجبا عن النظر في العاقبة".

وفى أثناء [٢٦٦] هذه المفاوضات وتردّد الرّسل ما يقرب من شهر كان بوقا تيمور وكوكا إيلكاى، اللذان كانا قد توجها أيضا بجيوش كثيفة من ناحية أسپيدار، يقتربان من شاطئ البحر الذى يقع خلف ظهر مملكة ركن الدين، وخصوصا ميمون دز، التي كانت حصنا له ومعقلا، وكانا يستوليان على القلاع والبقاع المحيطة بها.

وفى منتصف شوّال [أول نوفمبر] توجه سلطان العالم من بسكر[١] إلى ولاية ركن الدين سالكا طريق الطّالقان، ثم نزل في السابع عشر من الشهر نفسه [٧ من نوفمبر] أسفل ميمون دز فالتقت الجيوش الأخرى القادمة من جميع النواحى وأحاطت بالقلعة.

ولما كان ركن الدين يتأنّى ويتمهّل في اقتفاء سعادته وانتهاج جادة مصلحته، ويحجم عن النزول من القلعة، قامت مهاوشة[٢] وحرب دامت ما يقرب من ثلاثة أيام بين قوات السلطان القريبة من القلعة وبين سكان الجبل وجنود ركن الدين الذين أحرزوا بعض الانتصارات، إلا أنهم لم يلبثوا أن ذاقوا شيئا من المهابة السلطانية [٢٦٧] وسطوة قدرتها. وفى الخامس والعشرين من شوّال [١٥ من نوفمبر] قامت الحرب السلطانية، التي لا يمكن أن يكون هناك أكثر عظمة ومهابة منها. فشاهد ركن الدين نموذجا وعرف أنه لا قبل له (بالمقاومة)، وفى اليوم التّالى أرسل ابنه الوحيد، وأخاه الآخر المسمى إيران شاه مع طائفة من أعيان قومه وكفاتهم ومقدّميهم.

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من شوّال [١٩ من نوفمبر] وصل هو نفسه إلى عبودية سلطان العالم، وحظى بسعادة المثول في الخدمة. وأخرج كل قومه

---

(١) الظاهر بل المؤكد أن بسكر هذه هي نفس فسكر المذكورة بالصفحة السابقة.

(٢) كذا في الأصل، والمهاوشة والمناوشة متقاربتان في المعنى ومعناهما الحرب الخفيفة والقتال غير الشديد.

والمتّصلين به من ميمون دز وقدّم خزائنه إلى السلطان دليلا على الخضوع. ومع أنها لم تكن فاخرة كما اشتهر عنها، فإنهم أخرجوا ما كان موجودا، فأمر السُّلطان بتوزيع أغلبها على الجند، واستخلص القلعة، كما استخلص باقى قلاع ركن الدين. وأما كيفيّة استئصال القلاع واستخلاص تلك الولايات بلا استثناء فسوف يتم شرحها بمزيد من الوضوح فيما يلى مباشرة.

كان قتل علاء الدين، أبى ركن الدين خورشاه، في آخر شوّال سنة ثلاث وخمسين وستمائة [أول ديسمبر ١٢٥٥م]، وكان بدء تقلّد (ركن الدين) حُكم أولئك القوم، وهم المطيعون لهما وأتباعهما، في اليوم الأخير من شوّال. وقد خرج ركن الدين في آخر يوم من شهر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة [١٩ من نوفمبر ١٢٥٦م]، ووقف أمام حضرة السلطان في مقام العبودية، وبذلك كانت مدّة حكومته مكان أبيه سنة كاملة.

***

# [٢٦٨] ذكر قلاع ركن الدين بعد نزوله

كان ركن الدين لا يزال يتمتّع بحسن الطّالع إذ نزل من القلعة[١]، وقد لازمه من الأمراء تمغا، أحد أمراء البلاط، مع جماعة آخرين لحمايته. وكان ركن الدين قد أرسل معتمديه في صحبة الرسل لهدم قلاع تلك الولايات وتخريبها. فحطّموا ما يربو على أربعين قلعة، وهبط منها سكانها الذين كانوا كلاب الإلحاد، بمقتضى الأمر فيما عدا سكّان قلعتى ألموت ولمسّر، الذين تعللوا والتمسوا أن ينزلوا من القلعة عندما تصل مواكب السلطان إلى حدود ألموت.

وبعد يومين أو ثلاثة[٢] تحرّك السّلطان، وعبر شهرك رودبار مرّة ثانية وعسكر الجيش هناك، وكانت شهرك هذه في أيام الجاهلية قبل الإسلام وفى الإسلام قبل الإلحاد مركزا لملوك الديلم ثم أنشئ بها في عهد علاء الدين حديقة وقصرًا وكانت متنزّها لهم، ولقد أقام (المغول) احتفالا بالفتح والظفر استمرّ تسعة أيّام، ثم توجّهوا من هناك إلى أسفل ألموت، حيث توقّفوا يومًا واحدًا، وأوفد ركن الدين إلى أسفل القلعة [٢٦٩]؛ لكى يفاوض أولئك القوم ويدعوهم (إلى التسليم) فتمرد مقدم القلعة المسمى مقدم الدين[٣] وأبى النزول إباء تامًّا. فترك السّلطان الأمير بلغاى[٤] مع جيش جزار لإحكام الحصار حول القلعة، بينما عزم هو على التوجّه بنفسه إلى لمسّر.

---

(١) يعنى ميمون دز كما سبق للمصنف أن صرح في الصفحات السابقة.

(٢) بعد فتح ميمون دز بحوالى ثلاثة أيام.

(٣) الفقرة المعادلة في جامع التواريخ ١٢٤ = ص ١٩١ ط طهران: وتردد مقدم الدين الذى كان مقدم القلعة، وواضح من سياق العبارة أن مقدم أو مقدم الدين كان اسم رئيس قلعة ألموت.

(٤) بلغاى: هو الابن الرابع لشيبان (شيبقان) بن توشى بن جنكيز خان، وقد أرسله باتو لمدد هولاكو في أثناء توجهه إلى إيران، ومات فجأة في حدود ٦٥٧هـ انظر جامع التواريخ طبع بلوشه ص ١١٥، ١١٧، ١٣٧ – ١٣٨، وجامع التواريخ طبع كاترمر، ص ٣٥٨ = ص ٢٨١ من الترجمة العربية لجامع التواريخ طبع كاترمر، وأيضا ص ٢٨٦، ٢٨٧، ٣١٧، ومختصر الدول لابن العبري ٤٦٠، وقد كتب اسم بلغاى بتفاوت في الرسم بين كل من الجامع ومعز الأنساب وأبى الغازى ومختصر الدول: بلغاى وبلغا وبلغه وبالاقان وبلقه، وكل هذه الأسماء لمسمى واحد. (راجع ص ١١٩ فيما سبق).

ولقد دخل أرباب ألموت من باب المصلحة، وأغلقوا طريق الممانعة، إذ أخذوا يرسلون الرّسول تلو الرّسول إلى ركن الدين أسفل لمسّر، حتى شفع لهم عثراتهم في حضرة السلطان، وحصل لهم على مرسوم الأمان، ثم سار إليهم، ولقد نزل "مقدّم" من القلعة، فصعد جماعة من المغول إليها، وسمحوا لركن الدين بالصعود معهم، فحطّموا المجانيق، وخلعوا الأبواب، وطلب سكّان القلعة ثلاثة أيّام مهلة، واشتغلوا بنقل ما كان في القلعة من متاع وزاد، وفي اليوم الرّابع صعد كلّ الجنود والمجنّدين وأغاروا على البقايا التي تركوها.

وألموت جبل شبّهوه بجمل بَرَك، ووضع رقبته على الأرض. وعندما كنت بأسفل لمسّر، استولت عليّ الرّغبة في تفقّد مكتبة ألموت، التي استطار صيتها في الأقطار، [٢٧٠] فعرضت على السّلطان أنه لا ينبغي تضييع نفائس الكتب الموجودة بألموت، فتقبّل السلطان طلبي بقبول حسن، وأعطى الأوامر اللازمة، فتوجّهت لتفقّد المكتبة، وأخرجت كل ما وجدت من المصاحف ونفائس الكتب على مثال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنعام]، كما اخترت الآلات التي كانت موجودة مثل آلات الرصد من الراسي وذات الحلق[1]، والاسطرلابات التامّة والنّصفية والشّعاع[2] وأحرقت ما بقي وكان متعلقا بضلالتهم وغوايتهم، وهو ما لم يكن مستندا إلى منقول ولا معتمدا على معقول، وعلى الرغم من وجود الخزائن الوفيرة وأجناس الذّهبيات والفضّيات التي لا تدخل في نطاق الحصر فإني ناديت عليها بنداء «**يا صفراء اصْفَرّي ويا بيضاء**

---

(١) انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ٢٣٥، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢: ١٥١ (في ترجمة نصير الدين الطوسي)، وكشف الظنون في عنوان "الآلات الرصدية".

(٢) كذا في معظم النسخ الخطية، وفي إحدى النسخ زيدت كلمة "وذات الشعبتين" في الحاشية – لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة، وذات الشعبتين هي أيضا اسم آلة من آلات التنجيم كذات الحلق، انظر كشف الظنون في المواضع المذكورة.

ابيَضّى»[١] فأنعمت بها بكرم، ولقد وجدت -وفى أثناء تفقّدى للمكتبة- تاريخ الجيل[٢] والدّيلم الذى صُنّف باسم فخر الدولة [٢٧١] بُوَيْه[٣]، وقد ورد في ذكر الموت أن أحد ملوك الديلم، الذى يقال لهم أرجستان[٤]، بدأ في عمارة هذا الجبل في سنة ست وأربعين ومائتين، وكان ملوك الديلم يفتخرون بها كما كانت مصدرا لاستظهار شيعة الإسماعيلية، وقد ورد في تاريخ السّلامى أن حاكم ذلك الموضع -وكان يدعى "سياه چشم" (ومعناه الأسود العين)[٥] كان من المستجيبين لدعوة الإسماعيلية بمصر، وذلك في أيام استيلاء الديالمة على العراق، وقد وردت كيفية انتقال الحسن بن الصبّاح إلى هذه القلعة فيما هو مذكور [٢٧٢] من سيرته، والحقيقة أنها كانت قلعة محكمة إحكاما شديدًا، وكانت مداخلها ومخارجها ومراقيها ومعارجها قد صارت بفضل التشييد

---

(١) قول مشهور لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه، قال في تاج العروس في ص ف ر: "والصفراء الذهب للونها، ومنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه: "يا صفراء اصفرى ويا بيضاء ابيضى وغرى غيرى". ويرى هذا الحديث مع اختلاف في الألفاظ في مواضع أخرى، انظر مروج الذهب في حكاية حرب الجمل ٤: ٣٣٦، والعقد الفريد ٣: ٩٥، وكشف الغمة ٤٧، ومقدمة ابن خلدون ١٢١ (ص ٥٣٨ طبع الدكتور على عبد الواحد وافى) في فصل "انقلاب الخلافة إلى الملك".

(٢) من الكتب العربية التي اهتمت بتاريخ الجيل كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥٣ معارف عامة، انظر الجزء الثانى من المجلد الثالث. (المترجم).

(٣) بويه ليس اسم فخر الدولة كما يمكن أن نتوهم من ظاهر العبارة، بل إنه اسم جده المشهور الذى تنسب إليه هذه السلسلة. أما اسم فخر الدولة فهو على بن ركن الدولة الحسن بن بويه، وعلى ذلك ينبغى أن يعدل اسمه إلى فخر الدولة البويهى.

(٤) يحتمل أن تكون هذه الكلمة تحريفا لكلمة «جستان» أو «آل جستان» انظر فيما يلي ص ٣٨١ وما بعدها.

(٥) راجع ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٦ ج ٨ ص ٧٠-٧١.

الذى تتمتع به جدرانها المجصّصة ومبانيها المرصوصة من القوّة بحيث بدا الحديد – في أثناء تخريبها– وكأنه يضرب رأسه في حجر، ولا يتأتّى له من ذلك شيء، وهي لم تزل تقاوم، وشيدّوا في جحور تلك الأحجار عدّة أروقة وأحواض عميقة بارتفاعات مختلفة بحيث أغنت عن استخدام الطوب والملاط، وكأن آية ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)﴾ [الشعراء] قد وردت في وصفها. كما نحتوا المخازن والأحواض للشراب والخلّ والعسل وأنواع السوائل وأجناس الجوامد. وتفاصيل تفاسير آية ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧)﴾ [ص] المبيّنة في القصص تشاهَد في تلك العمائر من آثار الإنس[١]، وفى وقت الغارة واستخراج الذخائر الموجودة بالقلعة خاض شخص في حوض العسل فلم يُعثَر له على قرار وقبل أن يعرف الخبر كان العسل قد غطّاه كله فصار وكأنّه يونس **لولا أن تداركه**[٢]. وقد مدّوا جدولا من نهر باهرو[٣] إلى أسفل القلعة حيث حفر جدول في الصخر على مدار القلعة [٢٧٣]، وشيدوا في قاعه لتخزين الماء أحواضا من الصّخر ايضًا كأنها البحر، بحيث كان الماء يندفع بقوته الذاتية فيملؤها على الدوام[٤]، وكانت أكثر ذخائرها من السوائل والجوامد قد وضعت في عهد الحسن بن الصبّاح، فمضى عليها ما يربو على مائة وسبعين عاما[٥]، دون

---

(١) "من آثار الإنس" في مقابل "الشياطين" يعنى ما نسمعه في القصص والتفاسير عن الشياطين والجنّ فيما يتعلق بإعداد الأبنية الخارجة عن قدرة البشر نشاهد نظيره رأى العين في تلك العمائر.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ (٤٩)﴾ [القلم].

(٣) لم أتمكن من تصحيح هذه الكلمة، ويحتمل أن تكون هذه الكلمة الفاسدة المحرفة في كلّ النسخ الخطية تصحيحًا لكلمة" شاهرود".

(٤) تقدم لنا الآنسة فريا ستارك في كتابها *The Valleys of The Assassins* وصفا رائعًا للوسائل التي كان يتبعها الإسماعيلية في إمداد قلاعهم بالماء وبخاصة قلعة لمسَر. (المترجم).

(٥) وكان الحسن بن الصباح قد استولى على ألموت في ٦ من رجب سنة ٤٨٣ هـ.

أن تظهر الاستحالة فيها[١]، وكانوا يعتبرونها بركة من الحسن. أما بقية وصف آلات الحرب والذخائر فهى تخرج عن أن يضمها بطن كتاب واحد دون أن يكون في ذلك ملل.

وقد عهد السّلطان إلى أحد الأمراء مع عدد كبير من الحشم والمجنّدين بتخريب القلعة. فلم يعول على المِعوَل، بل أشعلوا النار في المبانى، ثم بدءوا بعد ذلك في تحطيمها، وقد استغرق هذا العمل منهم مدّة طويلة.

وأقام السلطان في لمسَر، وكانت مشتى تلك النواحى، وأمهل شياطينها عدة أيام عسى أن يتخلّوا عن ضلالهم وعسى أن خرج صلال[٢] هؤلاء القوم من جحورهم في إحدى اللحظات. فلم يجن فائدة، فترك طائر بوقا مع جيش من المغول والتّاجيك لمحاصرتها [٢٧٤] وعاد بالسّعد في السّادس عشر من ذى الحجة سنة أربع وخمسين وستمائة [٢ من يناير ١٢٥٧] موفّقًا مسدّدًا.

وقد أسكن (السّلطان) أمتعة ركن الدين الشخصية وحاشيته ومواشيه قزوين، ووزع جنده على الأمراء، وقد لزم ركن الدين عبودية السلطان مجاورًا البلاط الذى كان في حدود همدان، وسيّر مع معتمديه رجلين أو ثلاثة في صحبة رسل السلطان إلى قلاع الشام لكى يأتوه برؤسائها، ويقوموا بجرد خزائنها، وأن يحفظوا تلك القلاع كعبيد للسلطان، إلى أن تصل مظلّته التي هى مثوى السّماء، إلى تلك الحدود والديار، ولسوف يصدر الأمر في هذا الشّأن حينذاك حسب ما تقتضيه المصلحة.

---

(١) استخدم المؤلف الكلمة العربية "الاستحالة" بمعنى التحول والفساد في الأمتعة والموادّ المخزونة. (المترجم).

(٢) الصلال جمع الصل، وهى الحية. (انظر حواشى الأستاذ القزوينى على جهانگشاى ج٣ ص ٣٠٤ – ٣٠٥). (المترجم).

وكان ركن الدين موضع اهتمام السّلطان ومرحمته، وفى تلك الأثناء عشق ركن الدين إحدى بنات أراذل الأتراك فقدّم ملكه بدلا عن حبها كمجنون ليلى، وفى النهاية زوّجوه بها كما أمر السلطان، وفى إحدى الأيام طلب من المطربين هذا الرباعى في مجلس الشراب (بيت فارسي، ترجمته):

**- أيها المليك لقد جئت بابك لاجئا، وأنا خجل مما أتيته من أفعال،**

**- ولقد جرّنى إقبالك من شعرى إلى هنا، وإلا فإلى أى بلاط أذهبُ ولأىَ غرض أو غاية؟**

وكانت مراجل خيالة تغلي بالهواجس ولعًا منه بفحول الجمال البلخية، ويدخل في نقاش حولها مع كل من يعرف عنها شيئًا، وطبقًا لهذا أمر له السلطان يوما بمائه ناقة، فرفضها قائلاً: "كيف يمكننى أن أنتظر نتاجها؟". وطالب بثلاثين فحلا؛ ذلك لأنه كان شغوفًا بمشاهدة مصارعة الجمال.

**[٢٧٥]** مجمل القول: إنه لما فرغ من أمر عروسه التمس من السلطان أن يرسله إلى عبودية حضرة منكوقا آن، وكان ملتمسه موافقًا لرأى السّلطان، فتوجّه في أوّل ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستّمائة [٩ من مارس ١٢٥٧م] مع تسعة أشخاص إلى تلك الحضرة في صحبة الرّسل ومقدّمهم (بوجراي).

***

## ذكر أحوال ركن الدين وانتهاء أمره

عندما كان السّلطان على وشك أن يوجّه (ركن الدين) إلى حضرة إمبراطور العالم منكوقا آن، وفقا لملتمسه، أخذ على عاتقه خدمة السّلطان في الوقت الذى وصل فيه گردكوه، فأنزل المخاذيل الذين كانوا بها من الذّروة، ولما أرسله (السّلطان) عهد بحراسته إلى جماعة من المغول برئاسة بوجراى، فلما وصلوا أسفل گردكوه أمر سكانها في الظاهر بالنزول، ولكنه كان يحرضهم خفية على عدم النزول، فلما غادروا ذلك المكان إلى بخارى طوّع له عقله مخاصمة الرسل، فلاكم بعضهم بعضًا.

ولما كان مقررًا في أصل مرسوم القا آن (جنكيز خان) وكذلك في لائحة منكوقا آن ألا يتركوا أحدًا منهم حتى ولو كان طفلا في المهد، وكانوا قد عهدوا بجميع أتباعه، آلافهم ومئاتهم، إلى موكلين عقلاء، وقد صدرت عنهم في تلك الأثناء أقوال وأفعال [٢٧٦] دعت إلى التعجيل وهيأت الفرصة لإراقة دماء تلك الطائفة، فلقد صدر الأمر بأن يذهب الرسل إلى كافة الجيوش (لإبلاغها) بأن يقتل كل قوم الجماعة التي عهد بها إليهم، وتوجه قراقى بيتكجى إلى قزوين؛ لكى يسوق ركن الدين وأبناءه وبناته وأخواته وكل من كان من أصله وقومه إلى نار الفناء، وسلموا اثنين أو ثلاثة منهم إلى بلغان[١]؛ لكى يقتلهم قصاصا لدم أبيه جغتاى[٢] الذى كان الفداوية قد اغتالوه طعنا بالخناجر، فلم يبق من نسلهم أحد على الإطلاق.

---

(١) انظر جامع التواريخ ١٢٦ (ص١٩٤ طبع طهران).

(٢) من الواضح أن جغتاي هذا هو أبو بلغاي الذي كان الفداوية قد اغتالوه ليس هو جغتاي المشهور ابن جنكيزخان.

وقد صدر الأمر لأوتاكوجينا، قائد جيش خراسان، [٢٧٧] وكان منشغلاً بأمر قهستان، بأن يقضى هو الآخر على كل فرد من تلك الجماعة كان راسخًا في الإلحاد.

فأخرجهم على سبيل الحشر وقتل اثنى عشر ألفا. وهكذا أعدموا كل من كان منهم على قيد الحياة عن آخرهم حيثما كانوا.

وكذلك فعلوا بركن الدين؛ إذ إنه لما وصل إلى قراقورم قال سلطان العالم منكوقا آن: "لم يكن من الضرورى إحضاره عبر هذه الرحلة الطويلة، وإن المرسوم الملكى الذى أصدرته من قبل معروف". ولم يسمح لركن الدين بأن يرفع الهدايا، وأبلغوه بالأمر التالى: "إنك إذا كنت تدّعى الطاّعة فلماذا تبقى بعض القلاع متمنّعة مثل گردوكوه ولمسَر؟" فعليك الآن أن تذهب، وأن تعود مرة أخرى بعد تخريب تلك القلاع فتحظى بشرف تقديم الهدايا إلى "الحضرة السلطانية".

تم بحمد الله المجلد الثالث والأخير من كتاب تاريخ جهانگشاي للجويني.

## ترجمة حواشي وإضافات محقِّق الكتاب

### الأستاذ العلامة محمد بن عبد الوهّاب القزويني

### على المجلّد الثالث من تاريخ جهانگشاي

ص ١٣٩ س١:

**عبد الله بن معاوية**، "هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من مشاهير رؤساء بني هاشم وأشرافهم، [٣٠٦] خرج على الدولة الأموية في أواخر أيامها واستولى على فارس وإصفهان وكرمان وغيرها ولكن الأمويين هزموه في النهاية وهرب إلى خراسان حيث قبض عليه أبو مسلم الخراساني وسجنه ثم قتله في حدود سنة ثلاثين ومائة، وهو من أصحاب المقالات وله مذهب خاص، وقد أسس إحدى فرق الشيعة المعروفة (بالجناحية) نسبة إلى جده الأعلى جعفر بن أبي طالب المعروف بجعفر الطيّار الذي كان الرسول ﷺ قد لقّبه بذي الجناحين، ولصاحب الترجمة أشعار غاية في الجودة والرواء منها البيت المشهور:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيْبٍ كليلةٌ
ولكنَّ عين السُّخط تُبدي المسَاوِيا"

وشرْحُ حاله مذكور بالتفصيل في الجزء الحادي عشر من الأغاني[١].

---

(١) طبع بولاق ص٦٦-٧٩، انظر أيضا تاريخ الطبري ١٨٧٩/٢ -١٨٨٧، ١٩٧٦ - ١٩٨٠، وابن الأثير في حوادث سنتي ١٢٧، ١٢٩، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين أحمد بن علي بن عنبة، نسخة المكتبة الوطنية بباريس *Arabe 202*، ورقة *12b-13a*، وانظر أيضا تفصيلات عن مذهبه وطريقته في الفرق بين الفرق للبغدادي ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٥، والملل والنحل لابن حزم ١٨٠/٤، ١٨٨، والملل والنحل للشهرستاني ١٦، ١١٣، (طبع مصر ٢٩/١، ٢٠٢، ٢٠٣)، والأنساب للسمعاني في عنوان «الجناحي» *136a*، والخطط للمقريزي ١٧٦/٤.

ص ١٤٠ س ١:

**محمد الديباج**، «وأما محمد الدّيباج بن جعفر الصادق لُقّب بذلك لحُسن وجهه ويلقب أيضًا المأمون، وأمه أمُّ ولد، وكان قد خرج داعيًا إلى محمد بن إبراهيم طباطبا فلما مات محمد بن إبراهيم دعا محمد الديباج إلى نفسه، وبويع له [بمكة] [١] ثم أخذ وجيء به إلى المأمون فعفا عنه ومات بجرجان وقبره بها»[٢]. (عمدة الطالب ورقة *149b*)[٣].

ص ١٤٠ س ٢:

**الدّاعي**، «هو محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن [٣٠٧] [الحسن ابن][٤] زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ملك طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد الدّاعي الكبير، وأقام سبع عشرة سنة وسبعة أشهر، ثم حاربه محمد بن هارون السرجيني[٥] صاحب إسماعيل بن أحمد الساماني، فقتله وحمل رأسه إلى بخارى، ودُفن بدنه بجرجان عند قبر الدّيباج محمد بن الصادق عليهما السلام». (عمدة الطالب ورقة *45b*).

---

(١) هذه الإضافة مأخوذة من المصدر نفسه، عن عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، طبعة بومباي. (المترجم).

(٢) انظر حواشي ذيل صفحة ١٢٢ ح٣.

(٣) وتقابل ص٢١٨ طبع بومباي. (المترجم).

(٤) الإضافة التي بين قوسين مأخوذة من تاريخ الطبري ومقاتل الطالبيين، انظر الحاشية رقم (١) في الصفحة السابقة.

(٥) كذا في الأصل ولعله السرخسي.

ولا يغيب عن البال أن محمد بن زيد صاحب الترجمة معروف بـ «الدّاعي» مطلقًا دون أدنى قيد، وهناك غيره ثلاثة دعاة آخرون من بين السادات العلوية الذين حكموا طبرستان، وهم مشهورون في التاريخ، وسوف نتعرض بصفة مجملة إلى كل واحد منهم بغية المزيد من الإيضاح ورفع الاشتباه الذي يقع بالنسبة إليهم.

بدأت سيطرة السادات العلوية على طبرستان منذ سنة ٢٥٠ هجرية وانتهاؤه في سنة ٣١٦، وهي السنة التي استولى فيها أسفار بن شيرويه الدَّيلمي على تلك البلاد، وعدد هؤلاء السادات مع أولادهم وأقاربهم كثير، غير أن أهمّهم أربعة هم الذين حكموا كسلاطين مستقلين في طبرستان أو جيلان وهم:

**الأول: الحسن بن زيد الحسني** – وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل ابن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1] المعروف بالدّاعي [٣٠٨] الكبير تولى سلطنة طبرستان في المدة من ٢٥٠ حتى ٢٧٠ وتوفي في السنة الأخيرة[2].

---

(١) تسلسل هذا النسب مأخوذ من تاريخ الطبري ٣: ١٥٢٣، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الإصفهاني ٢٢٩، وهناك اختلاف قليل بين ما أوردناه هنا وبين سائر المصادر، وعلى سبيل المثال يرد اسم «محمد» من بين أجداده في كل من تاريخ ابن اسفنديار (ترجمة براون ٤٧)، وتاريخ مازندران للسيد ظهير الدين ٢٨٢، وابن الأثير ٧: ٤٩، وعمدة الطالب (انظر الصفحة السابقة)، لا يكتبان الحسن الأول. وبدلاً من الحسن بن علي يورد ابن الأثير (الحسن ابن الحسين بن علي).

(٢) انظر الطبري (فهرست الكتاب)، وابن الأثير في حوادث سنة ٢٥٠، ٢٧٠ وغير ذلك، وظهير الدين ص٢٨١ وما بعدها، وابن اسفنديار ص١٤٧، ١٦٢ وما بعدها.

**الثاني: أخوه محمد بن زيد الحسني صاحب الترجمة المعروف بـ «الدّاعي»** على إطلاقها، لا الكبير ولا الصغير[1]، تولى السلطنة منذ سنة ٢٧٠ حتى ٢٨٧، وقتل في السنة الأخيرة في جرجان أثناء حربه مع السامانيين كما سبق أن ذكرنا وحُمل رأسه إلى بخارى ودفن بدنه في جرجان بجوار قبر الديباج[2]، وبقيت طبرستان ثلاثة عشر عامًا في حوزة السامانيين بعد هذه الواقعة.

**الثالث: الحسن بن علي الحسيني** – وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[3]، المعروف بناصر الحق والناصر الكبير وأطروش[4].

وقد قبل أهالي گيلان وديلمان الإسلام بفضل ما بذله من مساع، وقد استقل بالسلطنة في طبرستان وگيلان من سنة ٣٠١ حتى سنة ٣٠٤ وفي السنة الأخيرة مات ميتة طبيعية[5].

---

(١) غير أن البعض يطلقون عليه أحيانًا (الدّاعي الصغير) ولكن هذه الفقرة مخالفة للواقع بتصريح ظهير الدين ص٢٩٤ و٣٠٩، إذ إن الدّاعي الصغير لقب القاسم بن الحسن الذي سيأتي ذكره.

(٢) انظر مقاتل الطالبيين ٢٢٩، والطبري في مواضع عديدة من بينها ٣: ٢٢٠٠ (انظر فهرست الكتاب)، وابن الأثير في حوادث سنتي ٢٧٠، ٢٨٧ وغيرهما، وظهير الدين ص٣٠٩ وغيرها، وابن اسفنديار ٤٧-٤٩ و١٨٧ وما بعدها [٢٥٨-٢٥٩ طبعة إقبال].

(٣) نقلت سلسلة هذا النسب من ابن اسفنديار ٤٩ [ص ٩٧ نسخة إقبال]، وظهير الدين ٣٠٠، ولا نجد «علي» الثاني من بين أجداده في ابن الأثير ٨: ٣١، بينما يذكر الطبري اسمًا واحدًا من سلسلة نسبه في موضع وحيد (٣: ٢٢٩٢) في عنوان (حسن بن علي العلوي) دون سوق نسبه.

(٤) ويطلق عليه أحيانًا الدّاعي إلى الحق (ظهير الدين ٣٢٦).

(٥) ابن الأثير في حوادث سنوات ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤ (ج٨ ص٢٩، ٣١-٣٢، ٣٩) وظهير الدين ص٣٠٠ وما بعدها.

**الرابع: الحسن بن قاسم الحسني** – وهو الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن ابن قاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1] المعروف بالدّاعي الصغير، تولى السلطنة في طبرستان وگيلان، بعد وفاة الناصر الكبير، من سنة ٣٠٤ حتى سنة ٣١٦، ثم قتل في السنة الأخيرة في الحرب التي قامت بينه وبين أسفار بن شيرويه المعروف. وبموته انقرضت دولة العلويين المستقلة بطبرستان[2]، وعلى الرغم من أن رجلاً أو رجلين منهم قاما بمحاولة يائسة لاسترداد الملك، فإن محاولتهما باءت بالفشل.

وهكذا نلاحظ أن ثلاثة من هؤلاء السادات الأربعة كانوا يُعرفون باسم الحسن بينما يسمى أحدهم محمدًا، وكان ثلاثة منهم يلقبون بالحسن وواحد بالحسين، كما كان ثلاثة منهم يعرفون بالدّاعي وواحد يعرف بالناصر أو الناصر الكبير، وقد تولوا السلطنة مدة تقرب من ست وستين عامًا.

ص ١٤١ س ١٠:

**رواية المؤلف** التي تقول: إن وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وقعت في سنة ١٤٥، مطابقة لرواية دستور المنجمين (ورقة ٣٣٤)، ولكن صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ورقة *142b* [ص٢٠٨ طبعة بومباي] يذكر

---

(١) نقلت سلسلة هذا النسب عن ابن اسفنديار ٢٠٤ [ص٢٦٩ طبعة إقبال] وظهير الدين ص٣٠٩، واسمه ليس مذكورًا أصلاً في الطبري لأن عصره متأخر عن عصر الطبري، ويشير إليه ابن الأثير في كافة المواضع بـ «الحسن بن القاسم العلوي»، دون أن يتعرض لذكر نسبه.

(٢) ابن اسفنديار ص٢٠٤ وما بعدها [٢٦٩ وما بعدها في طبعة إقبال]، وظهير الدين ص٣٠٩ وما بعدها، وابن الأثير في كل سنوات ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٤، ٣١٦ (ج٨ ص٣١، ٤٠، ٤٦، ٦١، ٧٠).

أن وفاته وقعت على وجه التحديد في سنة ١٣٣، والمقريزي في اتعاظ الحنفا ص٦ [ص١٦ ط/ مصر] في سنة ١٣٨، وأيضًا الجويني نفسه في ص١٤٨ س٥-٦ ينقل عن الإسماعيلية قولهم: إن إسماعيل عاش بعد أبيه خمسين سنة. وهذا القول الأخير هو أضعف الأقوال بل يبدو ضربًا من التخريف، ذلك لما يظهر من اتفاق المؤرخين على أن وفاة إسماعيل قد وقعت في حياة أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام [٣١٠].

**ص ١٤٢ س١٣:**

الفطحي، ليس هناك أدنى شك في ضبط هذه الكلمة على فطحي، وهي ليست بطحي أو أبطحي كما جاءت في نسخ «جهانگشاي» الخطية، وليست أفطحي كما نراها في جميع نسخ الملل والنحل للشهرستاني الخطية منها والمطبوعة[(١)]، قال السمعاني في الأنساب ورقة *429b*: «الفطحي[(٢)] بفتح الفاء وسكون الطاء المهملة وفي آخره الحاء[(٣)]، هذه النسبة إلى الأفطح والمشهور بهذا اللقب جماعة من الإمامية وهم من غلاة الشيعة ويقال لهم الفطحية[(٤)] لأنهم على انتظار خروج عبد الله بن جعفر الملقب بالأفطح»[(٥)]، انظر أيضًا رجال الكشي ١٦٤ إذ يقول: «والفطحية هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر إلخ»، وإرشاد الشيخ المفيد ٢٦٢: «ودانوا بإمامة عبد الله بن جعفر وهم الطائفة الملقبة بالفطحية إلخ»، والخطط للمقريزي ج٤

(١) طبع أوروبا ص١٢٦، وطبع مصر بهامش الملل والنحل لابن حزم ج٢ ص٣.

(٢) تصحيح قياسي قطعي مستخرج من ضبط المؤلف نفسه: وفي الأصل الأفطح.

(٣) وفي الأصل: الهاء.

(٤) وفي الأصل: القحطبة.

(٥) انظر ص ١٤٠ حاشية (٤) لمعرفة سبب هذه التسمية.

ص١٧٤: «ويقال لهم: الفطحية». ويتكرر ذكر هذه الكلمة بكثرة في تضاعيف كتب رجال الشيعة مثل رجال الكشي وفهرست الشيخ الطوسي ورجال النجاشي ورجال ميرزا محمد الإسترابادي وغيرها بالرسم نفسه فتكتب «فلان فطحي» أو «من الفطحية»، وذلك لأن أغلب رواة الشيعة كانوا من الفطحية، وبناء على هذا نرى إذن أن رسم «الأفطحية»، الذي أورده الشهرستاني، هو بلا شك سهو من النساخ أو من المؤلف نفسه أو لعله ظن - نظرًا لعدم معرفته معرفة كاملة بمصطلحات الشيعة، فالنسبة إلى عبد الله الأفطح لا بد أن تكون أفطحية.

ص ١٤٣:

قلنا في الحاشية رقم (١) أسفل هذه الصفحة: إن سن موسى بن جعفر عليه السلام كان مساويًا تقريبًا لسن ابن أخيه محمد بن إسماعيل وليس لأخيه إسماعيل [٣١١] ولبيان ما أجملته نقول: إن وفاة إسماعيل وقعت، كما مر في ص ٢٥٢، على حسب اختلاف الرواة في إحدى سنوات ١٣٣ أو ١٣٨ أو ١٤٥، وكانت ولادة موسى بن جعفر بقول سائر المؤرخين في سنة ١٢٨، ووفاته في حبس هارون الرشيد في بغداد سنة ١٨٣، إذن يتضح من النظر في التواريخ المذكورة أن موسى الكاظم لم يعاصر أخاه إسماعيل إلا فترة ضئيلة من أوائل عمره لأنه كان في الخامسة أو العاشرة من عمره أو السابعة عشرة على أكثر تقدير عندما توفي إسماعيل، وعاش فترة، بين الأربعين والخمسين سنة، بعد وفاته، وبعبارة أخرى كان عصره كله تقريبًا يقع بعد عصر إسماعيل.

وأما محمد بن إسماعيل فقد ولد -بتصريح دستور المنجمين[1]- في سنة ١٢١ وبذلك يكون قد ولد قبل ولادة موسى الكاظم بسبع سنوات، ولم نستطع رغم الجهد البالغ الذي بذلناه في البحث أن نحصل على سنة وفاته، ولكن يبدو أنه كان حيًا حتى سنة تسع وسبعين ومائة (أي قبل وفاة موسى بن جعفر بأربع سنوات)، وهي السنة التي قبض فيها هارون الرشيد على الإمام موسى الكاظم في المدينة أثناء سفره إلى الحجاز للعمرة فحمله معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في النهاية مسمومًا في محبسه[2]، وينسب صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب بصريح الرواية -وهو من ثقاة علماء الأنساب المعوّل عليهم- القبض على الإمام موسى الكاظم عليه السلام وحبسه إلى سعاية محمد بن إسماعيل لدى هارون الرشيد وهذا نص ما قال:

«أما محمد بن إسماعيل فقال الشيخ شرف العبدلي هو إمام الميمونية و[٣١٢] قبره ببغداد وقال ابن خداع كان موسى الكاظم يخاف ابن أخيه محمد بن إسماعيل ويبرّه وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس. وقال أبو نصر البخاري: كان محمد بن إسماعيل بن الصادق مع عمه موسى الكاظم يكتب له السر إلى شيعته في الآفاق فلما ورد الرّشيد الحجاز سعى محمد بن إسماعيل بعمه إلى الرشيد فقال: أعلمت أن في الأرض خليفتين يُجبى إليهما الخراج فقال الرشيد: ويلك أنا ومَن؟ قال موسى بن جعفر، وأظهر أسراره فقبض الرشيد على موسى الكاظم وحبسه؛ وكان سببَ هلاكه، وحظي محمد بن إسماعيل عند الرشيد، وخرج معه إلى

(١) «مولانا محمد بن إسماعيل السابع التام والخلف الصادق رضي الله عنه، ولد في ثالث عشر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين ومائة وسنّه يوم انتقال جده الصادق سبع وعشرون سنة». (دستور المنجمين ورقة ٣٣٤).

(٢) انظر أصول الكافي ص٢٦١، وابن الأثير في حوادث سنة ١٨٣ (ج٦ ص٦٦)، وابن خلّكان ج٢ ص٢٥٦.

العراق ومات ببغداد، ودعا عليه موسى بن جعفر بدعاء استجابه الله فيه وفي أولاده»[1]. انتهى

ومن المقارنة بين التواريخ المذكورة فيما سبق يظهر لنا بوضوح ما يلي:

**أولاً:** أن موسى بن جعفر كان أصغر سنًا من ابن أخيه محمد بن إسماعيل بسبع سنوات.

**ثانيًا:** أن موسى بن جعفر كان معاصرًا طوال حياته منذ ولادته حتى قبل وفاته ببضع سنين (وربما أيضًا حتى وفاته) لمحمد بن إسماعيل.

ص ١٤٦ س ٣-٤:

**«وظهر من بينهم [يعني من بين الإسماعيلية] دعاة منهم ميمون القدّاح وابنه عبد الله بن ميمون»**، في هذا الموضع من النسخة الخطية (ج) دوّن في الحاشية فصل بقلم أحد أفاضل القراء، يبدو أنه كان أحد المثقفين من الشيعة الإمامية، وسنبدأ بإيراد ذلك الفصل فيما يلي [٣١٣]، ثم نقوم بعد ذلك بإضافة بعض ملاحظاتنا، وهو هذا:

---

(١) عمدة الطالب نسخة المكتبة الوطنية بباريس *Arabe 2021* ورقة *142b – 143a* [ص٢٠٨ طبع بمباي]، وقد روي خبر آخر مماثل يحمل المضمون نفسه أي يتعلق بسعاية محمد بن إسماعيل بموسى بن جعفر لدى هارون الرشيد، ولكن بقليل من الاختلاف في التفصيلات، في رجال الكشي ص١٧٠-١٧١، وفي أصول الكافي ص٢٦٧، ولكن تنسب حكاية هذه السعاية إلى علي ابن إسماعيل أخي محمد بن إسماعيل في مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الإصفهاني ص١٧٤، وعيون أخبار الرضا ص٤٢، والإرشاد المفيد ص٢٧٣، والله أعلم بحقيقة الحال، ويحتمل أن تكون الحادثتان واقعيتين وأن يكون سببهما الحقد والحسد الذي يقع بين أفراد الأسرة الواحدة.

«هذه النسبة إلى عبد الله بن ميمون كذب صريح لأن علماء الشيعة الإمامية مثلهم في ذلك مثل أهل السنة والجماعة يضيقون بالإسماعيلية ويرمونهم بالكفر والضلال والفسوق، وقد نهج نهجهم علماء الشيعة رضوان الله عليهم فأنكروهم وأنكروا المنتسبين إليهم، ولم ينسب أحد من كيار الإمامية الذين ألفوا كتب الرجال من أجل استعلام أحوال الرواة وتصحيح أسانيد الأخبار وتضعيفها، بالتتبع التام والضبط الكامل واستفراغ الجهد في هذا الصدد – لم ينسب أحد منهم عبد الله بن ميمون وأبيه إلى الأمر المذكور[١]؛ بل إن الشيخ الكشي نقل عن بعض علماء الإمامية أنه كان ينسب إلى عبد الله التزيد وعلى الرغم مما في نقل الشيخ الكشي من ضعف في السند فإنه لا يتعارض مع توثيق النجاشي.

ونعرف أيضًا من كتب الرجال الإمامية –رضوان الله عليهم– أن عبد الله لم يَعِش بعد عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام فكيف يمكن إذن أن يكون من دعاة الإسماعيلية، ويجوز أن يكون عبد الله بن ميمون القدّاح المذكور وأبوه غير عبد الله بن ميمون القدّاح وأبيه المذكورين في كتب الرجال الإمامية وأسانيد أحاديثهم، والله يعلم، عبد النبي القزويني أيده الله» انتهى.

يقول راقم السطور: إن الحق كله يبدو مع كاتب هذه الحاشية الفاضل، ولكي نمسك بأيدينا بأصل القضية ينبغي علينا أن نعرف بادئ ذي بدء أن بين الشيعة الإمامية من ناحية والإسماعيلية وجماعة من مؤرخي أهل السنة والجماعة من ناحية أخرى اختلافا كبيرا في شأن أصل عبد الله بن ميمون القدّاح، ونسبه وطريقته ومذهبه وعصره على التفصيل التالي:

---

(١) يعني أنهما كانا من فرقة الإسماعيلية ومن دعاة تلك الطائفة.

يعد عبد الله بن ميمون القدّاح في كتب رجال الشيعة كافة دون استثناء تقريبًا[1] مثل رجال الكشي[2] [314] وفهرست النجاشي[3]، وخلاصة العلامة الحلي[4]، ومجالس المؤمنين للقاضي نور الله الششتري[5]، ومنهج المقال لميرزا محمد الاسترابادي[6]، ونقد الرجال لمير مصطفى التفرشي[7]، ونضد الإيضاح لمحمد علم الهدى بن محسن الكاشي[8]، ومنتهى المقال لأبي علي الحائري[9]، ومستدرك الوسائل للحاج ميرزا حسين نوري[10]، يُعدّ عبد الله بن ميمون القدّاح من بين أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومن زمرة رواة أحاديثه، وقد ضبطوا نسبه على: عبد الله بن ميمون بن الأسود القدّاح المكي من أهل مكة، من موالي بني مخزوم، وقالوا: إنه كان قدّاحًا يبري القدّاح ولذا سمي القدّاح[11]، ولما كان نقل عبارات جميع كتب الرجال الشيعة يخرج عن ما يمكن أن يتحمله حيّز هذه الحواشي المختصرة فسوف نقتصر على نقل نصين أو ثلاثة عن قدمائهم المعوّل عليهم كنموذج:

---

(١) وضعنا قَيْدَ «تقريبًا» لأن رجال الكشي يروي حديثًا عن عبد الله بن ميمون القداح يعرف منه أنه كان معاصرًا للإمام محمد الباقر أيضًا، هذا فضلاً عن أن فيرست الشيخ الطوسي لا يشير على الإطلاق إلى عصره؛ بسبب الاختصار الشديد ولأن الأمر واضح تمامًا لا لبس فيه.

(٢) طبع بمباي سنة ١٣١٧ ص٢٤٧.

(٣) طبع بمباي سنة ١٣١٧ ص١٤٨.

(٤) طبع طهران سنة ١٣١١ ص٥٣.

(٥) المجلس السادس.

(٦) طبع طهران سنة ١٣٠٦ ص٢١٢-٢١٣.

(٧) طبع طهران سنة ١٣١٨ ص٢٠٨-٢٠٩.

(٨) طبع كلكتا سنة ١٢٧١ في ذيل صفحات فهرست الشيخ الطوسي ص١٩٧-١٩٨.

(٩) طبع طهران سنة ١٣٠٢ ص١٩٣-١٩٤.

(١٠) طبع طهران سنة ١٣٢١ ج٣ ص٦١٩.

(١١) «القدّاح بالقاف والدال المهملة المشددة والحاء المهملة كان يبري القداح، أقول معنى قوله كان يبري القداح كان ينتجها ويصلحها ويعمل لها ريشًا يرمى بها والقدح جمع القدح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش ويركب نصله [فيه]». (نضد الإيضاح ص١٩٧-١٩٨) – وفي أغلب كتب أهل السنة والجماعة- كما سيأتي – يكتب صاحب الترجمة على أنه من دعاة الإسماعيلية ونسبه عبد الله بن ميمون بن ديصان أصله إيراني من الأهواز، وبصفة عامة فسروا «القداح» في نسبته بمعنى الكحّال أي طبيب العيون.

**[٣١٥] جاء في كتاب «الرجال» للكشي[١] طبع بمباي ص٢٤٧:**

«في عبد الله بن ميمون القدّاح المكي، حدثني حمدويه بن نصير قال: حدثني أيوب بن نوح. قال: حدثنا صفوان بن يحيى عن أبي خالد صالح القماط عن عبد الله بن ميمون عن أبي جعفر[٢] عليه السلام. قال: يا ابن ميمون كم أنتم بمكة؟ قلت: نحن أربعة. قال: أما أنكم نور في ظلمات الأرض، جبريل بن أحمد. قال: سمعت محمد بن عيسى يقول كان عبد الله بن ميمون يقول بالتزيّد[٣]».

**وجاء في كتاب «فهرست النجاشي»[٤] طبع بمباي ص١٤٨:**

«عبد الله بن ميمون بن الأسود القدّاح مولى بني مخزوم يبري القدّاح روى أبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله[٥] عليهما السلام ويروي هو عن أبي عبد الله وكان ثقة

---

(١) هو أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي من قدماء مؤلفي الرجال الشيعة، ولا نعلم سنة وفاته، ولكن نظرًا لأنه يروي عن فضل بن شاذان المتوفى في حدود سنة مائتين وستين (الكشي ص٣٣٦) بواسطة واحدة فيبدو لنا أنه كان يعيش في حدود سنة ثلاثمائة أو قبلها أو بعدها بقليل.

(٢) يعني: الإمام محمد الباقر عليه السلام.

(٣) لا يمكن على التحقيق معرفة المقصود من كلمة التزيد التي تعتبر مفتاحًا لحل الكثير من المشكلات، وقد نقل السيد محمد باقر البهبهاني في تعليقاته على منهج المقال ص٢١٢-٢١٣ عن المجلس الأول لجده أنه كان يعتبر أن التزيد هنا معناه الميل إلى مذهب الزيدية، ولكن البهبهاني المذكور نفسه يأتي بأراء كثيرة في شأن هذا التفسير.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ على ما في منهج المقال، إلا أنه قد ورد ذكر سنة ٤٦٣ في فهرسته ص٢٨٩.

(٥) أي الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

له كتب منها كتاب مبعث النبي صلى الله عليه وآله وأخباره كتاب صفة الجنة والنار، أخبرنا علي بن أحمد بن طاهر أبو الحسين القمي قال حدثنا محمد بن الحسن قال حدثنا سعد بن عبد الله [٣١٦] قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عبيد الله عنه بها».

**وجاء في كتاب «فهرست الشيخ الطوسي» طبع كلكتا ص١٩٧-١٩٨[١]:**

«عبد الله بن ميمون القدّاح له كتاب أخبرنا به ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن الصفار عن أبي طالب عبد الله بن الصلت القمي عن عبد الله بن ميمون، وأخبرنا أبو عبد الله عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن جعفر بن محمد بن عبد الله عن عبد الله بن ميمون، ورواه أيضًا محمد بن علي عن حمزة بن محمد العلوي ومحمد بن علي عن علي ابن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن ميمون».

**وجاء في كتاب «خلاصة الأقوال» للعلامة الحِلّي طبع طهران ص٥٣:**

«عبد الله بن ميمون بن[٢] الأسود القدّاح يُبري القدّاح مولى بني مخزوم روى أبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وروى هو عن أبي عبد الله عليه السلام وكان ثقة، روى الكشي عن حمدويه عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى

---

(١) يضيف طابع هذا الكتاب دائمًا إلحاقات وزيادات كثيرة من رجال النجاشي وسبط عبارات الشيخ وقد حذفنا هذه الإلحاقات برمتها هنا ونقلنا أصل عبارات الشيخ نفسه بعد مقابلتها بما نقله منهج المقال من هذا الكتاب.

(٢) كلمة ابن ليست موجودة في النسخة المطبوعة ولكنها موجودة في النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس *Arab 1108* ورقة *393a*.

عن أبي خالد القماط عن عبد الله بن ميمون عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا ابن ميمون كم أنتم بمكة؟ قلت: نحن أربعة. قال: إنكم نور الله في ظلمات الأرض، وهذا لا يفيد العدالة لأنه شهادة منه لنفسه لكن الاعتماد على ما قاله النجاشي، وروى الكشي عن جبريل بن أحمد [٣١٧] قال: سمعت محمد بن عيسى يقول كان عبد الله بن ميمون يقول بالتزيّد وفي الطّريق ضعف».

وهكذا يُلاحظ في كتب الرجال الشيعة التي نقلنا عباراتها بنصها (وكذلك في سائر كتب رجال تلك الطائفة التي سبق ذكرها في بداية هذا الفصل ولكننا صرفنا النظر عن نقل عباراتها بنصها هنا نظرًا لضيق المقام) يُلاحظ أنها لم تتضمن على الإطلاق ذكرًا أو إشارة تشير إلى أن عبد الله بن ميمون القدّاح كان منتسبًا لفرقة الإسماعيلية لا تصريحًا ولا تلويحًا ولا إشارة ولا كناية بأي وجه من الوجوه ولا حتى على أنه نقلُ قَوْلٍ ولو كان قولا ضعيفًا مرجوحًا، وبديهي أنه لو كان صاحب الترجمة من فرقة الإسماعيلية لأصبح هذا السكوت المطلق من جميع مؤلفي الرجال الشيعة بلا استثناء، المتقدمين منهم والمتأخرين، عن ذكر هذه الفقرة من أعجب العجائب ولا يمكن بأي وجه من الوجوه أن نتصور له سببًا أو علة وعذرًا، خاصة مع التقيد الشديد لعلماء رجال تلك الطائفة بوجوب التعرّض لذكر مذاهب الرواة في حالة انتساب الراوي لإحدى الفرق المخالفة، يعني فرقة من غير الشيعة الإمامية، فقد جرت عادتهم في هذا الشأن أن يصرحوا حتمًا ودون استثناء بمذهب الراوي فيقولون مثلاً «فلان فطحي» أو «زيدي»، أو «بتّري» أو «من الواقفة» أو «غالٍ» أو «في مذهبه ارتفاع» ونحو ذلك من التعبيرات المتعارفة فيما بينهم؛ إذن فمجرد سكوتهم عن ذكر مذهب عبد الله بن ميمون القدّاح وعدم الإشارة إلى أنه كان ينتمي إلى فرقة أخرى غير الشيعة الإمامية ليكشف قطعًا ويقينًا عن أن صاحب الترجمة كان محسوبًا في نظرهم

من زمرة الشيعة الإمامية ولم يكن له أصل قط أو أي ارتباط أو ميل لا لطائفة الإسماعيلية ولا لطائفة غيرها.

**تقرير آخر**: قلنا: إن كتب الرجال الشيعة تجمع على أن عبد الله بن ميمون القدّاح كان معاصرًا للإمام جعفر الصادق ومن رواة أحاديثه، والآن نقول: إنه بالإضافة إلى تصريح كتب الرجال بهذه [٣١٨] الفقرة فإن كل كتب الأحاديث المعتمدة لدى الشيعة مثل «كافي الكليني» و«من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق» و«تهذيب الشيخ الطوسي» وغيرها تروي أحاديث كثيرة متنوعة ومتناثرة في معظم أبوابها وفصولها عن عبد الله بن ميمون القدّاح بأسانيد متصلة صحيحة، ولقد روى هو بنفسه هذه الأحاديث عن حضرة الصادق بلا واسطة. ويوجد في كتاب الكافي للكليني فقط، أصوله وفروعه، ما يقرب من مائة وخمسين حديثًا من هذا القبيل، قام راقم السطور باستخراجها جميعًا على حدة من الكتاب المذكور، وسوف نذكر فيما يلي نموذجًا منها، وهدفنا من هذا هو أن نثبت أن معاصرة صاحب الترجمة للإمام جعفر الصادق وكونه من جملة رواته من الشيعة المعروفين ليست فقط موضع إجماع كتب الرجال الشيعة بل يستفاد هذا أيضًا بصراحة ووضوح كامل – من كل كتب الحديث عندهم، وتعدّ هذه المسألة من مسلّمات التاريخ وقطعياته ومؤكدة تمام التأكيد ولا مجال فيها للشك والتردد بأي وجه من الوجوه. وإصرارنا على إثبات هذه المسألة الواضحة الذي يعد في الحقيقة من قبيل توضيح الواضحات إنما يرجع سببه إلى أن بعض المؤرخين، كما سنذكر فيما بعد تفصيلاً، قد أوردوا أخطاء غريبة تتعلق بعصر صاحب الترجمة، فقد عدوه من رجال أواسط، بل حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ولما كانت وفاة الإمام جعفر الصادق قد وقعت في سنة ١٤٨ فكيف يمكن إذن أن يعيش شخص كان معاصرًا له مائة أو مائة وخمسين سنة أخرى بعد وفاته.

وطبقًا للوعد، بغية استخلاص مقياس لنوع الأحاديث التي رواها عبد الله بن ميمون القدّاح عن حضرة الصادق لنخرج في النهاية بميزان عن سليقة وأفكار راويها -وهو عبد الله بن ميمون المذكور- ولكي نتحقق أيضًا على نحو واضح من سلسلة إسناد هذه الأحاديث وبالتالي معاصرة عبد الله بن ميمون القدّاح لحضرة الصادق، سنقوم فيما يلي بذكر عدد من هذه الأحاديث التي التقطناها، كنموذج من [٣١٩] كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني وهو من أقدم وأوثق أصول الشيعة الأربعة وهي هذه:

**نقلاً عن كتاب «الكافي» لمحمد بن يعقوب الكليني[١]:**

«**باب سؤال العالم وتذاكره**، علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال[٢] «إن هذا العلم قفل ومفتاحه المسألة»[٣]، «**باب النوادر**، علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال: الإنصات. قال: ثم مه؟ قال: الاستماع. قال: ثُمَّ مه؟ قال: الحفظ. قال: ثم مه؟ قال: العمل به. قال: ثم مه يا رسول الله؟ قال: نشره»[٤]،- «**باب العفة**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير

---

(١) كانت وفاة أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني مؤلف الكافي في سنة ٣٢٩ ببغداد.

(٢) كذا في الأصل بتكرار قال.

(٣) أصول الكافي طبع تبريز سنة ١٣١١، كتاب العقل والجهل ص٢٠.

(٤) أيضًا، كتاب العقل والجهل ص٢٤.

المؤمنين يقول أفضل العبادة العفاف»[1]، «**باب حُسن الخلق**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[2]، «**باب إطعام المؤمن**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر ابن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أطعم مؤمنًا حتى يشبعه لم يدر أحد **[٣٢٠]** من خلق الله ما له من أجر في الآخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين، ثم قال من موجبات المغفرة إطعام المسلم السَّغبان، ثم تلا قول الله عز وجل: ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)**﴾ [البلد] [3]. - «**باب أن من دعا استجيب له**، محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي عن عبد الله ابن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال الدعاء كهف الإجابة كما أن السحاب كهف المطر»[4]، - «**باب إكرام الكريم**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن[5] القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال دخل رجلان على أمير المؤمنين عليه السلام فألقى لكل منهما وسادة فقعد عليها أحدهما وأبى الآخر فقال أمير المؤمنين عليه السلام اقعد عليها فإنه لا يأبى الكرامة إلا حمار، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**»[6]، - **باب السواك**، علي بن محمد عن سهل وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعًا عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

---

(١) أيضا، كتاب الإيمان والكفر ص٣٤٧.

(٢) أيضًا الكتاب نفسه ص٣٥٩.

(٣) أيضا، الكتاب نفسه ص٤١٠.

(٤) أيضا، كتاب الدعاء ص٥١٨.

(٥) كذا دون كلمة «ميمون».

(٦) أيضا، كتاب العشرة ص٦٢٠.

ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**»[١]، - «**باب أن صنايع المعروف تدفع مصارع السوء**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: صنايع المعروف تقى مصارع السوء»[٢]، - «**باب أن من لم يطق الحج ببدنه جهّز غيره**، عدة من أصحابنا عن سهل [٣٢١] بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام أن عليًا صلوات الله عليه قال لرجل كبير لم يحج قط إن شئت أن تجهّز رجلاً ثم ابعثه أن يحج عنك»[٣]، - «**باب من وُفّق له الزوجة الصالحة**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر ابن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**»[٤]، - «**باب التزويج بغير خطبة**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام أن علي بن الحسين عليهما السلام كان يتزوج وهو يتعرّق عَرَقًا[٥] يأكل فما يزيد على أن يقول: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله ويستغفر الله، وقد زوجناك على شرط الله، ثم قال علي بن الحسين عليهما السلام: «إذا حمد الله فقد خطب»[٦]، - «باب

---

(١) كتاب الطهارة من فروع الكافي، طبع طهران سنة ١٣١٥ ج١ ص٨.

(٢) كتاب الزكاة أيضًا، ج١، ص١٦٩.

(٣) كتاب الحج من فروع الكافي ج١ ص٢٤١.

(٤) كتاب النكاح من فروع الكافي ج٢ ص٤.

(٥) عرق العَظْمَ أكل ما عليه من اللّحم كتعرقه والعرْق العَظْم بلحمه (القاموس المحيط).

(٦) كتاب النكاح، أيضا، ج٢ ص١٧.

**أولي الإربة من الرجال**، الحسين بن محمد عن معلى بن محمد وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعًا عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: كان بالمدينة رجلان يسمى أحدهما هيت[١] والآخر ماتع. فقالا لرجل ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع: إذا **[٣٢٢]** فتحتم[٢] الطائف -إن شاء الله- فعليك بابنة غيلان الثقفية؛ فإنها شَموع نجلاء مبتلة هيفاء شنباء، إذا جلست تثنت، وإذا تكلمت غنت تقبل بأربع وتدبر بثمان بين رجليها مثل القدح. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا أراكما[٣] من أولي الإربة من الرجال فأمر بهما رسول الله فغُرِّب بهما إلى مكان يسمى العرايا[٤] وكانا يتسوّقان في كل جمعة»[٥]، - «**باب القرع**[٦]، محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله يعجبه الدّباء[٧] ويلتقطه من الصحفة»[٨]، - «**باب فضل ماء زمزم وماء الميزاب**، عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري، عن[٩] عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض وشرّ ماء

---

(١) كذا في الأصل بالرفع، والظاهر نصب الاسمين. انظر لسان العرب في مادة (هـ ي ت).

(٢) كذا في نسخة مخطوطة مصححة من الكافي عندي، وفي المطبوعة: افتتحتم.

(٣) كذا في الأصل، ولعله: لا أراكما إلا.

(٤) كذا في المطبوعة بالياء المثناة التحتانية، وفي النسخة الخطية: «العرابا» بباء موحدة. ولم أعثر على هذه الكلمة في كتب المسالك والممالك.

(٥) كتاب النكاح من فروع الكافي ج٢ ص٦٥.

(٦) كتاب النكاح من فروع الكافي ج٢ ص٦٥.

(٧) قرع ودبّاء بضم دال مهملة وتشديد باء موحدة وألف ممدودة.

(٨) كتاب الأطعمة من فروع الكافي ج٢ ص١٨٣.

(٩) كذا في المخطوطة، أما في النسخة المخطوطة: ابن القداح.

على وجه الأرض ماء برهوت الذي بحضرموت ترده هام الكفّار بالليل»[1]، – انتهى ما التقطناه من الكافي.

**هذا هو كل ما يتعلق بعقيدة الإمامية في شأن عبد الله بن ميمون القدّاح.**

أما **الإسماعيلية** فيرون مثلهم في ذلك مثل الشيعة الإمامية، أن عبد الله بن ميمون القدّاح أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام (وهذا هو الواقع) [٣٢٣] ولكنهم، كما نقل عنهم الجويني في جهانگشاي ورشيد الدين في جامع التواريخ، يظنونه من أركان مذهبهم ومن دعاة الطريقة الإسماعيلية[2]، ولما كنا قد أثبتنا في الفصل السابق بالدلائل القاطعة بما لا يدع مجالاً للشك أو التردد أن عبد الله بن ميمون القدّاح كان من خُلّص الشيعة الإمامية، ولم تكن له أدنى رابطة أو انتساب إلى طائفة الإسماعيلية، فلا بد إذن من حمل دعوى الإسماعيلية هذه، يعني أنهم يعتبرون أن عبد الله بن ميمون القدّاح من المنتسبين إلى مذهبهم ومن المؤسسين الأوّل لطريقتهم، على أنها (كالكثير غيرها من مرويات تلك الطائفة ومنقولاتها) حديث

---

(١) كتاب الأشربة من فروع الكافي ج٢ ص١٨٧.

(٢) يعد دستور المنجمين وهو من كتب الإسماعيلية النزارية المهمة «ميمون القداح» في أثناء ترجمة حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام من بين مشاهير أصحاب حضرة الباقر، ثم يذكر بعد ذلك مباشرة في الفصل التالي في شرح أحوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام عبد الله ابن ميمون [القداح] من مشاهير رجاله وهذا نص ما ورد في الموضع الأخير: «من مشاهير رجاله (أي رجال جعفر الصادق) سوى أبي الخطاب المفضل بن عمر وجابر بن حيان الصوفي صاحب التصانيف وعبد الله بن ميمون الذي سلم (؟) منه السابع من أولاد (الأئمة؟) الذي كان يسمى القائم أعني محمد بن إسماعيل رضي الله عنهما إلخ». (دستور المنجمين نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Arabe 5968* ورقة *333b*)، وعلى الرغم من أنه لم يضف كلمة القداح إلى اسم عبد الله بن ميمون فإنه لما كان قد أضافها إلى اسم أبيه ميمون في الفصل السابق، ولما لم يكن هناك أحد آخر على الإطلاق من أصحاب الإمام جعفر الصادق معروفا بعبد الله بن ميمون فلا شك أن المراد هو عبد الله بن ميمون القداح دون شبهة وتردد.

خرافة، وليس لها سند من التاريخ، ولا جدال في أن الغرض من وضع هذه الخرافة هو أنهم أرادوا أن يستند أساس مذهبهم ويتكئ، بغية المزيد من الرّونق والأهمية، إلى أحد المعروفين من أصحاب الإمام جعفر الصادق، وهو الإمام المتفق على فضله وشرفه بين العامة والخاصة، فضلاً عن أنه يعد أبا الأئمة لدى هذه الطائفة، وذلك على غرار البابية تقريبًا في عصرنا الحاضر فهم يقولون: إن أغلب مشاهير الرجال في العالم «منّا».

[٣٢٤] ومن القرائن القوية في تأييد هذا، احتمال أن يكون قدماء المؤرخين ومؤلفي الملل والنحل الذين كانوا يعيشون في حدود الثلاثمائة الهجرية مثل الحسن ابن موسى النوبختي[١] صاحب كتاب فرق الشيعة، وأبي الحسن الأشعري[٢] المعروف صاحب كتاب مقالات الإسلاميين، والمسعودي صاحب مروج الذهب[٣]، والتنبيه والإشراف[٤] قد أحجموا كلية عن ذكر اسم عبد الله بن ميمون القدّاح ولم يوردوا أصلاً بأي اسم أو تحت أي عنوان على الإطلاق ذكرًا عنه في كتبهم[٥]، ولو كان عبد الله بن ميمون القدّاح في الواقع اسمًا له علاقة في مسألة تأسيس الدعوة الإسماعيلية، ولو كان من حيث المبدأ، من الأعضاء المؤسسين ومن كبار دعاة تلك

---

(١) لا تعرف سنة وفاته ولكنه، بتصريح العلامة الحلّي في خلاصة الأقوال ص٢١، كان يعيش (قبل الثلاثمائة وبعدها). (انظر أيضًا مقدمة فرق الشيعة ص ي ح).

(٢) توفي في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بأصح الأقوال (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، طبع دمشق ص١٤٧).

(٣) تاريخ تأليف مروج الذهب بتصريح المؤلف نفسه في آخر الكتاب هو سنة ثلاثمائة وست وثلاثين.

(٤) كان تاريخ تأليف كتاب التنبيه والإشراف بتصريح المؤلف في ص٣٩٧ و ٤٠١ في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

(٥) انظر فيرست أسماء الرجال للكتب الأربعة المذكورة.

الطائفة، ولو كان هناك أساس من الحقيقة لكل تلك الأعمال العجيبة التي ينسبونها إليه فيما يتعلق بتنظيم الدعوة، فلن يكون هناك وجه أو مبرر على الإطلاق لسكوت هؤلاء المؤلفين المحققين المدققين كافة عن الإشارة -ولو بشكل عابر- إلى هذه الفقرات وحتى عن مجرد ذكر اسمه، وعلى الأخص سكوت «فرق الشيعة» للنوبختي من حيث إن الموضوع الأصلي للكتاب مقصور على ذكر تفاصيل فرق الشيعة المختلفة؛ وبه فصل مطوّل نسبيًا (ما يقرب من سبع صفحات كاملة ص٥٧-٦٤) يتعلق بوصف الشُعب المختلفة للإسماعيلية وشرح تفاصيل كل واحدة من تلك الشعب وخصائص كل منها، كما أن المؤلف المذكور -كما هو معروف- متخصص في معرفة الآراء والديانات، وتبحّره وسعة اطلاعه في هذا الموضوع معروف للغاية. خلاصة القول: إنه [٣٢٥] يمكننا أن نقرر ونحن على يقين تقريبًا أن سكوت المؤلفين المذكورين عن الإشارة إلى هذه التفصيلات وحتى عن مجرد ذكر اسم عبد الله بن ميمون القدّاح يكشف عن أنه حتى أواخر القرن الثالث الهجري وهو زمن تأليف الكتب التي سبق لنا ذكرها لم يكن هناك أحد بهذا الاسم والرسم مشتهر في دوائر الإسماعيلية، وبعبارة أخرى لم تكن خرافة عبد الله ابن ميمون القدّاح قد اختُرعت حتى ذلك الوقت، وإذا كانت قد اختُرعت فلم تكن قد انتشرت بعد انتشارًا واسعًا.

وأما الاحتمال الذي ذكره كاتب الحاشية المذكور في صدر هذا المقال (ص٢٣١) يعني عبد النبي القزويني في حاشيته على جهانگشاي -أنه يجوز أن يكون عبد الله بن ميمون القدّاح الذي يعدّه الإسماعيلية من دعاتهم شخصًا آخر غير عبد الله بن ميمون القدّاح الذي ورد ذكره في كتب الرجال الإمامية وأسانيد أحاديثهم- فهو احتمال بعيد جدًا، ذلك لأنه بناء على هذا ينبغي أن نفترض وجود شخصين معروفين باسم عبد الله بن ميمون القدّاح في آن واحد من بين أصحاب الإمام جعفر

الصادق عليه السلام، أحدهما شيعي إمامي، والآخر من دعاة الإسماعيلية، وضعف هذا الاحتمال وغرابته ليس يخاف على أحد، وسنعود إلى البحث في هذا الموضوع مرة أخرى -فيما يلي- إن شاء الله تعالى.

## آراء مؤرخي أهل السنة والجماعة
## في شأن عبد الله بن ميمون القدّاح

ليس بخاف أن بعض مؤرخي أهل السنة والجماعة، مثل أبي عبد الله بن رزام الطائي الكوفي وأبي الحسين محمد بن علي بن الحسين العلوي الدمشقي المعروف بالشريف أخي محسّن وطائفة أخرى سوف يأتي ذكر أسمائهم فيما بعد (ولكن يبدو أنهم جميعًا اعتمدوا اعتمادًا كليًا على هذين الشخصين المذكورين)، قد رووا أمورًا عجيبة للغاية فيما يتعلق بعبد الله بن ميمون القدّاح من ذلك مثلاً أنه هو وأبوه ميمون القدّاح، كلاهما من أصل إيراني ومجوسي من سَبْيِ الأهواز من الفرقة الثنوية الدَيصانية[1]، وكان رجلاً داهية [٣٢٦] ومشعوذًا وصاحب حيلة بارعًا قد ادعى النبوة مدة ولكنه كان في الظاهر يدّعي التشيع ويقوم بالدعوة إلى الطريقة الإسماعيلية[2] إلا أنه كان يجعل من هذا سرًا يخفي به حقيقة أمره، بينما كان في الباطن كافرًا زنديقًا من أهل التعطيل والإباحة، وكان هدفه الحقيقي من تأسيس الدعوة هو القضاء على ملة الإسلام وإعادة دولة

---

(١) الديصانية كانوا فرقة من فرق النصارى الثنوية من أتباع رجل معروف بابن ديصان ظهر في الشام في القرن الثاني للميلاد، انظر كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي ص١٣٠، ١٣٥، وكتاب الفهرست للنديم ص٣٢٨، ٣٣٨-٣٣٩، والملل والنحل للشهرستاني ص١٩٤، وكافة القواميس الأوروبية تحت عنوان ***Bardesane*** يعني ابن ديصان، «بَرْ» بالسريانية معناها «ابن».

(٢) هذه الفقرة التي تقول بأن عبد الله بن ميمون القداح كان من دعاة الإسماعيلية أخذها المؤرخون المذكورون، دون شك، من الإسماعيلية، وقد قلنا: إن هذه المسألة، كما هو واضح، خرافة.

المجوس وأرسل الجواسيس والرسائل على أجنحة الحمام إلى كل مكان فكانوا يطلعونه على أحوال سكان البلاد البعيدة وحوادثها، وكان يخبر الناس بهذا فيخدعهم إذ يُظهر لهم أنه عالم بالمغيبات... إلى آخر ما ذكروه من أمثال هذه الأمور الغريبة[1]، وليس الجانب المغرض لهذه الحكايات بخاف، بأي حال من الأحوال، على الشخص المنصف المنزّه الغرض ممن له بعض الإلمام بتاريخ تلك الفترة، إذ يبدو أن أغلبها محض اختلاق وافتراء بل محض اتهام، ولا جدال في أن منشأ ذلك الافتراء والاتهام إنما يرجع إلى سببين: أولهما: البغض الذاتي للمتعصبين من أهل السنة ضد الشيعة، وثانيهما: تحريض خلفاء بني العباس؛ لأن الخلفاء المذكورين كانوا عاجزين كلية عن مواجهة القوة المتزايدة يومًا بعد يوم لنظرائهم الأقوياء، وهم الخلفاء الفاطميون الذين انتزعوا نصف مملكتهم كما زلزلوا الأرض من تحتهم في النصف الباقي – ولم يكن بوسعهم إلا اللجوء إلى هذه الوسائل العاجزة يعني نشر الأكاذيب والمفتريات في حق أعدائهم ذوي البأس، والقدح في أنسابهم ومذاهبهم وأعمالهم وأفعالهم وأعوانهم وأنصارهم تشفيًا لما في صدورهم، ولقد قالوا [٣٢٧] قديمًا: إن سلاح العجزة هو الفحش والاتهام، قصارى القول: إنه يحسُن أن نورد نموذجًا لهذه المعلومات في شأن صاحب الترجمة في المواضع المناسبة.

**أولاً: في كتاب «الفهرست» للنديم** ص١٨٦-١٨٨ نقلاً عن «عبد الله ابن رزام»[2] من كتابه الذي ألفه في الرد على الإسماعيلية، ولكن يبدو «النديم» وكأنه لا

---

(١) للاطلاع على تفاصيل الموضوع برمته يمكن الرجوع إلى الكتب التي ستذكر أسماؤها فيما يلي مباشرة.

(٢) اسم ابن رزام ونسبه كما ذكر المسعودي في كتاب التنبيه والإشراف ص٣٩٦ هو أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي، ولما كان كتاب التنبيه والإشراف قد ألف بتصريح=

يعتدّ اعتدادًا كاملاً بأقوال ابن رزام وما سطّره فرفع النديم عن عهدته مسئولية الرواية عن ذلك الكتاب، يقول في بداية الفصل المذكور (ص١٨٦): «قال أبو عبد الله بن رزام في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية وكشف مذاهبهم ما قد أوردته بلفظه: وأنا أبرأ من العهدة في الصدق عنه والكذب فيه». ثم يقول في نهاية الفصل بعد نقل روايات ابن رزام وغيره من أعداء الإسماعيلية (ص١٨٩): «فأما ببلاد مصر فالأمر مشتبه، وليس يظهر من صاحب الأمر المتملك على الموضع شيء يدل على ما كان يحكى من جهته وجهة آبائه والأمر غير هذا والسلام».

ويقول **المسعودي في «التنبيه والإشراف» [٣٢٨]** (ص٣٩٥-٣٩٦): «وقد صنّف متكلمو فرق الإسلام من المعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والنابتة كتبًا في المقالات، وغيرها من الرد على المخالفين كاليمان بن رئاب الخارجي و... فلم يعرض أحد منهم لوصف مذاهب هذه الطائفة [أي القرامطة وأهل الباطن]، ورد عليهم آخرون مثل قدامة بن يزيد النعماني وابن عبدك الجرجاني وأبي الحسن بن زكريا الجرجاني وأبي عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي وأبي جعفر الكلابي الرازي وغيرهم فكل يصف من مذاهبهم ما لا يحكيه الآخر مع إنكار هذه الطائفة حكاية من ذكرنا وتركهم الاعتراف بها»، انتهى باختصار.

---

=المسعودي نفسه -كما مر- في سنة ٣٤٥ فقد عُرف إذن أن عصر ابن رزام كان يقعُ بصفة عامة قبل التاريخ المذكور أو مقارنًا له، ويبدو أن كتاب ابن رزام هذا هو مصدر معلومات المؤلفين المتأخرين عنه كافة وهو المصدر الرئيسي لهم فقد نقلوا عنه ما يتعلق بمبدأ أمر الإسماعيلية وهو في الغالب عبارة عن الحكايات الخاصة بعبد الله بن ميمون القداح والطعن في أنساب الفاطميين ونحو ذلك وكان كتاب ابن رزام هذا هو المصدر نفسه الذي اعتمد عليه الشريف أخو محسّن آتي الذكر أيضًا بتصريح المقريزي، وربما كان اسم هذا الكتاب هو «كتاب النقض على الباطنية»، يقول مطهر بن طاهر المقدسي في كتاب «البدء والتاريخ» ج١ ص١٣٧: «وقد ذكر ابن رزام هذا الفصل في كتاب النقض على الباطنية إلخ»، ويقول في ج٥ ص١٣٤ من الكتاب نفسه: «وما بلغ أحد منهم [أي من الباطنية] ما بلغ ابن رزام فإنه أظهر عورتهم وملأ جلودهم مساءة وعيبًا».

وهكذا يلاحظ أن المسعودي يقول في صراحة ووضوح: إن أقوال من ردوا على الإسماعيلية (وهو يعد ابن رزام -الذي نحن بصدده- من بينهم) لا يوافق بعضها بعضًا على الإطلاق ولا تنطبق على أقوال الإسماعيلية أنفسهم.

أما المقريزي في كتاب **اتعاظ الحنفاء** بأخبار الخلفاء (طبع بيت المقدس ص١١-١٥) [1] فقد نقل محتويات كتاب الفهرست المتعلقة ببدء أمر الإسماعيلية بنصها - وهي التي أشرنا إليها من قبل مباشرة- مع اختلاف يسير في العبارة، ولكن ليس رواية عن كتاب «الفهرست» بل نقلاً عن كتاب آخر في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف أحد المعاصرين لهذه الأسرة ومن أبناء عمومتها[2]، إلا أنه من أشد أعدائهم وهو الموسوم بمحمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق العلوي الدمشقي المعروف بالشريف «أخي محسن» من رجال أواخر القرن الرابع الهجري، ولكن المصدر الذي استقى منه الشريف أخي محسن [٣٢٩] المذكور معلوماته -هو- كما يصرح المقريزي نفسه - أبو عبد الله بن رزام[3] سابق الذكر، أي الشخص نفسه الذي نقل عنه النديم كذلك - كما مر - المعلومات الأساسية المتعلقة بالإسماعيلية. وفيما يلي نص عبارة المقريزي في بداية هذا الفصل:

---

(١) ص٢٥-٣٦ من الطبعة المصرية. (المترجم).

(٢) الأب الخامس لهذا الشريف -كما يلاحظ في سلسلة نسبه في المتن- هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فهو في نفس درجة الأب الثالث للمهدي الفاطمي، إذ إن نسب المهدي - على القول المشهور لدى من أثبتوا أنسابهم - هو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (اتعاظ الحنفا ص٧)، [طبع مصر ص٣٦].

(٣) يبدو أن المصدر الرئيسي للشريف أخي محسن في المعلومات المفصلة المبسوطة التي أوردها فيما يتعلق بالإسماعيلية والقرامطة (ولقد وصلنا منها فصلا طويلا عن طريق النويري سنذكره فيما يلي مباشرة) وحتى ما يتعلق بالوقائع التي حدثت قبل عصره يعني حتى أوائل القرن الرابع كان هو ابن رزام المذكور، ولكن اعتماده كان منصبًا بعد ذلك، إلى حدود سنة ٣٧٠ وهي السنة التي يظهر أن كتابه قد ختم فيها، على مسموعاته ومشاهداته الشخصية، فهو يقول مثلاً في سيرة حرب أبي طاهر القرمطي مع ابن أبي الساج في سنة ٣١٥ بنقل النويري عنه: «قال الشريف (أخو محسن) وأخبرني بعض الجند كنت والله قبل الهزيمة اريد أن أضرب دابتي بالسوط فلا يمكنني ذلك لضيق الموضع». (نهاية الأرب نسخة باريس رقم ١٥٧٦ ورقة ٧٤)، وأيضا: «قال الشريف فحدثني من حضر حينئذ إلخ» (أيضا ورقة ٧٥).

«قال كاتبه قد وقفت على مجلّدة تشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف بأخي محسّن، وهو محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ويكنى بأبي الحسين وهو كتاب مفيد وقد غبرت زمانًا أظن أنه قائل ما أنا حاكيه حتى رأيت محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست ذكر هذا الكلام بنصه وعزاه إلى أبي عبد الله بن رزام وأنه ذكره في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية[1]»، انتهى.

ولم يتيسر لنا الحصول على معلومات كافية عن أحوال الشريف أخي محسّن هذا، كما أن تاريخ وفاته ليس معروفًا كذلك، ولكن لما كان شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى في سنة ٧٣٣ قد نقل فصلاً مفصلاً في كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» يتعلق بالقرامطة كما نقل أيضًا التاريخ المفصل لخروج تلك الطائفة وحروبهم المتواترة المتوالية مع خلفاء بني العباس والفاطميين إلى حوادث سنة ثلاث [٣٣٠] وستين وثلاثمائة نقلاً عن الشريف أخي محسّن –الذي نحن بصدده[2] –فإنه يتضح أن الشريف المذكور كان يعيش– على وجه القطع واليقين– حتى السنة المذكورة وهي سنة ٣٦٣، ولم يعرف شيء عن أحواله أكثر من هذا.

---

(١) اتعاظ الحنفاء للمقريزي ص١١-١٢، [ص٢٥-٢٦ طبع مصر].

(٢) يقع هذا الفصل فيما يقرب من ٣٥ ورقة أي ٧٠ صفحة من نهاية الأرب النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس (*Arabe 1576*) من ورقة *81a – 47b*، والإشارة إلى سنة ٣٦٣ موجودة في الورقة الأخيرة – والجزء الأكبر من هذا الفصل الذي يتعلق بدعوة القرامطة نقله المقريزي أيضًا في الخطط ج٢ ص٢٢٧-٢٣٥ ولكن دون تصريح بمصدر النقل، وقد ترجم هذا القسم إلى الفرنسية كل من سيلفستر دي ساسي وبول كازانوفا المستشرقين الفرنسيين كل منهما على حدة مع إضافة بعض التحقيقات والفوائد، وفيما يلي عنوان كل من هاتين الترجمتين لمن يبغي الرجوع لمؤلفات الأوروبيين في هذا الموضوع:

*Silvestre de Sacy, Exposé de la religion de Druzes, Paris 1838, vol. I, pages lxxiv – cxlvii – Paul Casanova, La doctrine secréte des Fatimides d'Egypte, Le Caire, 1990 – 1921, pages 9 – 34 du tirage á part.*

يتضح مما سبق أن النديم والمقريزي كلاهما يمدّنا بمعلومات مبسوطة ومفصلة في شأن الإسماعيلية والقرامطة والفاطميين، أخذاها مباشرة عن مصدرين أكثر قدمًا أي من المؤلفين المفقودين لكل من عبد الله بن رزام الكوفي والشريف أخي محسن الدمشقي في الرد على الإسماعيلية، ونخلص من هذا إلى أن صاحب الفهرست قد اقتبس من كتاب ابن رزام، كما اقتبس النويري والمقريزي من كتاب الشريف أخي محسن، ولا أثر اليوم لهذين الكتابين المهمين، ويبدو أنهما قد فقدا كلية. غير أنه يتبين لنا من مقارنة الفصول الطويلة التي نقلها المؤلفون الثلاثة المذكورون عن هذين الكتابين بسائر كتب التاريخ أن الشخصين المذكورين (وأعني بهما ابن رزام والشريف أخو محسّن) كانا – على ما يبدو– هما المصدر الرئيسي لأغلب المعلومات المتعلقة بمبتدأ أمر الإسماعيلية بقلم مخالفيهم من أهل السنة والجماعة، أما الباقون من المؤلفين المتأخرين عنهما مثل النديم والنويري والمقريزي وأبي [٣٣١] منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي صاحب الفرق بين الفرق[١] والسمعاني في كتاب الأنساب[٢] وابن الأثير في الكامل[٣] ونظام الملك في سياست نامه[٤] وأبي المعالي محمد بن عبيد الله العلوي في بيان الأديان[٥]

---

(١) طبع مصر ص١٦، ٢٦٦، ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) طبع أوقاف جب ورقة 444a تحت عنوان «القداحي»، تحت عنوان «القداح» كتب السمعاني أيضًا في الموضع نفسه ترجمة مختصرة لحياة عبد الله بن ميمون القداح ولكنه لم يذكر فيه معلومات شبه خرافية بل اعتبر القداح –طبقًا للواقع– من أهل مكة ومن بين الرواة عن حضرة الصادق.

(٣) طبع مصر ج٨ ص٩-١٤ في حوادث سنة ٢٩٦.

(٤) طبع شفر ص١٨٣-١٨٤.

(٥) طبع شفر أيضًا في كتابه «قطع فارسية منتخبة» ج١ ص١٥٨-١٥٩.

ورشيد الدين في جامع التواريخ[1] ومن كتب الشيعة كتاب مجهول المؤلف وهو كتاب تبصرة العوام[2]، فيبدو أن كل ما ذكره هؤلاء المؤلفون جميعًا في كتبهم في هذا الموضوع، يعني فيما [٣٣٢] يتعلق بمبادئ أمر الإسماعيلية وتأسيس دعوتهم على يد عبد الله بن ميمون القدّاح والطعن في أنسابهم ومذاهبهم وعقائدهم وأمثال ذلك منقول أغلبه بلا واسطة أو بواسطة ونصًا أو بزيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل من المصدرين المذكورين.

قلنا: إن أغلب روايات وحكايات مؤلفي أهل السنة والجماعة فيما يختص بعبد الله بن ميمون القدّاح تبدو مختلقة وناشئة عن محض افتراء واتهام جزافي، والآن نقول لتأييد هذا الحدس: إن من القرائن الواضحة على ضعف الأسس التي تقوم عليها الحكايات المذكورة وقلة الوثوق بها هو كثرة الأغلاط التاريخية الفاحشة الموجودة في

---

(١) نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Suppl. Pers 1364* ورقة *15b – 14a* مطابقة لنسخة براون ص١٨-١٩، ولا يغيب عن البال أن رشيد الدين قد نقل في كتابه روايتين فيما يختص ببدء أمر الإسماعيلية وشرح حال عبد الله بن ميمون القداح، فقد نقل إحداهما عن قول الإسماعيلية أنفسهم ونقل الأخرى عن قول أهل السنة والجماعة، ونحن نقصد هنا الرواية الثانية لا الأولى.

(٢) طبع طهران في ذيل قصص العلماء ص٤٢٥-٤٢٦. وكل ما أعلمه هو أن الكتاب من كتب الشيعة يحذو مؤلفه حذو مؤرخي أهل السنة والجماعة في شأن عبد الله بن ميمون القداح – والتي أشرنا إليها آنفًا، فيسجل في كتابه خرافاتهم نفسها في هذا الشأن دون تحقيق وتدبر ويجدد النغمات نفسها، ويقال: إن مؤلف هذا الكتاب – كما هو مشهور منذ عهد صاحب «حديقة الشيعة» وحتى الآن– هو السيد مرتضى ابن الدّاعي الحسني، ولكن يتضح من مطالعة الكتاب أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة، فقد نقل المؤلف في ثنايا الكتاب معلومات عن الإمام الفخر الرازي (انظر صفحات ٤٠٠، ٤٢٢، ٤٥٥) وتوفي الإمام الفخر الرازي في سنة٦٠٦، وكان السيد مرتضى بن الدّاعي– بتصريح صاحب روضات الجنان ص٦٦٥ ولؤلؤة البحرين ص٢٣٠ – من معاصري الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠، فمن المحال إذن أن يكون قد أدرك عصر الفخر الرازي.

أغلبها، وهي تكشف عن أقصى درجات جهل النَّقَلة أو المخترعين لهذه الحكايات بالنسبة إلى أمور الشيعة وأوضاعهم، وهي تؤدي بنا في النهاية إلى أن نطرح الثقة عن ما أوردوه في هذا الموضوع بأسره.

فمثلاً يقول البغدادي في الفرق بين الفرق (ص٢٦٦): «وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقدّاح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الأهواز، ثم رحل إلى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فقبل الأغبياء ذلك منه على [أن] أصحاب الأنساب بأن محمد بن إسماعيل مات ولم يعقب»، انتهى باختصار.

وهكذا يلاحظ أن البغدادي يقول: إن علماء الأنساب مجمعون على أن محمد ابن إسماعيل كان بلا عقب، والحقيقة أن هذه الفقرة خطأ صريح وغلط فاحش وسهو واضح بل فاضح، إذ إن نسل محمد بن إسماعيل، بتصريح سائر علماء الأنساب مثل صاحب «عمدة الطالب» والمقريزي في اتعاظ [٣٣٣] الحنفا نقلاً عن ابن حزم الأندلسي أعدى أعداء الإسماعيلية والجوّاني والشريف الإدريسي والعبيدلي، قد انتشر عن ولديه إسماعيل الثاني وجعفر الشاعر، وليس هناك خلاف بينهم على الإطلاق في هذا الصدد، وإذا كان هناك خلاف بين علماء الأنساب في صحة انتساب الخلفاء الفاطميين لمحمد بن إسماعيل، فلا خلاف ولا نزاع على الإطلاق وبأي وجه من الوجوه بينهم في أن لمحمد بن إسماعيل أولادًا وأعقابًا آخرين، غير الخلفاء الفاطميين، لا يدخلون في نطاق العدّ والحصر، ومثل ذلك مثل من يبغي إبطال دعوى أحد العلويين المشكوك في نسبهم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فينكر أصلاً نسل علي بن أبي طالب ويقول إن علماء الأنساب متفقون على أن عليًا بن أبي طالب توفي بلا

عقب! ويخصص صاحب عمدة الطالب نحو خمس صفحات كاملة(١) والمقريزي -في اتعاظ الحنفاء- حوالي ست صفحات بأكملها(٢) للكلام عن أولاد محمد بن إسماعيل وأعقابه وأحفاده، وهذه هي العبارة التي بدأ بها صاحب عمدة الطالب هذا الفصل: «وأعقب محمد بن إسماعيل بن جعفر من رجلين إسماعيل الثاني وجعفر الشاعر إلخ»، وفي اتعاظ الحنفاء هكذا: «فأما محمد بن إسماعيل فإنه الذي إليه الدعوى وكان له من الولد جعفر وإسماعيل فقط إلخ».

وفضلاً عن هذا فقد سبق أن قلنا: إن الشريف «أخي محسّن» الدمشقي، الذي كان من ألدّ أعداء الفاطميين وصاحب كتاب يشتمل على عشرين جزءًا في الرد عليهم والطعن في أنسابهم، كان هو نفسه من نسل محمد بن إسماعيل على هذا النحو: أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام. وعلى الرغم من كل هذا يقول أبو منصور البغدادي بأن أصحاب الأنساب متفقون على أن محمد بن إسماعيل مات ولم يعقب! والواضح أن هذه الدرجة من الجهل لدى بعض علماء السنة والجماعة بالنسبة إلى أمور الشيعة تثير الدهشة.

**[٣٣٤]** وكذلك يقول السمعاني في كتاب الأنساب تحت عنوان: «القدّاحي»(٣):

---

(١) طبع بمباي ص٢٠٩-٢١٣.

(٢) طبع بيت المقدس ص٦-١١. [ويبلغ هذا القسم في الطبعة المصرية، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال حوالي تسع صفحات كاملة من ص١٦-٢٤].

(٣) ورقة *444a*.

«وعبد الله بن ميمون القدّاح كان مع محمد بن إسماعيل بن جعفر في الكُتّاب[١]، فلما مات محمد كان يخدم إسماعيل، فلما مات إسماعيل ادعى عبد الله أنه ابن إسماعيل وانتسب إليه وهو ابن ميمون».

وهكذا يلاحظ أن السمعاني يصرح بأن محمد بن إسماعيل توفي قبل أبيه إسماعيل، والواقع أن محمد بن إسماعيل كان يعيش بعد أبيه بأربع وثلاثين سنة على الأقل؛ لأن وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق كانت، على حسب اختلاف الأقوال في سنة ١٣٣ أو ١٣٨ أو ١٤٥، ومع أن وفاة محمد بن إسماعيل ليست معروفة على التحقيق فإنه من المحقق تقريبًا، كما سبق أن ذكرنا أيضًا[٢]، أنه كان يعيش حتى سنة ١٧٩، وهي السنة التي سافر فيها هارون الرشيد إلى الحجاز حيث سعى لدى الخليفة المذكور بالإمام موسى الكاظم عليه السلام. من الواضح إذًا أنه قد عاش بعد وفاة أبيه إسماعيل ٤٦ أو ٤١ أو ٣٤ سنة على أقل تقدير، ومع ذلك يقول السمعاني إنه مات قبل أبيه! أما نظام الملك فيقول في سياسة نامه[٣] في بداية الفصل الخاص بالقرامطة: «كان سبب مذهب القرامطة أنه كان لجعفر الصادق رضي الله عنه ولد اسمه إسماعيل وقد توفي إسماعيل قبل أبيه، وكان لإسماعيل ولد سمي محمدًا، فغمز أحد الزبيريين بأن جعفر الصادق يريد الثورة على الخلافة، فأحضر الرشيد جعفرًا من المدينة إلى بغداد وحبسه بها وكان لمحمد [٣٣٥] غلام يسمى المبارك فتصادق رجل من مدينة الأهواز مع المبارك هذا وكان يسمى عبد الله بن ميمون القدّاح إلخ». وهكذا يلاحظ أنه يقول صراحة: إن هارون الرشيد قد أحضر الإمام جعفر الصادق

---

(١) كتاب بضم كاف وتشديد تاء مثناة فوقانية على وزن رمان بمعنى مكتب ومدرسة، ويقول سعدي: «لقد صرت شيخا ولم تعرف الطريق بعد، فلست إذن شيخا بل ما زلت طفلاً يليق به الذهاب إلى الكتاب».

(٢) انظر ٢٥٣-٢٥٤ فيما سبق.

(٣) طبع شيفر ص١٨٣-١٨٤.

إلى بغداد، والواقع أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام توفي قبل جلوس هارون الرشيد باثنتين وعشرين سنة؛ إذ كانت وفاة الصادق في سنة ١٤٨ وكان جلوس هارون في سنة ١٧٠ فكيف إذًا يأتي هارون بجعفر الصادق من المدينة إلى بغداد! وبديهي أن مؤلف الكتاب خلط بين الإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم عليهما السلام.

**وكذلك يقول النديم في كتاب الفهرست ص١٨٧ نقلاً عن ابن رزام:**

«وأقام قرمط بكلواذي ونصب له عبد الله بن ميمون القدّاح رجلاً من ولده يكاتبه من الطالقان، وذلك في سنة إحدى وستين ومائتين، ثم مات عبد الله فخلفه ابنه محمد بن عبد الله ثم مات محمد فاختلفت دعاتهم وأهل نحلتهم[١] فزعم بعضهم أن أخاه أحمد بن عبد الله خلفه، وزعم آخرون أن الذي خلفه ولد له يسمى أحمد أيضًا ويلقب بأبي الشلعلع، ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين ابن عبد الله بن ميمون وكان الحسين مات في حياة أبيه إلخ».

وهكذا يلاحظ أن النديم قد حسب أن عبد الله بن ميمون القدّاح كان يعيش حتى سنة ٢٦١، والواقع أن عبد الله بن ميمون القدّاح كان بإجماع الشيعة -كما سبق أن ذكرنا- معاصرًا للإمام جعفر الصادق ومن أصحابه، وكانت وفاة جعفر الصادق في سنة ثمانية وأربعين ومائة، فكيف يمكن إذًا أن يعيش أحد أصحابه حتى سنة ٢٦١، أي بعد وفاته بمائة وثلاث عشرة سنة.

إذًا إما أن نقول: إن عبد الله بن ميمون القدّاح المذكور في كتاب الفهرست قد أسس الدعوة الإسماعيلية -كما ورد في ذلك الكتاب تفصيلاً- والذي كان يعيش حتى سنة ٢٦١ إنما هو شخص مختلف تمام الاختلاف عند عبد الله [٣٣٦] بن ميمون

---

(١) تصحيح قياسي، وفي الأصل: محلتهم.

القدّاحي الذي كان معاصرًا لحضرة الصادق ومن رجال أواسط القرن الثاني، وهذا محال؛ لأن عبد الله بن ميمون القدّاح - بشهادة صريحة لدستور المنجمين، وهو من كتب الإسماعيلية المعتمدة، كما سبق شرحه - كان من خواصّ أصحاب حضرة الصادق، كما كان أبوه ميمون القدّاح من خواصّ أصحاب الإمام محمد الباقر، إذًا ففرض تعدّد شخصين غير ممكن مطلقًا.

وإما أن نقول: إن صاحب الفهرست[1] قد أخطأ خطأ في تحديد عصر عبد الله بن ميمون القدّاح، وافترض أن زمانه كان متأخرًا قرابة قرن عما كان في الواقع[2]، أو أن المؤلف المذكور قد اشتبه في أن عبد الله بن ميمون القدّاح واحد من أعقابه المتعددين الذين ذكرت أسماؤهم في سياق العبارة نفسها (انظر الصفحة السابقة)، فاعتبره مثلاً هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح، أو هو الحسين [بن أحمد][3] بن عبد الله المذكور أو هو سعيد ابن الحسين المذكور؛ إذ من الممكن أن

---

(١) أو على الأظهر مصدره الأصلي: ابن رزام.

(٢) لو قيل إنه يجوز أن يكون هذا الاشتباه من النساخ وليس من المؤلف، يعني أنه يجوز أن تكون أصل عبارة الفهرست «سنة ...» ثم بدلت «مائة» بـ«مائتين» بسبب تحريف النساخ، لقلنا إجابة على ذلك إن هذا الاحتمال باطل كلية لأن النديم يعتبر عبد الله بن ميمون القداح معاصرًا لقرمط المعروف مؤسس مذهب القرامطة، وذلك من سياق العبارة السابقة نفسها مباشرة. ولما كان معروفًا أن قرمط كان يعيش حتى سنة ٢٨٦ إذًا فمن الواضح أنه ليس هناك سهو أو اشتباه في أعداد سنة ٢٦٤ ولو كان هناك اشتباه لفرضنا وجوده، كما قررنا في المتن، إما في تحديد عصر عبد الله بن ميمون الذي كان قد أخر قرابة مائة عام عما كان في الواقع، وإما في شخص عبد الله نفسه حيث حدث التباس بينه وبين واحد من أعقابه.

(٣) لا بد أن يكون اسم أحمد قد سقط من عبارة الفهرست لأنه في الفصل الذي نقله المقريزي في اتعاظ الحنفا ص١١-١٤ [ص٢٥-٢٦ طبع مصر] عن قول الشريف أخو محسّن وبتصريح المقريزي نفسه بأن صاحب الفهرست نقل الفصل نفسه عن ابن رزام، يرد اسم هذا الشخص في الموضع الذي نحن بصدده (اتعاظ الحنفا ص١٣ - ص٣٠ طبع مصر) الحسين بن أحمد بن عبد الله لا الحسين بن عبد الله. وكذا بعينه في الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٦٧.

يكون عصرهم موافقًا **[٣٣٧]** عادة لسنة ٢٦١، فنُسبَت الأعمال والتاريخ المتعلق بواحد منهم إلى عبد الله بن ميمون القدّاح، وهذا الاحتمال الأخير (يعني الخلط بين عبد الله بن ميمون القدّاح وواحد من أعقابه) يبدو لي هو أرجح الاحتمالات.

في نسختين من الجزء الخاص بالإسماعيلية من **جامع التواريخ**، تقع في حوزتي واحدة منهما، إحداهما نسخة المكتبة الأهلية بباريس والنسخة الأخرى ملك المرحوم براون، تجاوز [المؤلف] أيضًا في هذا الموضع -يعني المتعلق بعصر عبد الله بن ميمون القدّاح- كتاب الفهرست بمراحل مذكرًا بأنه كان يعيش حتى سنة خمس وتسعين ومائتين، وهذا نص عبارته(١): «وكان من بين الدعاة ميمون القدّاح وابنه عبد الله بن ميمون ويعدّان من علماء تلك الطائفة وأكابرها.. وفي سنة خمس وتسعين ومائتين(٢) تحلى عبد الله بن ميمون بزي الصوم والصلاة والطاعات والعبادات واطلع على سر الدعوة وأقام بعسكر مُكْرَم في موضع [يسمى] ساباط نوح وكثرت أمواله وازداد أتباعه» انتهى باختصار، ولا شك إطلاقًا في أن هذا التاريخ غلط فاحش وخطأ صريح إما من النساخ أو من المؤلف نفسه، ولم نر مثل هذا الأمر الغريب في أي مصدر آخر على الإطلاق غير الكتاب المذكور.

وفي نهاية هذا المقال نرى من المناسب أن نشير إلى قول عجيب في شأن عبد الله بن ميمون القدّاح، إذ تعرض لذكره على سبيل الاستطراد **أبو العلاء المعري في رسالة الغفران**. وبمقتضى قول المعري يكون عبد الله **[٣٣٨]** بن ميمون القدّاح حيًا في بداية أمر الشيعة، ومن أجلة أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام،

---

(١) جامع التواريخ نسخة المكتبة الأهلية بباريس *suppl. Pres 1364* ورقة *8a – 6a* ونسخة المرحوم براون ص٦-٩ [تقابل ص٩ من طبعة طهران].

(٢) كذا بوضوح بالأعداد الصريحة لا الأرقام الهندسية في كلتا النسختين المذكورتين من جامع التواريخ نسخة باريس ورقة *8a*، نسخة براون ص٩ [ص١١ طبعة طهران].

ولكنه ارتد بعد ذلك وقال أشعارًا مختلفة وفقًا لمقتضى حاله، سيأتي ذكرها. ولا حاجة بنا إلى التنويه بأن هذه الحكاية وهذه الأشعار مثلها مثل أغلب حكايات ذلك الكتاب، ورواياته التي يقتصر موضوعها على سير أبي العلاء في عالم الرؤيا في الجنة والنار وصحراء المحشر، وهو كله ضرب من اختلاق الخيال والقصص وليس قضايا واقعية تاريخية[١]، ولا ينبغي أن يكون قصدنا من هذا أن نتعرض لما تتضمنه رسالة الغفران لأبي العلاء من حيث صدق معلوماتها وكذبها. أو أن ننظر في ذلك الكتاب نظرة تاريخية جادة.

وإنما علينا أن ننظر إلى ما يتضمنه الكتاب نظرة ترويح وتسلية أدبية، ومن ثم رأينا أن ننقل من الرسالة الفقرة التالية، مع العلم بأن عادة أبي العلاء في ذلك الكتاب جرت على انتحال حكايات وأشعار في الضحك والسخرية من الإسلام وأصول العقائد الإسلامية ونسبتها إلى إحدى الشخصيات التاريخية الحقيقية أو الوهمية[٢]، وفيما يلي نص عبارته في الموضوع الذي نحن بصدده، (نقلاً عن **رسالة الغفران لأبي العلاء المعري**، طبع مصر سنة ١٣٢١ – ١٣٢٥ ص١٥٦-١٥٧):

---

(١) تشبه رسالة الغفران لأبي العلاء المعري «الكوميديا الإلهية» لدانتي الإيطالي ويرى بعض المستشرقين أصلاً بأن دانتي في تأليف «الكوميديا الإلهية» قد اطلع على رسالة الغفران لأبي العلاء فكانت تلك الرسالة هي رائدة في تأليف كتابه الشهير.

(٢) لم أجد في أي من كتب رجال الشيعة أو أحاديثهم أمرًا كهذا أو شبيهًا به، ويغلب على الظن عندي، وهو ظن قريب من اليقين أن هذه الرواية عن شيوخ الشيعة هي محض افتراء من أبي العلاء نفسه، وهو يشبه في هذا سلفه أبا حيان التوحيدي، فكلاهما لا يتحرج من انتحال الأخبار ونسبتها إلى شخصيات معروفة أو وهمية.

«والشيعة يزعمون أن عبد الله بن ميمون القدّاح وهو من باهلة[١] كان من علية أصحاب جعفر بن محمد عليه السلام وروى عنه شيئًا كثيرًا، ثم ارتد بعد ذلك فحدثني بعض شيوخهم أنهم يروون عنه و[٣٣٩] يقولون حدثنا عبد الله بن ميمون القدّاح كأحسن ما كان[٢] أي قبل أن يرتد ويروون له:

هَاتِ اسْقِني الخَمْرة يا سَنْبَرُ[٣] فَلَيْسَ عِنْدِي أَنَّنِي أُنْشَرُ

أما تَرى الشِّيعَةَ في فِتْنةٍ يَغُرُّها من دِينها جعفرُ

قَد كُنتُ مَغرُورًا بِه بُرهةً ثُمَّ بدا لِي خَبرٌ يُسْتَر

ومما ينسب إليه:

مَشَيْتُ إلى جَعْفرَ حِقْبَةً فَأَلْفيتُه خَادِعًا يَخْلُبُ

يَجُرُّ العَلاءَ إلى نَفْسِه وكُلٌّ إلى حَبْلِه يَجْذَبُ

فَلو كَان أمرُكم صَادقًا لما ظَلَّ مَقتُولُكم يُسْحَبُ

ولا غَضَّ مِنكم عَتيقٌ[٤] ولا سَمَا عُمَرٌ فَوْقَكم يَخْطُبُ

---

(١) على مبلغ علم راقم السطور فإن أحدًا لم يقل على الإطلاق حتى الآن مثل هذا القول وهو أن عبد الله بن ميمون القداح من قبيلة باهلة. وعلماء الشيعة متفقون على أنه كان من موالي بني مخزوم وقال مؤرخو أهل السنة والجماعة جميعًا بأنه كان إيرانيًا ومجوسيًا ومن سبي الأهواز.

(٢) لم أعثر – على الرغم مما بذلته من جهد في الفحص والتتبع في كتب رجال الشيعة وأحاديثهم على شيء كهذا أو قريب منه، وأظن – بل أكاد أكون على يقين – أن هذه الرواية عن شيوخ الشيعة إنما هي محض اختراع لأبي العلاء نفسه مثله في ذلك مثل أبي حيّان التوحيدي في تزييف الأخبار وإسنادها إلى رجال مشهورين أو وهميين حتى لا يجد معارضًا.

(٣) سنبر: على وزن جعفر من أسماء الأعلام (تاج العروس).

(٤) عتيق: اسم أو لقب أبي بكر بن أبي قحافة، «ولقبه عتيق قيل لجماله، وقيل لعتقه من النار، وقيل إن ذلك كان اسمه في الجاهلية». (التنبيه والإشراف ص٢٨٤).

انتهى، أعياني البحث في كتب التاريخ والأدب والرجال والأخبار والأحاديث المتداولة عند كل من الشيعة وأهل السنة والجماعة فلم أعثر مطلقًا –بأي وجه من الوجوه– على ذكر، أو أثر لهذه الأشعار، أو لأي شعر آخر لعبد الله بن ميمون القدّاح، وأغلب الظن أن الأشعار المذكورة (شأنها شأن القصة كلها) بل من المتيقن [٣٤٠] أنها انتحال من أبي العلاء نفسه قد نسبه إلى عبد الله بن ميمون القدّاح وأنه يكشف عن خفايا نواياه تجاه الإسلام وأئمة المسلمين.

ونظير هذه الفقرة الحكاية التالية المنقولة عن الرسالة نفسها (رسالة الغفران طبع مصر ص١٤٤-١٤٥):

«ولما أجلى عمر بن الخطاب رحمة الله عليه أهل الذّمة عن جزيرة العرب شق ذلك على الجالين فيقال: إن رجلاً من يهود خيبر يعرف بسمير بن أدكن[1] قال في ذلك:

يَصُولُ أبو حَفْصٍ عَلَيْنا بِدرَّةٍ رُوَيْدَكَ إن المرءَ يَطْفُو ويَرسُبُ

كأنك لَم تَتْبَع حَمُولَةَ مَاقِطٍ لِتَشْبَع إن الزَّاد شَيءٌ مُحبَّبُ[2]

(١) لم أعثر في جميع كتب التواريخ والأخبار والأدب التي رجعت إليها -مثل تاريخ الطبري ومروج الذهب والتنبيه والإشراف– كلاهما للمسعودي، والمعارف وعيون الأخبار –كلاهما لابن قتيبة– والأغاني ومؤلفات الجاحظ والكامل للمبرد والكامل لابن الأثير وغيرها– على أثر لشخص بهذا الاسم والنسب، ويبدو –بل من المؤكد – أن هذا الاسم والنسب مفتعل وأن هذا الشخص من صنع الخيال تمامًا.

(٢) الحمولة بالفتح الإبل كانت عليها أثقال أو لم تكن، والماقط على زنة فاعل أجير الكري وقيل هو المكتري من منزل إلى آخر والماقط مولى المولى. وتقول العرب فلان ساقط بن ماقط بن لاقط تتساب بذلك فالساقط عبد الماقط واللاقط عبد اللاقط واللاقط عبد معتق. (لسان العرب).

فَلو كَانَ مُوسى صَادقًا ما ظَهَرْتُمُ عَلينا ولكِنْ دَولة ثُمَّ تَذهبُ
وَنَحن سَبقْناكم إلى المَيْن فَاعرِفُوا لنَا رُتْبةَ البَادي الذي هُوَ أكْذبُ
مَشَيْتُمْ عَلى آثَارِنا في طَرِيقِنا وبُغْيَتُكُم في أن تَسُودوا وتُرْهَبوا

يقول ياقوت في معجم الأدباء ج١ ص١٩٠ في ترجمة أبي العلاء المعري بعد نقل الحكاية والأشعار المذكورة أعلاه: «وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحله هذا اليهودي أو أن إيراده لمثل هذا واستلذاذه من أمارات سوء عقيدته وقبح مذهبه». انتهى.

## [٣٤١] ثبت بالمصادر المتعلقة

# بأحوال عبد الله بن ميمون القدّاح[١]

**مصادر الشيعة:**

الرجال للكشي ص٢٤٧، فهرست النجاشي ص١٤٨، فهرست الشيخ الطوسي ص١٩٧-١٩٨، تبصرة العوام مجهول المؤلف، مطبوع في ذيل قصص العلماء ص٤٢٥-٤٢٦، الخلاصة للعلامة الحلي ص٥٣، إيضاح الاشتباه للمؤلف نفسه النسخة الخطية لكاتب هذه السطور، في باب العين، مجالس المؤمنين للقاضي نور الله الششتري النسخة الخطية لكاتب هذه السطور، المجلس السادس، منهج المقال لميرزا محمد الاسترابادي ص٢١٢-٢١٣، نقد الرجال لمير مصطفى التفرشي ص٢٠٨-٢٠٩، نضد الإيضاح لمحمد علم الهدى بن محسن الكاشي ص١٩٧-١٩٨، منتهى المقال لأبي علي الحائري ص١٩٣-١٩٤، مستدرك الوسائل للمرحوم حاجي ميرزا حسين نوري ج٣ ص٦١٩.

**ومن كتب الإسماعيلية النزارية:**

دستور المنجمين نسخة وحيدة بالمكتبة الوطنية في باريس[٢]، ضمن ترجمة أحوال الإمام جعفر الصادق.

---

(١) كنا قد أشرنا في صفحات المقال السابقة إلى تاريخ ومكان طبع أغلب المصادر التالية، وهو ما سنعرض عن ذكره في هذا الثبت تفاديا للتكرار.

(٢) رقمها *Arabe 5968* ورقة *333b*.

**ومن مصادر أهل السنة والجماعة:**

كتاب الفهرست للنديم[١] ص١٨٦-١٨٨، رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ص١٥٦-١٥٧، كتاب الأنساب للسمعاني ورقة *444a – 333b* في عنوانين متتاليين: «القدّاح» و«القدّاحي»، بيان الأديان لأبي [٣٤٢] المعالي محمد بن عبيد الله العلوي طبع شفر ضمن قطع فارسية منتخبة ج١ ص١٥٨-١٥٩، سياست نامه لنظام الملك ص١٨٣-١٨٤، تاريخ ابن الأثير طبع مصر ج٨ ص٩-١٤ في حوادث سنة ٢٩٦، تاريخ جهانگشاي للجويني ج٣ ص١٥٢، جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله أوائل الجزء الخاص بالإسماعيلية[٢]، ميزان الاعتدال للذهبي ج٢ ص٨١، اتعاظ الحنفاء للمقريزي ص١١-٢٢، الخطط للمؤلف نفسه ج٢ ص١٥٨-١٦٠ و٢٣٣-٢٣٤، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي طبع مصر ج٢ (راجع فهرست أعلام ذلك الكتاب تحت عنوان «ميمون القدّاح»).

**ومن المصادر الأوروبية:**

الكتاب المشهور لسلفيستر دي ساسي شرح مذهب الدروز[٣] مقدمة الجزء الأول صفحات ٦٧ وما بعدها و١٣٨ و١٥٦ وما بعدها، العقائد الباطنية لفاطمية

---

(١) كان النديم – بتصريح ياقوت في معجم الأدباء ٤٨/٦ شيعيًا، غير أن ما ورد في كتابه في الموضع الذي نحن بصدده مأخوذ عن مؤلفات أهل السنة والجماعة، ومن ثم حسبناه تابعًا لهذه المصادر.

(٢) نسخة المكتبة الوطنية بباريس الرقيمة *Suppl. Pers. 1364* ورقة *15b – 6a*، ص٩-١٩ من نسخة المرحوم براون.

*(3) Silvestre de Sacy, Exposé de la religion des Druzes, Vol. I, pp. LXVII suiv. CXXXVIII, CLVI suiv.*

مصر[1] لكازانوفا ص٩-٣٩ من الطبعة المنفصلة، تحقيقات حول قرامطة البحرين والفاطميين لدي خويه[2] في الكثير من المواضع وبخاصة من ص١٢ وما بعدها، تاريخ الأدب في إيران[3] للمرحوم براون ج١ ص٣٩٦ وما بعدها، دائرة المعارف الإسلامية في عنوان «عبد الله بن ميمون القدّاح» لـ«هوتسما»[4] ج١ ص٢٦-٢٧، حواشي كتاب الفهرست لأوجست مولر الألماني[5] ص٧٧، ونجد في المصدرين الأخيرين [٣٤٣] وخاصة في حواشي كتاب الفهرست عناوين كثيرة ذكرت لمصادر أوروبية بحثت في الموضوع الذي نحن بصدده، ومن ثم صرفنا النظر عن تكرارها ها هنا.

**ص ١٤٦ س ٥:**

**«وحسن شيخ عبدان»**، كان عبدان الكاتب من أكثر دعاة الإسماعيلية والقرامطة شهرة، وقد تصاهر مع حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط رئيس القرامطة المشهور -الذي اشتُق اسم تلك الطائفة من اسمه على المشهور- إذ كان عبدان متزوجًا أخت قرمط وقرمط متزوجًا أخته[6]. ونجد في كتاب الفهرست ص١٨٩ أسماء بعض مؤلفات عبد الله المذكور أو المنسوبة إليه، وقد قتل صاحب هذه الترجمة في حدود سنة ثمانية ومائتين من الهجرة – على التفصيل الوارد في كتب التواريخ[7] –

---

*(1) Paul Casanova, La doctrine secréte des Fatimides d'Egypte, pp. 9-34 du triage á part.*
*(2) J. De Goeje, Mémoire sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides, p. 12 suiv.*
*(3) E. G. Browne, A Literary History of Persia, I, 396 suiv.*
*(4) M. Th. Houtsma.*
*(5) Dr. August Mueller.*

(٦) نهاية الأرب للنويري، نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Arabe 1576* ورقة *48b*.

(٧) لمزيد من التفصيل عن أحوال عبدان انظر الكتب الآتية: فهرست النديم ص١٨٧-١٨٩، وحواشي الناشر الألماني للكتاب ص٧٧، وكتاب التنبيه والإشراف للمسعودي ص٣٧٤، وابن حوقل ص٢١٠، ودستور المنجمين *335a*، ونهاية الأرب ورقة *48b, 58b, 59a, 76a*، واتعاظ الحنفا للمقريزي ص١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١٢٠، ١٣٠، و«مذهب=

وقد ورد اسم هذا الدّاعي القرمطي المشهور في كافة كتب التواريخ التي في متناول يدي وذكرت أسماؤها في الحاشية بلا استثناء (عبدان)، وليس حسن شيخ عبدان بإضافة حسن [٣٤٤]، كما ورد في جميع نسخ جهانگشاه الخطية، ولا نجد في كتب التواريخ المعروفة من دعاة الإسماعيلية والقرامطة رجلاً آخر يسمى بحسن بن عبدان حتى نقول: إنه هو مقصود الجويني. إذن فكلمة «حسن» في متن جهانگشاه بلا شك زائدة كلية: إما سهوًا من النساخ أو من المصنف نفسه، وللمصنف نظائر من هذه الاشتباهات في هذا الفصل المتعلق بالإسماعيلية سوف نرى المزيد منها فيما بعد.

ص ١٤٧ س ١:

«أبو الخطاب»، المراد هو أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الأجدع الذي تنسب إليه الفرقة المعروفة بالخطابية من غلاة الشيعة، وكان في بداية أمره من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثم أظهر غلوًا في شأنه إذ اعتقد ألوهيته، ثم إنه تراجع خطوة عن هذه المرتبة فادعى بأنه نبيٌّ صاحبُ رسالة، ونجد شرحًا مفصلاً لعقائده وعقائد أصحابه وافتراقهم بعد ذلك إلى أربع فرق أو خمس[1] في كتاب

---

=الدروز» لدي ساسي مقدمة الجزء الأول ص١٨٤-١٨٥، ١٩٣-٢٠٠، ورسالة «القرامطة» لدي خويه ص٣١، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٦-٦٨، ٩٩، ويورد مؤلف الكتاب الأخير دلائل يعتقد بمقتضاها أن قتل عبدان قد حدث بعد جلوس المهدي الفاطمي (سنة ٢٩٦) وبأمره، أي بتأخير عشر سنوات عن ما قاله المؤرخون كافة. وأعتقد أن هذه الدعوى ما هي إلا اجتهاد في مقابل النص وأنها «رجمًا بالغيب»، والدلائل التي أوردها لإثبات دعواه واهية للغاية (المحقق). انظر أيضًا إيفانوف في كتابه عن ظهور الفاطميين *The Risa of Fatimid* ص٤٧، ٤٨، ٥٩، ٦٠، ٧٦، ٧٨. (المترجم).

(١) انشعب أصحاب أبي الخطاب إلى أربع فرق بقول النوبختي في فرق الشيعة ص٣٧، وإلى خمس فرق بقول الأشعري في مقالات الإسلاميين ص١٠. ولا شك أن كلمة «خمسون» في خطط المقريزي ج٤ ص١٧٤ تصحيف لكلمة «خمس» وعدّ كل من هوتسما في دائرة المعارف الإسلامية مادة «أبو الخطاب»، ومرجليوث في الكتاب نفسه في مادة «الخطابية» أن عدد شعب الخطابية المختلفة خمسون استنادًا إلى عبارة المقريزي المذكورة، وهذا كما يبدو سهو واضح.

فرق الشيعة لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي ص٣٧-٤١، ٥٨-٦٠، وفي مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص١٠-١٣ وهما من أقدم الكتب الإسلامية وأوثقها في الملل والنحل، وينبغي على من ينشد الحصول على معلومات عن هذا الموضوع الرجوع إليهما، مجمل القول: إن حضرة الصادق -عليه السلام- قام بعد الاطلاع على ماهية معتقدات أبي الخطاب وأصحابه بلعنهم وذمّهم والتبرئ منهم في مواضع عديدة وسماهم كفرة ونهى أصحابه [٣٤٥] عن معاشرتهم، ولما انتشر أمرهم واشتهر ارتكابهم للمحظورات وإظهارهم للإباحات أرسل عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان ابن أخ المنصور وواليًا من قبله على الكوفة، أرسل رجلاً في إثر أبي الخطاب وطلبه، فاجتمع أبو الخطاب مع أتباعه في جامع الكوفة وبلغ عددهم سبعين رجلاً أبوا جميعًا التسليم، فقامت بينهم وبين والي الكوفة معركة شديدة، ودافع الخطابيون عن أنفسهم دفاع الأبطال وكانوا يحاربون بالحجارة والعصي والخناجر حتى قتلوا في النهاية عن آخرهم فيما عدا رجلان[1].

وتاريخ هذه الواقعة ليس معروفًا على وجه التحديد ولكن يبدو أنها وقعت في الفترة ما بين ١٣٦ و١٣٨[2] ذلك لأن جلوس المنصور، الذي حدثت تلك الحادثة في زمن خلافته، كان في سنة ١٣٦ – هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يصرح الكشيّ في «الرجال»[3] بأنه في سنة ١٣٨ كانت قد انقضت مدة على قتل أبي الخطاب وأصحابه، وفيما يلي نصّ عبارة الكشيّ: «حدثنا أيوب بن نوح عن حنان بن سَدير عن أبي عبد الله

(١) «ولم يفلت منهم إلا رجل واحد أصابته جراح فسقط بين القتلى فعد فيهم». (المقالات والفرق للقمي ص٨١).

(٢) يرى دي خويه في رسالة «القرامطة» ص١٣ استنباطًا عن نهاية الأرب للنويري (هذا الجزء الخاص بالفاطميين موجود في مكتبة ليدن ولم أستطع بالفعل الحصول عليه) أن قتل أبي الخطاب كان في سنة ١٤٥، ولا شك في أن قول الكشي، وهو من قدماء علماء الشيعة، في الأمور المتعلقة بأئمة الشيعة وأصحابهم مقدّم على قول النويري وهو من علماء العامة المتأخرين.

(٣) رجال الكشي طبع بمباي ص١٩١.

عليه السلام قال: كنت جالسًا عند أبي عبد الله عليه السلام وميسر عنده ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال له ميسر بيّاع الزّطي: جُعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم! قال: ومن هم؟ قلت: أبو الخطاب وأصحابه. وكان متكئًا فجلس فرفع إصبعه إلى السماء، ثم قال على أبي الخطاب: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فأشهد بالله [٣٤٦] أنه كافر فاسق مشرك وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدوًّا وعشيًّا، ثم قال: أما والله إني لأنفس على أجساد أصيبت معه النار»[١].

ص ١٤٧ س ١١ - ١٢:

**«كان ظهور القرامطة في سنة ثمان وسبعين ومائتين»**، هذا التاريخ مطابق لقول جمهور المؤرخين كالطبري وابن الأثير وغيرهما، وهم جميعًا يذكرون ابتداء أمر القرامطة في حوادث هذه السنة، غير أنه لا شك في أن مراد المؤرخين المذكورين هو أن انتشار أمر القرامطة وشهرتهم قد صارت في هذه السنة مشهودة في بلاط خلافة بغداد بصفة رسمية[٢]، كما أنه لا شك في أن دعوة القرامطة قد بدأت قبل التاريخ المذكور بمدة طويلة، ويصرح المسعودي في كتابيه التنبيه والإشراف ص٣٩٥ بأن

---

(١) للحصول على معلومات أوسع عن سيرة أبي الخطاب الأسدي وتفصيل مذهبه ومذهب أتباعه وأشياعه فضلاً عن المعلومات التي نجدها في فرق الشيعة للنوبختي ومقالات الإسلاميين للأشعري وأشرنا إليها في المتن. انظر: رجال الكشي طبع بمباي ص١٨٧-١٩٩، ٢٢٥-٢٢٦، ٢٩٨، ٣٥٢، وتبصرة العوام ص٤٢٠، والخطط للمقريزي ج٤ ص١٧٤، ورجال ميرزا محمد الاسترابادي ص٣٢٣-٣٢٦، ورجال أبي علي ص٢٩٤، ورجال مير مصطفى التفرشي ص٣٣٥، ومن المصادر الأوروبية انظر مذهب الدروز لدي ساسي ج٤ ص٤٤٠-٤٤١، ورسالة القرامطة لدي خويه ص١٣، ودائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان «أبو الخطاب»، ج١ ص٩٩ بقلم هوتسما، وفي عنوان «الخطابية» ج٢ ص٩٨٦-٩٨٧ بقلم مارجليوث، [وانظر أيضًا المنتخبات التي نشرها إيفانوف ملحقًا لكتابه «ظهور الفاطميين» وترجمها إلى الإنجليزية ص٩٥، ٩٦ وص٢٦٢ من الترجمة]. (المترجم)

(٢) انظر رسالة «قرامطة البحرين»، لدي خويه، ص٣١-٣٢.

دعوة القرامطة أسست سنة ستين ومائتين في إصفهان، ويستفاد صراحة من اتعاظ الحنفا للمقريزي ص١٠٢ [ص٢٠٦ طبع مصر] أنه في سنة ٢٦٤ كانت دعوة القرامطة قد حققت تقدمًا منذ مدة عن طريق الحسين الأهوازي (وهو أول دعاة تلك الفرقة قبل قرمط وعبدان).

ص ١٤٧ س ١٢:

«وكان أولهم حمدان قرمط» المقصود هو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط الذي اشتق اسمه «القرامطة» من [٣٤٧] لقبه على أشهر الأقوال، وكتب التاريخ جميعها مشحونة بذكره الأمر الذي يجعلنا نقلع عن ذكر مصادر هذا الموضوع في هذا المقام، وكان حمدان قرمط متزوجًا -كما سبق أن ذكرنا- أخت عبدان أحد دعاة هذه الطائفة المعروفين كما كان عبدان متزوجًا أخت قرمط ولكن -كما يستفاد من نهاية الأرب[١]- فُقد أثره كلية قبل سنة ست وثمانين ومائتين بقليل ولم يقف له أحد على خبر أو أثر ولم يعلم أحد ماذا كانت نهايته، وقد جمع المستشرق الهولندي المعروف دي خويه خلاصة أقوال عامة المؤرخين فيما يتعلق بحمدان قرمط ودعوة القرامطة وثوراتهم المتوالية المستمرة على الخلفاء، وكل ما يتعلق بهذه الفرقة في رسالته القيمة الموسومة بـ «مذكرات في شأن قرامطة البحرين والفاطميين»[٢] فينبغي على من ينشد الحصول على مثل هذه المعلومات الرجوع إلى تلك الرسالة.

---

(١) نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Arabe 1576* ورقة *58b* وما بعدها، ورسالة القرامطة لدي خويه ص٥٩.

(٢) هذا الكتاب مؤلف باللغة الفرنسية واسمه وعنوانه *J. De Goeje, mémomoire sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides, 2e edition, Leide 1886*

**ص ١٤٨ س ٢:**

«**واحتفظوا به خمسًا وعشرين سنة**». حدد سائر المؤرخين المدة التي احتفظ فيها القرامطة لديهم بالحجر الأسود باثنين وعشرين عامًا على وجه التحديد[١]، وفي الحقيقة يتضح من الحساب والمقارنة [٣٤٨] بين تاريخ خلع القرامطة للحجر الأسود في الرابع عشر من ذي الحجة[٢] سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وتاريخ إعادة الحجر إلى مكة في العاشر من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أي أن الحجر بقي لديهم اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام على وجه التحديد، وفضلاً عن الحساب الذي ذكرناه يصرح المقريزي في اتعاظ الحنفا ص١٢٦ [ص٢٤٦ طبع مصر] وقطب الدين النهرواني المكي في كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص١٦٦ أيضًا بما قلنا بكل وضوح، إذن فتعبير خمس وعشرين سنة في كلام المؤلف إما هو سهو منه أو مسامحة.

**ص ١٤٩ س ٣:**

«**بلقاسم حوشب**»، هو أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار الكوفي الملقب بالمنصور من أشهر دعاة الإسماعيلية في اليمن، في

---

(١) انظر ابن الأثير ج٨ ص١٩٢ في حوادث سنة ٣٣٩، وتاريخ أبي الفداء في حوادث السنة نفسها، واتعاظ الحنفا للمقريزي ص١٢٧، ١٢٩ [ص٢٤٣ طبع مصر]، والإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين النهروالي المكي ص١٦٢-١٦٦، ورسالة «القرامطة» لدي خويه ص١٤٦، ويعتبر حمزة الإصفهاني ص٢٠٩-٢١٠ مدة بقاء الحجر لدى القرامطة اثنى عشر عامًا (بدلاً من اثنين وعشرين عامًا) وتاريخ إعادته في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة (بدلاً من تسع وثلاثين وثلاثمائة) ويعد هذا من قبيل سهو القلم ولا بد أنه نشأ عن مشابهة الرقم ٢٩ للرقم ٣٩.

(٢) إعلام قطب الدين المكي ص١٦٦، وقد وردت كلمة «ذي القعدة» في هذا الصدد في اتعاظ الحنفا ص١٢٩ [ص٢٤٦ طبع مصر] سهوًا من النساخ بدلاً من «ذي الحجة».

شهور سنة ثمان وستين ومائتين[١] أرسله والد المهدي، أول الخلفاء الفاطميين، بقول صاحب دستور المنجمين[٢] والمقريزي[٣]، أو أحد أولاد عبد الله بن ميمون القدّاح، بقول الجويني في جهانگشا وابن الأثير في تاريخ الكامل[٤]، أرسل ابن حوشب برفقة رجل يقال له علي بن الفضل من أهالي اليمن لنشر الدعوة بها، فتحركا من القادسية ووصلا إلى اليمن في أوائل[٥] السنة المذكورة، وبدأ ابن حوشب الدعوة هناك، وظهرت دعوته في اليمن سنة سبعين ومائتين وارتفع أمره وكثر أتباعه وفتح المدن الرئيسية باليمن مثل صنعاء وغيرها [٣٤٩] ولقب نفسه بالمنصور، وفرّق الدعاة في اليمن، والبحرين، واليمامة، والسند، والهند، ومصر، والمغرب، ولقد أرسل والد المهدي بعد مدة أبا عبد الله الشيعي، الذي سيأتي ذكره، إلى اليمن عند ابن حوشب وأوصاه بالإقامة عنده في اليمن مدة طويلة وأن يطيعه كلية ويمتثل أمره ويقتدي بسيرته ثم يذهب بعدها إلى بلاد المغرب، ففعل أبو عبد الله ذلك وأقام باليمن ملازمًا لابن حوشب وشهد مجالسه وتعلم مبادئ الدعوة ودقائقها من ذلك الأستاذ المجرّب، ثم توجه إلى قبائل كتامة ببلاد المغرب كما سيأتي ذكره. وهناك اختلاف كثير بين

---

(١) اتعاظ الحنفا ص٢٧ [ص٦٨ طبع مصر]، ودستور المنجمين نسخة المكتبة الأهلية بباريس ورقة ٣٣٥.

(٢) دستور المنجمين في الموضع المذكور نفسه، ويعبر صاحب هذا الكتاب على الدوام عن أبي المهدي بـ «صاحب الظهور».

(٣) اتعاظ الحنفا ص٢٧، ورد اسم «جعفر بن محمد» بدلاً من «محمد بن جعفر» في سطر ٥ من هذه الصفحة على أنه اسم والد المهدي وهذا سهو من الناسخ، انظر سطر ٢ من الصفحة نفسها وص٧ س١١-١٤.

(٤) ج٨ ص١١ في حوادث سنة ٢٩٦.

(٥) دستور المنجمين ورقة *335a*.

المؤرخين حول اسم ابن حوشب ونسبه وما ذكرناه هنا إنما هو مطابق لأقوال جمهورهم[١].

١٤٩ س ٦:

«أبو عبد الله الصوفي المحتسب»، هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بأبي عبد الله الشيعي الصوفي المحتسب[٢]، والملقب عندهم بصاحب البذر. أصله، كما سيأتي ذكره من الكوفة أو من رامهرمز أو من صنعاء اليمن، أسس دولة الفاطميين في المغرب كما أسس أبو مسلم الخراساني دولة بني العباس في المشرق، وشرح أحواله وسوانح حياته وجلائل أعماله أشهر من أن تحتاج إلى بسط تفاصيلها في هذا المقام. [٣٥٠] كان يعد من نوادر رجال العصر ومن دهاة وكفاة ومدبّري المرتبة الأولى في الدنيا، وأي شيء أعجب من وفوده وحيدًا بلا مال ولا رجال من اليمن إلى المغرب في حدود سنة ثمانين ومائتين[٣] لنشر الدعوة، فاستطاع بفضل مهارته ودهائه وكفايته وعزمه وتدبيره أن يؤسس مملكة عظيمة في شمال إفريقيا في ظرف مدة قليلة تقرب من ست عشرة سنة من حدود السنة المذكورة

---

(١) انظر تاريخ ابن الأثير ج٨ ص١١ في حوادث سنة ٢٩٦، ودستور المنجمين ورقة «335a»، وصبح الأعشى ج١٣ ص٢٤٠، والخطط للمقريزي ج٢ ص١٦٠، واتعاظ الحنفا له أيضًا ص٢٠، ٢٧، ٣١ [ص٥٢، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٧٥ طبع مصر].

(٢) «وكان محتسبًا بسوق الغزل من البصرة» (اتعاظ الحنفاء ص ٢٧)، «دولي الحسبة في بعض أعمال بغداد» (خطط المقريزي ٣: ١٥ - ١٦)، قيل في حواشي ذيل الصفحات: إن لقب «الصوفي» لم يطلق على صاحب الترجمة في موضع آخر سوى في جامع التواريخ، غير أننا وجدنا بعد ذلك مروج الذهب ١: ٣٧١ وذيل الطبري ٥٢ [ص٢٧ طبع مصر] يسميانه صراحة «أبو عبد الله المحتسب الصوفي».

(٣) كان وفود أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب في منتصف ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين (ابن الأثير ج٨ ص١٢ في حوادث سنة ٢٩٦، والبيان المُغرب لابن عذارى المراكشي ج١ ص١١٧ [ص١٢٤ طبع بروفنسال] وتاريخ أبي الفدا ج٢ ص٦٥، ويكتب المقريزي في اتعاظ الحنفا ص٣٢ [ص٧٦ طبع مصر] وفي الخطط ج٣ ص١٦ أن دخول أبي عبد الله المغرب كان في سنة ثمانية وثمانين ومائتين وهذا سهو واضح أو تحريف من النساخ.

إلى ظهور المهدي سنة ٢٩٦، وقضى على عدد من الأسر الحاكمة من سلاطين تلك الديار كبني الأغلب في تونس وبني مدرار بسجلماسة وبني رستم بتاهرت، غير أن صاحب الترجمة قتل في عاقبة الأمر هو وأخوه أبو العباس محمد الملقّب بالمخطوم يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين في مدينة رقادة[١] من محال القيروان بأمر المهدي، فصارت خاتمة أمره من حيث سوء الختام ونكران جميل مخدومه مشابهة أيضًا لسوء خاتمة أمر أبي مسلم الخراساني[٢].

**[٣٥١] ص ١٤٩ س ٦:**

«**من قبيلة كتامة بالمغرب**»، ما يعده المصنف من أن أبا عبد الله الشيعي من قبيلة كتامة، من قبائل البربر، ومن أهل المغرب إنما هو سهو واضح منه، فأبو عبد الله الشيعي كان من أهل المشرق بإجماع المؤرخين، وانتهى بعضهم إلى اعتباره من أهل الكوفة، وعدّه البعض من رامهرمز، وعده آخرون من صنعاء اليمن، وفيما يلي بعض شواهد هذا المدعى: - «أصله من الكوفة، واسمه الحسين ابن أحمد بن محمد بن زكريا من رام هرمز» (اتعاظ الحنفاء ص٣٧)، - «وكان أبو عبد الله الشّيعي من

---

(١) «خلف قصر الصحن» (ابن عذارى ج١ ص١٦٤). ولقد كان قصر الصحن من قصور رقادة (أيضًا ص١٥٧).

(٢) للاطلاع على أحوال أبي عبد الله الشيعي انظر: البيان المُغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي ج١ ص١١٨-١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٢-١٦٥ [ص١٢٤-١٢٩، ١٣١، ١٣٧-١٦٥ طبع بروفنسال] الذي يعدّ أكثر المراجع تفصيلاً عن أحواله، وأيضا كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي ص٣٣٤، ومروج الذهب للمؤلف نفسه طبع باريس ٨: ٢٤٦، ودستور المنجمين ورقة *335b*، *336a*، وسياست نامه لنظام الملك ص١٩٣، وابن الأثير ج٨ ص١٢-٢١ في حوادث سنة ٢٩٦، وابن خلّكان في حرف الحاء الحسين بن أحمد ج١ ص١٧٨، ومقدمة ابن خلدون ص١٣، والخطط للمقريزي ج٢ ص١٦٠، ج٣ ص١٥-١٧، واتعاظ الحنفا له أيضا ص٢٧، ٣١ [ص ٥٧، ٦٨ طبع مصر].

أهل صنعاء (ابن الأثير ج٨ ص١٣ وخطط المقريزي ج٣ ص١٥)»، «وكان أبو عبد الله الشّيعي من أهل اليمن وقيل من أهل الكوفة» (صبح الأعشى ج١٣ ص٣٤٠). «وكان اسمه عندهم [أي عند الكتاميين] أبا عبد الله المشرقي». (ابن الأثير ج٨ ص١٣)، - «وأمر أبو عبد الله الشّيعي وجوه كتامة بدعوة الناس إلى مذهبهم من التفضيل لآل عليّ والبراءة ممّن سواه فدخل في ذلك معهم كثير من النّاس فلذلك سمّيت دعوتهم التّشريق لاتباعهم رجلا من أهل المشرق» (البيان المُغرِب ج١ ص١٥١)، وكان منشأ سهو المصنف قطعًا هو أن أبا عبد الله الشيعي قد عاش، كما سبق أن قلنا، مدة طويلة من أواخر عمره - أي قرابة ست عشرة سنة كاملة (٢٨٠-٢٩٦) بين قبائل كتامة بالمغرب، حيث انتشرت دعوته بينهم في بادئ الأمر ثم انتشرت بمعاونتهم ومظاهرتهم في كافة نواحي شمال أفريقيا.

ص ١٥٠ س ٢-٣:

**«فلما وصلوا إلى سجلماسة خرج أبو عبد الله الكتامي لاستقباله»**. هذه الفقرة التي تقول: إن المهدي وابنه قد قدما إلى سجلماسة، وأن أبا عبد الله الشيعي خرج لاستقبالهما، تعتبر من وجوه السهو العجيبة التي يكررها المؤلف في هذا الفصل، وحقيقة الأمر عكس ما ذكر تمامًا؛ لأن إجماع المؤرخين منعقدٌ على أنه قبل فتح سجلماسة على يد أبي عبد الله الشيعي بمدة كان المهدي وابنه أسيرين في سجن **[٣٥٢]** والي تلك المدينة اليسع بن مدرار[1]، ولم يستطع أبو عبد الله المذكور أن يخلّص المهدي وابنه من السجن إلا بعد فتح سجلماسة في السابع من ذي الحجة سنة ست وتسعين[2] ومائتين، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ، ولقد سلّمه عن طيب

---

(١) ابن الأثير ج٨ ص١٥، ١٨، ١٩، واتعاظ الحنفا ص٣٦ [ص٨٤ طبع مصر].

(٢) ابن عذارى ج١ ص١٥١.

نفس وطوع خاطر[1] زمام الأمر والنهي في تلك المملكة الفسيحة الأرجاء العريضة الأكناف التي ظلت في قبضة اقتداره حتى تلك اللحظة، ثم وقف أمامه كواحد من عبيده، مجمل القول: إن المصنف يقلب جميع هذه الحوادث والوقائع المشهورة بجرّة قلم ويقول: إن أبا عبد الله الشيعي كان في سجلماسة وأن المهدي قدم مع ابنه إليها وخرج أبو عبد الله لاستقبالهما إلخ.

**ص ١٥٠ س ٩، ١٠:**

التاريخ الذي ذكرناه في حواشي أسفل الصفحة فيما يختص بالشروع في بناء المهدية مطابق لأقوال جمهور المؤرخين[2]، ولكن أبا عبيد البكري في كتاب المُغْرِب في ذكر أفريقية وبلاد المَغْرِب[3] يضبط تاريخ بناء المدينة المذكورة في سنة ثلاثمائة **[٣٥٣]** والأمر فيه هين. غير أنه لا خلاف بين المؤرخين على تاريخ إتمام المهدية وانتقال المهدي من رقادة إليها حيث وقع ذلك في سنة ثمانية وثلاثمائة في شهر شوال.

---

(١) والعجيب أن أبا عبد الله الشيعي لم يكن قد رأى المهدي على الإطلاق قبل تلك اللحظة ولم يكن قد تعرف عليه شخصيًا قط، إلا أنه كان يدعو إليه ويرفع السيف باسمه غيابيًا بسبب كمال العقيدة والتدين والإخلاص، ويقول ابن عذارى في البيان المغرب ج١ ص١٢٢: «ولم يكن رآه [أي لم يكن أبو عبد الله الشيعي رأى المهدي] قطْ إنما كان يسمع أخباره من شيوخ الشيعة وكان يعتقد ذلك اعتقادًا صحيحًا لا مرية فيه إلى أن صفا له أمر البربر فنازل الحواضر وهزم مَلِك إفريقية وانتزعها من يده».

(٢) انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٠٣، ومعجم البلدان في عنوان «المهديةَ»، وابن خلّكان في شرح حال المهدي «عبيد الله» ج١ ص٢٩٤، وتقويم البلدان لأبي الفدا ص١٤٥، والخطط للمقريزي ج٢ ص١٦٢، واتعاظ الحنفا له أيضا ص٤٢.

(٣) طبع الجزائر سنة ١٩١١ ص٣٠.

ص ١٥١ س ٣:

«**يوسف أخو عبد الله [الشيعي]**». كتب ابن الأثير[١] وصاحب دستور المنجمين[٢]. والمقريزي في اتعاظ الحنفا[٣] اسم أخي عبد الله الشيعي أبا العباس محمد، بينما كتب ابن خلّكان[٤] والمقريزي في موضع آخر من كتابه المذكور[٥] أبا العباس أحمد، ولم يتعرض معظم المؤرخين أصلاً لذكر اسمه ولكنهم اقتصروا على كنيته أو لقبه وهو أبو العباس المخطوم[٦]، ولم نعثر في أي مصدر على الإطلاق حتى الآن على أحد كتب اسمه يوسف كما جاء في المتن.

ص ١٥١ س ٥-٦:

«**وكان استيلاؤه في سنة ست وتسعين ومائتين**»، تاريخ جلوس المهدي يذكره بعض المؤرخين -كالمؤلف في هذا الموضع وصاحب دستور المنجمين[٧]- في سنة ٢٩٦، بينما يذكره أغلب المؤرخين[٨] في سنة ٢٩٧، وعلة هذا الاختلاف البسيط أن

---

(١) ج٨ ص١٨ في حوادث سنة ٢٩٦.

(٢) ورقة *335b*.

(٣) ص٢٧ [ص٦٨ ط/مصر].

(٤) ج١ ص١٧٨ في باب الحاء في شرح أحوال أبي عبد الله الشيعي «الحسين بن أحمد».

(٥) ص٣٨.

(٦) المخطوم في اللغة معناه الجمل إذا خطم أنفه، أو رسم على أنفه ووجهه علامة بالعرض تشبه الوسم، ويجوز أن أبا العباس المذكور كانت له مثل هذه العلامة على وجهه وجبهته.

(٧) نسخة باريس ورقة *335b*.

(٨) انظر ابن الأثير ج٨ ص١٩ في حوادث سنة ١٩٦، وابن خلّكان في شرح أحوال المهدي «عبيد الله» ج١ ص٢٩٤، واتعاظ الحنفا للمقريزي ص٤٤ [ص٩١ طبع مصر].

ظهور المهدي في سجلماسة أو بمعنى آخر تخليص أبي عبد الله الشيعي للمهدي وابنه القائم من [٣٥٤] حبس اليسع بن مدرار والي سجلماسة، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ وعلى النحو الذي سبق أن أشرنا إليه[١]، كان في السابع من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين، ولقد توجه المهدي في إثر ذلك من سجلماسة إلى رقادة من محال القيروان عاصمة بني الأغلب حيث جلس للخلافة رسميًا لتسع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين، ولقّب نفسه أمير المؤمنين المهدي، هذا هو الذي دعا بعض المؤرخين إلى تحديد بدء خلافته منذ يوم ظهوره في سجلماسة وخلاصه من حبس اليسع بن مدرار، ودعا البعض الآخر إلى تحديد بدء خلافته منذ يوم جلوسه بصفة رسمية في رقادة.

ص ١٥١ س ٦-٧:

«**وفي سنة اثنتين وثلاثمائة انتصر على بني الأغلب الذين كانوا ملوك المغرب... وقضى عليهم**»، ما ذكره الجويني في هذه الفقرة من أن انقراض بني الأغلب كان في سنة ٣٠٢ مخالف لإجماع المؤرخين – وكلهم بلا استثناء حدد تاريخ انقراض تلك السلسلة في سنة ست وتسعين ومائتين، إذ حدث في السنة نفسها ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة[٢] أن هرب آخر سلاطين تلك الطبقة من رقادة إلى مصر، وهو أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي[٣]، الذي لم يستطع الصمود لفتوحات أبي عبد الله الشيعي، وكانت جنوده قد وصلت حتى أسوار

---

(١) انظر فيما سبق، ص ٣٠١.

(٢) ابن عذارى ج١ ص١٤٤.

(٣) أيضا ص١٤٥.

عاصمته رقادة، ولم يطق تحمل المزيد من المقاومة وبه انتهت سلطنة تلك الطبقة من الملوك بعد أن حكموا في القيروان وتونس والجزء الرئيسي من شمال إفريقيا طيلة مائة واثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوما[1]، (فقد بدأ حكمهم يوم أن دخل إبراهيم بن الأغلب الجد الأعلى لهذه [٣٥٥] الطبقة القيروان في الثامن من المحرم سنة أربعة وثمانين ومائة هجرية[2] في خلافة هارون الرشيد)[3].

ص ١٥١ س٨:

«بلاد المغرب وإفريقية»، كان المؤلفون العرب يقصدون بالمغرب بمعنى أخص: مملكة مراكش[4] الحالية بالإضافة إلى جزء من الأقاليم الغربية للجزائر الحالية، أو بمعنى آخر، بالإضافة إلى مقاطعة وهران برمتها تقريبًا (وذلك في مقابل المغرب بالمعنى الأعم إذ كانوا يريدون به كل البلاد الواقعة غربي مصر)، وكانوا يريدون بإفريقية مملكة تونس الحالية بالإضافة إلى جزء كبير من المقاطعات الواردة شرقي الجزائر كان يمتد غربًا تبعًا لاختلاف الأحوال إلى بِجَاية[5] أحيانًا، وأحيانًا أخرى إلى

---

(١) ابن خلّكان في حرف الحاء في ترجمة أبي عبد الله الشيعي «الحسين بن أحمد» ج١ ص١٧٩.

(٢) ابن عذارى ج١ ص٨٣.

(٣) للمزيد من المعلومات عن أحوال زيادة الله هذا آخر ملوك بني الأغلب انظر ابن عذارى ج٢ ص١٢٨-١٤٦، وتاريخ ولاة مصر لمحمد بن يوسف الكندي ص٢٦٧، وابن الأثير في حوادث سنة ٢٩٦ ج٨ ص٨-٩، وابن خلّكان في الموضع المذكور في الحاشية (٣)، واتعاظ الحنفا ص٣٧ [ص٨٨ طبع مصر]، وتاريخ أبي الفدا ج٢ ص٦٣ [ص٦٩ طبع القسطنطينية].

(٤) *Maroc* (المملكة المغربية حاليًا).

*(5) Bougie*

مِلْيَانة(١)، وأحيانًا إلى تَنَس(٢). وكانت إفريقية تشتمل من الناحية الشرقية في بعض الأحيان على جزء من مملكة طرابلس الغرب أيضًا(٣).

ص ١٥١ السطر الأخير:

«أسماؤهم محمد بن أحمد بن وألقابهم الرضي والوفي والتقي».

ونورد فيما يلي الفقرة المعادلة لهذه العبارة في دستور المنجمين(٤): «الأئمة الثلاثة المستورين الممتحنين الصابرين(٥) [٣٥٦] في كتاب الله تعالى الرضي والوفي والتقي رضوان الله عليهم، منهم من أستوطن سلمية لما طلبه العباسية، ومسجده بها معروف ويقال [في] أسمائهم(٦) محمد بن أحمد وفي ألقابهم الرضي والوفي والتقي رضي الله عنهم إلخ».

وهكذا نلاحظ أن عبارة جهانگشا هي تقريبًا ترجمة حرفية للجملة الأخيرة من دستور المنجمين، ويطابق الكتابان المذكوران بعضهما بعضًا تمامًا ليس فقط في أسماء الأئمة الثلاثة المذكورين وألقابهم وترتيب ذكر تلك الأسماء والألقاب، ولكن أيضا في

---

*(1) Miliana*

*(2) Tenés*

(٣) انظر: معجم البلدان لياقوت، ومعجم ما استعجم لأبي عبيد البكري، وكتاب المُغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب للمؤلف نفسه في عناوين «مغرب» و«إفريقية». وسائر البلاد المذكورة في المتن، والخرائط والكتب الجغرافية الجديدة (القزويني). وانظر أيضًا حاشية الدكتور علي عبد الواحد وافي رقم ٩٤ب ص٢٢٣ من مقدمة ابن خلدون. (المترجم).

(٤) نسخة المكتبة الأهلية بباريس *Arabe 5968* ورقة *335a*.

(٥) كذا في الأصل في الكلمات الثلاث بالياء، والصواب «المستورون الممتحنون الصّابرون» بالرفع لأن هذه العبارة حتى رضوان الله عليهم «عنوان».

(٦) تصحيح قياسي، وفي الأصل إسلامهم.

سقط اسم الإمام الثالث سهوًا من المؤلف أو جهلاً من الراوي، وليس هذا التطابق الكامل بين الكتاب مقصورًا على هذا الموضع فحسب؛ بل يتضمن الجزء الثالث من جهانگشاه الخاص بالإسماعيلية -كما أشرنا إليه في مواضعه- كثيرًا من المعلومات المطابقة مطابقة النّعل للنّعل -والمتقاربة أحيانًا- لنص ما ورد في دستور المنجمين، بحيث يظهر بدرجة تدعو إلى الظن القريب من اليقين أنه إما أن يكون جهانگشا قد نقل هذه الفقرات مباشرة عن دستور المنجمين، وإما أن يكون كلاهما قد نقل عن مصدر مشترك. ولما كان دستور المنجمين، كما ذكرنا مرارًا من قبل من كتب الإسماعيلية النّزارية، وأُلّف في حدود الخمسمائة من الهجرة في حياة الحسن بن الصّبّاح[1]؛ أي بعد مائة وخمسين عامًا تقريبًا قبل تأليف جهانگشاي الجويني، فلا يستبعد على الإطلاق إذن أن يكون الجويني قد جعل الكتاب المذكور في حوزته، واقتبس منه طائفة من الاقتباسات في أثناء تأليف الجزء الثالث لجهانگشاي المتعلق بالإسماعيلية نقطة أخرى [٣٥٧] لن نمضي دون أن نذكرها، وهي أن النسخة الموجودة من دستور المنجمين، كما هو ظاهر من ملامحها في وضوح كامل، على نحو من القطع واليقين، هي النسخة الأصلية للمؤلف[2] وليست منسوخة عنها، إذن فمن المحتمل احتمالاً قويًا جدًا أن يكون الجويني قد حصل أصلاً على هذه النسخة الموجودة حاليًا، بمعنى أنه ربما كانت هذه النسخة من بين نسخ مكتبة ألموت الذائعة الصيت التي كانت قد وقعت في يد الجويني بعد فتح تلك القلاع على التفصيل المشروح في جهانگشا[3]، ولما لم تكن من بين الكتب الدينية والمذهبية لتلك الطائفة لم يتلفها بل استعان بها كما استعان ببعض المصادر الإسماعيلية الأخرى التي حصل

---

(١) انظر في تفصيل هذه الفقرات مقالة قيمة للغاية نشرها منذ مدة المستشرق الفرنسي المعروف المأسوف عليه كازانوفا تتعلق بدستور المنجمين، «المجلة الأسيوية»، بعنوان « ***Paul Casanova, Un nouveau manuscript de la secte de Assassins, dans Le Journal Asiatique, No. Janvier - Mars, 1922, PP. 126 - 135***» وأغلب المعلومات التي ذكرناها في هذا الفصل والتي تتعلق بوصف نسخة دستور المنجمين وتاريخ تأليفه ونحو ذلك مقتبسة من المقالة المذكورة.

(٢) انظر مقالة كازانوفا المشار إليها ص١٣٣.

(٣) انظر فيما سبق ص ١٧٤.

عليها من المكتبة نفسها مثل «سرگذشت سيدنا» وغيره في تأليف الجزء الثالث من جهانگشا.

**ص ١٥١ السطر الأخير:**

**«وألقابهم الرضي إلخ»** لم أعثر على ضبط هذه الكلمة في الموضع الذي نحن بصدده في أي مكان، ولكن يغلب على الظن، باستعمال قرينة المعادلة مع الوفي والتقي كلاهما بتشديد الياء على وزن فعيل، أن الرضي أيضًا على الوزن نفسه، بمعنى أنه ينبغي أن تكون بفتح الأول وتشديد الياء رِضَى (رِضَا) بكسر الأول وفتح الضاد وفي الآخر ألف مكتوبة بصورة الياء كما كررها دي خويه في رسالة «قرامطة البحرين» ص٥ و ٩[١]، ويبدو أن الرضا ليس مسموعًا كلقب لشخص معين، لا نعني بهذا ما يقال من أن فلانا كان يدعو إلى الرضا من آل محمد؛ إذ ليس الرضا لقب شخص معين في مثل هذه المواضع، عدا ما يتعلق بالإمام الثامن علي بن موسى الرِّضَا عليه السلام[٢].

**[٣٥٨] ص ١٥٢ س ١-٢:**

**«وقال المسلمون بولاية المغرب إن المهدي من أولاد عبد الله بن سالم البصري»**، لم أعثر على اسم عبد الله بن سالم البصري هذا في تاريخ الطبري ولا في ابن الأثير أو اتعاظ الحنفا والخطط وكلاهما للمقريزي، وقد ذكر الطبري المهدي في

---

*(1) Ar – Ridhá.*

(٢) السمعاني في كتاب الأنساب ورقة 255a ذكره وحده دون غيره تحت عنوان «الرضا»، وقد تخبط صاحبا القاموس وتاج العروس في هذا الصدد تخبطًا كثيرًا واضحًا ليس هذا موضع تفصيله، قارن ما تضمنه هذان الكتابان مع كتاب المشتبه للذهبي.

موضعين فقط[1] وهو يشير إليه في كلا الموضعين بـ «ابن البصري»، ولكن ذيل تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي طبع ليدن ص٥٢ [ص٢٧-٢٨ طبع المطبعة الحسينية بمصر] يقول:

«قال محمد بن يحيى الصولي حدثنا أبو الحسن علي بن سراج المصري، وكان حافظًا لأخبار الشيعة إن عبيد الله هذا القائم بإفريقية هو عبيد الله بن عبد الله بن سالم من أهل عسكر مكرم بن سندان الباهلي صاحب شرطة زياد ومن مواليه وسالم جدّه قتله المهدي على الزّندقة، قال: وأخبرني غير ابن سراج أن جده كان ينزل بني سهم من باهلة بالبصرة... وكان عبيد الله يُعرف أول دخوله القيروان بابن البصري».

ص ١٥٢ السطر الأخير:

«وكان **[أبو يزيد الخارجي] رجلاً مسلمًا وسنيَ المذهب تقيًا»**، أبو يزيد مَخْلَد بن كيداء الخارج على القائم الفاطمي الذي يدعوه المؤلف، من جراء التعصب والعداء للإسماعيلية أو من جرّاء الجهل وعدم المعرفة متدينًا سني المذهب تقيًا، كان بإجماع المؤرخين من الخوارج من شعبة النكارية، ومن أجل هذا عُرف بأبي يزيد الخارجي، وهذه بعض النصوص التي تشهد على هذا الزعم:

«وذكرنا في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدّهور السّوالف ما كان ببلاد إفريقية من الحروب والوقائع وخروج أبي يزيد مَخْلَد بن كيداد البربري الزناتي من بني يفرن الأباضي ثم النكاري في الإباضية وغيرهم» (التنبيه والإشراف للمسعودي ص٣٣٣-٣٣٥ باختصار) - «وأظهر أبو يزيد مذهب الإباضية فأقفل عنه الناس» (كتاب الفهرست ص١٨٧) - «وذلك لما دهمه من أبي يزيد مَخْلَد بن كيداد عند خروجه بالمغرب في

(١) تاريخ الطبري، السلسلة الثالثة، ص٢٢٩١، ٢٢٩٢.

أحزاب [٣٥٩] الكفر والنفاق والإباضية والنكارية المراق» (مسالك وممالك ابن حوقل ص٤٨ باختصار) - «وخالط أبو يزيد جماعة من النكارية فمالت نفسه إلى مذهبهم وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان» (ابن الأثير باختصار حوادث سنة ٣٣٣ ج٨ ص١٦٤ واتعاظ الحنفا ص٤٦) - «وكان هذا أبو يزيد مخلد بن كيداد رجلاً من الإباضية يظهر التزهّد» (ابن خلّكان ترجمة المنصور الفاطمي «إسماعيل» ج١ ص٨١) - «وكان أبو يزيد أحد الأئمة الإباضية النكار بالمغرب» (ابن عذارى ج١ ص٢٢٤) - «واشتهر عنه تكفير أهل الملة وسبّ عليّ» (تاريخ ابن خلدون ج٧ ص١٢).

وأما كلمة النكارية أو النكار[1] -كما يعرف من العبارات المتقدمة صراحة- فهي اسم لفرقة من الخوارج الإباضية، ولكني لم أعثر في أي موضع حتى الآن على ضبط هذه الكلمة ولا على وجه تسمية هذه الفرقة بهذا الاسم، واسم هذه الفرقة ليس مذكورًا على الإطلاق في مقالات الإسلاميين للأشعري، والملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، غير أن ابن حزم يقول في الملل والنحل في فصل الخوارج: «ولم يبق اليوم من فرق الخوارج إلا الإباضية والصفرية فقط... والعجاردة هم الغالبون على خوارج خراسان كما أن النكار من الإباضية[2] هم الغالبون على خوارج الأندلس».

---

(١) كلمة النكارية هذه مكتوبة في أغلب الكتب بياء النسبة ولكنها تشاهد أيضًا في بعض المصادر الأخرى مثل الملل والنحل لابن حزم ٤: ١٩١ وابن الأثير ٥: ١٦٦، وابن عذارى ١: ٢٢٤ «نكار» دون ياء النسبة.

(٢) يلاحظ من تصريح المسعودي وصاحب الفهرست وقد كانا معاصرين لهذه الوقائع أن أبا يزيد الخارجي كان من فرقة الإباضية، ويعد ابن حزم بصراحة أيضًا -كما مر- النكارية من فرق الإباضية، إذن فقول ابن خلدون بأن النكارية والصفرية فرقة واحدة من فرق الخوارج حيث يقول: «وخالط [أبو يزيد] النكارية من الخوارج وهم الصفرية فمال إلى مذهبهم» (تاريخ ابن خلدون ج٤ ص٤٠) هو بلا شك سهو واضح من ذلك المؤلف.

**[٣٦٠] ص١٥٣ السطر قبل الأخير:**

**«وقد توفي كافور في السنة نفسها أي سنة ثمان وخمسين»**، كانت وفاة كافور الإخشيدي على القول المشهور سنة ست وخمسين وثلاثمائة؛ وبقول في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وبقول آخر في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة أي قبل قدوم جوهر إلى مصر في الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة – بسنة واحدة على أقل التقديرات وبثلاث سنين على أكثرها[1]. وقد اضطربت أحوال مصر بوفاة كافور مما أدى إلى تدخل الفاطميين وإرسال المعزّ غلامه جوهرًا إلى تلك البلاد، إذن فالفقرات التي تتعلق بقدوم جوهر إلى مصر في حياة كافور وخطبة كافور في مصر باسم المعزّ ووفاة كافور في سنة ٣٥٨ باطلة كلية وهي سهو واضح ومن جملة الخبط المتعدد المتزايد للمؤلف الذي لا تخلو منه تقريبًا صفحة من صفحات هذا الفصل الخاص بالفاطميين.

**ص١٦٠ س ٦:**

**ابن دواس**، كتب ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المُغرب في أخبار المَغرب ج١ ص٢٨٢ اسم ولقب هذا القائد المعروف للحاكم بأمر الله على هذا النحو: «سيف الدولة ذي المجدين حسين بن علي الكناني» والكناني من دون شك تصحيف «الكتامي» بدليل تصريح النجوم الزاهرة طبع مصر ج٤ ص١٨٥: «سيف الدولة ابن دواس من شيوخ كتامة» وتصريح تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي أيضًا ص٢٣٨: «حسين بن دواس الكتامي».

---

(١) انظر تاريخ ولاة مصر للكندي طبع أوقاف جب ص٢٩٧، وابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٦-٣٥٨، ج٨ ص٢٢٩، ٢٣٢، وابن خلّكان في ترجمة حال كافور ج٢ ص٣٠٢، وابن عذارى ج١ ص٢٣٦، والخطط للمقريزي ج٣ ص٤١-٤٣.

ص ١٦٦ س ٢:

الرضيّ، هو لقب السيد الرضيّ المعروف أخو السيد المرتضى. والرضيّ على ما هو مشهور على الألسنة، بفتح راء وكسر ضاد ثم تشديد ياء على [٣٦١] وزن فعيل، وفضلاً عن شهرة هذا النطق فقد ضبطه الذهبي في كتاب المشتبه ص٢٦٦ [ص٣١٩ ج١ طبع مصر] أيضًا بصراحة ووضوح بالتثقيل (يعني بتشديد الياء)، ومع ذلك كله قرأ دي خويه هذه الكلمة وكتبها في رسالة «قرامطة البحرين» ص١١ خمس مرات في الموضع الذي نحن بصدده الرضيّ[١] بكسر راء ثم فتح ضاد وفي الآخر ألف مكتوبة بصورة الياء[٢].

ص ١٦٦ س ٢-٣:

الشيخ أبو حامد الإسفراييني، هو الشيخ أبو حامد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني الفقيه من أشهر مشاهير فقهاء الشافعية، انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا في بغداد في عصره، ويقال: إن مجلس درسه كان يحضره ما يقرب من سبعمائة فقيه[٣]، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وتوفي ببغداد ليلة السبت لإحدى عشرة بقيت من شوال سنة ست وأربعمائة[٤].

ص١٦٦ س٣:

أبو الحسن القُدُوري، كذا في جميع نسخ هذا الكتاب مكبّرًا، والصواب هو «أبو الحسين» بالتصغير وأبو الحسن تصحيف من النساخ، وهو أبو الحسين أحمد

---

*(1) Ar-Ridhâ.*

(٢) انظر نظير هذا السهو للمستشرق نفسه ص٣٥٧ من الكتاب المذكور وما يقابلها من الترجمة.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج٤ ص٣٦٩.

(٤) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٤ ص٣٦١-٣٧٠، وأنساب السمعاني ورقة *33b*، ومعجم البلدان في «إسفرايين»، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٦ ج٩ ص١٨، وابن خلّكان في حرف الألف «أحمد» ج١ ص١٩-٢٠، وطبقات الشافعية للسبكي ج٣ ص٢٤-٣١.

ابن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه البغدادي المعروف بالقدُوري بضم قاف نسبة إلى القدور جمع قدر، من مشاهير أئمة الحنفية وصاحب كتاب مشهور في فروع الحنفية معروف بمختصر القدوري[١]، كُتبت عليه شروح لا تُعد ولا تُحصى، انتهت إليه رئاسة الحنفية في بغداد، وكانت ولادته [٣٦٢] سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وتوفي يوم الأحد الخامس من رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ببغداد[٢].

**ص ١٦٦ س٣:**

**أبو محمد بن الأكفاني**، هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن جعفر بن عامر الأسدي المعروف بابن الأكفاني الحنفي قاضي بغداد، يقال: إنه أنفق مائة ألف دينار على أهل العلم. ولد في سنة خمس عشرة وثلاثمائة وتوفي ليلة الجمعة لعشر بقين من صفر سنة خمس وأربعمائة ببغداد. وأكفاني بفتح الألف منسوب إلى الأكفان جمع كفن إذ يبدو أن أحد أجداده كان بائع أكفان[٣]، توفي فجأة ليلة الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة وعمره يربو على الثمانين[٤].

---

(١) انظر كشف الظنون تحت العنوان نفسه.

(٢) انظر تاريخ بغداد للخطيب ج٤ ص٣٧٧، وأنساب السمعاني ورقة *444b* (وأبو الحسن هنا أيضًا تصحيف لأبي الحسين)، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٨ ج٩ ص١٨٩، وابن خلكان في حرف الألف «أحمد» ج١ ص٢١-٢٢، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لعبد القادر ابن محمد القرشي المصري طبع حيدر آباد الدكن ج١ ص٩٣-٩٤.

(٣) انظر تاريخ بغداد ج١٠ ص١٤١-١٤٢، وأنساب السمعاني ورقة *47b* (خمسين وأربعمائة) في تاريخ وفاته تصحيفًا لـ «خمس وأربعمائة»، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٥ ج٩ ص٩٨، والنجوم الزاهرة في حوادث السنة نفسها طبع مصر ج٤ ص٢٣٧.

(٤) انظر تاريخ بغداد ج٥ ص٤٧٦، وأنساب السمعاني ورقة *99a*، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٢٤ ج٩ ص١٨٠، وطبقات الشافعية للسبكي ج٣ ص٦٣.

[٣٦٣] ١٦٨ س٤:

**فإنها خطرات إلخ**، المشهور أن هذا البيت وبيتًا قبله لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي المعروف في هجاء الصاحب بن عباد وهما:

**لا تَحمدنَّ ابن عبَّاد وإن هَلَكَتْ يَداهُ بالجُودِ حتّى أَخْجلَ الدِّيَمَا**

**فإنّها خَطِراتٌ من وَسَاوِسِه يُعطي ويَمنعُ لا بُخْلاً ولا كَرَمًا**

ولكن ابن خلّكان يقول في شرح حال أبي بكر الخوارزمي المذكور (ج٢ ص١٠٣) نقلاً عن معجم الشعراء للمرزباني: إن البيت الذي نحن بصدده يعني فإنها خطرات إلخ من أبيات لمعاوية بن سفيان المشهور بأبي القاسم الأعمى من شعراء بغداد في هجاء الحسن بن سهل وزير المأمون هكذا:

**لا تَحمدنَّ حَسَنًا في الجُودِ إن مطَرتْ كَفَّاهُ غَزْرًا ولا تَذْمُمْه إن زَرِمَا**

**فَليس يمنعُ إبْقاءً عَلى نَشَبٍ ولا يَجود لفضلِ الحَمدِ مُغْتَنما**

**لكنّها خطراتٌ من وَسَاوِسِه يُعطي ويَمْنَعُ لا بُخْلا ولا كَرَما**

ويقول راقم السطور: إن الصواب ينبغي أن يكون بلا شك هو القول الأخير نفسه، ويبدو أن أبا بكر الخوارزمي كان قد استعمل البيت المذكور بين أشعاره الخاصّة على سبيل التضمين وإيراد الأبيات المشهورة للقدماء ضمن أشعاره الخاصة بحيث تجيء لطيفة الوقع مناسبة تمامًا، وقد عدد الثّعالبي في يتيمة الدهر ج٤ ص١٣٠-١٣٧ في ترجمته عددًا كبيرًا من هذا النوع من تضميناته المستحسنة التي تعد في الواقع سائغة ورائعة للغاية.

ص١٦٨ س٩:

«ولقبه المستعلي بالله»، ما يقوله المؤلف من أن المستنصر لقّب ابنه الأكبر نزار بالمصطفى لدين الله، ثم خلعه من ولاية العهد وجعل ابنه الآخر أبا القاسم أحمد وليا للعهد ولقبه المستعلي بالله إنما هو سهو وخطأ، ويُجمع المؤرخون على أنه بعد وفاة المستنصر بالله [٣٦٤] الفاطمي قام وزيره أمير الجيوش شاهنشاه ابن بدر الجمالي المعروف بالأفضل؛ بسبب ما كان بينه وبين نزار ولي عهد المستنصر من سوء تفاهم بخلع نزار من ولاية العهد، ونصب أخاه الأصغر أحمد خليفة، ولقّبه المستعلي بالله، وقد فرّ نزار إلى الإسكندرية فبايعه أهلها وواليها ناصر الدولة أفتكين ولقبوه المصطفى لدين الله، ثم إن أمير الجيوش الأفضل المذكور جرّد جيشًا إلى الإسكندرية لقتال نزار وأفتكين وأسرهما ثم قتلهما، وشرح هذه الوقائع مشهور للغاية ومذكور بالتفصيل في كتب التواريخ وليست بنا حاجة هنا إلى مزيد من التوضيح في هذا الصدد[1]، ولكن العجيب في الواقع هو أنه على الرغم من شهرة هذه المعلومات ووفرة المصادر المتعلقة بها فقد ظهر للمؤلف في كل قدم في هذا الفصل الكثير من أمثال هذه الأخطاء في تلك المواضيع.

ص١٦٩ س٨:

«وهرب نزار مع ولديه من المستعلي»، لم أعثر في أي كتاب من كتب التاريخ المتداولة التي في متناول يدي مثل ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وابن

---

(١) انظر تاريخ ابن القلانسي طبع بيروت ص١٢٨، وابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٧ ج١٠ ص٩٨، وابن خلكان ج١ ص٢٣٩ في ترجمة أحوال الأفضل «شاهنشاه»، وتاريخ ابن ميسّر ص٣٤-٣٥، والخطط للمقريزي ج٢ ص٢٧٦-٢٧٧، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ج٢ ص٢٩٩-٣٠٠.

الأثير وتاريخ ابن ميسر وأخبار ملوك بني عبيد لابن حماد وابن خلّكان ونهاية الأرب للنويري[1] وتاريخ أبي الفدا والخطط للمقريزي والنجوم الزاهرة لابن تغري على أن نزارًا فرّ من مصر إلى الإسكندرية حاملاً معه ابنيه[2]، ولكن الواضح أن عدم الوجدان لا يدل على [٣٦٥] عدم الوجود، وهناك احتمال قوي بأن الجويني كان قد نقل هذه الفقرة من مصادر الإسماعيلية النزارية أنفسهم التي حصل عليها بعد فتح قلاعهم، خاصة وأن نزارًا كان له فعلاً ولدان بتصريح دستور المنجمين[3] أحدهما معروف بالأمير أبي عبد الله حسين والآخر الأمير أبو حسن، فلا يستبعد إذن على الإطلاق أن يكون قد أخذ ابنيه أيضًا في رفقته أثناء فراره إلى الإسكندرية.

ص ١٧٠ س ١-٢:

**«ولما لم يكن [يعني الآمر بأحكام الله] قد أعقب ولذا فقد جعل ابن عمه أبا الميمون عبد المجيد بن محمد [الملقب بالحافظ لدين الله] وليًا للعهد»**، هذه الفقرة سهو من المؤلف لأن الآمر بأحكام الله لم يجعل الحافظ وليًا لعهده، بل إن الآمر لما قتل لم يكن له أولاد ذكور، فأذيع بين الناس أن إحدى زوجاته حملت منه وكان الآمر قد نصّ على الحمل، لهذا بايع الناسُ الحافظَ، بعد وفاة الآمر بصفة مؤقتة، بولاية

---

(١) النسخة الخطية بالمكتبة الأهلية بباريس (عربي ١٥٧٧)، ص٦١-٦٢.

(٢) غير أن جامع التواريخ الجزء المتعلق بالإسماعيلية (نسخة باريس *Suppl pers 1364* ورقة *53b* المعادلة (ص٦١ نسخة براون) تعرض لذكر هذه الفقرة، ولكن لما كان جامع التواريخ قد نقل أغلب هذه الفصول فيما يبدو من جهانگشا فلا يمكن اعتباره سندا مستقلاً بذاته.

(٣) ابن خلّكان ج١ ص٣٣٦ في ترجمة حال الحافظ.

العهد وبالنيابة عن الحمل المنتظر في السلطنة لا بالإمامة مستقلة، ثم عرف بعد ذلك بأن الحمل كان بنتا[1] فاستقلّ الحافظ بالخلافة[2].

**[٣٦٦] ص ١٧٠ س ٤:**

«**الظافر**» اللقب الكامل لهذا الخليفة هو الظافر بأمر الله[3] والظافر بالله التي تُشاهد في بعض المواضع سهو أو تخفيف واختصار، وهو أبو منصور إسماعيل ابن الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد[4].

**ص ١٧٠ س ٥:**

«**عباس بن تميم**»، نسبة إلى جده، وهو أبو الفضل عباس بن أبي الفتوح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باريس الصنهاجي وزير الظافر بأمر الله، وما يقوله المؤلف من أن العباس المذكور قتل الظافر يقصد به بلا شك أنه كان المحرّض على قتله وليس هو قاتله مباشرة، لأن الحقيقة أن ولد العباس المسمى نصرًا قام بتحريض

---

(١) انظر تاريخ ابن القلانسي ص٢٢٨-٢٢٩، وابن الأثير في حوادث سنة ٥٢٥ ج١٠ ص٢٨٣، وابن خلّكان في ترجمة حياة الحافظ «عبد المجيد» ج١ ص٣٣٥-٣٣٦، ومختصر الدول ص٣٥٣، وابن ميسّر ص٧٤، وأبا الفدا ج٣ ص٤، والخطط للمقريزي ج٢ ص١٧٢-١٧٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ج٣ ص١-٥، وما قلناه من أن الأمر لم يكن له أولاد ذكور مطابق لأقوال جمهور المؤرخين ولكن ابن ميسّر ص٧٢-٧٤ خلافًا لجميع المؤرخين الآخرين يقول: إن الآمر ولد له ولد قبل وفاته بتسعة أشهر فجعله وليًا للعهد ولكن الحافظ أخفى هذه المسألة عن عامة الناس بعد قتل الآمر.

(٢) انظر ابن القلانسي ص٣٠٨، ٣٠٩، وابن الأثير ١١: ٦٤، وابن ميسّر ص٨٩-٩٣، وابن خلّكان ج١ ص٨٢ في ترجمة الظافر «إسماعيل»، ومختصر الدول ص٣٦٠، وأبا الفدا ٣: ٢١، وصبح الأعشى ١٣: ٢٣٧، والخطط للمقريزي ٢: ١٧٣ و٣: ٨٩، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٥٣.

(٣) ابن ميسّر ص٩٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٩.

(٤) النجوم الزاهرة، أيضًا.

كل من أبيه وأسامة بن منقذ المعروف صاحب كتاب الاعتبار بقتل الخليفة الظافر مكرًا وغيلة في الخفاء في منتصف أو في سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وفي صبيحة ذلك اليوم قتل عباس المذكور الأخوين الآخرين للظافر، وهو أبو الأمانة[1] جبريل وأبو الحجاج[2] يوسف درءًا للشبهة عن نفسه، بتهمة قتلهما أخاهما، ثم إنه اضطر بعد ذلك، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ، إلى الفرار من القاهرة إلى الشام مع ابنه نصر وأسامة بن منقذ الذي سبق ذكره، وفي عرض الطريق كمن جنود الفرنج، وكانت أسرة الظافر قد استدعتهم، وقبضوا على العباس ومرافقيه وقتلوه وأسروا ابنه نصرًا وأرسلوه في قفص من الحديد إلى القاهرة، فقتله بها أهل مصر بأشد أنواع العذاب، ولقد سلم أسامة بن منقذ من هذا المأزق ونجا بنفسه وهرب إلى الشام، وتفصيل هذه الوقائع [٣٦٧] المحزنة مذكور في كتب التواريخ المتداولة كافّة مثل ابن الأثير وابن خلّكان وابن ميّسر وغيرها[3]، وأكثرها تفصيلاً أسامة بن منقذ نفسه في كتاب الاعتبار[4] من تأليفاته (طبع لَيدن ص١٣-٢٢) [طبع فيليب حتى

---

(١) ابن ميسّر ٩٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٦.

(٢) النجوم الزاهرة أيضًا.

(٣) انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٩ ج١١ ص٨٦-٨٧، وتاريخ ابن ميسّر ص٩٢-٩٥، وابن خلّكان في ترجمة الظافر «إسماعيل»، والفائز «عيسى» ج١ ص٨٢ و٤٣-٤٣٢، وتاريخ أبي الفدا ٣: ٢٨ [ص٢٩-٣٠ طبع القسطنطينية]، والخطط للمقريزي ٣: ٤٦-٤٨، ص٨٩-٩٠، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٤٦-٥٣.

(٤) كتاب الاعتبار عبارة عن تفصيل أحوال وسيرة الوقائع الشخصية لأسامة بن منقذ من أمراء الشام المعروفين وصاحب قلعة شيزرة. (انظر في ترجمة حياته معجم الأدباء ج٢ ص١٧٣-١٩٧، وابن خلّكان ج١ ص٦٦-٦٨) وقد صاغها وضمنها إشارته إلى كثير من الحوادث التاريخية المعاصرة له مثل الحروب الصليبية وبعض الوقائع المتعلقة بأواخر دورة الخلفاء الفاطميين في مصر وغيرها فتكوّن من هذه الملاحظات كتاب قيم جدًا وممتع. وقد طبع المتن العربي للكتاب المذكور مع ترجمة فرنسية باهتمام هرتويج درونبورج ***Hartwig Derenbourg*** المستشرق الفرنسي في سنتي ١٨٨٤-١٨٨٩ في ليدن وباريس، وكانت وفاة أسامة بن منقذ المذكور في سنة ٥٨٤ (القزويني). وعلى أثر ظهور ترجمة درونبورج الفرنسية ظهرت ترجمة ألمانية بقلم شومان (نيربروكر ١٩٠٥) ***(Gerg Schumann, Usama ibn munkidh mamorien*** وترجم فيليب حتى الكتاب إلى الإنجليزية في سنة ١٩٢٩ بعنوان ***An Arab – Syrian Gentelman and Warrior in the period of the Crusades*** طبع نيويورك، كما قام في السنة التالية مباشرة (١٩٣٠) بنشر المتن العربي مرة أخرى عن مخطوطة الإسكوريال مع مقدمة ضافية (المترجم).

ص١٨-٢٩] فقد أورد بالتفصيل القضايا التي كان هو نفسه شاهد عيان لها بل وطرفًا فيها، ولكن الواضح أنه لم يتفوّه بحرف عن أنه تدخل أدنى تدخل في هذه الأمور أو أنه كان هو نفسه المهيج الأساسي لهذه الفتن[١]، ويبدو الشرح الذي ينقله أسامة بن منقذ عن قتل يوسف وجبريل أخوي الظافر الفاطمي على يد عباس بن تميم المذكور في حضوره وتحت بصره مؤثّرًا للغاية[٢].

[٣٦٨] ص ١٧٠ س ٨:

**العاضد لدين الله**، هو لقب هذا الخليفة طبقًا لسائر كتب التواريخ المتعلقة بهذا الاسم والمذكورة في المتن، و«العاضد بالله» المذكور عدة مرات في النجوم الزاهرة (طبع ليدن ج٣ ص٨٣ وما بعدها) سهو من مؤلفه، وهو أبو محمد عبد الله ابن أبي الحجاج يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، وأبوه يوسف هو أخو الخليفة الظافر، ولكنه لم يتول الخلافة، ويوسف هذا هو الذي قام عباس بن تميم الصنهاجي وزير الظافر –على التفصيل السابق ذكره– بقتله هو وأخاه أبا الأمانة جبريل بعد أن قتل الظافر، وتاريخ أحوال العاضد، الذي كانت فترة خلافته

---

(١) انظر ابن ميسّر ص٩٣، وابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٩ ج١١ ص٨٦، وابن خلّكان ١: ٤٣١ في ترجمة حال الفائز «عيسى»، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣: ٤٩-٥٠، والخطط للمقريزي ٣: ٤٧.

(٢) للمزيد من المعلومات عن شرح حال عباس بن تميم صاحب الترجمة – بالإضافة إلى المصادر المذكورة في المتن – انظر تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٥٤٤ و٥٤٨ ج١١ ص٦٤، ٨٣، وابن خلّكان ج١ ص٤٠٧، ج٢ ص٣٨٦ في تراجم أحوال علي بن السلار المعروف بالملك العادل زوج أم عباس المذكور وجده يحيى بن تميم الصنهاجي، وكتاب المقفى للمقريزي في باب العين والباء الموحدة (نسخة المكتبة الأهلية بباريس بخط المقريزي نفسه *Arabe 2144*). وقد ورد اسم صاحب الترجمة محرفًا عيّاش بياء مثناة تحتانية وشين في صبح الأعشى ج١٣ ص٢٤٢، ٢٤٣.

تموج بالفتن والاضطرابات والذي في عهده لاحت ملامح الانقراض على أحوال تلك الطبقة من كل ناحية، مذكور بالتفصيل في سائر كتب التواريخ سواء في تاريخ الفاطميين أو في تاريخ صلاح الدين الأيوبي مؤسس دولة الأكراد الأيوبية التي استقرت في مصر بدلاً من الفاطميين، وليست بنا حاجة هنا لاستقصاء المصادر في هذا الموضوع، إلا أننا على الرّغم من ذلك نشير فيما يلي إلى عدد من المصادر المشهورة: انظر من بينها ابن الأثير في مواضع متفرقة في حوادث ٥٥٥-٥٦٧، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي طبع مصر في حوادث السنتين المذكورتين ج١ ص١٢٤-٢٠٣ (أكثر شرحًا وتفصيلاً). وابن خلّكان في تراجم أحوال العاضد «عبد الله» وصلاح الدين الأيوبي «يوسف» (أكثر شرحًا وتفصيلاً)، و«شاور» و«شيركوه»، وتاريخ أبي الفرج ج٣ ص٣٧ [ص٣٩ طبع القسطنطينية]، ومختصر الدّول ص٣٦٨، والخطط للمقريزي ج٢ ص١٤١، ١٧٣، والنجوم الزاهرة طبع ليدن ٣/٨٣-١٣٠.

**[٣٦٩] ص ١٧١ س٣:**

«**في أوائل سنة أربع وخمسين وخمسمائة**»، كُتب هذا التاريخ في هذا الموضع هكذا في كل نسخ جهانگشا كما قلنا في حواشي ذيل الصفحات، وذلك بلا شك خطأ فاحش من الناسخ، أو طغيان قلم من المؤلف نفسه. والصواب «سنة أربع وستين وخمسمائة» كما صححناه في المتن بين قوسين: **أولاً**: بدليل تصريح جميع المؤرخين بلا استثناء، وبلا أدنى خلاف، بأن هذه الوقائع المشار إليها في المتن، أي قدوم عساكر الفرنج إلى مصر ومحاصرة القاهرة واستعانة المصريين بنور الدين محمود بن زنگي سلطان بلاد الشام وإرساله أسد الدين شيركوه بعساكر الشام إلى

مصر (في المرة الثالثة) لإعانة المصريين، قد وقعت كلها في سنة ٥٦٤. انظر بين هذه المصادر ابن الأثير ج١١ ص١٥٠، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ج١ ص١٥٤، فقد حدد كلاهما تاريخ شروع عساكر الفرنج في محاصرة مصر في العاشر من صفر من السنة المذكورة بمعنى أنهما حددا حتى الشهر واليوم أيضًا، انظر أيضًا ابن خلّكان في شرح حال صلاح الدين الأيوبي «يوسف» ج٢ ص٥٥٨-٥٥٩، والخطط للمقريزي ج٢ ص١٤١-١٤٤، ١٧٤-١٧٦، وغير ذلك من كتب التواريخ.

**ثانيًا:** بدليل تصريح المؤلف نفسه[١] في ص١٨٤ بأن شيركوه وصل إلى القاهرة في السابع من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة، وواضح أنه لو كان قدوم عساكر الشام إلى مصر طبقًا لنسخ جهانگشا قد حدث في سنة ٥٥٤، إذن لأصبح من اللازم أن يكون الفرق بين قدوم عساكر الفرنج إلى مصر ومحاصرة القاهرة وقدوم عساكر الشام إليها لمدد المصريين هو عشر سنوات بتمامها! والواقع أن المؤرخين يتفقون على أن قدوم عساكر الشام إلى مصر حدث بعد قدوم عساكر الفرنج إليها بشهرين؛ لأن [٣٧٠] الفرنج شرعوا في محاصرة القاهرة في العاشر من صفر سنة أربع وستين وخمسمائة، وكان وصول أسد الدين شيركوه بعساكر الشام إلى الديار المصرية في أواخر ربيع الأول[٢] من السنة نفسها، وكان وصوله إلى القاهرة،

(١) وأيضًا تصريح أبي شامة في كتاب الروضتين ج١ ص١٥٦، وابن خلّكان ج٢ ص٥٥٩ في ترجمة حال صلاح الدين الأيوبي.

(٢) لأن قتل شاور حدث بتصريح أبي شامة ١: ١٥٨ بعد ثمانية عشر يومًا من قدوم عساكر الشام إلى مصر، وكان قتل شاور كما سيأتي ذكره في ١٧ ربيع الأخر؛ فمن الواضح إذن أن قدوم عساكر الشام إلى مصر حدث في ٢٩ أو ٣٠ ربيع الأول.

كما قلنا، في ٧ من ربيع الآخر، إذن فخطأ المتن من أوضح الواضحات، ولا جدوى من إطالة الكلام أكثر من هذا في ذلك الصّدد.

ولا يغيب عن البال أن عساكر الشام من قِبل نور الدين محمود بن زنگي قدمت إلى مصر ثلاث مرات بقيادة أسد الدين شيركوه: المرة الأولى في شهر رجب سنة تسع وخمسين وخمسمائة، والثانية في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وخمسمائة، والمرة الثالثة (وهي موضع بحثنا) في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة كما ذكرنا، وفي كل مرة من هذه المرات الثلاث كان عساكر الفرنج أيضًا يقدمون إلى مصر بعد قدوم هؤلاء أو قبله بفترة قليلة، ولم يحاصر الفرنج مصر في المرة الأولى والثانية؛ لأن عساكر الفرنج لم تأت في هاتين المرتين بغية محاربة المصريين، بل قدمت بناءً على استدعائهم وطلبهم لدفع عساكر الشام ولمحاربة أسد الدين شيركوه كما هو مشروح في كتب التواريخ، ولكن جيش الفرنج قدم إلى مصر في المرة الثالثة قاصدًا محاربة المصريين ومحاصرة القاهرة، فاستعان المصريون في هذه المرة بنور الدين ابن زنكي سلطان الشام لدفع الفرنج، حتى إن العاضد الخليفة أرسل شَعر نسائه في جوف مكاتباته لنور الدين وأقسم على أن: «هذا شَعر نسائي اللاتي يستغثن بك في قصري حتى تحضر وتخلصهن من مخلب الفرنج»، فأرسل نور الدين محمود أيضًا، كما هو معلوم، جيشًا جرارًا إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي [٣٧١] المعروف الذي كان حاضرًا في صحبة عمّه كذلك في ذلك الجيش، فقدموا إلى مصر وأضعفوا قوة الفرنج في تلك البلاد وأخرجوهم من ديار مصر، إلا أنهم حلوا محلهم وقضوا كلية على الخلافة الفاطمية التي استمرت في تلك الديار طيلة مائتين وسبعين سنة.

ص ١٧١ س ٥:

**«وكان شابور وزير العاضد»** اسم وزير العاضد هذا، كما قلنا في حواشي ذيل الصفحات، مذكور في جميع نسخ جهانگشاي في جميع المواضع في هذا الفصل باطّراد وبلا استثناء: شابور (أو سابور بسين مهملة)، واتفاق جميع النسخ الخطية الاثنتا عشرة في جميع المواضع على هذا الإملاء يدل دلالة قطعية على أن كتابة هذه الكلمة بهذه الصورة في الموضع الذي نحن بصدده لم تكن من آثار تصحيف النساخ أو سهوهم، بل إن المؤلف نفسه كان يكتب الكلمة ويقرؤها عالمًا عامدًا على هذا النحو، وكان يخيل إليه قطعًا أن الكلمة تعريب لشاپور الفارسية، وفضلاً عن جهانگشاي، يُكتب اسم هذا الوزير العربي القحّ المصري الخالص من قبيلة بني سعد في أغلب كتب التواريخ المتأخرة مثل تاريخ گزيده، وروضة الصفا وحبيب السير ولبّ التواريخ وجهان آرا بوضوح كامل في جميع المواضع «شاپور» بباء فارسية! ولكن نظرا لأنه لا مجال للشك تقريبًا في أن المصدر الذي اعتمدت عليه جميع الكتب المذكورة في هذا الإملاء هو الكتاب الحاضر، يعني جهانگشاي الجويني، فواضح إذن أننا لا يمكن أن نعد هذه الكتب إسنادًا منفصلاً مستقلاً.

لكننا إذا تركنا الكتب الفارسية المذكورة ونظرنا في سائر كتب التواريخ التي ألفت باللغة العربية، أو بمعنى آخر مؤلفات أهالي مصر والشام عمومًا التي تعدّ بالطبع أكثر معرفة بأوضاع وأحوال صاحب الترجمة من حيث كونه مصريًا، مثل معجم الأدباء لياقوت، والكامل لابن الأثير، وتاريخ مصر لابن ميسّر، والوفيات لابن خلّكان، ومختصر الدول لابن العبري، وتاريخ أبي الفداء، ودول الإسلام للذهبي [٣٧٢]، وصبح الأعشى للقلقشندي، والخطط للمقريزي، والنجوم الزاهرة لابن تغري

بردي، وحسن المحاضرة للسيوطي، وتاريخ مصر لابن إياس[١] وأفضلها جميعًا كتاب النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية تأليف عمارة اليمني الشاعر المعروف، ومن أخص أصدقاء صاحب الترجمة، وكذلك في أشعار الشعراء المعاصرين له مثل عمارة اليمني المذكور، والعماد الكاتب الإصفهاني[٢] وعرقلة الدمشقي[٣] والقاضي المهذب الأسواني[٤]، خلاصة القول: إن اسم وزير العاضد هذا يرد في جميع المصادر المذكورة[٥] في جميع المواضع مضطردًا وبصفة عامة «شاور» بشين معجمة بعدها ألف وواو واحدة[٦]، وفي الآخر راء مهملة، فضلاً عن ضرورة نطق هذه الكلمة في أشعار معاصريه على مقتضى الوزن العروضى بواو واحدة متحركة (وليس بواوين مثل داود وطاوس وأمثالهما) على منوال البيت التالي لعمارة اليمني:

ضَجِرَ الحَديدُ من الحَديدِ وشَاوَر مِن نَصْرِ دينِ مُحمّدٍ لَمْ يَضْجَرِ

حَلَفَ الزَّمانُ لَيأتِينَّ بِمثْله حَنِثَتْ يَميُنك يا زمانُ فَكَفِّرِ

---

(١) سوف تكون الإحالة إلى أرقام صفحات سائر هذه المصادر موجودة في آخر هذا الفصل في ثبت المصادر، فليكن الرجوع إليها.

(٢) كتاب الروضتين ج١ ص١٥٩.

(٣) أيضًا ١: ١٥٧، وتاريخ أبي الفدا ج٣ ص٤٦ [ص٤٧ طبع القسطنطينية].

(٤) معجم الأدباء ج٣ ص١٦١.

(٥) الاستثناء الوحيد من هؤلاء جميعًا يبدو في تاريخ ابن حماد على الشرح الوارد فيما بعد.

(٦) اسم هذا الوزير الذي نحن بصدده مذكور في جامع التواريخ، الجزء الخاص بالإسماعيلية، نسخة المكتبة الأهلية بباريس (*Supple Pers, 1364*) ورقة *62a* وما بعدها في جميع المواضع (شاوور) بواوين ولكن نسخة المرحوم براون من الكتاب نفسه ص٧٠-٧١ (شاور) طبقًا لسائر المصادر العربية. [«شاور» أيضًا في طبعة طهران لهذا الجزء من جامع التواريخ].

ونشاهد كثيرًا من القصائد المنظومة في مدح صاحب الترجمة وإخوته [٣٧٣] وأبنائه في ديوان عمارة اليمني[١]، وكلمة «شاور» مكررة بكثرة بالطبع في أشعاره، ويجوز أن تكون هذه الكلمة قد ذكرت أكثر من خمسين مرة في ديوانه وهي مذكورة في كل المواضع على النمط المشاهد في البيت السابق بواو واحدة متحركة على وزن فاعل ليس بواوين على وزن فاعول مثل داود وطاوس، ونطق اسمه يرد على المنوال نفسه في جميع أشعار سائر المعاصرين وسوف نقدم نموذجًا من تلك الأشعار فيما بعد.

وعلى الرغم من أنني لم أستطع العثور في أي موضع على كيفية ضبط حركة الواو في هذه الكلمة، فيما يتعلق بصاحب الترجمة[٢]، هل هي فتحة أو ضمة أو كسرة، فإن كثيرًا من المصادر التي سبق ذكرها مثل النكت العصرية لعمارة اليمني، وديوان أشعاره وكلاهما طبع باريس، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي النسخة الخطية القديمة بالمكتبة الأهلية بباريس[٣]، حركت هذه الكلمة غالبًا بضبط القلم شاور بفتح الواو، وقد وردت كذلك تمامًا في صبح الأعشى المطبوع طبعة مصححة مضبوطة بدار الكتب

---

(١) طبعت مختارات من ديوان عمارة اليمني مع كتاب «النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية» للمؤلف نفسه، وهو الذي سبق أن أشرنا إليه، باهتمام المستشرق الفرنسي هرتويج درونبورج في سنتي ١٨٩٧-١٩٠٢م في باريس في مجلدين بالعنوان الآتي:

*Oumara du yamen, sa vie et son par Hartwig Derenbourg, Paris, 1897-1902, 2 tomes.*

(٢) أما فيما يختص بغير صاحب الترجمة فقد ضبط بنو شاور على أنه اسم قبيلة من قبائل همْدان في تاج العروس في مادة (ش و ر). ولا يغيب عن البال أن اسم شاور من الأعلام النادرة للغاية ولم يشاهد راقم السطور مثل هذا الاسم على الإطلاق في أي كتاب من كتب التواريخ المتداولة ومعاجم الرجال والطبقات وغيرها التي في متناول يدي على الرغم من الفحص الشديد إلا في الموضعين المذكورين.

(٣) تحت رقم *Arabe 1780*.

المصرية ج١٠ ص٣١٠، ٣١٨، كما ورد اسم شاور مسجوعًا في عبارة في كتاب الروضتين ج١ ص١٥٨ نقلاً عن ابن عساكر المعروف صاحب تاريخ دمشق والمعاصر لصاحب الترجمة مع شاور فعل ماض من المشاورة هكذا «فوثب جرديك وبزغش[١] مَوْلَيَا نور الدين فقتلا شاورا[٢] وأراحا العباد من شرّه وما شاورا»، بحيث يتبيّن من هذا السجع بصراحة تقريبًا أن شاور كانت تنطق بفتح الواو بلسان المعاصرين لصاحب [٣٧٤] هذا الاسم، وفي كل مناسبة ذكر فيها أغلب المستشرقين الأوروبيين مثل وايت[٣] المستشرق الفرنسي المتخصص في تاريخ مصر في ترجمة حال شاور وشيركوه في دائرة المعارف الإسلامية (ج٤ ص٣٥١-٣٥٢ و٣٩٦-٣٩٧)، وسوبرنهايم[٤] وبيكر[٥] وگرفه[٦] المستشرقين الألمان في شرح حال صلاح الدين الأيوبي (أيضًا ج٤ ص٨٧-٩٢) والعاضد (ج١ ص١٣٩-١٤٠)، وضرغام الوزير الآخر للعاضد (ج١ ص١٠٠٥) - صاحب الترجمة، ذكروه جميعًا بالإملاء نفسه وكتبوا هذه الكلمة في سائر المواضع في المقالات المذكورة شاور بفتح الواو[٧]، من

---

(١) كذا في الأصل لكنه في ابن خلّكان ١: ٢٣٨ برغش (براء مهملة).

(٢) شاور - كما سنذكر فيما بعد - ليس منصرفًا، إذن لا بد أن يكون إلحاق الفاء به هنا بمناسبة السّجع مع «شاورا» في الفقرة التالية مثل «قواريرا» في الآية الشريفة.

*(3) G. Wiet.*

*(4) Sobrenheim.*

*(5) C. H. Becker.*

*(6) E. Graefe.*

(٧) أي **Shawar** بالحروف اللاتينية، ولكن ووستنفلد المستشرق الألماني المعروف في كتاب «تاريخ الفاطميين» من تأليفاته ص٣٢٧-٣٤٣ يكتب هذه الكلمة في كل المواضع شاور بضم الواو **Shawur**، وقد حركت هذه الكلمة بضبط القلم في مختصر الدول أيضًا لابن العبري ص٣٦٨ شاور بضم الواو، وذكرت في مجاني الأدب لشيخو ٦: ٣١٨ والأعلام لخير الدين الزركلي ص٤٠٧ بضبط القلم شاور بكسر الواو، وهكذا يلاحظ أن كل حركة من الحركات الثلاث اشتركت في هذه الكلمة في المصادر المختلفة لكن اختيار أكثر المؤلفين هو الفتح على التفصيل المذكور أعلاه.

مجموع القرائن السابقة إذن يحصل الظن القريب من اليقين أن الإملاء الحقيقي لهذه الكلمة كان على أظهر وجوه هذا القسم، يعني شاوَر، بواو متحركة مفتوحة على وزن عالَم وخاتَم، فإذا كان الأمر كذلك، فلا يمكن إذن والحالة هذه أن يكون هناك، فيما يبدو، صلة أو علاقة على الإطلاق بينها وبين كلمة شابور الفارسية ولا الصور المعربة لها شابور وسابور (وشاوور؟) ولا بد أن يكون منشأ كتابتها بإحدى هذه الصور، كما تشاهد في جهانگشاي للجويني وسائر المصادر التي اقتبست منه مثل تاريخ كزيده وروضة وغيرهما تصحيفًا واشتباهًا نشأ لدى الإيرانيين من جراء التشابه الصوري الظاهر بين كلمتي شاور وشابور بعضهما وبعض وعدم أنس طباعهم بالرسم الغريب لكلمة شاور، على العكس من اسم شابور المتداول بينهم ذي الشهرة المفرطة، ولكن مما يدعو إلى العجب [٣٧٥] أن هذا الخطأ والتصحيف بعينه صدر أيضًا عن أحد المؤلفين ذوي اللسان العربي وكان معاصرًا لصاحب الترجمة ومن أعقاب عمال الفاطميين أنفسهم وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي[١] المتوفى سنة ٦٢٨ صاحب كتاب «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم»، فقد كتب في الكتاب المذكور في تاريخ الخليفة العاضد (طبع الجزائر ص٦٣) اسم صاحب الترجمة مرتين «سابور»

---

(١) المؤلف من أعقاب بني حماد الولاة والعمال المعروفين للفاطميين في إفريقية، وله في حدود سنة ٥٤٨هـ أي قبل قتل شاور بست عشرة سنة حول قلعة بني حماد، كانت قلعة بني حماد مدينة من بلاد قسطنطينة إحدى مقاطعات الجزائر الحالية في جنوب بجاية وهي الآن مفقودة الأثر. (انظُرْ دائرة المعارف الإسلامية في عنوان «قلعة بني حماد» ج٢١ ص٧٢٠-٧٢١). وكانت وفاته كما ذكرنا في المتن سنة ٦٢٨ وهو في الثمانين من عمره. ألف الكتاب المذكور يعني «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم» وهو تاريخ مختصر للغاية عن الخلفاء الفاطميين في سنة ٦١٧، وطبع في سنة ١٣٤٦ في الجزائر.

بسين مهملة وباء موحدة وواو وراء مهملة، وهذا نصه: «وكان وزيره [يعني وزير العاضد] يسمى سابور واتفق لهم أن استدعوا الغزَّ ليتخذوهم [ظ: لينجدوهم] ويستظهروا بهم فواصلوا ورئيسهم أسد الدين ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين ووقعت فتنة وتنافروا [ظ: وتنافُرٌ] في الوزارة التي هي كالإمارة وقتل فيها الوزير سابور وجلس أسد الدين مكانه وولي خطّته»، فإذا لم تكن هذه الفقرة سهوًا من النساخ وكانت صادرة عن قلم المؤلف نفسه، وظاهر الأمر يشير بالفعل إلى ذلك، فإن الخطأ المذكور إذن يعني تصحيف شاور بشابور فيما يختص بصاحب الترجمة ليس بالشيء الجديد، وليس مقصورًا فقط على المؤلفين الإيرانيين البعيدين عن مصر وأوضاعها وأخبارها، بل من ذات عصر صاحب العنوان، وحتى بالنسبة إلى المؤلفين ذوي اللسان العربي. فإن هذا السهو وارد أيضًا فصحفت الكلمة الأولى على غرابتها وندرة استعمالها بسهولة إلى الكلمة الثانية على كثرة دَوَرانها على الألسنة.

**[٣٧٦]** بقي إشكال واحد، وهو أن اسم صاحب الترجمة ورد مستعملاً في جميع مواضع استعماله نظمًا ونثرًا في جميع عبارات المؤلفين وفي أشعار الشعراء المعاصرين غير منصرف كلية[١]، أما في الشعر فواضح أنه استعمل غير منوّن في الوزن العروضي للكلمة (في غير المواضع التي تقتضي التنوين) مثل هذا البيت لعمارة اليمني من إحدى قصائده[٢]:

أُحِبُّ شَاورَ إخلاصًا وعِتْرَته      وَهل عِمارةُ فيكُم غَيْرُ عَمَّارِ

وأيضًا[٣]:

---

(١) باستثناء كتاب الروضتين فهذه الكلمة تستعمل منصرفة غالبًا في ثنايا ذلك الكتاب ولكن لما كان طبع هذا الكتاب سقيمًا نسبيًا وبه أخطاء واشتباهات كثيرة فإنه يغلب على الظن أن هذه الفقرة أيضًا ينبغي أن تكون نتيجة «إصلاح» الطابع وليست من التحرير الأصلي للمؤلف. (المحقق).

(٢) ديوان عمارة اليمني ج١ ص٢٥٧.

(٣) أيضًا ص٢٥٦.

ما غابَ شَاوَرُ عَن دَسْتٍ حَلَلتَ به

والشَّبل يَحمي عَرينَ الضَّيغَمِ الضَّارِي

وأيضًا[1]:

مِنْها الجَميلُ الذي أبقيتَ سِيرتَه     في آلِ شَاورَ حتى سَارَ

وأيضًا[2]:

وهل بَعد عَبَّادَانَ نَعْلَم قَريَةً     كَما قِيلَ أو مِثلُ ابن شَاوَرَ يُعْلَمُ

وأيضًا[3]:

أصبَح الكاملُ بن شَاوَرَ ذُخْرًا     لأَبي الفَتحِ سَيِّدِ الوُزَرَاءِ

ومثل هذا البيت للعماد الكاتب الإصفهاني من جملة قصيدة في مدح أسد الدين شيركوه[4]:

مِن شَرِّ شَاوَرَ أنْقذتَ العبادَ فَكَمْ     وَكَمْ قَضَيْتَ لِحزبِ الله مِنْ أَرَب

وهناك أيضًا بيتان آخران من قصيدة له في مدح نور الدين محمد بن زنكي[5]:

أوْرَدْتَ مِصرَ خُيوَل النَّصرِ عَادِمةً

ثَنْيَ الأَعِنَّةِ إقْدامًا على اللُّجُمِ

أعانَها اللهُ في إطفاءِ جَمْرِ أذًى

مِن شَرِّ شاورَ في الإسلام مُضْطَرِمِ

---

(١) أيضًا ص١٣٢.

(٢) ديوان عمارة اليمني، أيضًا ص١٣٣.

(٣) أيضًا ص١٥٩.

(٤) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي طبع مصر سنة ١٢٨٧ – ١٢٨٨ ج١ ص١٥٩.

(٥) أيضًا ج١ ص١٧٥.

وهذا بيت للملك الصالح طلايع بن رزيك وزير الفائز والعاضد في توصية ابنه رزيك وتحذيره من شاور[1]:

فإذا تبدد شَملُ عَقدِكما لا تأْمنا من شَاوَرَ السَّعديِّ

وهذه أبيات لعرقلة الدمشقي في هجاء شاور بعد قتله[2]:

لقد فَازَ بالمُلك العَقيمِ خَليفةٌ لَهُ شيركوهُ العاضِديُّ وزيرُ

هو الأسَدُ الضَّاري الذي جَلَّ خَطْبُه وشاَوَر كلبٌ في الرِّجالِ عَقُورُ

أما في النثر فالدليل على ذلك أننا نرى هذه الكلمة مكتوبة في عبارات المؤلفين في جميع المواضع في حالة النصب «شاور» دون ألف لا «شاورًا» بالألف يعني بعلامة تنوين النصب مثلاً في العبارات التالية: «وتقدم نور الدين إلى شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه» (ابن الأثير ج١١ ص١٣٤) - «وكان سبب إرسال هذا الجيش أن شاور وزير العاضد لدين الله العلوي صاحب مصر نازعه في الوزارة ضرغام وغلب عليها» (أيضًا ص١٣٣) - «فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته» (أيضًا ص١٥٢) - «وذكر الحافظ ابن عساكر أن شاور وصل إلى نور الدين مستجيرًا» (ابن خلّكان في شرح حال شاور)، - «فوثب جرديك وبزغش موليا نور الدين فقتلا شاور» (أيضًا) - «وجمع ضرغام جموعًا كثيرة وغلب شاور على الوزارة» (خطط مقريزي ج٢ ص١٤٢) - «فبلغ شاور أن [٣٧٨] شيركوه قد ملك بلاد الصعيد» (أيضًا ص١٤٣) - «وخذل أهل القاهرة شاور لبغضهم له» (النجوم الزاهرة طبع لَيْدِنْ ج٣ ص٩٥) – وعلى هذا النحو بعينه يأتي استعمال هذه الكلمة في حالة النصب في جميع المواضع في كل المصادر السابق ذكرها بلا استثناء، وطالما أنه وضح من الأمثلة السابقة وضوحًا كاملاً أن شاور غير منصرف،

---

(١) أيضًا ج١ ص١٦٥.

(٢) أيضًا ج١ ص١٥٧، وتاريخ أبو الفدا ٢/٤٦.

فإننا نتساءل عن علة عدم انصراف هذه الكلمة هل من الممكن أن نتصور علة أخرى من العلل التسع غير علميّتها؟ إن احتمال وزن الفعل أن مشاركة الوزن مع شاور ماضي المشاورة مُنتَفٍ في الموضع الذي نحن بصدده، لأن وزن فاعل بفتح العين مثل خاتَم وعالَم لا يعتبر باتفاق النحاة علمًا (باستثناء يونس وعيسى بن عمر) مانعًا للصرف[1] لأن هذا الوزن ليس من الأوزان المختصة بالفعل وليس في أوله إحدى الزوائد الأربع، إذن إما أن نقول في تعليل منع صرف شاور، بعلة أخرى غير العلميّة وهي وزن الفعل على المذهب الشاذّ ليونس وعيسى بن عمر، وإما أن نفترض أنه يجوز في الواقع -على الرغم من وجود كل هذا التباعد بينهما- أن تكون شاور هيئة أخرى من كلمة شابور الفارسية كما ظن الجويني وسائر المؤرخين الإيرانيين، وبناء على هذه العلة الأخيرة منعت تلك العجمة [الاسم] من الصرف، والله أعلم بحقيقة الحال.

**ثبت بالمصادر المتعلقة بأحوال شاور:**

النّكت العصرية في أحوال الوزراء المصرية تأليف عمارة اليمني، وديوان أشعاره، كلاهما طبع درنبورج[2] (انظر فهرست الرجال في كلا الكتابين في عناوين «شاور» و«طيّ بن شاور» والكامل «شجاع بن شاور» والمعظم «سليمان ابن شاور» وركن الإسلام زكي الدين «النجم أخو شاور» والأوحد «الصبح أخو شاور»)، معجم الأدباء ياقوت [٣٧٩] ج١ ص٤١٩، ٤٢٠ وج٣ ص١٦١ و١٦٢ وج٦ ص١٢٤، أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد الصنهاجي ص٦٣، تاريخ ابن الأثير وأبي الفدا في مواضع متفرقة في حوادث سنوات ٥٥٨-٥٦٤، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ج١ ص١٣٠-١٣٢، ١٤٣-١٤٧، ١٥٤-١٥٩، ١٦٤-١٧٢، ١٨٠، ١٩٩، ٢٢٦-٢٢٧ (بتفصيل كبير)، أخبار مصر لابن

---

(١) انظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب طبع تبريز ص٢٥-٢٦، وهمع الهوامع للسيوطي طبع مصر ج١ ص٣٠.

(٢) انظر فيما سبق ص ٣٢٥، هامش رقم (٢)

ميسّر ص٦٥، وفيات الأعيان لابن خلّكان في تراجم أحوال «شاور»، وصلاح الدين الأيوبي «يوسف»، وأسد الدين «شيركوه»، مختصر الدول لابن العبري ص٣٦٨-٣٦٩، دول الإسلام للذهبي طبع حيدر آباد الدّكن ٤٥-٥٥، صبح الأعشى للقلقشندي ج٣، ص٤٣٢، وج١٠ ص٣١٠-٣٢٥، الخطط للمقريزي ج٢ ص١٤١-١٤٢، ١٧٣-١٧٤، وج٣ ص١٨-٢٠، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي طبع ليدن ج٣ ص٦٧-٦٨، ٨٧-٨٨، ٩٤-١٠٠، حسن المحاضرة للسيوطي ج٢ ص١٣٧-١٣٨، تاريخ مصر لابن إياس ج١ ص٦٧-٦٨.

ومن المصادر الفارسية: تاريخ جهانگشاي جويني ج٣ ص١٨٣-١٨٤، جامع التواريخ وتاريخ گزيده وروضة الصفا وحبيب السِّيَر ولُبّ التواريخ وجهان آراي للقاضي أحمد غفّاري، كلها في تاريخ العاضد إلا المصدر الأخير الذي ذكر اسم شاور في أوائل تاريخ الأيوبية.

ومن المصادر الأوروبية: تاريخ الخلفاء الفاطميين[1] لـ«وستنفلد» ص٣٢٧-٣٤٣، دائرة المعارف الإسلامية في عناوين شاور ج٤ ص٣٥١-٣٥٢، وشيركوه ج٤ ص٣٩٦-٣٩٧، وصلاح الدين الأيوبي ج٤ ص٨٧-٨٨، والعاضد ج١ ص١٣٩-١٤٠، وضرغام ج١ ص١٠٠٥.

[٣٨٠] ص ١٧٢ س ٨-٩:

**«وتوجه شيركوه إلى القاهرة فوصلها في السابع من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة»**، هذه أصح الروايات في تاريخ قدوم شيركوه إلى القاهرة، وهي مطابقة لرواية أبي شامة المقدسي في كتاب الروضتين ج٢ ص١٥٦، ورواية ابن خلّكان في ترجمة حال صلاح الدين الأيوبي ج٢ ص٥٥٩، وفي قول آخر كان قدومه إلى القاهرة في ربيع الأول أو

---

(١) الكتاب بالألمانية وعنوانه:
*F. Wustenfeld: Geschichte der Fatimiden – Chalifen nach arabischen Quellen, Guttingen, 1881.*

في السابع من جمادى الآخرة من السنة المذكورة (ابن خلّكان في الموضع نفسه وأيضًا في ترجمة حال «شيركوه» وابن الأثير في حوادث سنة ٥٦٤)، ويبدو أن هذه الكلمة «جمادى الآخرة» في هذه الرواية الأخرى سهو من النساخ أو طغيان قلم من مؤلفها بدلاً من «ربيع الآخر»؛ لأن قتل شاور كان بتصريح ابن الأثير نفسه في الموضع نفسه في السابع عشر من ربيع الآخر، ومن المسلم به، فيما يبدو، فضلاً عن إجماع المؤرخين على أن قتل شاور حدث بعد قدوم شيركوه إلى القاهرة لا قبله.

ص ١٧٢ س ١٦-١٧:

**«وكان ذلك [أي قتل شاور] في السابع عشر من ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة»**، كذا في إحدى النسخ الخطية [ح]، وهو الصواب إذ إنه مطابق لأقوال جمهور المؤرخين مثل ابن الأثير في حوادث السنة نفسها ٥٦٤ وابن خلّكان في ترجمة حال شاور[1] ج١ ص٢٣٧، وفي ترجمة حال صلاح الدين الأيوبي ٢: ٥٦٠، والخطط للمقريزي ج٢ ص١٧٥، ولكن سائر نسخ جهانگشاي تكتبها «سابع ربيع الآخر» وذلك بلا شك خطأ فاحش، فقد سقطت كلمة «عشر» قطعًا. لأن صحة هذا التاريخ فضلاً عن مخالفة أقوال جمهور المؤرخين من وجهة القياس والعادة وظواهر الأمور غير ممكنة؛ ذلك لأن قدوم أسد الدين شيركوه، بتصريح المؤلف نفسه قبل ذلك بعدة أسطر [٣٨١] وأيضًا بتصريح أبي شامة المقدسي في كتاب الروضتين ج١ ص١٥٦، كان في سابع ربيع الآخر، وواضح في الظاهر أن أعوان شيركوه لم يقتلوا شاور في اليوم نفسه الذي قدم فيه شيركوه إلى القاهرة، بل مضت مدة أخذ شاور في أثنائها يماطل ويسوّف في أداء المال المقرر، وأسف على استدعاء شيركوه، ودبّر أمر مقتله هو وسائر رؤساء جيش الشام بحجة إقامة حفل استقبالٍ احتفاءً بقدومهم، وفي النهاية ذهب ذات يوم للقاء شيركوه مبينًا أنه يتفقد أحوال معسكر جيش

(١) نقل ابن خلّكان في الموضع نفسه فيما يتعلق بتاريخ قتل شاور رواية أخرى وهي الثامن عشر من ربيع الآخر يعني باختلاف عن الرواية المشهورة في يوم واحد.

الشام فقام صلاح الدين الأيوبي بمعاونة رجل أو رجلين من أصدقائه، وفق اتفاق أجمعوا عليه فيما بينهم باستدراج شاور بعيدًا عن الطريق بإحدى الحيل وأنزلوه على الفور من فوق حصانه وقطعوا رأسه. وبديهي أن هذه الأمور والقضايا جميعًا قد استغرقت أكثر من يوم واحد.

ومن ثم يتضح من المقارنة بين تاريخ قدوم شيركوه إلى القاهرة (٧ من ربيع الآخر) وقتل شاور (١٧ من الشهر نفسه) أن قتل شاور حدث بعد عشرة أيام تمامًا من قدوم شيركوه إلى القاهرة.

**ص ١٧٦ س ١:**

**عبد الملك بن عطاش.** عبد الملك بن عطاش هذا هو أبو أحمد بن عبد الملك ابن عطاش[١] المعروف صاحب قلعة شاهدز بإصفهان، وهو الذي قُتل هو وأصحابه وأتباعه وأشياعه بأنواع التعذيب في سنة خمسمائة هجرية بأمر السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي بعد فتح القلعة المذكورة على الشرح الوارد في كتب التواريخ، يقول ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة ج١٠ ص١٨٠ في شأن عبد الملك: «كان أديبًا بليغًا حسن الخطّ سريع البديهة عفيفًا وابتلي بحب هذا المذهب». كما يقول راحة الصدر ص١٥٦ في شأنه: «وخطّه معروف وتوجد بإصفهان كتب كثيرة بخطه».

---

(١) يعرف أحمد بن عبد الملك بن عطاش لدى الإسماعيلية المحدثين بـ «شيخ الجبل»، غير أننا لا نجد عنه أية إشارة في مؤلفات العقيدة الفاطمية، ربما لأنها لم تكن تعنى العناية الكافية بشئون الدعوة في إيران بصفة عامة. (المترجم).

ص ١٧٨ س ٤:

فِرْيم، فريم بفاء مكسورة وراء مهملة مشددة [٣٨٢] مكسورة وياء مثناة تحتانية ساكنة وفي الآخر ميم[1] (أو پريم)، ويكثر تكرار ذكرها في كتب التواريخ والمسالك والممالك من قبيل تاريخ الطبري واليميني وابن اسفنديار والمسالك والممالك للإصطخري وابن حوقل وابن الفقيه وغيرها، وكانت قديمًا مركز حكومة إحدى سلاسل إصفهبدان طبرستان من الطبقة الأولى من آل باوند[2]، وكانت مدينة تقع في المنطقة الجبلية شرقي مازندران في هزار جريب الحالية (أي في القسم الغربي من جبال هزار جريب) في جنوب ساري على ضفة أحد فروع نهر تجن الذي يصب في بحر الخزر بالقرب من ساري، وما زالت هناك منطقة باقية حتى الآن بالاسم نفسه «فريم» في

(١) انظر شرح اليميني ج٢ ص١٠ و١٩٣.

(٢) يطلق كل من الإصطخري وابن حوقل اسم آل قارن هذه الطائفة ونصها: «فأمّا جبال قارن فإنها قرى لا مدينة بها إلا سهمار على مرحلة من سارية ومستقرّ آل قارن بموضع يُسمى فريم وهو موضع حصنهم وذخائرهم ومكان ملكهم ويتوارث صاحب الجبل المملكة بها منذ= =زمان الأكاسرة (الإصطخري ص٢٠٥، وابن حوقل ص٢٦٨)» ولا شك في أن مراد المؤلفين المذكورين هم أولاد قارن بن شهريار من آل قارن وكان السلطان الثامن من الطبقة الأولى من آل باوند، وهو الذي ذكره الطبري أيضًا بالاسم نفسه «قارن بن شهريار» (نقلنا نص عبارة الطبري في الحاشية التالية)، وهما لا يقصدان آل قارن بالمعنى الأخص أي سلسلة قارن وندان المعروفة ذلك لأن سلسلة قارن وندان انقرضت كلية في سنة ٢٢٥ بقتل مازيار المعروف الذي كان آخر سلاطين هذه الطبقة ولم يكن لهذه السلسلة من الملوك وجود أثناء تأليف كتاب الإصطخري (في حدود سنة ٣٤٠) وابن حوقل (في حدود ٣٦٧) منذ أكثر من مائة سنة، في حين أن المؤلفين المذكورين يتحدثان بصريح العبارة عن معاصريهما من الملوك كما هو واضح.

الموضع نفسه انظر «كتاب مازندران» تأليف رابينو الإنجليزي طبع أوقاف جب ص٥٧، وانظر أيضًا خريطة مازندران التي يتضمنها الكتاب نفسه، وانظر دائرة المعارف الإسلامية في عنوان «مازندران» ج٣ ص٤٨٨-٤٨٩ بقلم [٣٨٣] السيد مينورسكي، انظر أيضًا الحاشية التالية المتعلقة بشهرياركوه، واسم فريم يطلق على المدينة كما يطلق أيضا على الإقليم الجبلي الذي تقع فيه[١].

**المصادر:**

إلى جانب المصادر التي ذكرناها فيما سبق يرد ذكر فريم في المواضع التالية أيضًا: تاريخ الطبري المجلد الثالث ص١٥٢٩ في حوادث سنة ٢٥٠، الإصطخري ص٢٠، ابن حوقل ص٢٦٨، ابن الفقيه ص٣٠٦، شرح تاريخ اليمني ج٢ ص١٠، ١٩٣، ١٩٦، ويتكرر ذكرها كثيرًا في ترجمة تاريخ ابن إسفنديار (انظر فهرست الكتاب المذكور)[٢]، معجم البلدان لياقوت ج٣ ص٨٩٠، ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٧ ج٩ ص١١٠، نزهة القلوب لحمد الله المستوفى ص١٦٢، تاريخ مازندران لسيد ظهير الدين المرعشي ويتكرر ذكرها فيه (انظر فهرست الكتاب المذكور)، ومن المؤلفات الجديدة: كتاب التدوين في أحوال جبال شروين تأليف الدكتور محمد حسن خان اعتماد السلطنة ص٤٢، وبلدان الخلافة الإسلامية للوسترنج[٣] ص٣٧٢-٣٧٣، ورسالة أصفهبدان فريم لكازانوفا[٤]، يتكرر ذكرها كثيرًا، ويرى المؤلف الأخير أن فريم كانت هي نفسها فيروزكوه الحالية بالقرب من دماوند وهذا سهو.

---

(١) «وانضم إلى الحسن بن زيد [الدّاعي الكبير] حوزيّة جبال طبرستان خلا ما كان من سكان جبل فريم فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهريار فإنه كان ممتنعًا بجبله فلم ينفذ للحسن بن زيد ولا من معه حتى مات ميتة نفسه». (الطبري في حوادث سنة ٢٥٠ المجلد الثالث ١٥٢٩ باختصار).

(٢) في عنوان *Parim , Farim*

(3) *G. Le Strange.*

(4) *Paul Casanova*

ص ١٧٨ س ٤:

**شهرياركوه**، شهرياركوه أو جبل شهريار يأتي اسمه بكثرة أيضًا في مؤلفات القدماء[1] في معرض الحديث عن [٣٨٤] جبال طبرستان مثله في ذلك مثل فريم التي سبق ذكرها، ويتضح من المقارنة بين العبارات المختلفة للمؤلفين المذكورين أنها كانت فيما يبدو عبارة عن سلسلة هزارجريب الحالية وبعبارة أخرى كانت شهرياركوه اسمًا لمنطقة جبلية مدينتها الرئيسة هي فريم المذكورة، يقول ابن اسفنديار في الفصل الخاص بثورة أهالي طبرستان بقيادة ونداد هرمز ضد نواب الخليفة[2]: «فأرسلوا إلى إصفهبد شروين في شهرياركوه فريم...» (أي سلّمه رسالة)، ومن ثم يتضح من إضافة شهرياركوه إلى فريم أن هناك صلة واضحة بين المنطقتين. ولقد قلنا فيما سبق: إن قصبة فريم تقع في هزار جريب دودانگه، الحالية ويقول العقبي أيضًا في تاريخ اليميني ج٢ ص٩[3]:

«وعقدت له [أي لرستم بن المرزبان] الإصفهبذية على جبل شهريار، فتلقاه نصر إلى دنباوند وساعده على صعوده وامتلاك حدوده، فأصاب أهل فريم غلاء عمّ بلاؤه وشمل الكافة داؤه فاضطر نصر إلى الانصراف عن رستم بن المرزبان للقحط الشامل والبلاء النازل»، ومن سياق هذه العبارة يفهم صراحة أن فريم كانت جزءًا من جبل شهريار، وأيضًا ياقوت في معجم البلدان يقول في عنوان «سانيز»: «وعزم

---

(١) انظر من بينها تاريخ اليميني ج١ ص٣٩٥ وج٢ ص٩ و١٤، ومعجم البلدان في عنوان «سانير»، وابن الأثير ج٨ ص٢٧٣، وج٩ ص٥٨ (في حوادث سنتي ٣٦٦ و٣٨٨)، وتاريخ ابن اسفنديار ترجمة براون وتاريخ سيد ظهير الدين (انظر فهارس المصدرين الأخيرين).

(٢) تاريخ ابن اسفنديار نسخة المكتبة الأهلية بباريس (ضمن مجموعة فارسية ١٤٣٦) ورقة *87a* مطابقة لترجمة براون ص١٢٦.

(٣) تاريخ اليميني باختصار (شرح المنيني طبع مصر ج٢ ص٩-١٠).

[٣٨٥] نصر بن أحمد الساماني على قصد الري فجعل طريقه على جبل شهريار فحصره أبو نصر السانيزي في موضع يقال له هزار گري أربعة أشهر لم يقدر على أن يجوز ولا على أن يتأخر حتى بذل له ثلاثين ألف دينار حتى أفرج عنه الطريق».

وتصرح هذه العبارة بأن هزار گرى (وهي هزار جريب بتصريح ابن اسفنديار ص١٨٥ و٢٣٨) كانت جزءًا من جبل شهريار، ومن ثم يصير من اللازم بالضرورة أن يكون جبل شهريار (أو سلسلة هزار جريب نفسها) هو بنفسه أو بمفهومه الضيق، كان أشد اتساعًا ويشتمل على جزء من الجبال المجاورة أيضًا.

**أما جبال قارن** التي يُشاهد اسمها كثيرًا في عبارات القدماء في ردف جبل شهريار، فقد كانت بأظهر وجوه مفهومها هي بعينها أو قريبًا منها جبل شهريار، ومن بين القرائن التي تدل على صحة هذه الدعوى واقعة عبور نصر بن أحمد الساماني من جبل شهريار، وتلك التي نقلنا في شأنها عبارة ياقوت فيما سبق، وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٤ (ج٨ ص٦١) «جبل قارن» في الواقعة ذاتها بدلاً من جبل شهريار، فضلاً عن أن الإصطخري ص٢٠٥ وابن حوقل ص٢٦٨ قد ذكرا بصراحة أن فريم جزء من جبال قارن تحت العنوان نفسه[1]، وكذلك يظهر بوضوح من عبارة ابن اسفنديار[2]: «ويسمونه أميدكوه ولفور وفريم وهو جبل قارن» أن فريم كانت جزءًا من جبل قارن، وقد سبق أن أثبتنا أن فريم كانت المدينة الرئيسة لجبل شهريار.

**وأما جبال شروين** فيأتي اسمها هي الأخرى كثيرًا في معرض الحديث عن جبال طبرستان في كتب المتقدمين تالية لاسم فريم وجبال قارن وجبل شهريار، ولا

---

(١) انظر فيما سبق ص ٣٣٩ حيث نقلنا نص عبارة الإصطخري وابن حوقل في الحاشية رقم(١).

(٢) نسخة المكتبة الوطنية بباريس (ضمن مجموعة فارسية ١٤٣٦) ورقة *71a*.

شك في أنها كانت عبارة عن سوداكوه الحالية. [٣٨٦] وقد توصل المرحوم اعتماد السلطنة إلى إثبات هذا في كتاب التدوين في أحوال جبال شروين ص٤٢-٤٣ بالدلائل المتقنة بدرجة كبيرة من الوضوح، وهو يقول: إنه ما زال هناك جبل من جبال سوداكوه معروف عند الأهالي بجبل شلفين وهو بلا شك تحريف لكلمة شروين ذاتها.

**ص ١٧٨ س ٦:**

**أندجرود**، في حواشي ذيل الصفحات قدّمنا شرحًا مختصرًا يتعلق بأنْدِجْرُود وقلنا: إنها إحدى نواحي ألموت الأربعة وفقًا للتقسيم الحالي. ونظرًا لما يرد في أثناء سرد تاريخ إسماعيلية ألموت في جهانگشاي وجامع التواريخ، وعلى الأخص في المصدر الأخير، من ذكر أسماء عدد كبير من القرى والقصبات والجبال والأنهار في نواحي ألموت ورودبار والطالقان بصورة دائمة، ولما كانت معظم الأسماء المذكورة باقية إلى يومنا هذا بعينها أو بتغيير وتبديل طفيف، فقد رأى راقم السطور أن من المناسب أن يُثبت فيما يلي صورًا كاملة نسبيًا عن الأسماء الحالية لجميع قرى وقصبات ومراتع ومزارع ومصايف النواحي الثلاث المذكورة طبقًا لما حصلنا عليه من بيانات من واقع سجلات وزارة المالية في دولة إيران العليّة، لعل ذلك يكون مفيدًا في تصحيح أو تحديد موقع جزء من أسماء النقاط المذكورة التي ترد كثيرًا في كتب التواريخ وعلى الأخص جامع التواريخ. ولقد تفضل كل من صديقي الفاضل السيد حاجي ميرزا عبد الحسين خان شيباني وحيد الملك، وصديقي السيد ميرزا عباس خان إقبال آشتياني، دامت أفضالهما، باستخراج الجداول التالية وفقًا لرغبتي من سجلات وزارة المالية الجليلة كما سبق أن ذكرنا، ثم أضافا إليها ما حصلا عليه من تحقيقات وتصحيحات أبداها بعض المثقفين من أهالي الموضع نفسه مثل السيد الشيخ محمد علي الألموتي الوكيل السابق لمجلس النواب، والسيد أمير محترم رئيس بعض الولايات والمقيم في حدود رودبار وألموت، والسيد ميرزا نصر الله خان رستگار

الطالقاني معاون شعبة الإيرادات المالية بطهران، وأرسلا كل ذلك برمّته لمحرّر [٣٨٧] هذه الأوراق. وإني أنتهز هذه الفرصة لأوجه الشكر إلى سائر السادة السابق ذكرهم من صميم قلبي.

وينقسم الفصل التالي إلى ثلاثة مباحث، ألموت، رودبار ، الطالقان.

## أ – أَلَمُوت

ألموت ناحية جبلية من توابع قزوين، تقع في الشمال الشرقي للمدينة، يحدها من الشمال والشرق تُنْكَابُنْ، ومن الجنوب والجنوب الشرقي الطالقان، ومن الغرب رودبار قزوين، ويبدو أن كلمة رودبار كانت تطلق قديمًا على منطقة ألموت ورودبار الحاليتين، أما الآن فيسمى القسم الغربي من هذه الناحية رودبار، ويسمى قسمها الشرقي ألموت. وألموت واقعة بين سلسلتين من شعب جبال إلبرز إحداهما تقع في جنوبها والأخرى في شمالها. وتعرف السلسلة الشمالية بجبل سيالان[١]. ويجري في وسط ناحية ألموت أحد فروع نهر شاهرود المشهور وهو الفرع الشمالي من الفرعين الرئيسيين لهذا النهر (والفرع الجنوبي لشاهرود هو آب طالقان وسيأتي شرحه). ونهر ألموت المعروف لدى الأهالي بـ «رود خانه بزرك» [يعني النهر الكبير] يتألف هو الآخر من عدة فروع تنحدر من نواحي ألموت الأربعة وتلتقي جميعًا وسط وادي ألموت فيتكوّن بذلك مجرى نهر ألموت. ويلتقي نهر ألموت بنهر الطالقان في وادي شيركوه[٢]، ثم يتكون من التقاء النهرين المذكورين نهر شاهرود الذي يشق ناحية رودبار قزوين وناحية عمارلو بين جبل تخت سليمان من الشمال وجبل ميل دار من

(١) بسين مهملة وياء مثناة تحتانية ولام وألف أخرى وفي الآخر نون، انظر ص ٢٠٩ المتن والحاشية وما يقابلها من الترجمة.

(٢) بشين معجمة وياء مثناة تحتانية وراء مهملة ثم كوه ومعناها جبل.

الجنوب ويصب في [٣٨٨] نهر قزل أوزن[١] غرب منجيل. وبعدما يجتاز قزل أوزن هذه المنطقة يسمى سفيدرود، ويصب سفيدرود في بحر الخزر غربي لاهيجان وشرقي إنزلي.

وكانت ألموت ملكًا للرّعيّة والمُلاك وفقًا لما قضت به أوامر سلاطين الصفوية والأفشارية والزندية ولم تكن ملكًا للسلطان، فاستخلص ناصر الدين شاه بعض قراها لنفسه وما زال النزاع قائمًا في هذا الصدد بين رعايا ألموت والدولة. والعمل الرئيسي لأهالي ألموت هو زراعة الأرز على شواطئ النهر مع زراعة قليل من المحاصيل الأخرى، وفلاحة البساتين، ورعي الأغنام. ويحصل الأهالي على ما يحتاجونه من سلع وبضائع من تُنكابن، ففي فصل الربيع يتوجه أهالي هذه الناحية للعمل في تنكابن ويزرعون الأرز لأهالي تلك الولاية، ثم يذهبون في الخريف إلى الولاية المذكورة لحصاد الأرز، ويتقاضون مقابل تعبهم بعض الأرز كأجر يعودون به إلى ألموت.

وبهذا تنقسم ألموت إلى أربع نواح: **ناحية فيشان** (أو تركان فيشان)، **آندج رود، ناحية آتان** (أو ألموت بن)، **بالا رودبار**[٢].

---

(١) تركية، معناها النهر الأحمر، أوزن بألف مضمومة وواو ساكنة وزاي معجمة متحركة بحركة بين الفتحة والكسرة وفي الآخر نون معناها بالتركية (مجرى النهر). (انظر ترجمان تركي وعربي طبع هوتسما ص٦ من المتن و٤٧ من الحواشي).

(٢) يورد الأستاذ القزويني هنا قائمة بأسماء القرى والمزارع والمصايف في نواحي ألموت الأربع لم أر داعيًا لإيرادها هنا، وتقع في الصفحات ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠. (المترجم).

## ب ـ رودبار

رودبار مثلها مثل ألموت من توابع قزوين، والمقصود بهذه الكلمة اليوم ناحية تقع غربي ناحية ألموت وشرقي ناحية عمارلو، وقد قُيِّدت رودبار هذه بقزوين غالبًا، تمييزًا لها عن رودبار گيلان التي تقع غربي سفيدرود شمال منجيل، **بقيد رودبار محمد** زمانخاني أو **رودبار شاهرود** (وذلك في مقابل رودبار گيلان التي يطلقون عليها أيضًا رودبار زيتون أو رودبار سفيد رود)، ويمر شاهرورد من وسط هذه الناحية وناحية عمارلو -كما قلنا- بعد التقاء فرعيه الرئيسيين وهما نهر ألموت ونهر الطالقان ليصب في قزل أوزون بالقرب من منجيل.

ولرودبار قزوين عدة نواح: ناحية **رشكين بره** التي تعد قرى [۳۹۱] رشكين وأكوجان وأندزه وقسطين وغيرها جزءًا منها، وناحية **كاتوپُر** وتقع بها قرى أزكمين وأكوجان وجوينك وسورين وغيرها. ناحية لإله **پشم**[1] **العليا** وتقع بها قرى باطين وزرشك وزنا سوج وغيرها، ناحية لإله پَشم السفلى وبها قرى أسمرد وبهرام آباد

---

(۱) يغلب على الظن أن لإله پشم العليا والسفلي هذه هي الجبل نفسه الذي ذكره القزويني في آثار البلاد باسم جبل يله بشم في الجزء الخاص بمحال قزوين، ولا بد أن يكون أحد اللفظين (يله ولاله) تحريفًا للآخر، وهذا هو نص عبارة القزويني:

«**جبل يله بشم** هذا الجبل بقرب قرية يقال ليا يل وهي من ضياع قزوين على ثلاثة فراسخ منها حدثني من صعد هذا الجبل قال عليه صور حيوانات مسخها الله حجرًا منها راع متكئ على عصاه يرعى غنمه وامرأة تحلب بقرة وغير ذلك من صور الإنسان والبهائم وهذا شيء يعرفه أهل قزوين». (آثار البلاد ص۲۳۲).

وسونتكش وغيرها. ناحية ميان ولايت وبها قرى إسْطلْبر وأناده وأُزْرُسِت وغيرها، ناحية نيينه رود التي تعد قرى اشترك وأرسين بَوَجْ ودربند وهير وغيرها من توابعها.

وقد اشتهرت هذه الناحية باسم النهر المسمى باسمها، وهو يقرب بحوالي ثلاثين فرسخًا من قزوين التي تبعد عن طهران بمائة وعشرين فرسخًا ويجري فيه الماء طول العام، وتقع إحدى قلاع الحسن بن الصباح التي كان يطلق عليها من قبل قلعة لميشه[1] في ناحية نيينه رود هذه. وكانت هذه القلعة من عجائب عمائر العالم وما زالت بعض آثارها باقية إلى الآن، وتبلغ المسافة بين بداية القلعة ونهايتها ربع فرسخ وعرضها أقل بقليل من طولها، ولها بوابتان إحداهما في الجنوب والأخرى في الشمال، وقد أنشئت زوايا تلك القلعة بالحجر واستخدمت في بنائها أحجار ضخمة تزن عشرة أحمال [٣٩٢] ولا يمكن تحريكها باليد بل لا بد من وجود آلات لجرّها، وفي بعض المواضع تزيد المسافة من الأرض التي تقع حول النهر إلى أعلى جدار القلعة على ألف ذراع، وبأطرافها ثمانية أبراج ما زال منها اثنان باقيان ويبلغ ارتفاع كل برج منهما ثمانية أذرع، ويمكن أن يعيش في وسط القلعة ثمانية آلاف مقاتل بين راكب وراجل، وقد أوصلوا الماء أيضًا من جهة البوابة الجنوبية فشقوا طريقًا للماء في الصخر طوله فرسخان حتى النهر الجاري، وما زالت آثار المجرى باقية في الصخر، وأنشئت عدة أحواض من الحجر وسط القلعة لحفظ الماء لمدة شهر أو شهرين إذا ما حوصروا، كما أقيمت عدة أماكن تشبه الغرف يجاور بعضها بعضًا لتكون مخازن للمؤن والمهمات ما زالت كلها باقية حتى الآن[2].

---

(١) ليس هناك شك على الإطلاق في أن المراد بلميشه هي قلعة لمسّر الشهيرة ذاتها ولا بد أن «تحريفًا للكلمة نفسها وخاصة أن بعض نسخ جهانگشاي تكتب بدلاً من لمسر لمشر» بشين معجمة بحيث يعرف أن هذه كلمة كانت تنطق أيضًا بالشين المعجمة أو أنه ربما كانت الشين المعجمة هي نطقها العامي.

(٢) هذا الوصف لقلعة لميشه منقول بتمامه من خطاب السيد أمير محترم رئيس بعض الولايات وهو يقيم في حدود رودبار شاهرود وألموت.

وروديار المسجلة في سجلات الدولة هي مائة وست وستون قرية وسبع نواح، غير أننا نرى أسماء عدد كبير من القرى والقصبات مكررة في السجلات المذكورة، وربما كان سبب التكرار أن جزءًا من قرى هذه الناحية ملك للدولة وجزءًا منها ملك خاص؛ لذا يبدو أن هذه القرى أثبتت في السجلات الرسمية مرة على أنها أملاك للدولة ومرة أخرى على أنها جزء من الأملاك الخاصة، وذلك فيما يختص بالملاحظات الإدارية من قبيل التعرف على النواحي المالية وغيرها، ولما كان هدفنا الأساسي في هذا الفصل هو تحقيق الفوائد الجغرافية والتاريخية فحسب، ولا شأن لنا بالنواحي الإدارية، فقد حذفنا في الجدول التالي الأسماء المكررة كلية، وأوردنا كشفًا يتضمن أسماء القرى والقصبات والمزارع الموجودة فعلاً بهذه الناحية، وقد نتج عن إسقاط الأسماء المكررة أن أصبح عدد الأسماء في جدولنا - كما يلاحظ - مائة وثلاثين اسمًا[١].

## [٣٩٤] ج - الطالقان[٢]

الطالقان من النواحي المشهورة في أطراف قزوين، وهي منطقة جبلية معتدلة المناخ، وكانت تعد فيما سبق من توابع قزوين، ومن الطبيعي أن تكون كذلك، غير

(١) لم أر داعيًا لإثبات هذه الأسماء هنا، ويمكن الرجوع إليها في الأصل ص٣٩٣. (المترجم)

(٢) يمكن الاستفادة أيضًا في هذا القسم المتعلق بالطالقان، فضلاً عن المصادر المذكورة في أول هذا الفصل، برسالة قيمة من تأليفات المرحوم اعتماد السلطنة تتعلق بجغرافيا وتاريخ ناحية الطالقان وقد طبعت في سنة ١٣٠١ في مجلة «إيران»، وقد تفضل صديقي الفاضل السيد ميرزا عباس خان إقبال دامت أفضاله فاستنسخ لي هذه الرسالة ضمن فصول كثيرة أخرى من الوثائق. وإنني أكرر شكري من صميم قلبي على المساعدات التي أسداها إلى هذا الأستاذ الفاضل.

أنها الآن جزء من التقسيمات المحلية لطهران، يحدّها من الطرف الشرقي جبل عسلك وهضبة أنگران، وهي الحد الفاصل بين الطالقان وآزادبر، ومن الطرف الغربي بجبل إنكه وهضبة كلانك كوه وهما الحد الفاصل بين الطالقان وفشكل دره (بشكل دره) التي تعد أيضًا من نواحي قزوين، ومن الشمال والشمال الغربي جبل صاد وجبل بادي سر وهضبة هزار چم التي تفصل بين الطالقان وجبل إلبرز من الناحية الغربية وتفصل الناحية المذكورة من الشمال عن كلاردشت وتنكابن، ويحد الطالقان من الجنوب جبل كاهار وهضبة مامشكه در التي تعد الحد الفاصل للطالقان عن ساوجبلاغ، وبين الطالقان وقزوين ستة فراسخ، وبينها وبين ألموت ثلاثة فراسخ، وهي تقع على بعد ثلاثة فراسخ من ساوجبلاغ، وثلاثة فراسخ من كلاردشت، وستة فراسخ من تنكابن، وفرسخ من آزادبر، وأربعة عشر فرسخًا من طهران.

ويعبر الفرع الجنوبي من نهر شاهرود، ذلك الفرع الذي يعرف لدى الأهالي باسم شاهرود، من وسط هذه الناحية، وينبع النهر المذكور من الطالقان العليا ويجتاز في عبوره ناحية الطالقان بطولها حتى يلتقي -كما سبق أن ذكرنا- [٣٩٥] في سهل شيركوه مع نهر ألموت، وهو الفرع الشمالي لشاهرود ويكونان شاهرود الحقيقي(١).

ولما كانت معظم قرى الطالقان تقع في سفوح الجبال والهضاب فلا يعد هذا النهر كثير الفائدة لهذه الناحية، بل هو مصدر للأذى والضرر أثناء وقوع السيول، غير أنه ما إن يخرج من الطالقان حتى يكون ذا فائدة جمّة لكل نقطة يمر منها. ويتكون شاهرود في ناحية الطالقان من ثمانية أنهار صغيرة: **الأول:** نهر بادسر (بادي سر) وينبع من قمة بادسر المرتفعة وهي إحدى قمم جبل هزار چم، **الثاني:** عالي زن وينبُع من قلة تسمى شير بشم من قُلل جبل عالي زن وهي إحدى شعب

---

(١) انظر ص ٣٤١ فيما سبق.

جبل صاد، **الثالث**: ناريان وينبع أيضا من قلل جبل صاد وقد أطلق عليه اسم أول قرية يمر بمحاذاتها، **الرابع**: بايزرود[١] أو بايزن ويتكون هو الآخر من أربعة أنهار فرعية: گدته ده، گراب، ده در، خچيرة[٢]. وينبع من منابع چم كور وگرنيل وأنكران وورکش من الشعب المختلفة لجبال عسلك وصاد وكاهار. **الخامس**: **والسادس**: نويز وكهركبود (كركبود) وينبعان من منابع جبل صاد وعقيق، **السابع**: مامشكه در الذي ينبع من جبل كارها. **الثامن**: إلبرز رود وينبع من گدوك مالخاني في الناحية الغربية لجبل صاد الذي يسمى إلبرز ألموت.

وتنقسم الطالقان في وقتنا الحاضر إلى ثلاثة أقسام: **بالا طالقان** أو الطالقان العليا (وهي عبارة عن بايزرود[٣] والقرى المجاورة)، **ميان طالقان** أو الطالقان الوسطى (شهرك وحول وحوش)، **پايين طالقان** أو الطالقان السفلى (مير وتوابعها) وقد سبق أن ذكرنا أن بالطالقان مائة وثلاثين قرية معمورة ولكن بها الآن ما يقرب من تسعين قرية وسبع عشرة أو ثماني عشرة مزرعة [٣٩٦] عامرة تموج بالحركة والحياة. وتقع جميع هذه القرى والمزارع -كما سبق أن ذكرنا- على ضفتي شاهرود وفروعه[٤].

---

(١) بضبط القلم بكسر الزاي المعجمة.

(٢) بضبط القلم بخاء معجمة مضمومة وجيم فارسية وياء مثناة تحتانية وراء مهملة وهاء.

(٣) بضبط القلم بكسر الزاي المعجمة.

(٤) يورد الأستاذ القزويني هنا قائمة بأسماء قرى الطالقان وقصباتها ومزارعها لم أر ما يدعو لإثباتها هنا، ويمكن الرجوع إليها في ص٣٩٦-٣٩٨ من الأصل.

ص ١٧٨ س ٧:

طرز، قلنا في حواشي ذيل الصفحات إننا لم نعثر في أي كتاب من كتب المسالك والممالك على موضع بهذا الاسم والرسم يتناسب مع المقام الذي نحن بصدده اللهم إلا في تاريخ ابن الأثير في حوادث سنة ٥٢٠، فيذكر اسم قرية من قرى الإسماعيلية من أعمال بيهق (سبزوار) بالإملاء المذكور نفسه، إذ إنه لما كانت القرية المذكورة بتصريح المؤلف نفسه من القرى الخاصة [٣٩٩] بالإسماعيلية والكلام هنا أيضًا عن أسفار الحسن بن الصباح وتنقلاته، فيحتمل إذن أن يكون المراد بذكرهما «طرز» واحدة، وهذا نص عبارة المؤرخ المذكور:

«وفي هذه السنة (٥٢٠) أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية، وقتلهم أين كانوا وحيثما ظُفر بهم ونهب أموالهم وسبي حريمهم وجهز جيشًا إلى بيهق من أعمال نيسابور وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز، فقصدها العسكر، فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك» انتهى باختصار.

غير أنه من ناحية أخرى إذا نظرنا إلى سياق عبارة الحسن بن الصباح: «وأقمت ثلاث سنوات في الدامغان، ثم توجهت إلى جرجان وطرز وسرحد وچناشك» لبدا لنا أن المواضع المذكورة وهي طرز وسرحد وچناشك كانت جميعها من حدود جرجان (چناشك الحالية قطعًا، انظر الحاشية التالية).

ولما كانت المسافة بين بيهق وجرجان تزيد عن أن نستطيع أن نعد قرى إحداها وتوابعها جزءًا من قرى الأخرى وتوابعها (ما بين المدينتين، سبزوار واستراباد، ما يقرب من خمسين فرسخًا) فإنه لا يمكننا في الواقع أن نطمئن إلى أن المراد بطرز التي نحن بصددها هي طرز ذاتها التي ذكرها ابن الأثير.

ص ۱۷۸ س ۷:

**جناشك**، چناشك التي ما زالت باقية حتى الآن بالاسم نفسه عبارة عن ناحية صغيرة من النواحي[1] الأربعة لمنطقة **كوهسار** من توابع إستراباد وهي تقع تقريبًا في نهاية شرقي ولاية إستراباد على قرابة عشرين فرسخًا شرقي مدينة إستراباد، وعشرة فراسخ غربي جاجرم في موضع تقاطع طريقين يسير أحدهما من إستراباد إلى بَجْنُورد، ويتبع ناحية چناشك حوالي اثنتى عشرة قرية على التفصيل [٤٠٠] التالي: ايترجلو، چلين، قرية چناشك، دره قدمگاه، دوروك، گرفنك، حسين آباد، كاشي دار، نراب، قشلاق، رودبار، سيب جال، وأمنان[2] وقلعة چناشك التي كانت من قبل من القلاع المحكمة بهذه الناحية معروفة، ويأتي ذكرها كثيرًا في كتب التواريخ وعلى الأخص تاريخ اليميني حيث ورد ذكرها بمناسبة حروب قابوس بن وشمگير حوالي تلك القلعة من أجل استرداد سلطنته المغتصبة في حدود ۳۸۸، وأيضًا بمناسبة حبس السلطان المذكور فيها وقتله[3].

ص ۱۷۹ س۱:

**أبو مسلم الرازي**، أبو مسلم الرازي هذا هو الذي أمره نظام الملك بالقبض على الحسن بن الصباح، بتصريح ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩٤ (ج١٠ ص١٣١) وقد

---

(۱) أو من «محلات» باصطلاح الأهالي أنفسهم.

(۲) انظر كتاب السواحل الجنوبية لبحر الخزر لملكونوف الروسي ص١٠٢، ١١٤، وكتاب «مازندران واستراباد» لرابينو (طبع أوقاب جب ص٧٩، ٨٣-٨٤، ١٢٩) وخرائط إيران المفصلة.

(۳) انظر شرح تاريخ اليميني ج٢ ص٦، ١٧٤-١٧٧، ومعجم الأدباء لياقوت ج٦ ص١٥١، ومعجم البلدان له أيضًا في باب الجيم في عنوان «جناشك» وأيضًا استطرادًا في عنوان «سميران»، وقابوس نامه في الباب العشرين طبع طهران ص٨٧ [ص٧٠ طبع سعيد نفيسي]، وتاريخ ابن اسفنديار (ترجمة براون) ص٢٣٢-٢٣٣، وابن الأثير ج٩ ص٩٩ في حوادث سنة ٤٠٣، وتاريخ مازندران لسيد ظهير الدين (انظر فهرست الكتاب المذكور)، وتذكرة دولتشاه السمرقندي ص٥٢٨-٥٢٩.

كان صهرًا للوزير المذكور وواليًا على الري وورد اسمه أيضًا في راحة الصدور للراوندي ص١٤٠-١٤١ [تقابل ص٢١٧ من الترجمة العربية] في أثناء شرح وقائع سلطنة بركيارق (سنة ٤٨٦-٤٩٨)، وفي تاريخ السلجوقية للعماد الكاتب ص٩٣ [ص٨٦ طبع مصر] ضمن حوادث سلطنة محمد بن ملكشاه (سنة ٤٩٨-٥١١)، ومن هذا يتضح، بقدر من اليقين، أنه كان يعيش حتى أوائل عهد السلطان الأخير، أي في حدود ٥٠٠ هجرية[1].

**ص١٨٠ س٥:**

**«حتى ليلة الأربعاء... إلخ»**، هناك -كما أشرنا في حواشي ذيل الصفحات[2]- عدة فقرات من مشتملات هذا الفصل المتعلق بالحسن بن الصباح. وهي تختلف من حيث الإيجاز والإطناب (ومن بينها الموضع [٤٠٥] الذي نحن بصدده وإلى صفحة أخرى بعده) مدوّنة تقريبًا بعبارة النّسخ المتداولة نفسها من تاريخ ابن اسفنديار، ولما كان زمن تأليف تاريخ ابن اسفنديار سابقًا على تأليف جهانگشاي الجويني (ألف تاريخ ابن اسفنديار في حدود ٦١٣ وجهانگشا في حدود ٦٥٨)، فإنه

(١) نقل الأستاذ القزويني بعد ذلك مباشرة قصيدة مؤلفة من ٣٩ بيتًا في مدح أبي مسلم الرازي للشاعر الفارسي مُعِزّى النيسابوري، وذلك عن النسخة الموجودة بالمكتب الهندي بلندن رقم ١٣٢، لم نر داعيًا لترجمتها هنا، وتستغرق هذه القصيدة الصفحات من ٤٠١ إلى ٤٠٤ من الأصل الفارسي. (المترجم)

(٢) للمزيد من التوضيح نكرر أن مجموع الفقرات المشتركة بين جهانگشا وتاريخ ابن اسفنديار هي: جهانگشا ج٣ ص١٩٤ س٤ - ص١٩٥ س١٠، وص١٩٨ س١٠ - ص١٩٩ س٧، وص٢٠٣ س٩-١١، وص٢٠٣ س٧ - ص٢٠٤ س١٢، مطابق لتاريخ ابن اسفنديار نسخة المكتبة الأهلية بباريس (ضمن مجموعة فارسية ١٤٣٢) ورقة *154b - 155b* في الفصل المتعلق بسلطنة حسام الدولة شهريار بن قارن سرخاب مؤسس السلسلة الثانية من آل باوند.

يتبادر إلى الذهن بالطبع أنه لا بد أن يكون الجويني قد نقل هذه الفقرات من ابن اسفنديار أو أن يكون كلاهما قد اعتمد على مصدر مشترك، غير أنه من المحتمل أيضًا أن يكون أحد القراء المتأخرين قد نقل هذه الفقرات من تاريخ جهانگشاي وألحقها بتاريخ ابن اسفنديار لمناسبة المقام، ولو قام أحد بقليل من التتبع في تاريخ ابن اسفنديار وكان عارفا بوضعه وترتيبه لعلم أن هذه الفقرة ليست جديدة بالنسبة إلى الكتاب المذكور، وأن إلحاقات المتأخرين في ذلك الكتاب كثيرة، وأنها امتدت في بعض المواضع فكوّنت ذيلاً للوقائع حتى سنة ٧٥٠، أي إلى ما يقرب من ١٤٠ سنة بعد عصر المؤلف.

ص ١٨٨ س ٤:

سحنه، يلاحظ أن سحنه تكتب أيضًا في كتب المسالك والممالك وغيرها على صحنه وصبهنه، وهو اسم قرية ما زالت باقية بالاسم نفسه حتى الآن، من توابع مدينة كرمانشاه، وهي تقع على بُعد عشرة فراسخ منها في منتصف الطريق تقريبًا بين بيستون من الناحية الغربية وكنكور من الناحية الشرقية، وتقع ناحية دِينَوَر في شمال سحنه مباشرة، ويطلق الاسم نفسه أيضًا على الناحية التي تعد قرية سحنه قصبتها، وبناحية سحنه ٢٨ قرية معظم سكانها من طوائف «أهل الحق» أو العلى إلهية، واسم صحنه قديم جدًا وقد ذكر الإصطخري اسم هذه القرية بالرسم نفسه منذ أكثر من ألف عام (٣٤٠) وحدد موضعها[١].

---

(١) انظر الإصطخري ص١٩٦، وابن حوقل ص٢٥٦، ومعجم البلدان في ذيل «ماذران» ج٤ ص٣٨١ (وقد خصص ياقوت عنوانا مستقلاً أيضًا لـ «سحنه» غير أنه لم يعين الموضع الحقيقي لها ولم تكن لديه معلومات عنها)، ونزهة القلوب ص١٦٥، وبستان السياحة ص٣٢٩، و«بلدان الخلافة الشرقية» للوسترنج ص١٨٨-١٨٩، ودائرة المعارف الإسلامية، بقلم السيد=

[٤٠٦] ولا يغيب عن البال أن هناك اختلافًا كثيرًا بين المؤرخين في موضع قتل نظام الملك، فبعضهم مثل صاحب راحة الصدور ١٣٥، وابن الأثير ١٠: ٨٤ يذكر أن قتله في نهاوند أو في «حدود نهاوند» دون تحديد الموضع الحقيقي. ويذكر البعض الآخر مثل ابن اسفنديار *155a*، والجويني في الموضع الحالي، وجامع التواريخ *73a* [ص١١٠ طبع طهران]، وابن خلّكان ١/١٥٧، وتاريخ گزيده ٤٤٨ أنه قتل في سحنه، مع قيد آخر ذكروه هو أن هذه النقطة تقع بالقرب من نهاوند. ويغلب على الظن، بل نكاد نقطع عن يقين، أنهم يقصدون بسحنه قرية كانت واقعة على بعد عشرة فراسخ شرقي كرمانشاه، إذ لا يذكر في أي كتاب من كتب المسالك والممالك موضع آخر بهذا الاسم والرسم يقع بالقرب من نهاوند.

وعلى الرغم من أن هذه القرية تبعد عن نهاوند التي تقع في جنوبها الشرقي بحوالي خمسة عشر فرسخًا، فإنه يمكن أن يقال على نحو من المسامحة والإجمال إنها «قرب نهاوند»؛ لأن القرب والبعد من الأمور الإضافية، ويحدد ياقوت في معجم البلدان ٣: ٩١٩ مقتل نظام الملك في موضع يقال له فنديسجان من قرى نهاوند وكذلك القزويني في آثار البلاد في ذيل «طوس» ص٢٧٦، إلا أن فَندِيسَجان «قيد سجان» طبعت بالقاف والياء (بدلاً من الفاء والنون)، وأعجب من ذلك كله قول صاحب تجارب السلف الذي حدد مقتله في بروجرد التي تبعد عن سحنه التي أجمع

---

=مينورسكي ج٤ ص٦٦، والخرائط والكتب الجغرافية الحديثة كافة، ولا يغيب عن البال أن سحنه التي نحن بصددها ينبغي ألا يحدث بينها وبين (سنه، سنندج) عاصمة كردستان بإيران أي التباس، إذ ليست هناك صلة على الإطلاق بين هاتين النقطتين. انظر أيضًا في سنَه التي ذكرناها مؤخرًا «بلدان الخلافة الإسلامية» للوسترنج ص١٨٨، ١٩٠، دائرة المعارف الإسلامية ج٤ ص٢٣٣-٢٣٧ في عنوان سنه (*Senna*) وسائر الكتب الجغرافية الحديثة، ولا يرد أي ذكر لسحنه هذه في مؤلفات القدماء.

عليها جميع المؤرخين بحوالي خمسة وعشرين [٤٠٧] فرسخًا[١]. هذا على الرغم من أن المؤلف المذكور كتب ترجمة أحوال نظام الملك بشكل أكثر تفصيلاً وجمعًا من سائر المصادر الأخرى التي اطلع عليها راقم السطور حتى الآن.

ص ٢١٢ س ٧:

**على ذكره السلام،** جملة دعائية مثل «عليه السلام» و«عليه الصلاة والسلام» ونحو ذلك، ولا شك في أنهم كانوا يقولون في البداية «حسن على ذكره السلام» أو «مولانا[٢] على ذكره السلام» أو نحو ذلك، بمعنى أنهم كانوا يذكرون اسم المدعو له ولقبه قبل الجملة الدعائية[٣]، ثم حذفوا اسم المدعو له بكثرة الاستعمال واكتفوا بالجملة الدعائية وحدها، وهو ما يشبه تمامًا استعمالات صاحب صفوة الصفا الذي يعبّر فيه في الغالب عن الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفي الدين الأردبيلي وهو شيخ المؤلف ومصدر أغلب رواياته بقوله في كتابه: «أدام الله بركته قال كذا»، أو «أدام الله بركته فعل كذا»، أو «قال فلان كذا أدام الله بركته»، أو «ذهبنا مع أدام الله بركته إلى الموضع الفلاني» دون أن يأتي قبلها بذكر الشيخ صدر الدين، بل يذكر في بداية الكلام في أول كلمة للحكايات الجملة على هذا النحو: «أدام الله بركته» فصار في اصطلاح المؤلف المذكور علمًا ينصرف إلى الشيخ صدر الدين. ومن ثمّ صار معلومًا أن هذا الاصطلاح يطلق في عرف المؤلف المذكور على الشيخ صدر الدين الأردبيلي وحده دون غيره إلا ما شذّ وندر.

---

(١) تجارب السلف، الطبعة الحديثة للسيد إقبال ص٢٨٠.

(٢) «مولانا» كانت من الألقاب الخاصة بملوك [الإسماعيلية في إيران]. انظر ج١٠ ص١٤٠.

(٣) إذا لم يكونوا يذكرون اسم المدعو له فلا بد أنهم كانوا يحفظونه في نيتهم.

ص٢١٩ س٥:

**ناصر الدين منكلي**، كان ناصر الدين منكلي[١] من [٤٠٨] مماليك الأتابك مظفر الدين أزبك بن محمد بن إيلدكز من أتابكة آذربيجان، وقد خرج منكلي في سنة ٦٠٨ على شمس الدين آيتغمش صاحب بلاد الجبل، وهي الري وإصفهان وهمدان وتوابعها، فانتصر عليه وقتله وصار بدلاً منه حاكمًا مطلقًا على العراق العجمي. غير أنه نظرًا لما كان يبديه من خلاف مع ملوك الأطراف، ومنهم مخدومه الأتابك أزبك المذكور وخليفة الوقت الناصر العباسي وجلال الدين حسن نومسلمان من ملوك إسماعيلية ألموت، فقد اتفقوا جميعًا في النهاية على الوقوف ضده، على التفصيل الوارد في كتب التواريخ، وتوجهوا في شهور سنة ٦١١ (برواية الجويني) أو ٦١٢ (برواية ابن الأثير) بجيش عظيم لقتاله، فاشتبك الفريقان بالقرب من همدان، وهُزم منكلي، ثم ما لبث أن وقع في قبضتهم بعد مدة يسيرة وقتل فعُهد بحكومتها إلى سيف الدين إغلمش -الذي سيأتي ذكره- مملوك أخيه الأتابك أبو بكر محمد بن إيلدكز[٢].

أما شمس الدين آيتغمش المذكور الذي انتصر عليه صاحب الترجمة، فقد كان هو الآخر من مماليك جهان بهلوان[٣] محمد بن إيلدكز من أتابكة آذربايجان[٤]، الذي تمرد بدوره في سنة ٦٠٠ على مخدومه كوكجه والي بلاد الجبل، ثم هُزم كوكجه لما اشتبك الفريقان وقُتل، واستولى آيتغمش على الممالك التي تقع تحت تصرفه وهي همدان والري وسائر بلاد الجبل، وحكم تلك البلاد حكمًا مستقلاً طيلة ثماني سنوات

---

(١) منكلي من الأعلام التركية ويبدو أنها نقلت من الصفة مينگلي، بمعنى صاحب الخال («مينكر» بمعنى خال و«لي» أداة نسبة) مثلاً منگلي بُغا يعني الثور ذو الخال (ترجمان تركي وعربي طبع هوتسما ص٣٢ من الترجمة، وقاموس پاوه دو كورتي ص٥٠٧).

(٢) انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦٠٨-٦١٠، ٦١٢ (ج١٢ ص١٣٧-١٣٩، ١٤١-١٤٢)، وراحة الصدور ٤٠٢، وتاريخ أبي الفدا في حوادث سنة ٦١٠، ٦١٢.

(٣) ابن الأثير ٩١/١٢ في حوادث سنة ٦٠٠.

(٤) جهان پهلوان فارسية معناها بطل العالم (جهان: عالم، پهلوان: بطل). (المترجم)

إلى أن قتل بيد ناصر الدين منكلي في سنة ٦٠٨ كما ذكرنا، ويُكتب اسم آيتغمش هذا في بعض كتب التواريخ آيدُغمش [٤٠٩] بدال بدلاً من التاء[١]، ومآلهما واحد، ولقد كان أبو الشرف ناصح بن ظفر بن سعد المنشي الجرفادقاني المترجم المعروف لتاريخ اليميني معاصرًا لشمس الدين آيتغمش هذا وذكر اسمه في مقدمة كتابه بين العبارات التالية: «الخاقان الأعظم السلطان المعظم شمس الدولة والدين نصرة الإسلام والمسلمين ملك ملوك الشرق والغرب غازي بيك آيدغمش حرس الله جلاله وضاعف إقباله، هو ناب الدولة الأحدّ وركنها الأشدّ وعماد الملك وعمدته إلخ»[٢]، وكما هو معروف تمت الترجمة المذكورة بتصريح المترجم نفسه، في سنة ٦٠٣، أي في أواسط عهد آيتغمش (٦٠٠-٦٠٨)[٣].

وأما نور الدين كوكجه[٤] سلف آيتغمش فقد كان مثله أيضًا من المماليك الترك للأتابك بهلوان محمد بن إيلدكز، وبعد انقراض سلاجقة العراق في سنة ٥٩١ على يد تكش خوارزمشاه، استولى على الجزء الرئيسي من العراق العجمي (وكان الجزء الآخر يقع تحت يد رجل من مماليك تكش يقال له مياجق) وقد استقل بحكم تلك الولايات

---

(١) من بينها تاريخ أبي الفدا في حوادث سنة ٦١٠، ومقدمة ترجمة تاريخ اليميني، وآيْتُغمش أو آيدغمش من الأعلام التركية بمعنى «بزغ القمر» مركب من آي بمعنى قمر وتغمش أو دغمش بمعنى بزغ (ترجمان تركي وعربي طبع هوتسما ص٢٩ من المتن و٥٧ من الترجمة).

(٢) ترجمة تاريخ اليميني طبع طهران ص١١.

(٣) للمزيد من المعلومات عن أحوال آيتغمش انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٨-٣١٠ (ج١٢ ص٩١، ١١٠-١١١، ١٢٠، ١٣٧، ١٣٩)، وراحة الصدور ص٣٩٥ [ص٥٤٨ من الترجمة العربية] وتاريخ أبي الفدا فى حوادث سنة ٦٠٠، ٦١٠ (ج٣ ص١٠٥، ١١٥).

(٤) من الأعلام التركية وهو منقول من الألوان بمعنى «أزرق اللون» مصغر كوك بمعنى أزرق، من جنس أفجه = أبيض اللون، وتراجه = أسود اللون (ترجمان تركي عربي ص٣١ من الترجمة).

استقلالاً كاملاً طيلة تسع سنوات [٤١٠] حتى قُتل -كما ذكرنا- في سنة ٦٠٠ بيد آيتغمش، ودخلته ممالكه تحت تصرفه[١].

ونلاحظ -بوجه عام- أنه منذ حوالي سنة ٥٩٠ وما بعدها ولمدة تستغرق نحو خمس وعشرين سنة، أي في الفترة التي تقع بين انقراض سلاجقة العراق وخروج المغول أن هناك سلسلة صغيرة من مماليك الترك -وكان أغلبهم من مماليك أتابكة آذربايجان- استقلت بحكم بلاد الجبل، وهي عبارة عن الري وهمدان وإصفهان ومضافاتها، كما كان من بينهم واحد أو اثنان من غلمان الخوارزمشاهيين، استقلا -على تفاوت في درجة الاستقلال- بحكم هذه البلاد، ولكن لما كانت أحوالهم غير مذكورة في أي كتاب من كتب التواريخ على نحو مجمّع وفي فصل مخصوص، فإن المرء لا يحصل على معلومات كاملة عن مجريات أمورهم وحتى عن وجود هذه السلسلة وأسامي أفرادها، وليس المراد بـ «السلسلة» هنا أعضاء أسرة واحدة يتوارثون الحكم، مثل السلجوقية والخوارزمية وغيرهم، بل المقصود نظير ما حدث في مصر في عهد المماليك، إذ كان كل غلام تركي يأنس في نفسه القدرة على الخروج على مخدومه ومَالِك رِقّه يبادر بالتمرد على سلطان الوقت، ويستولى بالقوة والغلبة على مملكته ويُسعد قلبه لعدة أيام بالأمر والنهي في البلاد والتحكم في رقاب العباد إلى أن تصل النوبة إلى غلام تركي آخر مغامر فيشرع من جهته باتباع النهج نفسه، والعجيب أن هذه الدول كلها عاجلة، مثلها مثل ظلٍّ زائل، وأحلام النائم، قليلة الدوام، سريعة الزوال، وهكذا تولى السلطنة في مدة تبلغ خمسًا وعشرين سنة خمسة أفراد من

---

(١) للمزيد من المعلومات عن أحوال كوكجه انظر ابن الأثير في حوادث سنتي ٥٩١، ٦٠٠ (ج١٢ ص٥٥، ١٩١)، وأبي الفدا أيضًا في حوادث السنتين المذكورتين (ج٣ ص٩١، ١٠٥ حيث طبع اسمه خطأ في هذين الموضعين فكتب كلجا بدلا من ككجا)، ويكتبها راحة الصدور ككجه ص٣٨٨، ٣٩١-٤٠٢ [ص٥٣٨، ٥٤٢-٥٥٧ من الترجمة العربية] (وهو أكثر تفصيلاً وبسطًا).

المماليك الأتراك في العراق العجمي، كما قلنا، على قدر من التفاوت في درجة الاستقلال بين كل منهم، وهم على الترتيب التالي:

[٤١١] **كوكجه** مملوك الأتابك بهلوان محمد بن إيلدكز (سنة ٥٩١-٦٠٠).

**مياجق**: مملوك تكش خوارزمشاه (سنة ٥٩١-٥٩٥).

**آيتغمش**: مملوك الأتابك جهان بهلوان المذكور (سنة ٦٠٠-٦٠٨).

**منكلي**: مملوك الأتابك أزبك بن محمد بن إيلدكز (سنة ٦٠٨-٦١١ أو ٦١٢).

**إغلمش**[١] مملوك الأتابك أبي بكر بن محمد بن إيلدكز. ولكنه من خواص السلطان محمد خوارزمشاه المقربين (سنة ٦١١ أو ٦١٢-٦١٤).

**ص ٢٢٠ س٣:**

**مظفر الدين وجه السَبع**، كان مظفر الدين سُنقر المعروف بوجه السَبع من أكابر مماليك الخليفة الناصر لدين الله العباسي، كما كان أمير الحاج من قبل الخليفة المذكور، ولما كان وزير الخليفة نصير الدين بن مهدي العلوي يناصبه العداء بصفة دائمة فقد فارق مظفر الدين المذكور في سنة ٦٠٣ الحجاج في عرض الطريق في موضع يقال له: مرخوم. وفرّ إلى الشام خوفًا من الوزير، وأقام به إلى أن عاد إلى بغداد سنة ٦٠٨ بعد عزل الوزير، فأكرمه الخليفة وأقطعه الكوفة[٢]، وفي سنة ٦١٢ (أي في موضوعنا الذي نعرض له الآن) لما تحالف ملوك الأطراف ضد ناصر الدين منكلي صاحب العراق العجمي -كما مرّ- كان [مظفر الدين المذكور] قائد جيوش الخليفة، وفي سنتي ٦١٩ و٦٢٢ كان حاكمًا على خوزستان، بتصريح ابن الأثير

(١) انظر ص ٣٦١ فيما يلي.

(٢) ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠٣ (١٢/١٢٠).

والجويني[1]، ولا نعلم متى تقلد هذا المنصب. وفي السنة الأخيرة عندما قام جلال الدين المنكبرني بمحاصرة شوشتر بعد رجوعه من بلاد الهند، قام مظفر الدين صاحب الترجمة باتخاذ الإجراءات اللازمة لحفظها وبالغ في الحفظ والحيطة والمقاومة دفاعًا عن تلك المدينة، وأظهر الثبات بكل رجولة وشجاعة [٤١٢] ولم يترك المدينة تقع في أيدي الخوارزميين إلى أن رفع السلطان جلال الدين في النهاية الحصار مُرغمًا واستأنف سيره[2].

ص ٢٢٠ س ٤:

**مظفر الدين كوكبوري**، هو الملك المعظم أبو سعيد مظفر الدين كوكبوري[3] ابن زين الدين علي كوجك بن بكتكين بن محمد، أصله من التركمان، ملك إربل وشهرزور، وهو من القادة المشهورين لصلاح الدين الأيوبي. كان في أوائل شبابه حاكمًا على حَرّان من بلاد الجزيرة من قبل أتابكة الموصل من السلسلة الآقسنقرية، ثم التحق في سنة ٥٧٨ بخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي فصار من أخص المقربين إليه. ومنذ هذا التاريخ حتى سنة ٥٨٦ حضر صاحب الترجمة أغلب غزوات صلاح الدين ومعاركه مع الصليبيين من الفرنج، وكان ملازمًا لركابه، وأظهر شجاعة فائقة في تلك الحروب وعلى الأخص في موقعة حطّين الشهيرة[4] في سنة

---

(١) ابن الأثير في حوادث سنة ٦٢٢ (١٢/١٩٥)، وجهانگشا ٢/٢٠٢.

(٢) للمزيد من المعلومات عن أحوال مظفر الدين وجه السبع انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦٠٣، ٦٠٤، ٦١٢، ٦٢٢ (ج١٢ ص١٢٠، ١٢٨، ١٤١، ١٩٥).

(٣) كوكبوري (وهذا اسم تركي معناه بالعربية ذئب أزرق – ابن خلّكان ٢: ٩)، من «كوك» بمعنى أزرق و«بوري» أو «برو» بمعنى ذئب. (ترجمان عربي وتركي طبع هوتسما ص١١ و٣١ من المتن و٣٣ و٦١ من الترجمة).

(٤) ابن خلّكان ٢: ٦.

٥٨٣ التي قتل فيها أكثر من ثلاثين ألف جندي من عساكر الفرنج وأسر ثلاثون ألفا آخرون(١).

وفي سنة ٥٨١ تزوج السلطان صلاح الدين شقيقته ربيعة خاتون، وفي سنة ٥٨٦ بعد وفاة أخي صاحب الترجمة زين الدين يوسف بن علي كوجك حاكم إربل منحه السلطان صلاح الدين حكومة بلاد إربل وأضاف عليها أيضًا شهرزور، فانفصل عن خدمة صلاح الدين في السنة المذكورة وسار إلى مقر حكومته وبقي في منصبه حتى نهاية عمره، أي لمدة أربع وأربعين سنة، في سنة ٦١٢ لما نهض ملوك [٤١٣] الأطراف مع الخليفة الناصر لدين الله العباسي لمحاربة ناصر الدين منكلي والي بلاد الجبل، على التفصيل المذكور في المتن، كان هو الآخر من بين الحلفاء موجودًا مع جيش إربل في الموقعة كما كان القائد العام لجيوش الحلفاء، ومنذ سنة ٦١٧ وفي الفترة اللاحقة مباشرة بعد خروج المغول وحملاتهم المتكررة على بلاده نهض مرات عديدة مع جيوشه بالاتفاق مع جيوش الموصل وبغداد للدفاع والمقاومة، لكن ذلك لم يُجد شيئًا(٢)، وفي سنة ٦٢٢ بعد عودة السلطان جلال الدين المنكبرني من بلاد الهند وعبوره حدود بلاده، قام صاحب الترجمة بعقد صلح مع السلطان المذكور(٣)، وفي النهاية توفي بإربل في ٢٨ من رمضان سنة ٦٣٠ وهو في الحادية والثمانين من عمره (ولد في ٢٧ من محرم سنة ٥٤٩ بقلعة الموصل). ولما لم يكن قد أعقب ولدًا يخلفه فقد سُلِّمَتْ إربل ومضافاتها –وفقًا لما أوصى به– إلى الخليفة المستنصر العباسي(٤).

---

(١) كتاب الروضتين لأبي شامة المقدسي ٢: ٨٢.

(٢) ابن الأثير ١٢/١٧٤-١٧٥، ٢٣٣، والحوادث الجامعة ص٢٧-٣٠.

(٣) ابن الأثير ١٢: ١٩٦.

(٤) أبو الفدا ٣: ١٥٣.

كان مظفر الدين كوكبوري من أخيار ملوك العالم، فقد كان معروفًا في الآفاق بأعمال البرّ والإحسان لعباد الله وإشاعة الخيرات وإعطاء الصلات والصدقات، وقد صرف كل همّه في تحقيق الرفاهية للرعايا، والأخذ بأيدي الفقراء والمستضعفين والعجزة والمرضى وذوي العاهات والأطفال والأرامل وأمثال هؤلاء من الناس، فأسس في البلاد التابعة له مختلف الأنواع من المستشفيات ودور الأيتام ودور العميان ودور العجزة ودور الرضاعة للّقطاء، ودور الضيافة وسائر بقاع الخير والبر من المدارس والخانقاهات(١) والرّباطات وغيرها وأوقف على كل مبنى من هذه الأبنية الرفيعة أوقافًا جليلة وأملاكًا صالحة، وكان يتوجه بنفسه يومين كل أسبوع إلى المستشفيات ويدخل غرف المرضى الواحدة تلو الأخرى، ويتفقد كل واحد منهم ويلاطفه ويسأله كيف يقضي الليل، وماذا يأكل، وفيم يرغب، وكيف [٤١٤] حاله، ويعطيه قدرًا من الذهب، ثم ينتقل إلى غرفة أخرى، وهكذا حتى يزور سائر الغرف ويحادث الجميع ويضاحكهم ويستأثر بحبهم، وكان يرسل في كل عام مبلغًا عظيمًا من المال بصحبة جماعة من أمنائه إلى البلاد الساحلية وبلاد الشام من أجل استرداد أسرى المسلمين من قيد الفرنج. كما كان يخصص مبلغًا آخر كبيرًا؛ لتوزيعه على فقراء الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، وكان يرسل إلى مكة سبيلاً لحجاج بيت الله الحرام تم تزويده بكل ما يحتاجون إليه، إلى غير ذلك من أعمال البر والخير والصدقات الجارية والرّقبات الدارّة، التي لا مجال لتفصيلها هنا، وهي مفصلة ومشروحة شرحًا وافيًا في تاريخ ابن خلّكان في ترجمة أحواله(٢).

---

(١) خانقاهات: جمع خانقاه، وهو لفظ فارسي معناه البيت. ثم خصص اللفظ للمكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة. (السلوك للمقريزي ج١ ص١٨٢ حاشية ٤ تحقيق الدكتور مصطفى زيادة) (المترجم).

(٢) للمزيد من المعلومات عن أحوال مظفر الدين كوكبوري – انظر: أولاً ابن خلّكان في باب الكاف ج٢ ص٢-٩ وهو يقدم شرحًا وافيًا جامعًا ومفيدًا عن حاله. ثانيًا المصادر التالية: ابن الأثير في حوادث سنوات ٥٨٣-٥٨٩، ٦٠٢، ٦٠٦، ٦١٢، ٦١٥-٦١٧، ٦٢١، ٦٢٣، ٦٢٨، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج١ ص١٥٢-١٥٣، ج٢ ص٣٠، ٣٤، ٦٢، ٦٧، ٦٩، ٧٥، ٨٠، ١٦٤-١٦٥، ومختصر الدول (٣٨٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٣٥)،=

**ص ٢٢٠ س٩:**

**سيف الدين إيغلمش**، كان إيغلمش[١] (أو بالإملاء [٤١٥] الأكثر شيوعًا: إغلمش) من المماليك الأتراك لأتابكة آذربايجان[٢]، وبعد هزيمة ناصر الدين منكلي من جيوش الحلفاء بالقرب من همدان، على التفصيل المذكور فيما سبق، في سنة ٦١١ أو ٦١٢، وتقسيم ممالكه فيما بينهم، منح الأتابك أزبك حكومة بلاد العراق العجمي، التي وقعت من نصيبه، لإغلمش صاحب الترجمة، ولما كان إغلمش، كما قلنا، من مماليك أتابكة آذربايجان فقد عرف من أجل هذا فيما يبدو بـ «إغلمش الأتابكي»[٣]، ولكنه لما كان قد قضى شطرًا من حياته في ملازمة السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه فقد عدّ نفسه من المقربين والمنتسبين إليه، وكان يقرأ الخطبة في البلاد التي كانت تقع تحت تصرفه باسم السلطان المذكور[٤]، ثم استقل إغلمش

---

=والحوادث الجامعة لابن الفوطي ١٩-٢٣، ٢٧، ٢٩، ٤٤-٤٥، ٦٢، ١٠٥، وتاريخ أبي الفدا حوادث سنوات ابن الأثير نفسها تقريبًا. [وانظر أيضًا «مظفر الدين كوكبوري أمير إربل» لعبد القادر طليمات، العدد ٣٢ من سلسلة أعلام العرب، التي كانت تصدرها شهريًا وزارة الثقافة بمصر].

(١) لا يعرف راقم السطور ضبط حركات هذا العلم التركي وتفسيره واشتقاقه لكننا نستطيع أن نتيقن تقريبًا، استنادًا على إملاء «إيغلمش» جامع التواريخ و«ايقلمس» آثار البلاد أن حرفها الأول مكسور وليس مضمومًا كما ظنه البعض مثل صاحب حبيب السير المجلد ٢ الجزء ٤ ص١٧٩: أوغلمش، وهوتسما في ص٣٠ من ترجمة ترجمان تركي وعربي: أغلمش (*OGLAMIŠ*) ودفرمري في حواشي روضة الصفا الجزء الخاص بالخوارزميين ص١٢٤ وما بعدها في سائر المواضع (*Ougloulmich*).

(٢) ابن الأثير ١٢: ١٤١ في حوادث سنة ٦١٢.

(٣) «واتفق عقيب ذلك قتل الإسماعيلية إغلمش الأتابكي» (سيرة جلال الدين المنكبرني ص١٣).

(٤) وكان إغلمش يعد نفسه عبد السلطان [محمد خوارزمشاه] ومن المقربين إليه (جهانگشا ج٢ ص١٢)، ومنها أن إغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب له [أي لمحمد خوارزمشاه] فيها= =جميعًا. (ابن الأثير ١٢/١٤٥)، وكان [إغلمش] مقيمًا رسمي الخطبة والطاعة للسلطان بالعراق (النسوي ص١٣).

بعد ثلاث سنوات أو أربع بالعراق العجمي استقلالاً كاملاً. وفي أثناء خروجه في أوائل سنة ٦١٤ لاستقبال الحجاج هاجمه -بتحريض الخليفة الناصر- جماعة من الباطنية في زيّ التجار فأردوه قتيلاً[١].

أما ما قلناه من أن قتل إغلمش على يد الباطنية قد حدث في سنة ٦١٤، فتحديدنا للسنة راجع إلى أن ابن الأثير والنسوي يعتبران أن قتل إغلمش على يد الباطنية بتحريض الخليفة الناصر كان سببًا من الأسباب التي دعت السلطان محمد خوارزمشاه إلى تسيير الجيش نحو العراق وقصد بغداد، ولما كانت حركة خوارزمشاه إلى العراق في سنة ٦١٤[٢] بتصريح المؤرخين المذكورين [٤١٦] فلا يمكن إذن أن يكون قتل إغلمش متأخرًا عن السنة المذكورة، ومن ناحية أخرى يصرح زكريا القزويني في آثار البلاد ص٢٥١ في عنوان «الري» أن إغلمش كان لا يزال حيًا في سنة ٦١٤، فيستحيل إذن أن يكون قتله مقدمًا على السنة المذكورة، كذلك إذن لا بد أن يكون في السنة نفسها، ٦١٤، لا قبلها ولا بعدها. وهذا نص عبارة آثار البلاد:

«والنّاس يحفرون بها [أي بالري] ويجدون جواهر نفيسة وقطاع الذهب وبها كنوز في كل وقت يظهر منها شيء لأنها ما زالت موضع سرير الملك، وفي سنة أربع عشرة وستمائة في زمن إيلقلمش [صح: إيغلمش] ظهر بها حباب كان فيها دنانير عجيبة ولم يعرف أنها ضرب أي ملك»[٣]. انتهى

وليس هناك شك على الإطلاق في أن إيلقلمش في العبارة المذكورة تصحيف إيقلمش [=إيغلمش] فأضيفت لام قبل القاف سهوًا، إذ أننا لا نجد ملكًا من ملوك العصر

---

(١) جهانگشا ٢: ١٢١، والنسوي ١٣، وروضة الصفا ٤: ١٣٩، وحبيب السير الجزء الثاني من المجلد الثاني ص١٧٩.

(٢) ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة ج١٢ ص١٤٥، والنسوي ص١١.

(٣) آثار البلاد ص٢٥١.

ملك الري ونواحيها في حدود ٦١٤ يشبه اسمه شباهة كاملة إيقلمش، ولا وجود في التاريخ على الإطلاق إلا لإيقلمش (إيغلمش) الذي نحن بصدده، وقد طبع اسم إيلغمش هذا في ص٢٠١ من الكتاب نفسه أي آثار البلاد للقزويني في عنوان «ألموت» بصورة غيقلمس [= إيقلمش] وهي في الواقع أقرب من إيلقلمش إلا أن نقط الياء والشين ساقطة منها فحسب، ونصه: «فقتلوا [أي قتل أتباع الحسن بن الصباح] جمعًا من العظماء على يد الفدائية منهم الخليفة المسترشد ونظام الملك وبكتمر صاحب أرمن وإيقلمس صاحب العراق فخاف منهم جميع ملوك الأطراف»[١].

وأما ما قلناه من أن قتل إغلمش حدث في «أوائل» ٦١٤، فالسبب فيه هو أن تجريد جيوش خوارزمشاه إلى العراق (وكانت حادثة قتل إغلمش من أسبابه) وسائر الوقائع المترتبة عليه، من استيلاء خوارزمشاه على الري وساوه وقزوين وزنجان وأبهر وهمدان [٤١٧] وقم وكاشان وإصفهان، ثم تحركه نحو بغداد ورجوعه من كريوه بأسد آباد نظرًا لهجوم البرد والثلج، وتلف عدد كبير من الناس والدّواب، ثم عودته إلى خراسان، هذه الوقائع كلها التي استغرقت بالطبع مدة طويلة قد وقعت بتصريح المؤرخين في سنة ٦١٤[٢]، إذن فلا بد أن يكون قتل إغلمش قد حدث قبل وقوع سائر هذه الوقائع ولكن في السنة نفسها، وسيكون في أوائل السنة وليس في أواسطها، أو أواخرها، هذا بالإضافة إلى أن قتل صاحب الترجمة كان بتصريح النسوي، عندما خرج لاستقبال الحجاج بعد رجوعهم من مكة المكرمة «وركب يلتقي الحجاج منصرفهم من حج بيت الله الحرام فقفزوا عليه في زي الحاج» (النسوي ص١٣)،

---

(١) آثار البلاد، أيضًا، ص٢٠١.

(٢) وحتى بعد هذه الوقائع جميعها كان قد بقي شهر أو شهران من السنة المذكورة عندما عاد خوارزمشاه إلى نيسابور في شهر ذي القعدة سنة ٦١٤ (ابن الأثير في حوادث السنة نفسها ج١٢ ص١٤٦).

والمعروف أن عودة حجاج البلاد التي تشبه العراق ونحوه إلى أوطانهم تقع في شهور أوائل السنة على وجه العموم.

ولا يغيب عن البال أن اسم إغلمش صاحب الترجمة هذا قد ورد في إحدى حكايات «گلستان» المعروفة أيضًا على سبيل الاستطراد، وهي عبارة عن الحكاية الخامسة من الباب الأول التي تبدأ على هذا النحو: «حكاية: رأيت ابن حارس على باب قصر إغلمش، وكان ذا عقل وكياسة، وفهم وفراسة فائقة. وكانت تبدو على ناصيته منذ الطفولة، آثار العظمة والمجد، وكانت رأسه من الرفعة والكياسة تضيء النجوم في سمائها العالية»[1]، ومن هذه الحكاية نعرف أن سعدي كان في العراق العجمي في إحدى السنوات التي تقع بين سنتي ٦١١-٦١٤ وهي مدة حكومة إغلمش. ولما كان مركز حكومة هذه السلسلة من مماليك الترك التي بدأت بكوكجة وانتهت بإغلمش هذا هي في الغالب همدان، كما يستفاد من كتب التواريخ، فيحتمل إذن أن يكون مراد الشيخ سعدي [٤١٨] من «قصر إغلمش» هو دار حكومة هذا السلطان في المدينة المذكورة بلا شك[2].

---

(١) انظر الترجمة العربية للمقدمات والأبواب الأربعة الأولى من الگلستان للدكتور محمد موسى هنداوي، وقد نشرت هذه الترجمة بعنوان «الروضة أو گلستان سعدي الشيرازي» ص٨١، ٨٢. (المترجم).

(٢) للمزيد من المعلومات عن أحوال إغلمش انظر ابن الأثير في حوادث سنوات ٦١٢-٦١٤ (ج١٢ ص١٤١، ١٤٥-١٤٦)، وسيرة جلال الدين منكبرني للنسوي ص١٣ (مكرر)، وجهانگشاي الجويني ج٢ ص١٢١، وج٣ ص٢٤٦ وما يقابلها من الترجمة العربية، وآثار البلاد للقزويني ص٢٠١ و٢٥١، وتاريخ أبي الفدا ج٣ ص١١٦ [ص١٢٢ ط/القسطنطينية]، وروضة الصفا وحبيب السير في الفصل المتعلق بتاريخ الخوارزمشاهيين، وحواشي دفرمري *Deferémery* على الفصل المذكور من روضة الصفا ص١٢٤-١٣٣.

ص ٢٢١ س٨:

كُوْتَم، كُوْتُم بضم كاف وسكون واو وضم تاء مثناة فوقانية وفي الآخر ميم[1]، وتعرف حاليًا بـ كهدم، وهو اسم ناحية بولاية گيلان في غربي سفيدرود، ما بين منجيل من الجهة الجنوبية، ودشت من الجهة الشمالية، ويتبعها ست عشرة أو سبع عشرة قرية منها قرية تسمى بالاسم الأصلي للناحية وتعرف بكهدم، وتقع قرية كَهُدُم هذه على بعد خمسة فراسخ جنوب شرقي رشت، وهي أول منزل من منازل الطريق الموصل بين رشت وقزوين بالنسبة إلى المتجه من رشت إلى قزوين.

ولا نرى اسم كوتم في أي كتاب من كتب قدماء الجغرافيين في القرن الرابع، مثل الإصطخري وابن حوقل والمقدسي وغيرهم، اللهم إلا في كتاب حدود العالم المجهول المصنف الذي ألف باللغة الفارسية في خراسان في سنة ٣٧٢، فالكتاب المذكور (ص٦٠ طبع ليننجراد) بعد تقسيم گيلان إلى ناحيتين ناحية روديان الشرقية، وناحية روديان الغربية وهي المناطق الواقعة في [٤١٩] شرق سفيد رود أو مغربها يعد من بين النواحي الاثنتا عشرة لناحية روديان الغربية كوتم وسراوان ورشت إلخ، ثم يتكرر ذكر كوتم بعد ذلك كثيرًا في كتب التواريخ والمسالك والممالك التي ألفت في القرن السابع وما بعده مثل: معجم البلدان لياقوت، وزيج السيد نصير الدين الطوسي في جدول الأطوال والعروض، والكتاب الحالي نفسه أي جهانگشاي الجويني في الموضع الذي نحن بصدده، وفي الفصل المعادل له في جامع التواريخ. وتقويم

---

(١) هذا هو ضبط أبي الفدا في تقويم البلدان ص٢٤٨ وهو مطابق لنطقها الحالي كهدم بضم كاف ودال وبهاء مختلسة مخفية تقريبًا، وهو مطابق أيضًا لضبط القلم كوتُم بضم التاء في زيج السيد نصير الدين الطوسي نسخة المكتبة الأهلية بباريس وهي بخط ابن المؤلف السيد أصيل الدين الطوسي (*Ancien Fonds Pers 163f. 60b*)، ولكن ياقوت في معجم البلدان يضبطها على كوتم بفتح الكاف والتاء.

البلدان لأبي الفدا، ونزهة القلوب لحمد الله المستوفى، وتاريخ گزيدة للمؤلف نفسه، ومراصد الاطلاع لصفي الدين عبد المؤمن الحنبلي، ونخبة الدهر لشمس الدين محمد الدمشقي.

غير أن الفصل الذي كتبه أبو القاسم عبد الله بن علي الكاشاني في تاريخ السلطان أولجايتو[١]، وهو فصل يتعلق بجغرافية بلاد گيلان عمومًا، في أوائل القرن الثامن بمناسبة فتح تلك الولاية على يد السلطان المذكور في سنة ٧٠٦، يعدّ أكثر شرحًا وتفصيلاً عن سائر المراجع المتقدمة، فقد وصف كوتم وصفًا مفصلاً نسبيًا، ويستفاد من هذا الفصل أن ناحية كوتم كانت جزءًا مستقلاً مثلها في ذلك مثل أغلب نواحي گيلان الأخرى يحكمها ملوك يستقلون بها وحدها. كما يستفاد أيضًا أن مساحة ناحية كوتم كانت في تلك الأوقات أكبر بكثير من مساحة ناحية كهدم الحالية، ومن الإشارات التي يوردها يظهر أنها كانت عبارة عن الجزء الواقع من منجيل جنوبًا إلى حدود لشته نشاي الحالية شمالاً فقد كانت منبسطة على جانبي سفيد رود؛ أي أنها كانت مشتملة، فضلاً عن ناحية كهدم الحالية، على ناحية رودبار گيلان ورحمت آباد من جهة الجنوب وجزءًا من أراضي حومة رشت من جهة الشمال؛ ولكن قصبتها كانت تقع -كما هي اليوم- على غربي سفيد رود، ونورد فيما يلي خلاصة ما كتبه المؤلف المذكور فيما يتعلق بكوتم مجمعًا من مواضع [٤٢٠] الكتاب المختلفة: «ومن نواحي بلاد گيلان تولم وفُومَن وكسكر ودولاب وبسر وشفت ورشت ويطلقون عليها پس گيلان، ومدن لاهجان وكوتم وكوچسفان وهمام ويسمونها پيش گيلان وقبيلة كيكاوس بن شاهنشاه وهم حكام كوتم أبناء باوند وهم في الملك ذوو أصل ونسب، وأصحاب شرف ومجد قديم، وهم مقدمو پيش گيلان وقادتها، وأخت كيكاوس هي زوج جلال الدين نومسلمان، وأمّ علاء الدين الذي بادر باستقبال هولاكوخان

---

(١) توجد نسخة خطية من هذا الكتاب في المكتبة الأهلية بباريس برقم *Suppl. Pers 1419* وقد قام المستشرق الفرنسي *Schefer* بطبع الجزء الرئيسي من هذا الفصل الخاص بگيلان في الجزء الثاني من «مختارات فارسية» ص٩٤-٩٨ من القسم الفرنسي.

وسبق إليه ورجع بالإنعام. ومن الطرف الغربي لسفيدرود تقع ولاية كوتم أولاً على حافة سپيد رود أعني...، جنوبها جبل، وشرقها سفيد رود، وتحيط بها الولاية من المشرق والمغرب، كوتم اسم ناحية ويقال لقصبة كوتم بازار شهرستان وحاكمها سالوك بن سالار بن كيكاوس، وتقع ولاية كوچسفان شمال كوتم على شاطئ البحر... وتقع رشت شمال غربي كوتم»[(١)].

ويلاحظ أن المؤلف المذكور يقول صراحة: إن «ولاية كوچسفان (أي الولاية التي كانت لشته نشان الحالية جزءًا منها، كانت تقع شمالي كوتم على شاطئ البحر». فإذا كانت كوچسفان تقع على شاطئ البحر فمن الواضح إذن أن تبعد كوتم -وكانت تقع جنوب كوچسفان- عن البحر بمسافة كبيرة، ويقول أيضًا: «تقع رشت شمال غربي كوتم»[(٢)]. ومن هذه الفقرة يتضح أن كوتم لم تكن متصلة بالبحر بل كان بينها وبين البحر مسافة ليست قليلة، وكذلك تقويم البلدان الذي ألفه أبو الفدا في أوائل القرن الثامن، أي أن تأليفه معاصر لتأليف تاريخ أولجاتيو [٤٢١] المذكور، يقول نقلاً عن رجل كان قد شاهد كوتم بنفسه: إنها «ناقلة عن البحر مسيرة يوم»[(٣)]. وبناء على هذه المقدمات المذكورة نرى أن ما نقله حمد الله المستوفى القزويني في نزهة القلوب ص١٦٣ من أن «كوتم من الإقليم الرابع وهي تقع على ساحل البحر وهي ميناء للسفن التي تأتيها من كوركان [ظ: گرگان] وطبرستان وشيروان وهي ذات محصول عظيم» إنما هو بلا شك من قبيل المساهلة في التعبير، فهو يريد بـ «ساحل

---

(١) تاريخ أولجايتو لعبد الله الكاشاني، النسخة المذكورة فيما سبق باريس ورقة *40a-39a*، و«منتخبات فارسية» لشفر ص٩٤-٩٦ (القسم الفرنسي).

(٢) في الخريطة المقابلة لصفحة ١٨٥ من «بلدان الخلافة الشرقية» للوسترنج رسمت كوتم في شمال شرقي رشت (مكان جنوبها الشرقي) وذلك سهو واضح.

(٣) «كوتم بضمّ الكاف وواو ساكنة ثم تاء مثنّاة فوقية مضمومة ثم ميم في الآخر قال من رآها: وكوتم مدينة لها بساتين وهي ناقلة عن البحر مسيرة يوم وقال في العزيزي كوتم مدينة كبيرة للجيل» (تقويم البلدان ص٣٢٨ - ٣٢٩).

البحر » المنطقة القريبة منه وليس الاتصال الحقيقي المباشر به. وكذلك كان يريد بالميناء المعنى الأعم لهذه الكلمة، يعني المدينة الواقعة بالقرب من البحر فتكون مخزنًا للبضائع التجارية المصدّرة والمستوردة (كما يقال في عرفنا اليوم إن رشت هي ميناء گيلان) ولا يقصد بها الميناء بالمعنى الأخص أي المدينة التي تقع مباشرة على ساحل البحر.

ومنذ القرن التاسع يبدو أن إملاء «كوتم» هُجر كلية واستعمل بدلاً منه إملاء «كوهدم» أو «كهدم».

وكان اسم هذه الناحية يُكتب على الدوام، إلا ما شذّ وندر[1]، في سائر مؤلفات القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة في أية مناسبة تُذكر فيها بإحدى الصورتين المذكورتين. انظر من بين هذه المصادر تاريخ گيلان لسيد ظهير الدين المرعشي طبع رابينو (ويكثر تكرارها) وكذلك تاريخ عالم آراي عباس، وسفر نامه حج للحاج فرهاد ميرزا معتمد الدولة طبع طهران ص٦ و٣٢٦ [٤٢٢] و«السواحل الجنوبية لبحر قزوين» لملكونوف الروسي ص٢٢٨، ٢٦٠، ٢٦٧، وأيضًا في سائر الكتب الجغرافية والخرائط الجديدة، والكتاب الأكثر تفصيلاً وشرحًا عن سائر الكتب التي سبق ذكرها فيما يتعلق بجغرافية ولاية گيلان هو الكتاب القيم «گيلان»[2] تأليف لوئي رابينو نائب القنصل الإنجليزي السابق في رشت ص٢١٥، ٢٢٥-٢٢٧، ٣٣٦-٣٣٨.

---

(١) مثل سفرنامه لمؤلف طرائق الحقائق، فقد طبع نهاية الكتاب ٢٨٣/٣ اسم هذا الموضع على النسق القديم «كوتم».

(٢) طبع هذا الكتاب باللغة الفرنسية في سنة ١٩١٧ في باريس وهذا هو اسمه وعنوانه:
*H. I. Rabino, Les porovinces caspiennes de la perse, le Guilan, forme le vol. XXXII de la Rerve de Monde Musulman 1916 - 1917. 2 vol. Paris, 1917.*

ولا مفرّ لنا من الإشارة هنا إلى الخلط العجيب الذي وقع فيه المؤلف الأخير فيما يتعلق بكوتم، لكي لا يظن أحد أننا أغفلنا شيئًا إذا ما قام بإجراء مقارنة بين ما كتبناه هنا وما كتبه رابينو في كتابه، فرابينو يرى في ص٢٢٥-٢٢٧ من الكتاب المذكور أن «كوتم» المذكورة في مؤلفات القدماء هي نفسها «كهدم» الحالية وهذا صواب. وقد جمع كل الوقائع التاريخية التي ذكرها المؤرخون السابقون فيما يتعلق بكوتم وكهدم تحت عنوان كهدم ولا شك في أن الحق معه، ولكن يبدو أنه نسي في ص٣٣٦-٣٣٧ من الكتاب نفسه كل ما كتبه في الصفحات السابقة وافترض أن كوتم مدينة مغايرة تمامًا وتقع في رانكوه الحالية على بعد ستة فراسخ شرقي لاهيجان ويقول: إن كوتم هي ذاتها هوسم وخشم لدى القدماء(١)، وأن هذه الأسماء المختلفة جميعًا اسم لمسمى واحد، وأن كوتم هي الأصل وما بقي تحريف للكلمة. يقول راقم هذه السطور: إن جميع ما ذكره رابينو خاطئ تمامًا، وقد وقع المؤلف المذكور في خلط عجيب للغاية في هذا الصدد فافترض أن ثلاث مدن تغاير [٤٢٣] بعضها بعضًا مغايرة تامة وتقع في مواضع مختلفة بگيلان وتبلغ المسافة بين الواحدة والأخرى من عشرة إلى عشرين فرسخًا ألا وهي كوتم وهوسم وخشم، جميعها واحدة، أما كوتم -وهي الناحية نفسها التي نتحدث عنها- فتقع كما قلنا على بعد خمسة فراسخ جنوب شرقي رشت على الساحل الغربي لسفيد رود. وأما هوسم بفتح هاء وسكون واو ثم فتح سين مهملة ثم ميم في الآخر، بتصريح سائر أصحاب كتب المسالك والممالك، فهي مدينة كانت تقع في نهاية القسم الشرقي لولاية گيلان على بعد عشرة فراسخ تقريبًا من مشرق سفيد رود وعلى خمسة أو ستة فراسخ تقريبًا من مشرق لاهيجان، ولقد كانت فيما سبق هي الحد الفاصل بين گيلان ومازندران، ولقد

(١) ولقد ظن السيد مينورسكي المستشرق الروسي المعروف، تبعًا لرابينو بلا شك، في دائرة المعارف الإسلامية ج٣ ص٨ في عنوان لاهيجان أن كوتم وهوسم اسمان لمسمى واحد وهذا ما سوف نثبت حالاً خطأه وبطلانه.

كان هوسم بتصريح سيد ظهير الدين سواء في تاريخ مازندران أو في تاريخ گيلان بصفة مكررة – هو الاسم القديم لرودسر الحالية، ورودسر قصبة معروفة تقع على ساحل بحر الخزر، وهي جزء من ناحية رانكوه الحالية من نواحي گيلان، وفيما يلي بعض عباراته: «مدينة هوسم المعروفة الآن بفرضة رودسر» (تاريخ مازندران لسيد ظهير الدين ص١٩)، «رودسر التي كانت معروفة من قبل باسم مدينة هوسم» (أيضًا ص٤٨٩)، «ففرضة هوسم المشهورة الآن برودسر» (تاريخ گيلان للمؤلف نفسه ص١٣٩)، إذن فأغلب المؤلفين ربطوا بين المدينتين المذكورتين، أي كوتم وهوسم على السواء وعدوهما، على التوالي، من مدن گيلان، فكيف يمكن إذن أن تكون المدينتان مدينة واحدة. ومن هؤلاء ياقوت في معجم البلدان والسيد نصير الدين الطوسي في زيج إيلخاني، وقد ذكرا اسم هاتين المدينتين كوتم وهوسم من مدن گيلان اتفاقًا فقط، وضبطا طول كوتم على أربع وثمانين درجة وأربعين دقيقة وطول هوسم على خمس وثمانين درجة وعشر دقائق[1].

ومن هنا أيضًا يتضح أن هوسم كانت تقع على بعد تسع درجات تمامًا (أي ما يقرب من عشرة فراسخ) في مشرق كوتم، والحقيقة أن المسافة [٤٢٤] بين رود سر الحالية وكهدم الحالية هي المسافة نفسها تمامًا دون زيادة أو نقصان، ومنهم أيضًا عبد الله الكاشاني سابق الذكر في تاريخ أولجايتو وهو يعد هوسم –بصراحة ووضوح– من بين بلاد گيلان، ويعتبرها الحد الشرقي لتلك الولاية وكذلك كوتم، وقد سبق أن نقلنا نص عبارته فيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة.

وأما خشم فقد كانت بتصريح المقدسي مدينة صغيرة تقع على بعد مرحلتين غربي سفيد رود وكان بها دار أمير الناحية كما كانت معروفة بمدينة الدّاعي، وقد

---

(١) زيج إيلخاني نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٦٣ ***Andien lmds pars*** ورقة ***160b***.

التقطنا عباراته، التي نوردها فيما يلي بنصها، من مواضع مختلفة من كتابه أحسن التقاسيم:

«فقصبة الدّيلم بروان، ومن مدنها ولامر، وشكيرز، وتارم، وخشم[1]، وخشم هي مدينة الدّاعي لها سوق عامر وعلى طرف الأسواق جامع والنهر منها على جانب عليه جسر هائل وثَمَّ دار الأمير وهي صغيرة[2]، وتأخذ من سالوس[3] إلى إسبيد رود مرحلة [ظ: مرحلتين] ثم إلى قرية الرّصد [ظ: الرصد = الرشد = الرّشْت] مرحلة ثم إلى خشم مرحلة»[4].

وهكذا يلاحظ إذن أن رابينو ظن أن هوسم (= رودسر) التي تقع على بعد عشرة فراسخ شرقي سفيد رود، وكوتم التي تقع غربي سفيد رود وهي متصلة به، وخشم التي كانت تقع على بعد مرحلتين غربي سفيد رود، ظن رابينو أن هذه الثلاثة جميعًا مدينة واحدة فجمع كل ما ذكره المؤرخون وأرباب المسالك والممالك فيما يتعلق بهذه المدن الثلاث كلاً منها على حدة، جمعها هو في مكان واحد وتحت عنوان واحد. ورتب من مجموع هذه المعلومات ذات الحقائق المختلفة تلفيقًا غاية في العجب يعد من نوادر أمثلة الخلط والالتباس.

---

(١) المقدسي ص٣٥٥.

(٢) أيضا ص٣٦٠.

(٣) يعني چالوس.

(٤) المقدسي ص٣٧٣، أحال رابينو إلى كتاب «بلدان الخلافة الإسلامية» للوسترنج ص١٧٤ ليسند ادعاءه بأن كوتم وخشم مدينة واحدة، وهذا أيضا سهو واضح، لأن لوسترنج لم يقل شيئًا كهذا على الإطلاق بل قال ما قاله المقدسي بنصه حيث نقل عنه قوله بأن خشم تقع على مرحلتين من سفيد رود.

**[٤٢٥] ص٢٢٨ س٣:**

شيركوه، شيركوه(١) (أو شيره كوه) هي فعلاً اسم قرية وواد في القسم الغربي من ناحية ألموت، ففي هذا السهل يلتقي الفرعان الرئيسيان لنهر شاهرود، وهما آب ألموت من الشمال وآب طالقان من الجنوب، ثم يتكون النهر الحقيقي لشاه رود من بعد ذلك. وشيركوه(٢) أيضًا -كما يتضح من الكشف الذي سبق أن ذكرناه لقرى ألموت وقصباتها- اسم قرية تقع في هذه المنطقة، يطلق عليها الاسم نفسه نظرًا لقرب الجوار فيما يبدو(٣)، ولا شك في أن المراد بشيركوه المذكورة في المتن هو أحد أسماء شيركوه الحالية سواء كان اسم جبل أو واد أو قرية، لا «شيركوه» أخرى مجهولة.

**ص٢٣٤ س١٠:**

سفاق، هذه الكلمة مشكوكة القراءة، ويتضح من المقارنة بين جزء من فقرات جهانگشا وجامع التواريخ على قدر من القطع واليقين أنها كانت اسمًا لأحد مراحل الطريق بين خبوشان وبسطام، وهي المرحلة التي وصل إليها سفير ركن الدين خورشاه إلى بلاط هولاكو، وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال:

---

(١) بشين معجمة مكسورة وياء مثناة تحتانية ساكنة وراء مهملة في الآخر ثم كوه ومعناها جبل.

(٢) انظر ص٣٨٨ من الأصل الفارسي ضمن القائمة التي أعرضت عن إثباتها والتي تشتمل على أسماء قرى ألموت وقصباتها (المترجم).

(٣) انظر أيضًا جامع التواريخ ورقة ١١٩ [ص١٨٣ طبع طهران]، وتاريخ گزيده ص٥٢٦، وفيما يختص بالوضع الحالي لشيركوه انظر ٣٨٧، ٣٨٨ وما يقابلها من الترجمة والخرائط المفصلة لإيران، ورحلة الآنسة فريا استارك إلى ألموت ص٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٥٩، وخرائط الكتاب نفسه، وعنوان هذا الكتاب القيم الذي طبع أخيرًا ولم أتمكن من الاستفادة به في الفصول السابقة هو: *Freya Stark, The Valleys of the Assassins and other Persiam Traveles, London 1934.*

ينبغي أن نضع في اعتبارنا منذ البداية أن حركة هولاكو من بلاد المغول إلى قلاع ألموت بصحبة هذا الجيش العظيم الضخم كانت تتقدم في غاية من البطء والتأني، فقد كان يتوقف دائمًا في نقاط على طول الطريق أسابيع بل شهورًا، إذ إنه قطع المسافة المذكورة، أي المسافة بين بلاد المغول وألموت، في ثلاث [٤٢٦] سنوات وشهرين، بينما قطع المسافة من نهر جيحون إلى ألموت فقط في عشرة أشهر ونصف[١]، ثم نقول: إن قدوم هولاكو في خلال رحلته هذه إلى طوس كان بتصريح الجويني ج٣ ص١٠٣ – في شهر ربيع الآخر سنة ٦٥٤. وبعد مرور مدة على إقامته بهذه المدينة توجه إلى مرعى رادكان، ثم توجه بعد أن توقف فيها مدة إلى إستو (وهي ناحية قوچان) حيث توقف شهرًا آخر[٢]، ثم تحرك من إستو حين خلت الجبال والوديان من العلف ووصل في العاشر من شعبان إلى خرقان وبسطام[٣]، وهكذا يلاحظ أن هولاكو قضى في عرض الطريق بين طوس وبسطام شهور ربيع الآخر والجماديين ورجب ٦٥٤ حتى العاشر من شعبان بين حركة مرّة وتوقف، وفي خلال هذه المدة أرسل ركن الدين خورشاه آخر سلاطين إسماعيلية ألموت وفدين للسفارة في بلاط هولاكو على دفعتين: فقد أرسل في المرة الأولى أخاه شهنشاه إلى بلاط السلطان المذكور بإستو[٤]، كما أرسل في المرة الثانية رجلاً من أركان دولته يقال له صدر الدين فقابل هولاكو بموضع يسمى (قيد بحثنا الآن)[٥]، إذن يتضح أن «سفاق» تقع بعد إستو (= قوچان) لمن يتوجه من قوچان إلى

(١) كانت حركة هولاكو بجيشه الخاص من بلاد المغول إلى قلاع ألموت في ٢٤ شعبان سنة ٦٥١ (انظر فيما سبق ص ٨٦)، وعبوره من جيحون في غرة ذي الحجة ٦٥٣ (جامع التواريخ طبع كاترمر ص١٥٢)، ووصوله أسفل قلعة ميمون دز في ١٧ من شوال ٦٥٤ (انظر فيما سبق ص ٢١٣).

(٢) انظر فيما سبق ص ١٠٥.

(٣) جامع التواريخ طبع كاترمر ص١٨٢-١٨٤.

(٤) انظر فيما سبق ص ١٠٦ و١٠٨.

(٥) انظر فيما سبق ص ١٠٨.

ألموت، ومن ناحية أخرى كانت عودة الوفد الثاني من بلاط هولاكو إلى ألموت – بتصريح الجويني ج٣ ص٢٦٢ وما يقابلها من الترجمة– في أوائل شعبان، وكان وصول هولاكو إلى بسطام –كما قلنا فيما سبق– في العاشر من الشهر نفسه، فمن البديهي إذن أن تكون مقابلة السفير المذكور لهولاكو قد حدثت قبل قدومه [٤٢٧] إلى بسطام، وتصبح النتيجة الحتمية لهذا أن، «سفاق» التي كانت موضع اللقاء، لا بد أن تكون منزلاً من منازل عرض الطريق بعد قوجان وبسطام.

ولننظر الآن لنرى أي المنازل الواقعة بين قوچان وبسطام يشبه من قريب أو بعيد «سفاق» أو إحدى نسخها المتعددة[1]: نفاق، شعبان، باسقاق، بنلقان، بمجرد نظرة واحدة إلى خريطة إيران يتضح أن هذا الموضع لا يمكن أن يكون شيئًا آخر سوى «شقان» التي كانت فيما سبق مدينة متوسطة الحجم وأصبحت الآن قرية صغيرة على رأس الطريق الجنوبي من خوجان إلى بسطام بين بجنورد وجاجرم على تسعة فراسخ جنوب غربي بجنورد واثنى عشر فرسخًا شمال شرقي جاجرم، وتكتب هذه القرية الآن شغان بالغين وشوغان بإضافة واو بعد الشين، وبالاسم الأصلي للقرية تسمى أيضًا الناحية التي تعد القرية المذكورة قصبتها، وبهذا الاسم أيضًا تسمى الهضبة التي تقع فيها الناحية المذكورة، والنهر الذي يمر بتلك النواحي، فيقال: بلوك شغان [يعني ناحية شغان]، وچلگنه شقان [يعني هضبة شقان]، وورود شقان [يعني نهر شقان]، ويتبع الناحية المذكورة ما يقرب من اثنتى عشرة قرية هي: قصبة شغان، طَوَر (بفتحتين)، برازنلو، چاربيد، كوشغان، پشت بان، باجي، دوبرجه، حصار، چيه، جغدي، دربند، رباط جق الخَرِب وكان فيما سبق موضعًا لعبور التركمان[2]. وقد كانت هذه القرية –كما سبق أن ذكرنا– مدينة متوسطة الحجم، يقول حمد الله

---

(١) انظر ج٨ ص٢٦٢ من الأصل الفارسي.

(٢) انظر رحلتي ناصر الدين شاه إلى خراسان، الأولى في سنة ١٢٨٣ ص٣٤٩، ٣٥٧-٣٨٣، والأخرى في سنة ١٣٠٠ ص٩١-٩٣، ومطلع الشمس وبه تفصيل وشرح لرحلته الأخيرة ج١ ص١٢٣، ١٢٥، انظر أيضًا سائر خرائط إيران المفصلة.

المستوفى في نزهة القلوب ص١٥٠ بعد وصف جاجرم وخبوشان مباشرة: «شقان مدينة وسط، ومن توابعها عشرون قرية وهي من الإقليم الرابع وبها شتى أنواع المحاصيل». ويتكرر ذكر شقان في تذكرة دولتشاه أيضًا بمناسبة بعض الوقائع التاريخية التي وقعت في عهد [٤٢٨] السربداريين والتيموريين في هذه الناحية[١].

ص ٢٣٦ س ١٤:

**فسكر**، بسكر. يغلب على الظن بل يقرب من القطع واليقين أن فسكر وبسكر اللذين ذكرا في هذين الموضعين وبيسكله دز التي ذكرت فيما سبق ص١١٠ س٨ وص١١١ س١٥، هؤلاء الثلاثة جميعًا واحد، وهي أسماء مختلفة لمكان واحد. فهو على سبيل المثال يقول هنا: إن شيرانشاه (أخي خورشاه) وصل إلى بلاط هولاكو في فسكر. ويفهم بوضوح من سياق العبارة في الموضع السابق [يعني ١١٢ **فيما سبق**] أن شيرا نشاه قد حظي بمقابلة السلطان المذكور في بيسكله دز، هذا إلى جانب أنه يقول: إن شهنشاه (الأخ الآخر لخورشاه) قد أعيد من فسكر إلى ألموت. ويفهم بوضوح من سياق العبارة في الموضع المذكور (١١٢ **فيما سبق**) أن شهنشاه أعيد من بيسكله دز إلى ألموت، غير أن هناك اختلافًا يشاهد بين الموضعين وهو أن حركة هولاكو من فسكر (بسكر) إلى قلاع ألموت كتبت – في الموضع الذي نحن فيه– في «منتصف شوال»، وكتبت في الموضع السابق (١١٢ س ١٢ **فيما سبق**) من بيسكله دز إلى الناحية نفسها [يعني قلاع ألموت] في «العاشر من شوال»، ولكن لا شك في أن مراد المؤلف في هذا الموضع من «منتصف شوال» لم يكن النصف الحقيقي للشهر أي اليوم الخامس عشر منه على وجه التحديد، بل كان مقصده «أواسط شوال» من قبيل المسامحة في التعبير، وهو بهذه الصورة لا يتنافى مع

---

(١) انظر فهرست ذلك الكتاب في عنوان شقان.

العاشر من شوال الذي كان فيما يبدو هو التاريخ الحقيقي لتحرك هولاكو من فسكر إلى قلاع ألموت.

نقطة أخرى سبق أن ذكرناها في حواشي ص١١٠ فقد قلنا: إن النسخة الخطية (ب) قد صححت «بيسكله دز» في جميع المواضع بـ «پشكل دره». وقلنا: إن هذا التصحيح يبدو أقرب جدًا للواقع، والآن نكرر أنه يحتمل احتمالاً قويًا جدًا، بل يمكننا أن نقطع عن يقين تقريبًا، بأنه لا بد أن يكون المراد بفسكر ويسكر وبيسكله دز جميعًا پشكل دره نفسها المعروفة بالطالقان، ولا شك على الإطلاق في أن هذه الصور المختلفة المتنوعة جميعًا هي اسم لمسمى واحد (باستثناء بيسكله دز بزاي [٤٢٩] معجمة وهي قطعًا تصحيف بيسكله در براء مهملة فهي تبدو وكأنها صورة أخرى لپشكل دره)، وپشكل دره أيضًا بالإملاء نفسه في نزهة القلوب لحمد الله المستوفى[١]، وما زالت باقية بالاسم نفسه حتى الآن (إلا أنها تكتب أحيانًا في السجلات الرسمية فشكل دره بالفاء بدلاً من الباء الفارسية)[٢] هي ناحية معروفة من توابع قزوين تقع جنوب غربي الطالقان ومشرق قزوين، وتعتبر هي وناحية كوهپايه معًا إحدى المناطق التابعة لحكومة قزوين المحلية ويتبع الناحيتين المذكورتين ٥٦ قرية ويعيش بها ٦٠٠٠ نسمة[٣]، وأما ما عده المؤلف من أن فسكر من مضافات الري، بينما الواقع أن پشكل دره من توابع قزوين[٤]، فليس هناك تعارض على الإطلاق في ذلك؛ لأن كثيرًا من النواحي الواقعة بين الري وقزوين كان تعد في الأزمنة المختلفة وفقًا لاختلاف التقسيمات الحكومية، إما جزءًا من قزوين أو جزءًا من

---

(١) انظر الكتاب المذكور طبع ليدن ص٦٧ في عنوان «عراق عجم».

(٢) انظر «جغرافي مفصل إيران» للسيد كيهان ج٢ ص٣٦٩، ٣٧٢.

(٣) ينطبق هذا الإحصاء على الفترة التي تمت فيها كتابة هذه الحواشي، في العقد الثالث من القرن العشرين (المترجم).

(٤) انظر ص ٣٤٦ فيما سبق.

الري، مثل ذلك مثل ناحية الطالقان التي كانت منذ مدة وجيزة من توابع قزوين (والمفروض أن تكون كذلك) بينما أصبحت الآن من توابع محافظة طهران.

**ص ٢٣٩ س ٨:**

**شهرك رودبار**، كذا أيضًا بنصّه في الفقرة المعادلة لهذه العبارة في جامع التواريخ (الجزء الخاص بالإسماعيلية نسخة باريس[1] ورقة *124a*).

ولا يغيب عن البال أننا نجد الآن بوادي شاهرود في الناحية الشمالية الشرقية لقزوين قريتين معروفتين بشهرك: **إحداهما شهرك طالقان**[2] وهي الأكثر نسبيًا من ناحية العمران وتقع في الطالقان الوسطى على يمين شاهرود وهي أكثر قرى الطالقان عمرانًا وبها مائتا منزل مزدحم ومسجد وحمام وحسينية وبعض دكاكين للبزازين والعطارين والصباغين والحدادين. كما أن بها بساتين كثيرة وأشجارًا وثمارًا عديدة، وثلث هذه القرية وقف لمدرسة «سپه سالار جديد طهران» وهي مدرسة المرحوم حاجي ميرزا حسين خان القزويني مشير الدولة القائد الأعلى للجيش. **والثانية شهرك ألموت** وهي قرية واقعة على الساحل الشمالي لنهر ألموت على بعد فرسخين تقريبًا شرقي المكان الذي يلتقي فيه هذا النهر [٤٣١] بالنهر القادم من الطالقان في وادي شيركوه السابق الذكر، وشهرك هذه جزء من ناحية أَيْذج رود من نواحي ألموت الأربعة بالتقسيم الحالي الذي سبق أن وصفناه إجمالاً فيما سبق[3]. وشهرك هذه أقل عمرانًا بمراتب من شهرك طالقان.

---

*(1) Suppl pers. 1364.*

(٢) انظر فيما سبق ص ٣٤٦، ورحلة الآنسة استارك ٣٤٥ وخريطة كتابها.

(٣) انظر ص ٣٤٢ فيما سبق، ورحلة الآنسة استارك ص٢١٥، ٢٥٩-٢٦٠ وخريطة كتابها.

بعد التمهيد بهذه المقدمة نقول: إنه يتضح من تعبير «**شهرك رودبار**» بقيد رودبار (قلنا فيما سبق: إن «رودبار» في اصطلاح العهد القديم كانت تطلق على جموع ناحيتي ألموت ورودبار الحاليتين معًا) أن المراد هنا شهرك ألموت وليس شهرك الطالقان، وذلك طبقًا لما ورد في العبارة التالية لرشيد الدين في جامع التواريخ (النسخة المذكورة ص*67a*): «يوم السبت الخامس من شهر المحرم الحرام سنة ست وثمانية وأربعمائة وصلوا إلى شهرك طالقان». ويتضح من قيد طالقان، على العكس مما نحن فيه، كان المقصود به شهرك طالقان وليس شهرك ألموت، والمراد بهذا هو تمييز شهرك الأولى عن شهرك الثانية في مواطن خشية اللبس، (لما بينهما من قرب تام) بوضع قيد رودبار أو ألموت لإحداهما وقيد الطالقان للأخرى، وسياق العبارة واقتضاء المقام هنا يدلان على أن الكلام عن قلاع ألموت، ويقول المؤلف: إن هولاكو تحرك بعد فتح ميمون دز إلى قلعة ألموت وفي أثناء سيره في الطريق مر بشهرك رودبار، فواضح صراحة أن المراد بشهرك رودبار هنا إحدى نقاط سهل ألموت ولا يمكن أن يكون هناك بينها وبين شهرك الطالقان رابطة على الإطلاق لأنها كانت خارجة تمامًا عن خط سير هولاكو.

**ص٢٤٠ س٩:**

**المكتبة**، المقصود مكتبة قلعة ألموت وليس مكتبة قلعة لمَسر كما يمكن أن يتوهم لأول وهلة من ظاهر العبارة، ذلك لأن قلعة لمَسر لم تكن قد فُتحت في ذلك التاريخ، أي في ذي القعدة أو ذي الحجة ٦٥٤[١] وهي السنة التي يقع الحديث عنها، ولكنها فتحت في السنة التالية مباشرة[٢]. **[٤٣٢]** وأما ما يقوله المؤلف في بداية هذه

(١) انظر فيما سبق ص٢٤٢.

(٢) جامع التواريخ طبع كاترمر ص٢١٢.

الجملة: «ولما كنت عند سفح لمَسر عرضت تحت تأثير شغفي بمطالعة المكتبة التي ذاع صيتها في الأقطار... إلخ» ذلك لأن قلعة ألموت كانت قد امتنعت عن التسليم في البداية، وقد ترك هولاكو الأمير بلغاي لمحاصرتها وتوجه هو بنفسه لمحاصرة لمَسر. وفي أثناء محاصرة لمَسر دخلت ألموت من باب الصلح وسلّمت وانشغل المغول بالغارة. وعندئذ رأى الجويني، خشية أن تتلف المكتبة الشهيرة بهذه القلعة تمامًا وأن تصبح عرضة للنهب والغارة أن يطلب الإذن من هولاكو لكي يذهب لمعاينة المكتبة، وباقي الحكاية مشهور.

# حاشية في شأن آل جَستان

**ص٢٤١ س٦:**

**«كانوا يطلقون على ملوك الديلم اسم أرجستان»**، قلنا في حواشي ذيل الصفحات: إن كلمة «أرجستان» فاسدة ومحرفة تقريبًا في شيء من القطع واليقين مع سائر النسخ البديلة مثل أرچستان، أرحستان، أرحسفان، إحسان، گرجستان، ولا بد أن تكون كلها بلا شك تصحيف «آل جَستان» أو «جُستان».

ولقد كان آل جستان[1] فرعًا من فروع ملوك الديلم اتخذوا في النواحي الجبلية لرودبار ألموت والطالقان وسواحل شاهرود وسفيد رود إمارة صغيرة ومقامًا قبل الديالمة الكبار يعني آل بويه في القرن الثاني والثالث حتى أوائل القرن الرابع الهجري، وكانوا أحيانًا يتمتعون بشبه استقلال تبعًا [٤٣٢] لضعف الخلفاء وقوّتهم، أو وفقًا لدرجة نفوذ الملوك الكبار المعاصرين لهم، وأحيانًا يعيشون تحت التبعية الكاملة لمعاصريهم الأقوياء، وفي أواسط القرن الثالث الهجري لما خرجت سلسلة من السادات العلوية المعروفين بالدعاة في طبرستان وگيلان على خلفاء بني العباس

---

(١) أحمد المنيني شارح تاريخ اليميني في ج٢ ص٧ من الكتاب المذكور يضبط هذه الكلمة جَستان بفتح جيم وسكون سين مهملة وتاء مثناة فوقية ونون، وذلك بلا شك فضلاً عن الشراح القدماء لليميني مثل صدر الأفاضل ونجاتي والكرماني وغيرهم، ولقد كانت أقوالهم مؤسسة قطعًا على أساس صحيح وهو يقول: إن الكلمة من أعلام الديالمة. وقد ضبطت في فرهنك انجمن آرا على هذا النحو أيضًا جَستان بفتح جيم على وزن دَستان. ولكني لست أعلم استنادًا إلى أي مصدر تحركت هذه الكلمة بضبط القلم في تاريخ الطبري طبع ليدن في أغلب المواضع فأصبحت جُستان بضم الجيم.

وأنشئوا سلطنة مستقلة في تلك الولايات كانت أسر الجستانيين هذه من بين أبناء دعوتهم ومن أعظم أنصارهم، إذ كانت –وبشكل دائم– تشارك بجميع أتباعها وأشياعها ورعاياها من طوائف الديلم والجيل في أغلب حروب السادات المذكورين ضدّ نواب الخلفاء والسامانيين والطاهريين وغيرهم وتساندهم في سبيل نصرتهم على أعدائهم.

ولا نرى في أي كتاب من كتب التواريخ المتداولة فصلاً قائمًا بذاته يتناول تاريخ هذه السلسلة اللهم إلا معلومات مجزأة متفرقة ذكرت من قبيل الاستطراد وبصورة متقطعة في سياق أخبار الخلفاء وسائر الملوك المعاصرين في بعض كتب التواريخ والمسالك والممالك مثل تاريخ الطبري ومؤلفات المسعودي والإصطخري وابن حوقل وياقوت وابن الأثير وابن اسفنديار وظهير الدين والصالحي، ولم نتمكن من الحصول من أي مصدر على الإطلاق على أية معلومات جامعة مفصلة تتناول أحوال هذه الطائفة ومبدأ أمرهم ومآله وعدد ملوكهم وغير ذلك من التفاصيل المتعلقة بهم. وقد أعد بعض المستشرقين الأوروبيين مثل يوستي الألماني[١] في كتاب «أعلام الإيرانيين» وفاسمر الروسي[٢] في مقال في مجلة «إسلاميكا»، وزامباور الألماني[٣] في كتاب «معجم أنساب الأسرات الحاكمة» عددًا من الجداول المختصرة، وهي ناقصة وخاطئة بالطبع، تتعلق بهذه السلسلة من المصادر المذكورة فيما سبق. [٤٣٤] وفي الأيام الأخيرة نشر السيد سيد أحمد كسروي التبريزي أيضًا فصلاً يتعلق بتاريخ هذه الطائفة في الجزء الأول من كتاب «شهرياران گمنام»[٤] (طبع طهران ص٢٣-٣٧) وقد أفاد من كل المصادر التي يمكن الحصول عليها فعلاً. ولما كان

---

*(1) F. Justi, Iranisches Namenbuch, p. 440.*

*(2) R. Vasmer, Zuz Chronologie der Gastaniden und Sallariden, in Islamica, Leipzig, 1927, vol III Fascicule 2, 156-186.*

*(3) E. de Zambaur, Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam, Hanover, 1927, p.102.*

(٤) معنى عنوان الكتاب بالعربية «ملوك منسيون». (المترجم).

مؤلَّف السيد الكسروي قد نشر حديثًا وهو في متناول أيدي الجميع، فلا نجد داعيًا لإطالة الكلام في هذا المبحث، وسنكتفي فيما يلي بإيراد بعض الإشارات المجملة التي تتعلق بعاصمة هذه الطائفة وعدد ملوكهم، ونحيل القراء الراغبين في الاطلاع على المزيد من التفصيل في هذا الصدد إلى الكتاب المذكور.

### أ- عاصمة الجستانيين

تختلف أقوال المؤرخين في شأن عاصمة الجستانيين، فقد عدّ الإصطخري رودبار عاصمتهم ونصه: «أما الديلم فإنها سهل وجبل، أما السهل فهم الجيل وهم مفترشون على شط البحر تحت جبال الديلم، وأما الجبل فللديلم المحض وهي جبال منيعة والمكان الذي يقيم به الملك يسمى روذبار وبه يقيم آل جستان ورياسة الديلم فيهم»[1]. وكذلك أبو سعد الآبي وزير مجد الدولة الديلمي صاحب تاريخ الري، بنقل ياقوت عنه في معجم البلدان[2]، يقول: إن عاصمة بلاد الديلم، دونما إشارة إلى اسم الجستانيين حيث لم يعد لهم وجود في عصره، هي رودبار ونصه: «وقال أبو سعد الآبي في تاريخه قصبة بلاد الديلم روذبار»، ويغلب على الظن أن مراد الإصطخري وأبي سعد من رودبار كان رودبار ألموت وليس رودبار گيلان[3]، بدليل أن الجويني يقول في جهانگشا ج٣ ص٢٦٨ وما يقابلها من الترجمة: إن شهرك رودبار كانت العاصمة [٤٣٥] القديمة للديلم (يعني للجستانيين بقرينة ص٢٧١ وما يقابلها من

(١) المسالك والممالك للإصطخري ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) معجم البلدان ج٢ ص٨٣١ في عنوان «روذبار».

(٣) تصور السيد مينورسكي المستشرق الروسي المعروف في رسالته المعروفة المسماة «استيلاء الديالمة» (*Les Domination des Dialamites*) ص٨ و٢٢ أن رودبار التي يقول الإصطخري إنها كانت عاصمة الجستانيين هي رودبار گيلان وهذا كما يبدو سهو كما سيأتي شرحه.

الترجمة). ويقول المؤلف المذكور بعد أن أفاض في شرح واقعة فتح قلعة ميمون دز على يد هولاكو: «تحرك السلطان بعد يومين أو ثلاثة [من ميمون دز] ومر من «شهرك رودبار» فنصبوا الخيام، وكانت شهرك في أيام الجاهلية قبل الإسلام وفي الإسلام قبل الإلحاد مركزًا لملوك الديلم فأقاموا بها في عهد علاء الدين حديقة وقصرًا وكانت متنزهًا لهم، فاحتفلوا [أي المغول] بالفتح والظفر طيلة تسعة أيام ومن هناك اتجه إلى سفح قلعة ألموت». يتضح من سياق العبارة أن الكلام هنا إنما هو عن قلاع ألموت وناحية ألموت وبقرينة خط سير هولاكو الذي اتبعه بعد فتح ميمون دز متوجهًا منها إلى قلعة ألموت وفي أثناء سيره مر بشهرك رودبار حيث توقف عدة أيام لأداء مراسم الاحتفال بالفتح ثم من هناك توجه إلى أسفل قلعة ألموت، يتضح من سياق العبارة أن المراد بشهرك رودبار هذه -دون أدنى شك أو شبهة- إحدى النقاط التي كانت تقع في رودبار ألموت (أي كما قلنا من قبل إنها بأظهر الوجوه بل بما يقرب من القطع واليقين هي قرية شهرك الحالية نفسها بألموت التي ما زالت باقية بالاسم نفسه)(1)، وليس هناك أي ربط أو مناسبة بأي وجه من الوجوه برودبار گيلان، ولا يمكن أن تكون هناك رابطة؛ لأنه من غير المعقول كلية أن يكون هولاكو قد عاد أدراجه خمسة عشر فرسخًا إلى گيلان في الفترة ما بين فتح قلعتين من قلاع ألموت مرة واحدة دون أي سبب أو داع، ثم رجع مرة ثانية بعد أن مكث هناك عدة أيام فقطع خمسة عشر فرسخًا في العودة من گيلان إلى ألموت، ولم يذكر أحد من مؤرخي ذلك العهد مثل الجويني ورشيد الدين وحمد الله المستوفي وأبي القاسم الكاشاني وغيرهم شيئًا غريبًا كهذا [٤٣٦] يقول: إن هولاكو قد لامست قدماه أرض گيلان في أثناء فتح قلاع الملاحدة.

---

(١) انظر ص٣٧٦ فيما سبق.

وقرينة أخرى على أن مراد الإصطخري وأبي سعد الآبي برودبار التي ذكراها أنها عاصمة الديلم هي رودبار ألموت وليست رودبار گيلان، فهذا الاصطلاح الأخير، يعني إطلاق «رودبار» على رودبار گيلان، أي على ناحية گيلان الحالية الواقعة غربي سفيدرود بالقرب من منجيل، لا نطلع عليه في مؤلفات القدماء ولا نرى على أي حال في أي مؤلّف من مؤلفات القدماء مثل الإصطخري وابن حوقل والمقدسي وياقوت وحمد الله المستوفى وأبي الفداء هذا الاستعمال بحيث يراد به بصراحة رودبار گيلان ولا يحتمل انصرافه إلى رودبار أخرى.

ويأتي اصطلاح «رودبار ألموت» بصورة لا تعد ولا تحصى في كلام المتقدمين (انظر مثلاً جهانگشا ج٢ ص٤٤ وج٣ ص١٣٩، ٢٠٢، ٢٦١، ٢٦٥، وآثار البلاد ص٢٠٠، وجامع التواريخ نسخة باريس رقم ١٣٦٤ ورقة ٧٢، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٩٩، ١٠١، ١٠٢ [انظر فهرست الكتاب طبع طهران] ونزهة القلوب ص٦٠-٦١، ٢١٧، ٢١٨). إذن بناء على هذه المقدمات نرى أن الاحتمال القائل بأن مراد الإصطخري وأبي سعد الآبي بـ «رودبار» هو رودبار گيلان احتمال ضعيف ومشكوك فيه.

ويعد ابن حوقل (وفقًا لنسخة ليدن المطبوعة ص٢٦٨) طَرْم (يعني طارم) هي عاصمة الجستانيين ونص عبارته في هذا الصدد يطابق عبارة الإصطخري التي نقلناها فيما سبق ص٣٤٩ مطابقة النعل بالنعل إلا في كلمة واحدة، يقول الإصطخري: «والمكان الذي يقيم به الملك يسمى **روذبار** وبه مقام آل جستان ورياسة الديلم فيهم»، وقد أبدل ابن حوقل كلمة رودبار بكلمة «**الطرم**» هكذا: «والمكان الذي به الملك يسمى الطَرم وبه مقام آل جستان ورياسة الديلم فيهم». غير أن العجيب [٤٣٧] أن أبا الفدا ينقل عبارة ابن حوقل بنصها في تقويم البلدان ص٤٢٨-٤٢٩ إلا أنه يجعل بدلاً من «الطرم» «رودبار» مثله في ذلك مَثل الإصطخري. ولم أعرف

إلام يؤدي هذا الاختلاف العجيب. وأعتقد أن نسخة ابن حوقل التي حصل عليها أبو الفدا كانت وحدها الصائبة وما ورد فيها مطابق للواقع أي أن ابن حوقل كان قد نقل عبارة الإصطخري بنصها حرفًا بحرف في هذا الموضع (مثل أغلب مواضع كتابه)، ويبدو أن بعض القراء المتأخرين قد أجرى بعض «الإصلاحات» على نسخة ابن حوقل التي كانت أساس طبعة ليدن فاختلط في ذهن هذا القارئ بلا شك الجستانيون مع السلسلة الأخرى من ملوك الديلم المعروفين بـ «آل مسافر» الذين كانوا خلفاء للجستانيين بعد أن قضوا عليهم وكانت عاصمتهم في الحقيقة طارم لأن طارم (وهي القلعة المعروفة بشميران قصبة بلاد طارم) بتصريح سائر المؤرخين[1] كانت عاصمة آل مسافر وليست عاصمة آل جستان، ولم نسمع بأن أحدًا على الإطلاق -خلاف العبارة المشكوكة المحرفة لابن حوقل طبع ليدن- حدد عاصمة الجستانيين بطارم.

ويطلق صاحب تاريخ الصالحي (بنقل دُرُن عنه في سلسلة تواريخ مازندران ج٤ ص٤٧٤) اسم **شهرستان** على عاصمة الجستانيين ونصه: «وقيل: بل أول ملوكهم [أي ملوك الديلم] وهسودان ابن المرزبان وكان مقر ملكه **بشهرستان**». وعبارة المقدسي في أحسن التقاسيم مطابقة تقريبًا لتاريخ الصالحي، إذ على الرغم من أنه قال في البداية إن بروان هي عاصمة بلاد الديلم فإنه يقول بعد ذلك مباشرة إن مستقر السلطان يقع في مكان يقال له **شهرستان** ونصه (ص٣٦٠): «بروان هي قصبة الديلم صغيرة لا سرية ولا جليلة، ولا ظرف [كذا] ولا [٤٣٨] شريفة، ولا منارة طيبة لفيفة، ولا بلدانها كبيرة ظريفة، ولا جوامع بل في قرى كثيفة، غير أنهم في جلادة عجيبة ومنبع العساكر الأليفة، وحيث مستقر السلطان يعني **شهرستان** قد حفر ثَمَّ بئر إلى أسفلها فيها أموالهم وآلاتهم». ولقد كان مقصده دون أدنى شك جزءًا من

---

(١) انظر تجارب الأمم لمسكويه وابن الأثير (فهارسه) ومعجم البلدان في عنوان «سميران» و «شهرياران گمنام» للسيد كسروي ج١ ص٣٨ وما بعدها.

بروان من قبيل قصر أو قلعة ونحو ذلك، فقد كان هذا الجزء مقر إقامة حكام الديلم وكان يسمى شهرستان، ومن التشابه الواضح بين كلمة «شهرستان» التي ذكرها الصالحي والمقدسي و«شهرك» التي ذكرها الجويني يحتمل احتمالاً قويًا أن نقول: إن هذين الموضعين كانا في الحقيقة اسمين لمسمى واحد، غاية ما في الأمر أن أحدهما هو الاسم الفصيح والآخر هو الاسم العامي المتداول بين أهل تلك البلدة، وكذلك يحتمل احتمالاً قويًا أن يكون مرادهم، حيث اعتبروا روديار عاصمة الديلم، هو أصل الناحية المسماة بهذا الاسم، ومراد سائرهم بشهرستان أو شهرك هو قصبة تلك الناحية. وبذا لا يكون هناك اختلاف حقيقي بين المؤرخين فيما يتعلق بعاصمة الديلم القديمة.

**ب- تعداد ملوك هذه السلسلة**

**١- مرزبان بن جستان صاحب الديلم:** لا نعرف بأي وجه من الوجوه متى بدأت هذه الأسرة في الظهور ومن كان أول ملوكهم، ولكن القدر المحقق هو أنه في أواخر القرن الثاني الهجري في سنة ١٨٩ في عهد هارون الرشيد ذكر لأول مرة في كتب التواريخ اسم واحد من ملوك هذه الطبقة «مرزبان بن جستان صاحب الديلم»، يقول الطبري في حوادث السنة المذكورة[١]: «وفي هذه السنة (١٨٩) حين صار الرشيد إلى الرّي بعث حسينًا الخادم إلى طبرستان فكتب له ثلاثة كتب من ذلك كتاب فيه أمان لشروين أبي قارن والآخر فيه أمان لوندا هرمز جد مازيار والثالث فيه أمان لمرزبان بن جستان صاحب الديلم فقدم عليه صاحب الديلم فوهب له وكساه وردّه».

**[٤٣٩] ٢- وهسوذان بن جستان [بن مرزبان بن جستان] الديلمي:** الاسم الثاني من أعضاء هذه الأسرة، الذي يتكرر ذكره بعد مرزبان بن جستان المذكور في

---

(١) المجلد ٣ ص٧٠٥.

كتب التواريخ هو «وهسوذان بن جستان الديلمي»، وقد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى عند رؤية اسم أبيه جستان أنه أخو مرزبان بن جستان المذكور قبله، ولكن لما كان وهسوذان هذا بتصريح الطبري (٣: ١٨٨٠) يعيش في سنة ٢٥٩ أي بعد سبعين عامًا من مرزبان المذكور (١٨٩) فلا شك أنه ينبغي أن نفترض أنه حفيد مرزبان المذكور، كما ذكرنا في العنوان، وكما فعل سائر الباحثين (وهم يوستي وقاسمر وزامباور والسيد كسروي) وهو ليس أخاه بأي حال من الأحوال لأن هذا المقدار الفاصل بين عمر الأخوين في العادة مستبعد جدًا بل إنه محال.

كان صاحب الترجمة من الأنصار المخلصين للحسن بن زيد المعروف بالدّاعي الكبير وأول السادات العلوية بطبرستان (٢٥٠-٢٧٠)، كما كان أول من بايعه، ولهذا يتكرر ذكر اسمه ضمن شرح أحوال الدّاعي المذكور في كتب التواريخ مثل الطبري وابن الأثير وابن اسفنديار وظهير الدين في حوادث سنوات ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٩[١].

ونورد فيما يلي نص عبارة الطبري في الموضع الأخير: «وفيها [أي في سنة ٢٥٩] كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان القزويني ووهسوذان بن جستان الديلمي فهزم محمد بن الفضل وهسوذان»[٢]. (الطبري ٣: ١٨٨٠) [٤٤٠] منذ هذا

---

(١) الطبري ٣: ١٥٢٨، ١٦٨٦ (باسم ابن جستان، ١٨٨٠، وابن الأثير ٧: ١٩ (باسم جستان، وهذا قطعًا سهو بدلاً من ابن جستان) ١٠٥، وترجمة ابن اسفنديار ١٦٩ [ج١ ص٢٣٥ طبعة إقبال] وظهير الدين ٢٨٧، ٢٩١.

(٢) هكذا يلاحظ أن وهسوذان بتصريح الطبري كان يعيش على نحو من اليقين، حتى سنة ٢٥٩، ولكن ابن اسفنديار وظهير الدين ذكرا وفاته (دون ما تحديد لتاريخها الخاص) في سياق حوادث سنوات ٢٥٠-٢٥٢ ويستفاد من سياق عبارة هذين المؤلفين أنهما كانا= =يفترضان وقوع وفاة صاحب الترجمة في إحدى السنوات المذكورة، غير أنه لا شك في أن قول الطبري الذي كان معاصرًا لهذا السلطان وهو من أهالي طبرستان فضلاً عن أنه مؤرخ في غاية الدقة والوثوق=

التاريخ، أي منذ سنة ٢٥٩، لا نعرف المدة التي عاشها وهسوذان بعد ذلك ولكن يبدو أنه لم يبق على قيد الحياة مدة طويلة، وأنه توفي في حدود السنة المذكورة أو بعدها بقليل؛ لأن وفاة ابنه جستان آتي الذكر، كما سنقول، حدثت فيما يبدو بين سنوات ٣٠١-٣٠٤ وكانت مدة ملكه تقرب من أربعين عامًا عقب جلوسه. ونتيجة لذلك نرى أن وفاة أبيه وهسوذان صاحب الترجمة لا بد أن تكون قد وقعت في حدود ٢٦٠ أو قبلها مباشرة أو بعدها بقليل.

٣- **جستان بن وهسوذان المذكور**: كان مثله في ذلك مثل أبيه، من الأنصار المخلصين لدعاة طبرستان وعاصر ثلاثة منهم: أولهم: الدّاعي الكبير الحسن بن زيد الحسني الدّاعي الأول (٢٥٠-٢٧٠)، الثاني: أخوه محمد بن زيد الحسني الدّاعي الثاني (٢٧٠-٢٨٧)، الثالث: الحسن بن علي الحسيني المعروف بالناصر الكبير وناصر الحق وأطروش (٣٠١-٣٠٤)، وقد كان صاحب الترجمة يحضر -بصفة دائمة- أغلب المعارك التي حارب فيها السادات المذكورون أعداءهم مع جميع أتباعه من طوائف الجيل والديلم كجزء من جيشهم. وبعد قتل الدّاعي الثاني محمد بن زيد في الحرب مع السامانيين سنة ٢٨٧ خرج الناصر الكبير في ديلمان وگيلان للمطالبة بدمه، على التفصيل المذكور في كتب التواريخ، ووقعت بينه وبين السامانيين حول آمل موقعتين عنيفتين في سنة ٢٨٩ و٢٩٠ فانهزم الناصر وجستان صاحب الترجمة[١] بجيش الديالمة هزيمة منكرة في المرتين، وقتل منهم جمع عظيم. [٤٤١] ولقد هرب

---

=والاعتبار لا بد أن يكون مقدمًا على قول ابن اسفنديار الذي كان يعيش بعد وقوع هذه الوقائع بثلاثمائة عام، بل من الأولى أن يقدم قول الطبري على قول ظهير الدين الذي كان يعيش بعد وقوع ذلك بستمائة عام وهو تابع ومقلد لابن اسفنديار فيما يتعلق بتاريخ طبرستان القديم وليس سندا مستقلاً.

(١) انظر الطبري ٣: ٢٢١٦ في حوادث سنة ٢٨٩ (الذي عبر عن صاحب الترجمة في هذا الموضع بلفظ «ابن جستان»)، وتاريخ ابن اسفنديار نسخة السيد إقبال ١: ٢٤٧-٢٤٩.

السيد الناصر إلى ديلمان وگيلان بعد هزيمته الأخيرة هذه وأقام بينهم ثلاث عشرة سنة[١] منزويًا وكان يجتهد في الاشتغال بالعلوم[٢]، ثم رفع راية الثورة من جديد في ٣٠١ في گيلان واستولى على طبرستان بأكملها، ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ٣٠٤ استقل بالملك في گيلان طيلة هذه السنين الأربع ومات في السنة الأخيرة ميتة طبيعية، وفي هذه الثورة الأخيرة للسيد الناصر خشيه جستان صاحب الترجمة الذي كان قد قضى من عمره أربعين عامًا في نصرة الدعاة وبدأ هذه المرة في مخالفة السيد. وقد جرت بينهما معارك عديدة متتالية ولكنهما اصطلحا في النهاية و«صار مسلمًا مرة ثانية»[٣] وتوثق ما بينهما، غير أن ذلك لم يستمر طويلاً إذ إنه قتل على يد أخيه علي بن وهسوذان آتي الذكر[٤].

ولسنا نعرف على التحقيق تاريخ قتل جستان، ولكن يبدو أنه حدث في الفترة القصيرة التي قضاها السيد الناصر في السلطنة أي بين سنوات ٣٠١-٣٠٤؛ لأنه لما كان جستان قد أدرك سلطنة الناصر الأخيرة، بتصريح ظهير الدين[٥]، فلا يمكن إذن أن يكون قتله مقدمًا على سنة ٣٠١، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقول ابن اسفنديار وظهير الدين: إن الناصر الكبير بعد استقرار سلطنته في طبرستان أرسل الحسن بن قاسم الحسني المعروف بالدّاعي الصغير إلى گيلان يسعى في إحضار ملوكها إلى آمُل لإظهار الطاعة، فأحضر الحسن بن قاسم جماعة من رؤساء الديلم كان من بينهم خسرو فيروز بن جستان مع قبائلهم إلى آمل إلخ. ولأن المؤرخين

---

(١) ابن الأثير ٨: ٢١ في حوادث سنة ٣٠١ «وأقام بينهم ثلاث عشرة سنة»، وتاريخ ظهير الدين ص٣٠٢-٣٠٣ «أربع عشرة سنة».

(٢) ظهير الدين أيضًا.

(٣) ظهير الدين ص٣٠٤، وتاريخ الصالحي بنقل دُرْن عنه ٤: ٤٧٤.

(٤) تاريخ الصالحي، أيضًا.

(٥) ظهير الدين ص٣٠٤.

المذكورين يذكران في هذا الحادث من ملوك الديلم اسم خسرو فيروز ابن صاحب الترجمة فقط ولا يوردان له (أي لجستان نفسه) ذكرًا فإنه يصبح من المعلوم أن جستان لم يكن حيًا في أية سنة من السنوات التي تولى فيها الناصر السلطنة، وأن ابنه خسرو فيروز قد تمكّن مكانه.

**[٤٤٢]** ومن رسالة كان الصاحب بن عباد قد كتبها لأحد رجال آل بويه المسمى بأبي علي الحسن بن أحمد -الذي اشتغل من قِبله بمحاصرة قلعة شميران عاصمة بلاد طارم[١]- وهي الرسالة التي نقلها ياقوت بنصّها في معجم البلدان في عنوان «سميران»[٢] يتبين صراحة أن مدة سلطنة جستان بن وهسوذان هنا كانت أربعين عامًا، ونصها: «ثم سمت بهم [أي بآل كنكر][٣] إلى مواصلة حسنات [صح: جستان بن] وهسوذان ملك الديلم وقد ملك أربعين سنة فحين رأى أن سميران أخت قلعة ألموت استجاب للوصلة... إلخ» ولما كانت وفاة جستان قد حدثت وفقًا للشرح المذكور عاليه، بأغلب الظن في سلطنة الناصر(٣٠١-٣٠٤) إذن لا بد أن يكون جلوسه بناء على هذا في خدود ٢٦٠ أو قبلها مباشرة أو بعدها بقليل.

وكان لجستان صاحب الترجمة ابنة تسمى خراسويه كانت قد تزوجت بمحمد ابن مسافر الديلمي مؤسس الشعبة الأخرى من ملوك الديلم المعروفين بآل مسافر،

---

(١) لما كان نص هذه الرسالة محرفًا للغاية وخاطئًا، فضلاً عن أن عبارة ياقوت مجملة، فإننا لا نعرف من كتب الرسالة إلى الآخر؟ هل كتبها الصاحب بن عباد للقائد المذكور؟ أم كتبها القائد المذكور للصاحب بن عباد؟ ولكن يبدو من سياق الرسالة أن الاحتمال الأول أرجح.

(٢) ج٣ ص١٤٩-١٥٠.

(٣) أو آل لنكر ويعني بهم آل مسافر.

وهي أم ابنيه المعروفين مرزبان ووهسوذان، ولقد كانت خراسويه المذكورة امرأة تتسم برجاحة العقل والكفاية والتدبير، ويبدو أنها كانت تعيش حتى حدود سنة ٣٤٢[١].

٤- **علي بن وهسوذان:** أخو جستان الذي ذكرنا طرفًا من سيرته قبله، ويقرر مسكويه في تجارب الأمم (ج٥ ص٢٦، ٣٨-٣٩) أن صاحب الترجمة نُصب في سنة ٣٠٠ من قِبل المقتدر لحكومة إصفهان، ثم غضب عليه في سنة ٣٠٤ وعُزِل [٤٤٣] من هذا العمل فرجع إلى بلاد الديلم، ثم عاد الخليفة في حدود سنة ٣٠٧ ورضي عنه بشفاعة مؤنس الخادم، ومنحه حكومة الري ودماوند وقزوين وزنجان وأبهر، ولكن يبدو أن مدة حكومته الأخيرة لم تطل كثيرًا حيث وثب عليه خاله محمد بن مسافر الديلمي وقتله غيلة وهو نائم في فراشه وهرب إلى بلده[٢]. ولم أعثر على تاريخ قتله في أي موضع من المواضع ولكن يغلب على الظن أنه قتل في السنة نفسها ٣٠٧ أو بعدها بقليل[٣]، ويبدو أن صاحب الترجمة كان في خلال هذه المدة

---

(١) شرح حال خراسويه مذكور بالتفصيل في تجارب الأمم ج٦ ص٣٢، ١٥١-١٥٢، ولقد نقل مسكويه قطعًا في إشارته إلى زواج خراسويه هذه بمحمد بن مسافر الفقرة التي نقلناها عاليه من رسالة الصاحب بن عباد: «ثم سمت بهم همتهم إلى مواصلة جستان بن وهسوذان ملك الديلم إلخ».

(٢) تجارب الأمم: ج٥ ص٥١.

(٣) يبدو لأول وهلة من سياق مسكويه ٥: ٥١، ويتبعه ابن الأثير ٨: ٣٩، (وكلاهما ذكر قتل علي بن وهسوذان في ذيل حوادث سنة ٣٠٤) أن هذه الواقعة قد حدثت في السنة نفسها، ولكن بالرجوع إلى ما سبق العبارة ولحق بها يتضح أن هذه الواقعة ذكرت في ذيل سنة ٣٠٤ لأنها جزء لا يتجزأ من الحوادث السابقة وإلا لاستحال أن نعتبر عن يقين أن قتله قد حدث مقدمًا على سنة ٣٠٧، لأنه نصب حاكمًا على بلاد الجبل وهي الري وقزوين وغيرهما بعد هزيمة يوسف بن أبي الساج حاكم آذربايجان وبلاد الجبل المتمرد، فبعد هزيمته منح الخليفة صاحب الترجمة جزءًا من البلاد التي كانت تابعة ليوسف، ولما كانت هزيمة يوسف بن أبي الساج قد حدثت بتصريح المؤرخين المذكورين في المحرم سنة ٣٠٧ (مسكويه ٥: ٤٩، وابن الأثير ٨: ٣٨) فإنه يتضح إذن أنه لا يمكن أن يكون تنصيب علي ابن وهسوذان حاكمًا على بلاد الجبل وقتله، الذي حدث بداهة بعد هذا التنصيب، مقدمًا على سنة ٣٠٧. ومن ناحية أخرى لما كان المؤرخان المذكوران قد ذكرا قتل صاحب الترجمة مباشرة بعد توليه حكومة بلاد الجبل وفي ذيل الواقعة نفسها (مسكويه ٥: ٥١، وابن الأثير = =٨: ٣٩) فضلاً عن أنه لم يرد بعد تاريخ=

القصيرة التي قضاها في الحكم ببلاد الجبل، خلافًا لما درج عليه آباؤه وأجداده الذين كانوا جميعًا من أنصار السادات العلوية بطبرستان [٤٤٤] قد أخذ الحسن بن القاسم الحسني المعروف بالدّاعي الصغير وحبسه في قلعة ألموت، وقد ظل السيد أسيرًا في تلك القلعة إلى أن قُتل صاحب الترجمة فأُخرج من السجن وتوجه إلى گيلان، يقول ابن اسفنديار في شرح أحوال الدّاعي المذكور: «لجأ الدّاعي إلى الإصفهبد محمد بن شهريار فأخذه الإصفهبد محمد وقيده بقيود ثقيلة وأرسله إلى علي بن وهسوذان الذي كان نائب الخليفة المقتدر بالله في الري. وكان طاهر بن محمد الكاتب واقفًا أمام علي بن وهسوذان فلم يوافق على إرساله إلى بغداد، وقال المصلحة أن ترسله إلى قلعة آبائك في ألموت فحملوه إليها وحبسوه بها. إلى أن فتك محمد بن مسافر بعلي بن وهسوذان في قزوين، فخلص خسرو فيروز الدّاعي وأرسله إلى گيلان[١]».

٥- **خسرو فيروز بن جستان بن وهسوذان:** خسرو فيروز هذا كان ابن جستان بن وهسوذان، بقول ابن اسفنديار وظهير الدين، وأخاه بقول الصالحي[٢]، ومهما يكن من أمر فقد قام خسرو فيروز بعد قتل علي بن وهسوذان على يد محمد ابن مسافر في حدود سنة ٣٠٧ بمحاربة هذا الأخير طلبًا لثأر عمه (أو أخيه) ولكنه هزم في النهاية ثم قتل على يد محمد بن مسافر وجلس مكانه ابنه المهدي[٣].

---

=٣٠٧ في أي مصدر آخر ذكر أو خبر على الإطلاق عن علي بن وهسوذان، فإنه يمكن القول بأن قتله قد حدث بأظهر الوجوه في سنة ٣٠٧ ذاتها أو بعدها بقليل، ولكنه على أي حال لم يتأخر كثيرًا عن التاريخ المذكور.

(١) ابن اسفنديار نسخة السيد إقبال ج١ ص٢٦٤-٢٦٥، وظهير الدين ٣١٠-٣١١ (ليس المراد بـ«الناصر» في المصدر الأخير ص٣١١ س٤ - الذي يقول: إن الدّاعي الصغير توجه، بعد خلاصه من حبس علي بن وهسوذان، إلى گيلان واتصل بالناصر - الناصر الكبير الذي توفي في سنة ٣٠٤ فالكلام هنا عن وقائع ٣٠٧ وما بعدها، إذ إن مراده أحد أولاد الناصر الكبير أبا الحسين أحمد أو أبا القاسم جعفر اللذين كانا معروفين أيضًا بالناصر).

(٢) ابن اسفنديار ١: ٢٥٨، وتاريخ الصالحي بنقل عنه ٤: ٤٧٤.

(٣) تاريخ الصالحي، أيضًا.

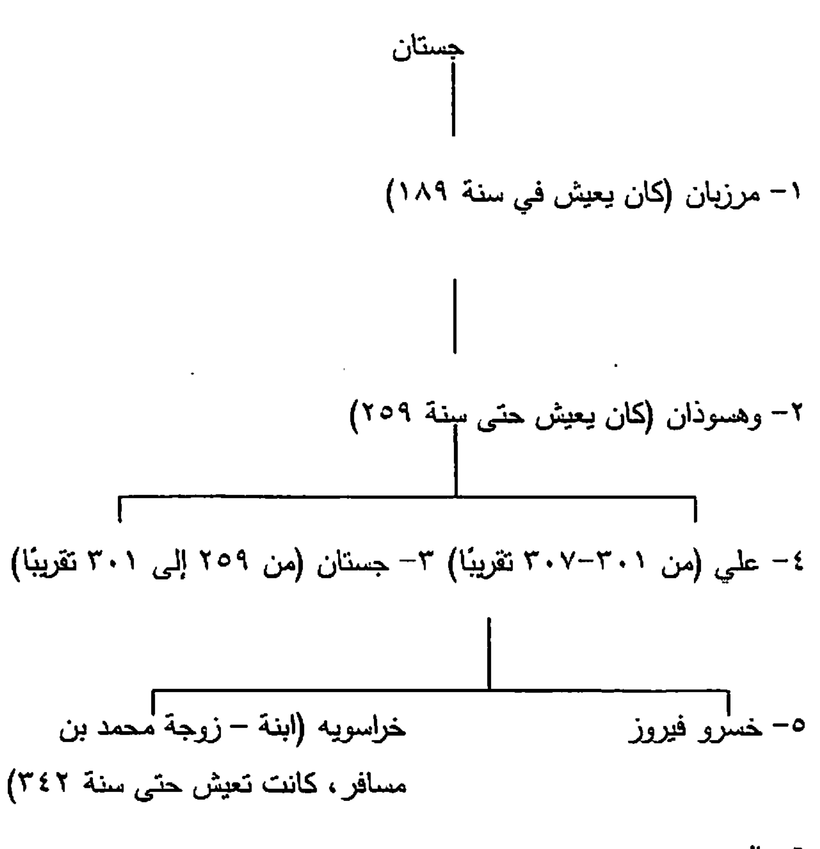
٦- **المهدي بن خسرو فيروز**: حاربه محمد بن مسافر أيضًا وانتصر عليه واستولى على سائر بلاد الديلم. فالتجأ المهدي إلى أسفار بن [٤٤٥] شيرويه المعروف، فتغير عليه أسفار بعد مدة فخافه وتركه[١]، ولا نعرف على التحقيق تاريخ هذه الوقائع، ولكن لما كانت هذه القضايا كلها قد وقعت بعد مقتل علي بن وهسوذان في حدود ٣٠٧ وقبل قتل أسفار نفسه سنة ٣١٦ فإن تاريخ وقوعها إذن محصور بالطبع بين الحاصرتين المذكورتين، ولا نعثر بعد ذلك على الإطلاق في أن كتابتا من كتب التواريخ، في ظاهر الأمر، على ذكر أو خبر أو أثر عن آل جستان.

ولقد قلنا في أول هذا الفصل: إن أول اسم ورد ذكره في التاريخ من أعضاء هذه الأسرة كان في سنة ١٨٩ في خلافة هارون الرشيد، إذن يمكن أن يقال على سبيل الإجمال: إن ابتداء ظهور هذه الطائفة، وبعبارة أصح ابتداء اطلاعنا على أحوال هذه الطائفة كان في أواخر القرن الثاني، وانتهاء أمرهم، أي صمت كتب التواريخ عن ذكرهم، كان في حدود ٣١٦.

---

(١) تاريخ الصالحي، أيضًا.

## شجرة أنساب هذه الأسرة



[٤٤٦] ص٢٤١ س٨:

السَّلاَمي، هو أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد السَّلاَمي البَيْهَقِي صاحب التاريخ المشهور «أخبار ولاة خراسان» الذي كان المصدر الرئيسي لأغلب المؤرخين المتأخرين فيما يتعلق بتاريخ النواحي الشرقية لإيران وما وراء النهر حتى أواسط القرن الرابع الهجري، وقد نقل أكثر المؤلفين مثل الشيخ الصّدوق والسّمعاني وياقوت وابن خلّكان ونظامي عروضي والجويني وبعض شُرّاح اليميني القدماء فصولاً عديدة من هذا الكتاب بالنص[١]، ويغلب على الظن أن هذا الكتاب القيم كان قطعًا المصدر الرئيسي للمعلومات المتصلة المبسوطة التي ذكرها الكرديزي في زين الأخبار، وابن الأثير في تاريخ الكامل فيما يتعلق بالنواحي المذكورة أعني خراسان وسيستان وطبرستان وما وراء النهر في عهد الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية. ويبدو أنه قد فُقد في الوقت الحاضر كلية.

وشرح حال السّلامي صاحب الترجمة مذكور في تاريخ بيهق تأليف أبي الحسن البيهقي، وفيما يلي نص عبارته[٢]: «الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد بن

---

(١) انظر عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق طبع طهران ص٢٩٧-٢٩٨، والأنساب للسمعاني في نسبة «يفتلي» ورقة *601a*، ومعجم الأدباء ٦: ٢٩٣، وابن خلّكان ١: ٢٥٧، و٢: ٢٧٦، ٤٨٢-٤٨٨ في شرح أحوال طاهر ذي اليمينين، والمهلب ابن أبي صفرة ويعقوب بن الليث، وچهار مقاله لنظامي عروضي السمرقندي ص٢٧، وجهانگشا الجويني ٣: ٢٧١، وما يقابلها من الترجمة، وشرح تاريخ اليميني لأحمد المنيني نقلاً عن بعض الشراح القدامى لهذا التاريخ مثل صدر الأفاضل والكرماني ١: ١٧٢، ٢٩٣، ٣٤٨، و٢: ١٧.

(٢) تاريخ بيهق نسخة لندن *or 3587* ورقة *89a*. وكنا قد نقلنا قبل ذلك في هوامش ص١٢٥ من چهار مقاله جزءًا من هذا الفصل من تاريخ بيهق يتعلق بترجمة حياة السلامي وها نحن أولاء الآن نعيد نقله نظرا لأهميته الكاملة للموضوع. (القزويني). وقد طبع كتاب «تاريخ بيهق» في طهران سنة ١٣١٧ هجرية شمسية باهتمام أحمد بهمنيار، وترجمة حياة السلامي مذكورة في ص١٥٤ من تلك الطبعة. (المترجم).

محمد[1] السَلامي البيهقي، ولد ونشأ في خوار بيهق [٤٤٧] وينبغي نطق السَلامي هذه بفتح سين وتشديد لام على وزن علاّم وغفّار وهو يوضح هذه الكلمة في كتاب الثّار وهو من تصنيفه، ونسبة الشاعر سلامي بتخفيف لام ألف إلى مدينة السلام يعني بغداد، ولقد توفي أبو علي الحسين السلامي صاحب التاريخ في سنة ثلاثمائة، وذِكْرُ أبي علي السلامي وتقرير حاله مستغنٍ عن الشرح، وكتبه ناطقة بفضله ومن تصانيفه تاريخ ولاة خراسان[2]، وكتاب النّتف والطُّرف[3]، وكتاب المصباح، وكتاب الثار، ولقد كان تلميذًا لإبراهيم بن محمد البيهقي، وأشعاره مذكورة في كتاب يتيمة الدهر[4] وغيره، وكان أبو بكر الخوارزمي تلميذا له» انتهى.

---

(١) يرد اسم السلامي ونسبه في عيون أخبار الرضا ص٢٩٧-٢٩٨، ومعجم الأدباء ١: ١١٨ على النسق المذكور في العنوان الوارد بتاريخ بيهق وقد عبر عنه في يتيمة الدهر ٤/٢٩ بـ «أبو علي السلامي» وفي مناقب ابن شهرا شوب ٢/٦ بـ «أبو علي الحسن [الحسين] البيهقي السلامي» فيتضح من مجموع القرائن أن كنية صاحب الترجمة برواية أغلب المؤرخين كانت أبا علي واسمه الحسين، ولكن ابن خلّكان ٢: ٢٧٦، ٤٨٢ في شرح حال المهلب بن أبي صفرة ويعقوب بن الليث والسمعاني في الأنساب *219a* يطلقان عليه «أبو الحسين علي بن أحمد سلامي»، ولا شك في أن المؤلفين الأخيرين قد خلطا بين اسم صاحب الترجمة وكنيته فكتبا «أبو الحسين علي» بدلاً من «أبو علي الحسين» ويبدو أن السمعاني على الأخص لم يكن لديه معلومات عن أحوال السلامي وعن كتبه بطريق مباشر؛ لأنه لم يذكر على الإطلاق اسم صاحب الترجمة في كتاب الأنساب في نسب «سلامي» ورقة ٣٠٢. وكل ما نقله عن السلامي في كتابه المشار إليه (حيث ينقل عنه مثلاً في نسب «سجزي» *291a* وفي نسب «يفتلي» *601a*) لم ينقله مباشرة عنه بل نقله عن ابن ماكولا الذي نقل بدوره عن السلامي.

(٢) أو «أخبار ولاة خراسان» على حسب اختلاف تعبير المؤرخين.

(٣) أو «نتف الطرف» على حسب اختلاف تعبير المؤرخين، ينسب هذا الكتاب باسمه ورسمه إلى صاحب الترجمة، فضلاً عن صاحب تاريخ بيهق، وكذلك الثعالبي في يتيمة الدهر ٤: ٢٩، وياقوت في معجم البلدان ١: ١١٨ و٦: ٤٩٠، وفي معجم الأدباء ٤: ٢٠٣ وقد نقل ياقوت فقرات عديدة من هذا الكتاب. ولكن السمعاني في كتاب الأنساب في نسب «سلامي» ورقة *302b* ينسب هذا الكتاب إلى السلامي الشاعر المعروف «أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي» على شك منه في ذلك. وهذه أيضًا قرينة أخرى تدل على أن السمعاني – كما ذكرنا – لم تكن لديه معلومات كثيرة منقحة عن أحوال صاحب الترجمة وعن مؤلفاته.

(٤) ج٤ ص٢٩.

[٤٤٨] وهكذا يلاحظ أن تاريخ بيهق يجعل وفاة السلامي بصراحة ووضوح في سنة ثلاثمائة. على الرغم من أن المؤلف نفسه يقول في الموضع نفسه: إن أبا بكر الخوارزمي كان تلميذًا له، وبين هذين الرأيين تناقض شديد الوضوح لأن أبا بكر الخوارزمي ولد في سنة ٣٢٣ بتصريح معاصره وصديقه الثعلبي في يتيمة الدهر ٤: ١٢٧ وبديهي أن أستاذه، أعني السلامي صاحب الترجمة، لا يمكن أن يكون قد توفي في سنة ٣٠٠ أي قبل ولادة تلميذه بثلاثة وعشرين عامًا، فليس ثمة شك على الإطلاق في أن كلمة ثلاثمائة في عبارة تاريخ بيهق خطأ فاحش؛ بمعنى أنه لا بد أن تكون قد سقطت مراتب من الآحاد والعشرات من هذا التاريخ. ويبدو أن المؤلف ترك مكان الآحاد والعشرات -وهو الأمر الذي تشاهد نظائره بكثرة- بياضًا إلى أن يتحقق من التاريخ ثم يضبطه، غير أنه لم يوفق إلى معرفته على وجه التحقيق أو وفق ونسي أن يجري الإضافة اللازمة، ثم إن النساخ المتأخرين لم يلتفتوا إلى هذا البياض فحذفوا الفاصلة المتروكة بيضاء عند الكتابة[1]، وعلى أي تقدير فلا محل للشك والتردد في أن وفاة السلامي لا يمكن أن تكون قد وقعت في تاريخ مبكر عن حوالي سنة ٣٤٠؛ لأنه لو كان سن تلميذه أبي بكر الخوارزمي المذكور حين وفاة أستاذه عشرين عامًا أو حتى خمسة عشر عامًا لافترضنا أن النتيجة الحتمية لهذا هو أن السّلامي كان يعيش على وجه اليقين حتى حدود سنة ٣٤٠.

وفضلاً عن هذا الاستدلال المبني على الحساب نجد بين أيدينا أيضًا بعض القرائن والدلائل الخارجية الأخرى تشير بأن وفاة السلامي لم تحدث بعد سنة ٣٤٤ على أظهر الوجوه، غير أنه لما كان أصل المبحث (وهو تخطئة سنة ثلاثمائة

(١) ومن العجيب أن هذا السقط موجود بنصه في النسختين اللتين حصلت عليهما من تاريخ بيهق وهما نسخة لندن *Or. 3587* ورقة *89a*، ونسخة برلين *Sprenger 207* ورقة ٨٧، وعبارة تاريخ وفاة السلامي مذكورة بنصها على النحو المذكور في المتن يعني «توفي سنة ثلاثمائة» (القزويني)، كذلك وردت هذه العبارة بنصها في طبعة طهران لكتاب تاريخ بيهق سنة ١٣١٧ هجرية شمسية. (المترجم)

[٤٤٩] كتاريخ لوفاة السلامي) واضحًا كل الوضوح، فقد صرفنا النظر - احترازًا من تطويل الكلام بلا طائل- عن الخوض في تفصيل هذه القرائن والدلائل، ونحيل القراء الذين يطلبون مزيدًا من المعلومات عن هذا الموضوع إلى الكتاب الذي ألفه بارتولد بعنوان «تركستان» (الترجمة الإنجليزية ص١٠) [١]، وإلى رسالة أخرى للمؤلف نفسه تتعلق بتاريخ الأسرة الصفارية موجودة في العدد التذكاري الذي نشر بمناسبة العيد السبعين لميلاد نولدكه ج١ ص١٧٤، وانظر أيضًا مقالة السيد بديع الزمان الخراساني من الفضلاء المعاصرين بعنوان «انتقادات بر حواش چهار مقالة» [أي نقد حواشي چهار مقالة (المقالات الأربع)][٢] منشورة في مجلة «ارمان» المطبوعة بطهران سنة ١٣١٠ العدد ٥-٦، وهناك مقالة أخرى لصديقي الفاضل ميرزا عباس خان إقبال آشتياني في الرد على هذه الانتقادات منشورة في مجلة «شرق» المطبوعة أيضًا في سنة ١٣١٠ العدد ٦-٧. وقد سبق لي أن كتبت في حواشي چهار مقالة ص١٢٥، نقلاً عن عبارة تاريخ بيهق دون تصرف، أن السلامي توفي في سنة ثلاثمائة دون أن ألتفت إلى استحالة هذا التاريخ، وإنني مدين الآن بتصحيح هذه الغفلة للأبحاث القيمة للفاضلين المشار إليهما، أعني السيد بديع الزمان الخراساني والسيد إقبال آشتياني، فقد لفتا نظري إلى هذه النقطة في مقاليهما السابق ذكرهما، متعنا الله بطول بقائهما.

**تمت الترجمة بحمد الله وتوفيقه**

---

(١) ص ٧٢ - ٧٣ من الترجمة العربية للكتاب، وقد نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، ونشره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت سنة ١٩٨١م. (المترجم).

(٢) وهي الحواشي التي كتبها الأستاذ القزويني على كتاب «چهار مقاله» للنظامي العروضي السمرقندي طبع ليدن سنة ١٩٠٩م. (المترجم).

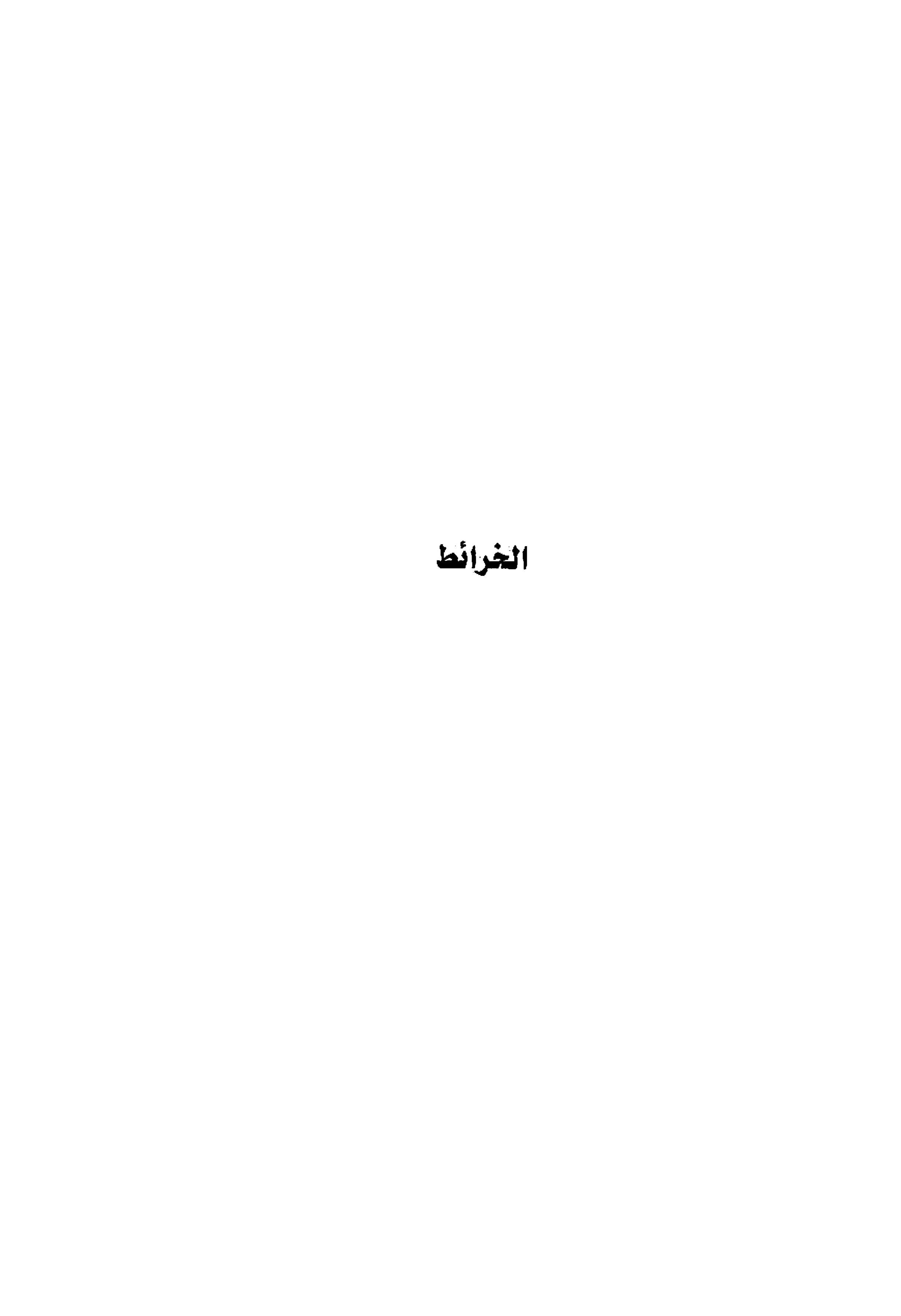
# فهرست الأعلام

يقتصر هذا الفهرست على النص الأصلي لكتاب جهانگشاي والذي انتهى بصفحة ٢٤٦، ولا يشمل الفهرست الحواشي والتعليقات الواردة في آخر هذا الجزء.

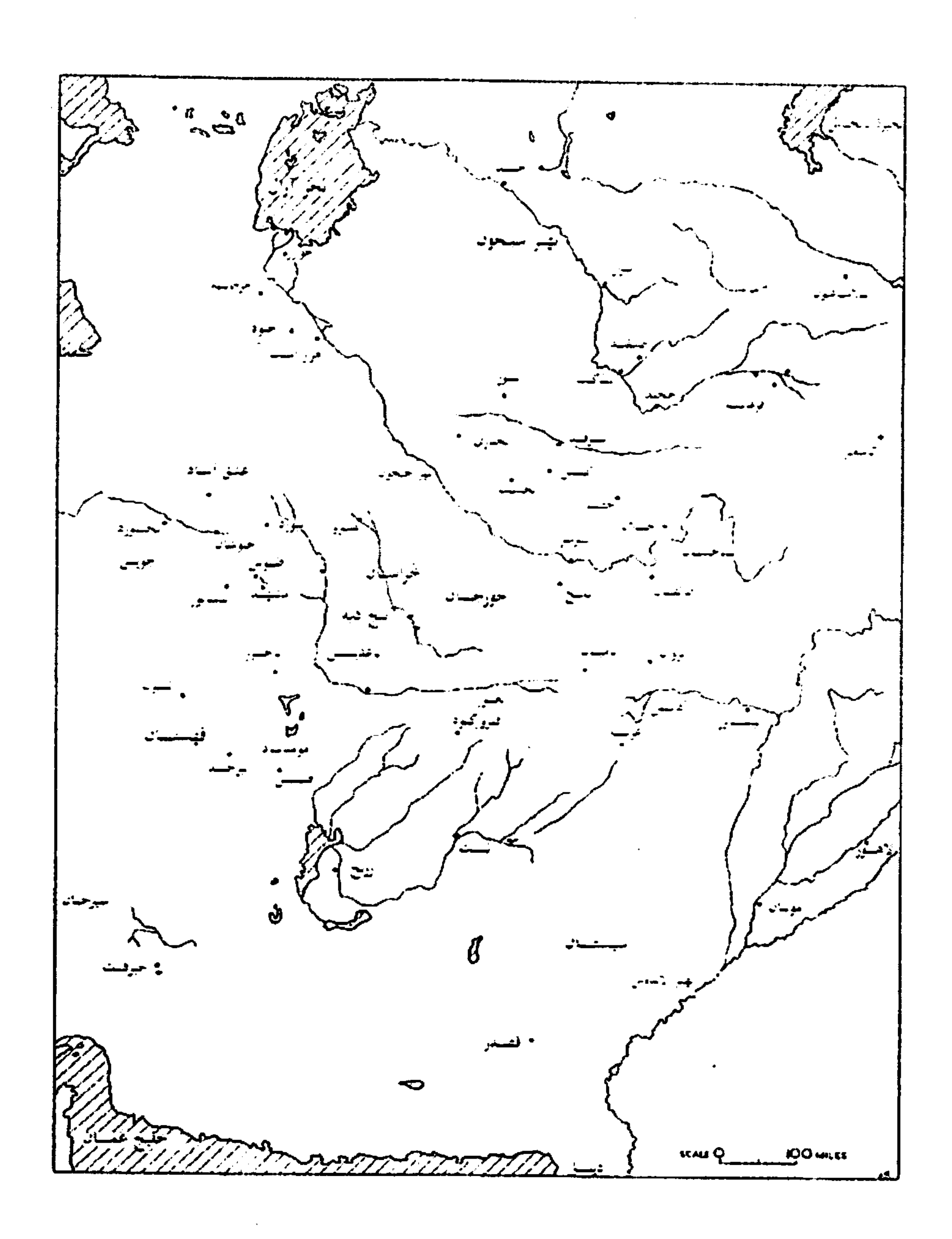
- (ح) يعني حاشية، (ظ) يعني ظاهرًا.

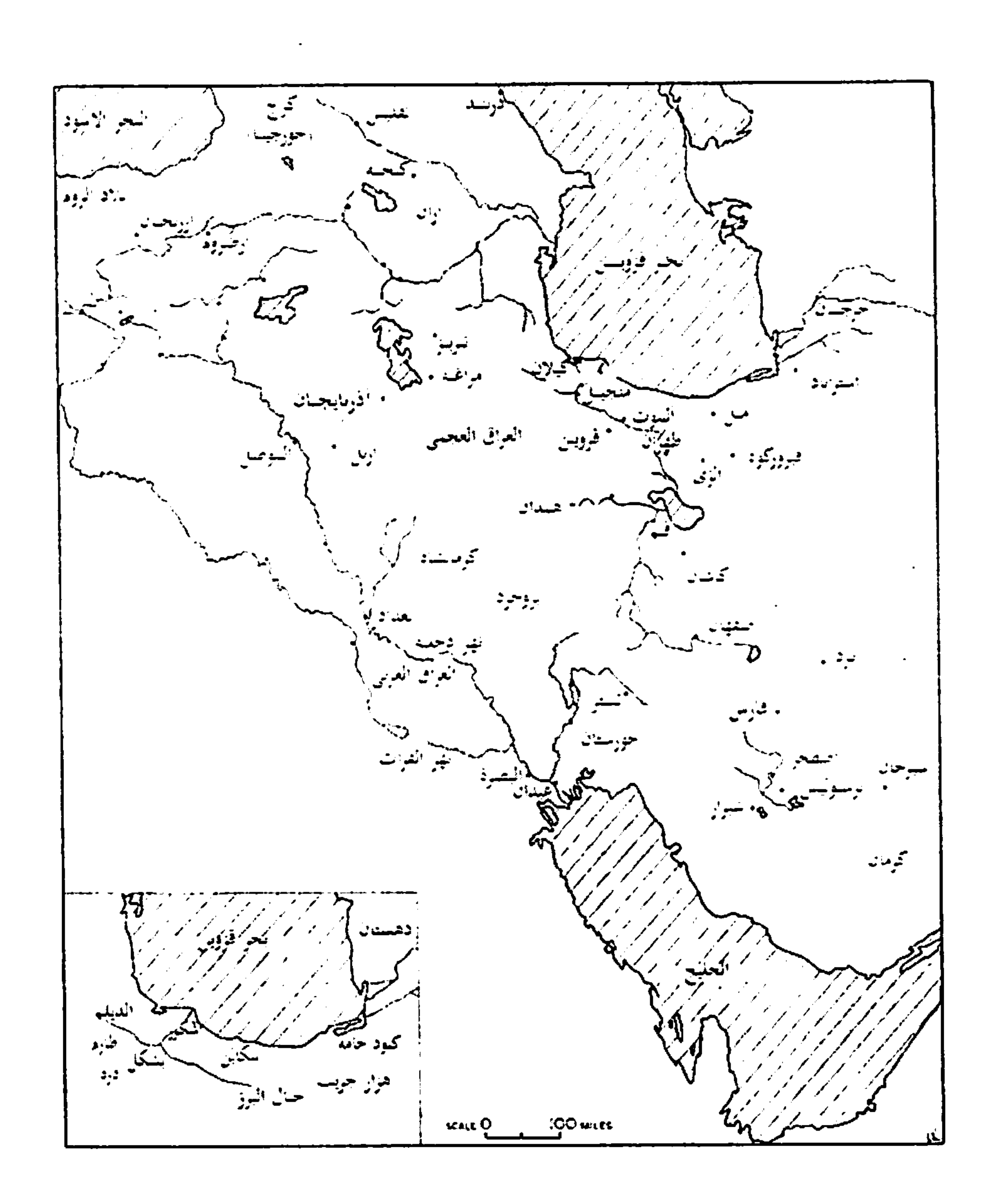
# فهرست الأماكن والقبائل

يقتصر هذا الفهرست على النص الأصلي لكتاب جهانگشاي والذي ينتهي بصفحة ٢٤٦ ولا يشمل الفهرست الحواشي والتعليقات الواردة في آخر هذا الجزء.



# الخرائط


نهر سيحون
جوزجان
SCALE 0 100 MILES


بحر قزوين
تبريز
مراغة
آذربيجان
العراق العجمي
قزوين
همدان
كرمنشاه
بروجرد
نهر دجلة
العراق العربي
نهر الفرات
البصرة
عبادان
خوزستان
فارس
كرمان
الخليج
الديلم
كود حامه
SCALE 0 100 MILES

## المؤلف فى سطور

**علاء الدين عطا ملِك بن بهاء الدين محمد الجويني**

ولد في سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، وينتمي إلى أسرة عريقة كان لها إسهام بارز في إدارة الشئون المالية والإدارية في إيران وغيرها من البلاد التي وقعت تحت حكم دول السلاجقة والخورازميين والمغول، ومن أجل ذلك سُمّيت هذه الأسرة بأسرة "صاحب الديوان".

بدأ عطا ملِك وهو في السابعة عشرة من عمره (سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م) في العمل بديوان الحاكم المغولى (الأمير أرغون) الذي تولى حكم إيران والبلاد التي اجتاحها جنكيز خان بجحافله، وظل عطا ملِك يرافق هذا الأمير في أسفاره الدورية إلى عاصمة أباطرة المغول (قراقورم) طيلة أربعة عشر عامًا، وفي إحدى المرات مكث في تلك العاصمة نحو سنة ونصف، فعايش القوم واتصل بعدد من أمراء المغول وأشرافهم، وشاهد بنفسه العديد من الأحداث المهمة، وتيسرت له سبل جمع المعلومات عن نشأة المغول وتاريخهم قبل جنكيزخان وعن شخصيته والغزوات الكبرى التي قام بها ومَن تولّى وحكم الإمبراطورية من بعده، فرأى عطا ملِك أنه يجدر به أن يؤلّف بلغته الفارسية كتابًا يتناول ذلك كله هو كتاب "تاريخ جهانگشاى" (أي تاريخ فاتح العالم) نسبة إلى جنكيز خان فبدأ في تأليفه في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م وانتهى منه في سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م.

وحين قدم "هولاكو" -على رأس الحملة المغولية الثانية- إلى إيران (سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) اختار عطا ملِك لكى يكون واحدًا من أقرب المستشارين إليه، فرافقه طيلة حملته الموسّعة للقضاء على الإسماعيلية، ودوّن وقائع هذه الحملة فى كتابه، وحين استسلمت عاصمتهم "ألَموت" لقوّات هولاكو أشار عليه عطا ملِك بالإبقاء على

بعض مقتنيات مكتبتها الكبرى من كتب نادرة وترك ما لا قيمة له منها (فى نظره) لكى يُحرق عن آخره.

وكان من بين الكتب التى استخرجها عطا ملِك من المكتبة المذكورة كتاب "سرگذَشت سيّدنا" (أي سيرة سيدنا) وهو سيرة كاملة للحسن بن الصباح مؤسس دولة الإسماعيلية في إيران، وقد نقل عطا ملِك ذلك الكتاب مختصرًا في الجزء الثالث من كتاب "جهانگشاى"، الذي هو بين أيدينا الآن.

في سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م، وعقب قضائه على الخلافة العباسية في بغداد عهد هولاكو بحكومة بغداد والعراق إلى عطا ملِك الجويني، فاستمر في حكمها -نائبًا عن سلاطين المغول- حتى توفي بعد نحو أربع وعشرين سنة، ٦٨١هـ/١٢٨٢م.

## المترجم فى سطور:

**محمد السعيد جمال الدين**

- أستاذ اللغة الفارسية وآدابها في كلية الآداب - جامعة عين شمس، وكان قد تولى رئاسة قسم اللغات الشرقية بالكلية نفسها في سنوات ١٩٨٦-١٩٨٨، ١٩٩٤-٢٠٠٠.
- عضو مجلس إدارة مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس، ورئيس وحدة الدراسات الإيرانية بالمركز وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة.
- يتمتع بعضوية العديد من الجمعيات العلمية الدولية والإقليمية والمحلية، وكذلك عضوية هيئات تحرير مجلات علمية مصرية وأجنبية.
- أشرف على العديد من رسائل الدكتوراه والماجستير في ميادين الأدب الفارسي - الأدب الأردي - الأدب المقارن - تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته - الفكر الإسلامي - المذاهب والفرق الإسلامية.
- ناقش أكثر من مائة رسالة علمية في الجامعات المصرية والعربية، وهو محكم علمي للمجلات وأبحاث المؤتمرات.
- قام بمهمات علمية في كل من: إيران (١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٧٧، ٢٠٠١، ٢٠٠٣، ٢٠٠٧)، ألمانيا (١٩٧٧)، تتارستان - روسيا الاتحادية (١٩٩٧)، أمريكا (١٩٩٨ -٢٠٠٠)، ماليزيا (٢٠٠٢)، الإمارات العربية المتحدة (٢٠٠٣)، وأعير للعمل في بعض الجامعات العربية: السعودية (١٩٧٨ - ١٩٨٣)، وقطر (١٩٨٨ - ١٩٩٣).

- شارك في أكثر من عشرين مؤتمرًا وندوة دولية في كل من: إيران (١٩٩١، ١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٧)، باكستان (١٩٩٧، ٢٠٠٤)، اليونسكو – باريس (٢٠٠٥)، السعودية (١٩٨٠، ١٩٨٥، ٢٠٠٠)، تركيا (١٩٩٨، ٢٠٠٠)، آذربايجان (٢٠١٠)، فضلاً عن المشاركة في عشرات المؤتمرات والندوات التي أقامتها الجامعات والمراكز العلمية والثقافية في مصر.
- حاصل على وسام "تاج" من شاه إيران محمد رضا بهلوى (١٩٧٧). كما حصل أيضًا على وسام الاستحقاق (امتياز) من جمهورية باكستان الإسلامية (١٩٩٩)

## الإنتاج العلمى

### أولاً: بعض المؤلفات:

١. دولة الإسماعيلية فى إيران، سجلّ العرب مصر ١٩٧٥، الطبعة الثانية: الدار الثقافية مصر ١٩٨٨.
٢. مناهج البحث فى الدراسات الإسلامية والعربية، عدة طبعات، مصر ١٩٧٩ – ٢٠٠٣.
٣. علاء الدين عطا ملك الجوينى، حاكم العراق بعد انقضاء الخلافة العباسية، مصر ١٩٨٢.
٤. صفحات مطوية من الثقافة الإسلامية، دار الصحوة، مصر ١٩٨٦.
٥. دراسات فى تاريخ المغول والعالم الإسلامى، مصر ١٩٨٧.
٦. الأدب المقارن (دراسات فى الأدبين العربى والفارسى) – دار ثابت – مصر ١٩٨٩، الطبعة الخامسة دار القلم ٢٠٠٣.
٧. الفكر الإسلامى فى المشرق، مصر ١٩٨٤.
٨. من أعلام الشعر الفارسى فى عصور الازدهار، دار الهداية مصر ١٩٩٨.
٩. نقوش فارسية على لوحة عربية – الدار الثقافية – مصر ١٩٩٩.

١٠. الشبهات الواردة في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية حول القرآن الكريم، المدينة المنورة ٢٠٠٢.

١١. أفغانستان بين نوازع السيطرة وإرادة الكفاح، مركز زايد للأبحاث، أبو ظبي ٢٠٠٣.

١٢. جمع ما تفرّق، مقالات عن العالم الإسلامي، الدار الثقافية، مصر ٢٠٠٦.

١٣. مقالات فارسى، مقالات باللغة الفارسية، دار الهداية، مصر ٢٠٠٩. وقد تُرجم له كتابان إلى الفارسية وتم نشرهما فى إيران مؤخرًا وهما "الأدب المقارن" و"نقوش فارسية" (رقم ٦، ٩ فيما سبق).

**ثانيًا: الترجمات:**

١. القسم الخاص بالإسماعيلية فى كتاب "جهانگشاى" لعطا ملك الجوينى، ضمن كتاب دولة الإسماعيلية فى إيران (رقم ١ من المؤلفات).

٢. رسالة الخلود (أو جاويد نامه) محمد إقبال، عن الفارسية، طبع سجلّ العرب ١٩٧٤، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٩.

٣. تطور الفكر الفلسفى فى إيران، محمد إقبال، ترجمة عن الإنجليزية بالاشتراك مع الدكتور حسن الشافعى، مصر ١٩٨٣.

٤. أخبار سلاجقة الروم، لابن البيبى، عن الفارسية، جامعة قطر ١٩٩٥، المشروع القومى للترجمة، مصر ٢٠٠٧.

٥. قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز لجلال الدين الرومى عن الفارسية، مكتبة الشروق الدولية – مصر ٢٠٠٥، مكتبة الأسرة ٢٠٠٧.

التصحيح اللغوى: نعيمة عاشور
الإشـــراف الفنـى: حسـن كـامـل